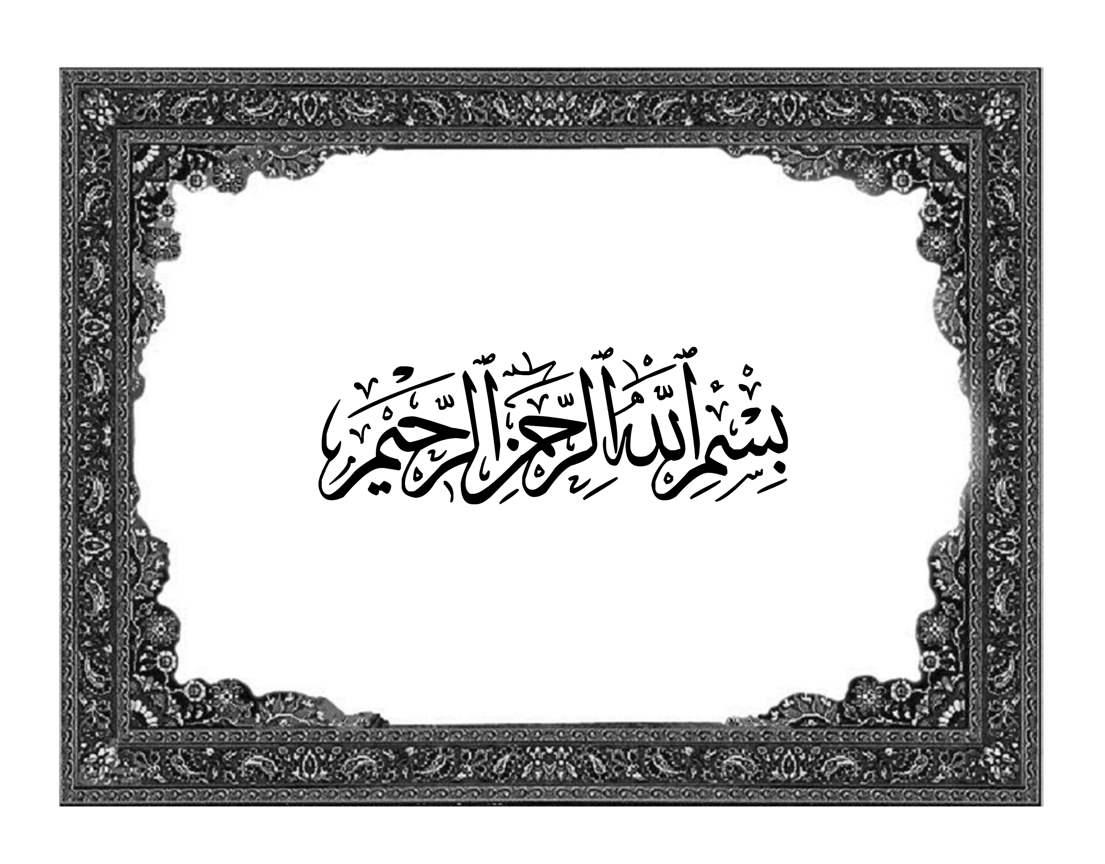

بسم الله الرحمن الرحيم



رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق – وزارة الثقافة العراقية لسنة ٢٠١٤: ١٣٨.

الرقم الدولي: ٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٨٤٧.

---

القطب الرواندي، سعيد بن هبة الله، -٥٧٣هـ.

ضياء الشهاب وضوء الشهاب في شرح شهاب الاخبار/ لقطب الدين الراوندي، فضل الله الراوندي؛ تحقيق عقيل الربيعي. – كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة. قسم الشؤون الفكرية والثقافية، ١٤٣٥هـ./ ٢٠١٤.

٢ج. – (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ ١٣٤).

ISBN:٩٧٨٩٩٣٣٤٨٩٨٤٧ .

تبصرة ببليوغرافية: يحتوي على ارجاعات ببلوغرافية.

١. احاديث الشيعة – القرن ٥هـ. ٢. محمد ، نبي الاسلام، ٥٣ ق.هـ - ١١هـ. – احاديث. ٣. الحديث – رواية. ٤. الحديث – جوامع الفنون. ٥. احاديث اخلاقية. ٦. الاداب الاسلامية – احاديث. ٧. احاديث الشيعة – الراوندي الكاشاني، فضل الله بن علي، القرن ٦هـ. ضوء الشهاب في شرح شهاب الاخبار. ب. القضاعي، محمد بن سلامة، ٤٥٤هـ. شهاب الاخبار في الحكم والامثال والاداب. شرح. ج. الربيعي، عقيل، محقق. د. قسم الشؤون الفكرية والثقافية. هـ. العنوان. و. العنوان: ضوء الشهاب في شرح شهاب الاخبار. ز. العنوان: شهاب الاخبار في الحكم والامثال والاداب.

BP 142.5.Q837.D59 2014 = BP 193. Q837D59 2014

---

**تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر**

# ضوء الشهاب

لأبي الرضا الراوندي
ت ٥٧٠ هـ

# ضياء الشهاب

لأبي الحسين الراوندي
ت ٥٧٣ هـ

## في شرح شهاب الأخبار

لابن سلامة القضاعي
ت ٤٥٤ هـ

تحقيق
عقيل عبد الحسن الربيعي

الجزء الأول


إشراف
شعبة التحقيق
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٣٥-٢٠١٤






العراق: كربلاء المقدسة – العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية – هاتف: ٣٢٦٤٩٩

Web: www. imamhussain-lib. com
E-mail: info@imamhussain-lib. com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّدٍ المبعوث رحمةً للعالمين، وآله الأطيبين الأطهرين، الذين هم عين الحياة والماء الـمَعين، واللعنة وسوء العذاب على أعدائهم الأرذلين.

وبعد:

فإنّ أعظم الله خلق عزّ وجلّ وأزكاهم رسول الله محمّد وآله الأطهار عليهم السلام، وبما أنّهم كذلك فكلّ ما يتعلق بهم فهو الأعظم، ومن ذلك كلامهم المبارك الذي هو القرآن الناطق، ومن غرر ودرر كلماتهم - وكلها غرر ودرر - ما يتعلّق بالأخلاق والمواعظ، وكتابنا الماثل بين أيديكم هو درّة من تلك الدرر التي أكرم بها النبي وأهل بيته عليهم السلام أتباعهم.

فيسرّ شعبة التحقيق في قسم الشؤون الفكرية والثقافية أن تخرج إلى عالم الطباعة كتاب (شهاب الأخبار)، وشرحه (ضوء الشهاب) لأبي الرضا الراوندي، وشرحه الثاني (ضياء الشهاب) لقطب الدين الراوندي، وقد حققها مجتمعة الأخ (عقيل عبد الحسن الربيعي) وفّقه الله تعالى.

فهنيئاً لمن قرأ واتّعض وعَمِلَ، جعلنا الله عزّ وجلّ وأيّاكم منهم بحقّ محمد وآله الطاهرين.

شعبة التحقيق

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

## مقدّمة التحقيق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، ثمّ الصلاة علىٰ محمد البشير النذير، والسراج المنير، الطهر الطاهر، ذي المقام المحمود والمنهل المشهود، وعلىٰ آله الطاهرين الأخيار الأتقياء الأبرار، الذين انتجبهم الله واصطفاهم من خلقه، وجعلهم اُمناءَ وحيه وخزّان علمه.

وبعد: تبقىٰ أحاديث النبي ﷺ وتعاليمه ـ بعد القرآن ـ في الذروة العليا والمحل الأعلىٰ من الشريعة الإسلامية؛ لما تتمتّع به من قدرة في الحفاظ علىٰ شريعة الله جلّ وعلا في الحلال والحرام والعقيدة والأخلاق، ولما لها من القدرة في النفوس والعروج بها من حضيض الفسق والرذيلة والكفر إلىٰ سماء العطاء والشرف والكمال، ولا أرىٰ حاجة إلىٰ سياق دليل وشاهد لإثبات هذه الدعوة حتىٰ لمن أنكر رسالة المصطفىٰ فضلاً عمن آمن به وبرسالته ﷺ.

ولأجل هذا نرىٰ كتاب الله سبحانه وتعالىٰ ما برح يأمرنا بامتثال أوامر النبي ﷺ ونواهيه، حيث قال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾[1] وقال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2].

---

(١) سورة الحشر ٥٩ : ٧.

(٢) سورة النساء ٤ : ٥٩.

وقال: ﴿لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُواْ اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾[١] وغيرها من الآيات الآمرة بالتمسّك بما جاء به النبي ﷺ واتباعه.

وعلىٰ هذا كان الحديث ورواته علىٰ مرتبة عالية وشأن عظيم عند أئمّة المسلمين وحازا علىٰ فضيلة عظيمة ومكانة عالية في الإسلام.

فعن النبي ﷺ: ***تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا فإنّ الحديث جلاء للقلوب، إنّ القلوب لترين كما يرين السيف جلاؤها الحديث***[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام: ***من أراد الحديث لمنفعة الدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدنيا والآخرة***[٣].

وعنه عليه السلام: ***اعرفوا منازل شيعتنا بقدر ما يحسنون من رواياتهم عنّا، فإنّا لا نعدّ الفقيه منهم فقيهاً حتىٰ يكون محدّثاً***، فقيل له: أو يكون المؤمن محدّثاً؟ قال: ***يكون مفهّماً، والمفهّم المحدّث***[٤].

ونقدّم بين يديك ـ أخي المؤمن ـ كتاباً في الحديث معروف، تداولته أيدي العلماء وحملة العلم قديماً وحديثاً، وهو شهاب الأخبار لمؤلّفه محمد ابن سلامة القضاعي، جمع فيه مجموعة كبيرة من أحاديث وآثار مرويّة عن نبيّنا الأعظم ﷺ تبنّت علىٰ عاتقها إصلاح ما فسد من خُلُق الإنسان وبناء شخصيّة المسلم وتطهيره من رذائل الأخلاق وسفاسفها، عكست لنا نور نبيّنا ﷺ بقدراته الهائلة، وصدره الرحب، ورحمته الواسعة، وحرصه علىٰ هداية البشر بعبارات مختصرة فصيحة بليغة مألوفة، يستأنس بها المستوحش،

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٢١.

(٢) الكافي ١: ٤١ / ٨.

(٣) الكافي ١: ٤٦ / ٢.

(٤) وسائل الشيعة ٢٧: ١٤٩ / ٣٨.

ويستبشر بها المذنب التائب، وينذر بها المتعبّد الجاهل، باستعارات لطيفة، وتشابيه دقيقة، يلين لها القلب القاسي، ويخضع لها المفوّه البليغ.

وكذلك قدّمنا بين يديك أيضاً شرحين لهذا الكتاب لعلمين فقيهين محدّثين أغراهما الوقوف علىٰ هذا الصرح العالي وتصدّيا لشرح غامض كلماته، ودعمه بتوضيحات من اللغة والقرآن والشعر والأدب والقصص، فصار بمجموعها مؤلّفاً علميّاً ضخماً أغنىٰ المكتبة الإسلامية بعلوم شتّىٰ، ومباحث دقيقة لطيفة في الحديث والدراية والأدب واللغة عبّرت عن طول باع هذين العلمين في هذه العلوم والفنون.

والشرح الأول المسمّىٰ بـ: ضياء الشهاب في شرح شهاب الأخبار لقطب الدين الراوندي، والثاني: ضوء الشهاب في شرح شهاب الأخبار لفضل الله الراوندي.

وجدير بالذكر أنّ كتاب الشهاب حاز علىٰ اهتمام كثير من العلماء من جميع المذاهب والطوائف، فإن دلّ هذا علىٰ شيء دلّ علىٰ حرص المسلمين بأطيافهم المتعدّدة علىٰ مدارسة الحديث ودرايته وروايته من جيل إلىٰ جيل بطرق مختلفة متفاضلة، خلاف ما قام به حكّام المسلمين بعد رحيل النبي ﷺ من منع كتابة الحديث وتداوله وتناقله بحجّة الاختلاف في فهمه، وأنّ القرآن يكفي المسلمين لهدايتهم.

يقول ابن سعد في طبقاته: إنّ الأحاديث كثرت علىٰ عهد عمر بن الخطّاب فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلمّا أتوه بها أمر بتحريقها[1]، وبقي هذا المنع نافذاً حتىٰ ولي الحكم عمر بن عبد العزيز الأموي فرفع المنع. وكتب

(١) الطبقات الكبرىٰ ٥ : ١٨٨.

إلىٰ أهل المدينة أن انظروا حديث رسول الله فاكتبوه، فإنّي قد خفت دروس العلم وذهاب أهله.

وغيره من الشواهد التي يأسف لها الغيور لحرمان هذهِ الأُمّة من هـذه الهداية الربّانيّة الإلهيّة المحمديّة، التي قال عنها الله جلّ وعلا: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[1].

ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم

والحمد لله ربّ العالمين

---

(١) سورة النجم ٥٣ : ٣ و ٤.

## ترجمة

## محمد بن سلامة القضاعي

## صاحب الشهاب

***اسمه ولقبه ونسبه:***

هو محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون بن إبراهيم بن محمد بن مسلم القاضي القضاعي، الفقيه، الشافعي، المصري.

***كنيته:*** أبو عبد الله[١].

***لقبه:*** القضاعي ـ بضم القاف وفتح الضاد المعجمة وفي آخرها العين المهملة ـ وهذه النسبة إلى قضاعة، وقال السمعاني: إنّ قضاعة هو ابن معد ابن عدنان، ويقال: بل هو من حمير، ومن نسبه فيهم: قال: عمرو بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ، ولقبه قضاعة، وقال شاعرهم في ذلك:

*قضاعة بن مالك بن حمير* *النسب المعروف غير المنكر*[٢]

***نشأته ومناصبه:***

أحسن ما عثرنا عليه في بيان حياة المترجم هو ما حكي عن أبي الوفاء مصطفىٰ المراغي، إذ اكتفىٰ من ترجمه بذكر طبقته وشيئاً يسيراً من حياته، فقال

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٣: ١٦٧ / ٦٤٤٠، إكمال الكمال ٧: ١٤٧.

(٢) الأنساب ٤: ٥١٦.

المراغي:

القُضاعي عالم مصري، وفقيه شافعي، نشأ في بيئة علمية، فأحب العلم، وكَلِفَ به، فوالِدُه سلامةُ بن جعفر كان عالماً مشغوفاً بالعلم، تتلمذ للمزني، وكان يحفظُ ما يأخذ عنه، وكان مقرباً إلى ابن طولون، وكان ابن طولون يستعبره الرؤيا، فَنَسَج القضاعي الابن على منوالِ القضاعي الأب، نهج نهجه، ورحل إلى البلاد في طلب العلم، ووصل إلى الحجاز والشام والقسطنطينية، وسمع الحديث بمكة، وتفنّن في علوم كثيرة حتّىٰ قال ابن ماكولا: لم أرَ في مصر من يجري مجراه.

وآثاره العلمية تُشير إلى أنه تضلَّع في علوم التفسير والحديث والتاريخ، وقد رشحه علمه لوظيفة القضاء، فولي قضاء مصر، ورشحه أدبُه للكتابة، فكتب للوزير علي بن أحمد الجرجرائي، ورشحته سياستُه وكياستُه لوظيفة السفارة، فسفر لمصر إلى الروم وأقام مدّة بالقسطنطينية، ولم تشغله السفارة بها عن العلم، فأخذ بها عن بعض علمائها، كما أخذ بعضُهم عنه. وكان الفاطميون يُعظمونه لعلمه ومواهبه، والظاهرُ أن زهده حمله على أن يُولي الوعظَ والإرشاد عنايتَه، فألف في ذلك عدّة كتب كما يتبيّن من ثبت كتبه.

أما أخلاقه وسيرتُه، فقد اتّفق المترجمون على أنّه كان محمود السيرة زاهداً خيراً، يتعهَّدُ المساكين ببرّه وصدقاته، وذكروا عنه أنّه كان يبعث أولاده بالليل إلى بيوت الأرامل بالصدقات، وإذا أعجبه طعام تصدَّق به، وحسبُه أن يقول عنه السخاوي: وشهرته تغني عن الإطناب في مناقبه.[١]

**مشايخه:**

قدم دمشق وسمع فيها:

**١** ـ أبا الحسن بن السمسار.

---

(١) مقدّمة مسند الشهاب: ٨.

٢ ـ أبا القاسم بن الطبير.

وكذلك روىٰ عن:

٣ ـ أبي مسلم الكاتب.

٤ ـ أبي الحسن أحمد بن عبد العزيز بن أحمد بن صامد بن محمود بن ثرثال البغدادي.

٥ ـ أبي عبد الله محمد بن الحسن بن عمر بن حفص اليمني.

٦ ـ أبي الحسن بن جهضم الهمداني.

وغيرهم.

***الرواة عنه:***

١ ـ أبو عبد الله الحميدي.

٢ ـ سهل بن بشر.

٣ ـ أبو عبد الله محمد بن أحمد الرازي، المعروف بابن الخطاب.

٤ ـ أبو القاسم النسيب[١].

***مصنّفاته:***

قال ابن ماكولا: كان متقناً في عدّة علوم ولم أرَ في مصر من يجري مجراه[٢].

وإليك ما ذكر من مصنّفاته:

١ ـ كتاب الشهاب، وله عدّة شروح، سنذكرها إن شاء الله بعد ذلك.

٢ ـ مناقب الإمام الشافعي وأخباره.

٣ ـ كتاب الإنباه عن الأنبياء.

٤ ـ تواريخ الخلفاء.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٣ : ١٦٧.

(٢) إكمال الكمال ٧ : ١٤٧.

٥ ـ خطط مصر.

٦ ـ تفسير القرآن في عشرين مجلداً.

٧ ـ أمالي في الحديث.

٨ ـ الإنباه في الحديث.

٩ ـ درّة الواعظين وذخر العابدين.

١٠ ـ دقائق الأخبار وحدائق الاعتبار في الحكم.

١١ ـ نزهة الألباب في التاريخ.

١٢ ـ دستور معالم الحكم من كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه‌السلام.

١٣ ـ مسند الشهاب(١).

***ما يستأنس لتشيّعه:***

نُسب المترجم إلىٰ مذهب الشافعية ـ كما مرّ ـ إلّا أن الميرزا النوري رحمه‌الله ذكر اُموراً يستأنس منها تشيّعه إلّا أنّه لم يكتفِ بهذه الاُمور ـ كما هو الحقّ ـ بالحكم بتشيّعه.

وهذه الاُمور هي:

١ ـ توغّل الأصحاب علىٰ كتابه، والاعتناء به، والاعتماد عليه، وهذا غير معهود منهم بالنسبة إلىٰ كتبهم الدينية، كما لا يخفىٰ علىٰ المطلع بسيرتهم.

٢ ـ إنّه قال في خطبة الكتاب بعد ذكر النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، ولم يعطف عليهم الأزواج والصحابة، وهذا بعيد عن طريقة مؤلفي العامة غايته.

٣ ـ إنّه ليس في تمام هذا الكتاب من الأخبار الموضوعة في مدح الخلفاء

(١) وفيات الأعيان ١ : ٥٨٥، مقدّمة مسند الشهاب: ٩، ١٠.

ـ سيّما الشيخين والصحابة ـ خبر واحد مع كثرتها، وحرصهم في نشرها ودرجها في كتبهم بأدنىٰ مناسبة، مع ما روىٰ فيه قوله ﷺ: ***مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا من تخلّف عنها غرق***.

٤ ـ إنّ جلّ ما فيه من الأخبار موجود في اُصول الأصحاب ومجاميعهم، كما أشار إليه المجلسي أيضاً، وليس في باقيه ما ينكر ويستغرب، وما وجدنا في كتب العامّة له نظيراً ومشابهاً[1].

ولا يخفىٰ علىٰ المتأمّل أنّ هذه الأُمور ليست كافية في تثبيت أمر كالتشيّع، خصوصاً وأن منزلة أهل البيت عليهم السلام وعظمتهم لا يمكن إنكارها حتىٰ عند أعدائهم، فضلاً عن أن التشيّع له أركان ـ تذكر في محلّها ـ لا تتحقّق في هذه الأُمور المذكورة.

***كتاب الشهاب:***

لا شبهة في ثبوت هذا الكتاب للمترجم فلا يحتاج لإثباته إلىٰ ذكر دليل، حيث نُسب الكتاب إليه في كتب الفهارس والتراجم.

أما موضوعه فكما عرّفه المترجم في مقدمة الشهاب بعد حمد الله والصلاة علىٰ نبيّه وآله ﷺ، قال:

أما بعد، فإن في الألفاظ النبويّة، والآداب الشرعية، جِلاءٌ لقلوب العارفين، وشِفاء لأدواء الخائفين، لصدورها عن المؤيّد بالعصمة، والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعو إلى الهدى، ويُبصر من العمىٰ، ولا ينطق عن الهوى ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ أفضل ما صلَّى على أحد من عباده الذين اصطفى.

وقد جمعتُ في كتابي هذا مما سمعتُه من حديث رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ ألفَ كلمة من الحكمة في الوصايا، والآدابِ، والمواعظ والأمثال، قد

(١) خاتمة المستدرك ١: ٣٥٥.

سَلِمَتْ من التكلّف مبانيها، وبَعُدَتْ عن التعسُّفِ معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميَّزت بهدي النبوّةِ عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودةً يتلو بعضُها بعضاً، محذوفَةَ الأسانيد مبوّبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ، ليقرب تناولُها، ويسهل حِفْظُها، ثمّ زِدت مئتي كلمة، فصار ألف كلمة ومئتي كلمة، وختمت الكتابة بأدعيةٍ مرويّة عنه ﷺ، وأفردت لأسانيد جميعها كتاباً يُرجع في معرفتها إليه، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه، ومقرّباً من رحمته بحوله وقدرته.

هذا ما يضمّنه موضوع الكتاب ـ كما بيّنه المصنّف ـ.

فحاز إعجاب متذوّقي الأحاديث والأخبار، فتسارعوا إلىٰ شرحه وبيان غوامضه وكشف لطائفه. وهذا ما حدا خرّيت هذه الصناعة الميرزا النوري ـ وإن كان يخالف المترجم في مذهبه ـ إلى القول: فهذا الكتاب في نظري القاصر في غاية الاعتبار وإن كان مؤلفه في الظاهر ـ أو واقعاً ـ غير معدود من الأخيار[1].

***وفاته:***

قال ابن عساكر: توفّي المترجم في ذي الحجّة ـ وقيل: في ذي القعدة، سنة أربع وخمسين وأربعمائة، وقيل: اثنتين وخمسين وأربعمائة[2].

---

(١) خاتمة المستدرك ١ : ٣٥٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٥٣ : ١٧٠، خاتمة المستدرك ١ : ٣٥٤.

## ترجمة

## سعيد بن عبدالله قطب الدين الراوندي

## صاحب ضياء الشهاب

***اسمه:***

المعروف والمشهور في اسم المترجم ﷺ ولقبه هو الشيخ الإمام أبو الحسين سعيد بن عبدالله بن الحسين بن هبة الله بن الحسن الراوندي، المشهور بـقطب الدين الراوندي.

كذا ذكره صاحب الذريعة(١) والسيد محسن الأمين(٢) وغيرهم.

وقال صاحب الرياض: وينسب إلى جده كثيراً اختصاراً، فيقال: سعيد بن هبة الله الراوندي(٣).

وقال ابن الفوطي في مجمع الآداب: قطب الدين أبو الفرج سعيد بن هبة الله ابن أبي الفرج الراوندي فقيه الشيعة(٤).

إلّا أنّ الشيخ منتجب الدين قال في الفهرس(٥): سعد بن هبة الله، ثمّ عاد وذكره

---

(١) الذريعة ١: ٢٩١.

(٢) أعيان الشيعة ٧: ٢٣٩ / ٧٩٦.

(٣) رياض العلماء ٢: ٤١٩.

(٤) مجمع الآداب في معجم الألقاب ٣: ٣٧٩ رقم الترجمة ٢٧٩٩.

(٥) فهرست منتجب الدين: ٦٨.

مرتين[١] في ترجمة أولاده باسم «سعيد».

وعليه يمكن الاحتمال في تصحيف «سعد» عن «سعيد» لسهو النسّاخ، ولا نحتمل العكس، أي تصحيف «سعد» بزيادة «الياء». مضافاً إلى أنّه خلاف المشهور والمعروف من اسمه. كما يأتي في أقوال العلماء فيه.

**نسبه:**

نُسب المصنّف إلى مدينة رَاوَنْد ـ بفتح الواو ونون ساكنة وآخره دال مهملة ـ وهي مدينة تقع بين كاشان وأصفهان، ذكرها عدد من المؤرخين منهم السمعاني في الأنساب، وقال: راوند قرية من قُرى قاسان بنواحي أصفهان[٢] وقال الحموي في معجم البلدان[٣]، والبغدادي في مراصد الاطلاع[٤]: رَاوَنْد: بليدة قرب قاشان وأصفهان، وأصلها «رهاوند»، ومعناه الخير المضاعف.

وذكرها أيضاً الشيرازي في طبقات الفقهاء[٥]، حيث قال: وأما قاسان فناحية من نواحي أصفهان مشتمله على قرى كثيرة منها راوند.

والمعروف أنّ المترجم ينسب إلى هذه المدينة. ذكر ذلك جماعة منهم صاحب الرياض حيث قال: وقال شيخنا البهائي في حواشي فهرس الشيخ منتجب الدين عند ترجمة القطب الراوندي ـ هذا على ما وجدته بخط تلميذه المولى محمد رضا المشهدي في بلدة تبريز ـ وما هذا لفظه: الظاهر أنَّه منسوب إلى راوَنْد قرية من قرى كاشان[٦].

---

(١) المصدر السابق: ٨٦ و ١١٢.
(٢) الأنساب ٣: ٣١.
(٣) معجم البلدان ٣: ١٩.
(٤) مراصد الاطلاع ٢: ٥٩٨.
(٥) طبقات الفقهاء: ٢١٢.
(٦) رياض العلماء ٢: ٤٢٠.

وهناك مدن اُخرى سُميت بهذا الأسم منها:

**١** ـ ناحية بظاهر نيسابور، ذكرها ابن خلّكان في وفيات الأعيان[١].

**٢** ـ مدينة بالموصل بناها راوند الأكبر بن بيوراسف الضحاك[٢].

***اُسرته:***

لم تتعرض كتب التراجم إلى أحوال وسيرة أسلافه وعائلته، إلّا ما ذكره بعضهم وبعض الرجاليين بأنّه كان من اُسرة علمية وأنّ جدّه وأباه وأخاه وأولاده كانوا جميعاً من العلماء.

قال صاحب الرياض: وكان والده وجدُّه أيضاً من العلماء[٣].

وقال صاحب ريحانة الأدب: وكان من اُسرة علمية، وكان جدُّه وأبوه وأخوه وأبناؤه أيضاً من أكابر العلماء[٤].

***أولاده وأحفاده:***

وأمّا أولاده، فجميعهم من العلماء الفقهاء، وممّن وقع في طرق الإجازات، وهم:

**١** ـ علي بن سعيد بن هبة الله، قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ الإمام عماد الدين علي بن الشيخ الإمام قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، فقيه، ثقة[٥].

وقال الخونساري: كان من جملة الأئمّة الفقهاء الثقات[٦].

(١) وفيات الأعيان ١: ٩٤.

(٢) الأنساب ٣: ٣١، معجم البلدان ٣: ١٩، مراصد الاطلاع ٢: ٥٩٨.

(٣) رياض العلماء ٢: ٤٣٠.

(٤) ريحانة الأدب ٤: ٤٦٧.

(٥) فهرست منتجب الدين: ٨٦، أمل الآمل ٢: ١٨٨.

(٦) روضات الجنّات ٤: ٨. وترجم له في رياض العلماء ٤: ١٠٠.

**٢ ـ** محمد بن سعيد بن هبة الله، صاحب كتاب «عجالة المعرفة» في أصول الدين، قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ الإمام ظهير الدين أبو الفضل محمد ابن الشيخ الإمام قطب الدين أبي الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي، فقيهٌ، ثقةٌ، عدلٌ، عينٌ(١).

**٣ ـ** الحسين بن سعيد بن هبة الله. قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ نصير الدين أبو عبدالله الحسين بن الشيخ الإمام قطب الدين أبي الحسين الراوندي، عالمٌ، صالحٌ، شهيدٌ(٢).

**٤ ـ** أبو سعيد، هبة الله بن سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، ذكره صاحب الروضات، قال: أبو سعيد هبة الله بن سعيد الراوندي الذي يوجد في كلمات السيد رضي الدين بن طاووس كثيراً(٣).

وأما أحفاده، فالمذكور منهم:

**١ ـ** محمد بن محمد بن سعيد بن هبة الله الراوندي، يروي عند والده محمد عن جدّه القطب، كما في سند الرواية التي رواها ابن العديم في تاريخ حلب في ترجمة أبي جعفر بن علي الحلبي، من تلامذة الشيخ الطوسي(٤).

---

(١) فهرست منتجب الدين: ١١٢، رياض العلماء ٥: ١٠٧، أمل الآمل ٢: ٢٧٤.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٥٤، رياض العلماء ٢: ٧، أمل الآمل ٢: ٨٧، قال في ريحانة الأدب ٤: ٤٦٩: ولم يُعلم تاريخ شهادته دقيقاً.

(٣) روضات الجنّات ٤: ٧.

(٤) تاريخ حلب ١٠: ٤٣٧٥، قال ابن العديم: أخبرنا أبو المؤيّد محمد بن محمود بن محمد قاضي خوارزم، قال: أخبرنا محمد بن محمد بن سعيد الراوندي، قال: أخبرني والدي محمد بن سعيد بن هبة الله الراوندي، قال: أخبرني والدي قطب الدين سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، قال: أخبرنا الشيخ أبو جعفر الحلبي، قال: أخبرنا الشيخ الفقيه الثقة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، قال: أخبرنا الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان ←

**٢ ـ** الشيخ محمد بن علي بن سعيد بن هبة الله الراوندي، عُدَّ من العلماء الفضلاء، وهو ولد الشيخ علي المتقدّم، قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ برهان الدين محمد بن علي بن أبي الحسين أبو الفضائل الراوندي، سبط الإمام قطب الدين رحمهم الله، فاضلٌ، عالمٌ[١].

***أقوال العلماء في حقّه:***

اتّفقت كلمات العلماء الأعلام ممّن ترجم القطب الراوندي أو ذكره على وثاقته وجلالته، وعلو شأنه ومنزلته، وهو علم من أعلام الطائفة واثنى عليه كلّ من ذكره، وأنّه أغنى المكتبة الإسلامية في علوم شتىٰ وفنون مختلفة، وذكر في عدّة طبقات، ذكر في طبقة المفسّرين والمتكلّمين والمحدّثين، وهو أديب وشاعر ومؤرّخ وصنّف وأكثر في تصنيفه وأجاد، فهو علم من أعلام القرن السادس الهجري.

وإليك بعض أقوال العلماء فيه:

**١ ـ** قال الشيخ منتجب الدين: الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، فقيهٌ، عينٌ، صالحٌ، ثقةٌ، له تصانيف[٢].

**٢ ـ** قال ابن شهر آشوب: شيخي أبو الحسين سعيد بن هبة الله الراوندي له كتبٌ[٣].

---

← الحارثي، قال: أخبرنا أبو الطيب الحسين بن علي بن محمد التمار، عن محمد بن أحمد، عن جده، عن علي بن حفص المدائني، عن إبراهيم بن الحارث، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي». وهذه الرواية هي الرواية الأولى في أمالي الشيخ الطوسي.

(١) فهرست منتجب الدين: ١١٢.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٨.

(٣) معالم العلماء: ٩٠.

٣ ـ قال السيد رضي الدين بن طاووس: الشيخ العالم في علوم كثيرة قطب الدين الراوندي، واسمه سعيد بن هبة الله رحمه الله[١].

٤ ـ قال ابن الفوطي: قطب الدين أبو الفرج سعيد بن هبة الله بن أبي الفرج الراوندي، فقيه الشيعة، كان كان من أفاضل علماء الشيعة[٢].

٥ ـ قال الأردبيلي: سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، الشيخ الإمام، قطب الدين، فقيهٌ، صالحٌ، ثقةٌ، له تصانيف[٣].

٦ ـ قال الحر العاملي: فقيهٌ، ثقةٌ، عينٌ، صالحٌ[٤].

٧ ـ وصفه المجلسي في البحار بالإمام[٥].

وفي خاتمة بحار الأنوار في الإجازات: الشيخ الإمام السعيد قطب الملّة والدين، وفي موضع آخر: الشيخ الإمام قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله ابن الحسن الراوندي، فقيه، صالح، ثقة، له تصانيف منها[٦].

٨ ـ وقال الميرزا عبد الله أفندي: الشيخ الإمام الفقيه قطب الدين أبو الحسن سعيد بن عبد الله بن هبة الله بن الحسن الرواندي، فاضلٌ، عالمٌ متبحرٌ، فقيهٌ، مُحَدّثٌ، مُتكلّمٌ، بصيرٌ بالأخبار، شاعرٌ، ويقال: إنّه كان تلميذ تلامذة الشيخ المفيد[٧].

٩ ـ وقال العلّامة الخونساري: فقيهٌ، عينٌ، ثقةٌ، له تصانيف... وأقول: بل هو

(١) كشف المحجّة: ٢٠.
(٢) مجمع الآداب في معجم الألقاب لابن الفوطي ٣: ٣٧٩ رقم الترجمة ٢٧٩٩.
(٣) جامع الرواة ١: ٣٦٣.
(٤) أمل الآمل ٢: ١٢٥.
(٥) بحار الأنوار ١: ١٢.
(٦) بحار الأنوار ١٠٢: ١٣٥، و ١٠٤: ١٩.
(٧) رياض العلماء ٢: ٤١٩.

أجلُّ وأعظم من كلّ ما ذُكر فيه[١].

**١٠ ـ** وقال الشيخ عبد النبي الكاظمي: وثَّقه ابن طاووس في فرج المهموم، وقال السماهيجي: وكان عالماً فاضلاً، مُتبحّراً كاملاً، فقيهاً مُحدّثاً، ثقةً، عيناً، علاّمة، قال بعض الأفاضل: إنَّه كان من أعاظم مُحَدّثي الشيعة[٢].

**١١ ـ** قال الميرزا النوري: العالمُ المتبحرُ، النقّادُ المُفسّرُ، الفقيهُ المُحدّثُ، المحققُ، صاحب المؤلفات الرائقة النافعة الشائعة... وبالجملة، ففضائل القطب ومناقبه، وترويجه للمذهب بأنواع المؤلّفات المتعلّقة به أظهر وأشهر من أن تُذكر، وكان له أيضاً طبعُ لطيفٌ ولكن أغفل عن ذكر بعض أشعاره المترجمون له[٣].

**١٢ ـ** قال السيد حسن الصدر: قطب الدين الراوندي، الفقيهُ، الإمامُ، الحجّةُ في كلّ فنون العلم، والمصنّف في كلّها[٤].

**١٣ ـ** قال الشيخ عباس القمي: الشيخ الإمام أبو الحسن المعروف بالقطب الراوندي رضي الله عنه وأرضاه، وأعلى في الجنة العالية مأواه، عالم متبحر، نقّاد، فقيه، مفسّر، محدّث، محقّق، ثقة، صاحب مؤلفات رائعة نافعة شائعة[٥].

وقال ﵀ في موضع آخر: سعيد بن هبة الله العالمُ الكامل، المتبحرُ، الفقيهُ، المحدّثُ، المفسّرُ، المحقّقُ، الثقةُ، كان من أعاظم محدّثي الشيعة[٦].

---

(١) روضات الجنّات ٤ : ٨.
(٢) تكملة الرجال ١ : ٥٤٣.
(٣) خاتمة المستدرك ٣ : ٨٠.
(٤) تأسيس الشيعة: ٣٤١.
(٥) الفوائد الرضوية: ٢٩٥ رقم الترجمة ٣٩٠.
(٦) سفينة البحار ٧ : ٣٢٧.

**١٤ ـ** قال العلّامة الأميني: قطب الدين أبو الحسين سعيد بن هبة الله، إمام من أئمة المذهب، وعين من عيون الطائفة، وأوحدي من أساتذة الفقه والحديث، وعبقري من رجالات العلم والأدب، لا يلحق شأوه في مآثره الجمّة، ولا يشق له غبار في فضائله ومساعيه المشكورة، وخدماته الدينية، وأعماله البارّه، وكتبه العلمية[(١)].

**١٥ ـ** قال العلّامة السّماوي: كان فاضلاً جمّ الفضائل، من مشايخ إجازات الأفاضل، قرأ على الطبرسي صاحب مجمع البيان وغيره أكثر من عشرين شيخاً، وأجاز الكثير، وصنَّف الكتب العديدة في أنواع العلوم، وكان ذا يد في أغلب الفنون، أديباً شاعراً[(٢)].

**١٦ ـ** قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: سعيد بن هبة الله بن الحسن بن عيسى الراوندي أبو الحسين، ذكره ابن بابويه في تاريخ الري وقال: كان فاضلاً في جميع العلوم، له مصنفات كثيرة في كلّ نوع، وكان على مذهب الشيعة[(٣)].

---

(١) الغدير ٥: ٣٨١.

(٢) الطليعة في شعراء الشيعة ١: ٣٧٦.

(٣) لسان الميزان ٣: ٤٨.

وابن بابويه هو: أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، الوزير الكبير في الري، من وزراء مجد الدولة ابن بويه، له مصنفات كثيرة منها: تاريخ الري، نثر الدرر، نزهة الأديب، وكان من تلامذة شيخ الطائفة، توفّي سنة ٤٢٢ هـ، قال عنه الشيخ منتجب الدين: الوزير السعيد ذو المعالي زين الكفاة أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، فاضل عالم، فقيه، وله نظم حسن، قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر الطوسي، وروى عنه المفيد عبد الرحمن النيسابوري.

أُنظر: فهرست الشيخ منتجب الدين: ١٠٥، الذريعة ٣: ٢٥٤، هدية العارفين ٢: ٤٧٣، الأعلام للزركلي ٧: ٢٩٨.

*أساتذته ومشايخه:*

طلب المُصنّف العلم على أعاظم العلماء في زمانه، وتلمّذ على يد أفاضل الأعلام في عصره، وروى الحديث والأخبار عن مشايخ كثيرين من الأعلام والثقات من وجوه العامّة والخاصّة، وسنذكر بعض ممن روى المصنّف عنهم وأخذ منهم وهم:

١ ـ أمين الإسلام، الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، صاحب كتاب «مجمع البيان في تفسير القرآن»، المتوفىٰ سنة ٥٤٨ هـ.

٢ ـ الشيخ عماد الدين، أبو جعفر محمد بن أبي القاسم الطبري الإمامي، صاحب كتاب «بشارة المصطفى لشيعة المرتضى»، المتوفىٰ سنة ٥٢٥ هـ.

٣ ـ السيد أبو تراب، مرتضى بن الداعي بن القاسم الرازي الحسني، الملقب بعلم الهدى، صاحب كتاب «تبصرة العوام في ذكر مذاهب طوائف الأنام».

٤ ـ السيد المجتبى بن الداعي الرازي، أخو السيد المتقدّم ذكره، وهما من مشايخ الشيخ منتجب الدين صاحب الفهرس.

٥ ـ السيد أبو البركات، محمد بن إسماعيل الحسيني المشهدي، وهو المعروف بالإمام السيد ناصح الدين ابو البركات المتوفىٰ سنة ٥٤١ هـ، يروي عن الشيخ المفيد بواسطة الفقيه الشيخ جعفر الدوريستي.

٦ ـ الشريف أبو السعادات، هبة الله بن علي بن محمد بن عبد الله بن حمزة الحسني، المعروف بابن الشجري البغدادي، من أكابر علماء الإمامية، صاحب كتاب «الأمالي»، المتوفىٰ سنة ٥٤٢هـ.

٧ ـ الشيخ الإمام أبو الفضل عبد الرحيم بن أحمد البغدادي الشيباني، المعروف بابن الإخوة، نزيل أصفهان، كان من أعاظم عصره، يروي عن السيدة النقية بنت السيد المرتضى عن أبيها وعمها السيد الرضي.

٨ ـ الشيخ أبو جعفر محمد بن علي بن المحسّن الحلبي، أدرك أبا جعفر الطوسي وروى عنه وعن ابن البراج[١].

٩ ـ الشيخ أبو المحاسن مسعود بن علي بن محمد الصواني، فقيه صالح، من مشايخ ابن شهر آشوب، المتوفىٰ سنة ٥٤٤هـ كما في تاريخ بيهق.

١٠ ـ الشيخ ركن الدين، أبو الحسن علي بن علي بن عبد الصمن النيسابوري السبزواري التميمي، الفقيه المُحدّث الثقة، وهو الذي تنتهي إليه رواية حرز الجواد المشهور.

١١ ـ الشيخ محمد بن علي بن عبد الصمد، أخو ركن الدين المتقدّم، وهما من مشايخ ابن شهرآشوب.

١٢ ـ الشيخ أبو القاسم بن كميح، يروي عن الشيخ المفيد بواسطة الشيخ جعفر الدوريستي.

١٣ ـ الشيخ الأستاذ الفقيه أبو جعفر بن كميح، أخو ابن كميح المتقدّم، وكلاهما من مشايخ ابن شهرآشوب.

١٤ ـ الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسن النيسابوري المقري.

١٥ ـ السيد أبو الصمصام، ذو الفقار بن محمد بن معبد الحسني المروزي، من تلامذة شيخ الطائفة، يروي عنه وعن السيد المرتضى، من مشايخ ابن شهر آشوب، ويروي عن أبي العباس أحمد بن علي النجاشي كتاب

---

(١) ذكر ابن الفوطي في مجمع الآداب ٣: ٣٧٩ في ترجمة القطب الراوندي قال: يروي عن أبي جعفر محمد بن علي بن المحسن الحلبي، عن أبي الفتح محمد بن علي بن عثمان الكراجكي، عن أبي الحسن بن شاذان القمي، عن محمد بن أحمد بن عيسى، عن سعد بن عبد الله القمي، عن أيوب بن نوح قال: قال الإمام علي بن موسى الرضا: «اكتبوا الحديث واحتفظوا بالكتب فستحتاجون إليها يوماً، وإذا كتبتم العلم فاكتبوه بأسانيده، واكتبوا معه الصلاة على محمد وآل محمد فإنَّ الملائكة يستغفرون لكم ما دام ذلك الكتاب».

الرجال[١].

**١٦ ـ** الشيخ هبة الله بن دعويدار القمي، فاضل عالم جليل الشأن، من مشايخ ابن شهرآشوب.

**١٧ ـ** الشيخ أبو الحسين أحمد بن محمد بن علي بن محمد المرشكي.

**١٨ ـ** الشيخ أبو القاسم الحسن بن محمد الحديقي، من تلامذة شيخ الطائفة.

**١٩ ـ** الشيخ أبو سعد الحسن بن علي الآرابادي.

**٢٠ ـ** الشيخ أبو عبدالله الحسين المؤدب.

**٢١ ـ** السيد علي بن أبي طالب السليقي، من تلامذة شيخ الطائفة.

**٢٢ ـ** الشيخ الأستاذ أبو جعفر محمد بن المرزبان.

**٢٣ ـ** أبو نصر الغاري، من أجلاء مشايخ السيد فضل الله الراوندي، يروي عن السيدين الرضي والمرتضى بواسطة ابي منصور العكبري.

**٢٤ ـ** أبو منصور شهردار بن شيرويه، صاحب كتاب «مسند الفردوس»، من علماء العامة، ابن الحافظ شيرويه الديلمي صاحب كتاب «فردوس الأخبار»، روى عنه المصنف في الخرائج.

وللمصنّف مشيخة من أعلام أهل السنة، ممّن روى الحديث بأصفهان وهمدان وخراسان بطرق مختلفة وروى عنهم سماعاً وإجازة، تركنا ذكرهم اختصاراً[٢].

---

(١) اُنظر: أمل الآمل ٢: ١١٦.

(٢) رياض العلماء ٢: ٤٣٥.

اُنظر أسماء مشايخ المصنّف في: رياض العلماء ٢: ٤١٩ و ٤٢٦ ـ ٤٢٨، و ٤٣٤ ـ ٤٣٧، روضات الجنّات ٤: ٨، خاتمة المستدرك ٣: ٨٣ ـ ٨٩، الغدير ٥: ٣٨٠.

***تلامذته والراوون عنه:***

لم يقتصر نشاط المصنّف على التدوين والكتابه، بل امتدّ إلى حلقات التدريس والرواية، فقد روى عنه جماعة كثيرة كما يظهر من الإجازات وكتب التراجم، وممّن روى عنهم:

١ ـ الشيخ أحمد بن علي بن عبد الجبار الطبرسي القاضي، من مشايخ الإجازة.

٢ ـ الشيخ محمد بن علي السروي، ابن شهر آشوب المازندراني، المحدّث المحقّق الرجالي الثقة، صاحب كتاب «المناقب» المتوفىٰ سنة ٥٨٨هـ.

٣ ـ الشيخ نصير الدين راشد بن إبراهيم البحراني المتوفىٰ سنة ٦٠٥هـ، وصفه الشهيد بالفقيه الأديب المتكلم اللغوي[١].

٤ ـ خليل بن خمر تكين الحلبي، المتوفىٰ سنة ٥٩٠هـ، قال ابن العديم: كان فقيهاً من فقهاء الشيعة قرأ على القطب الراوندي وروى عنه جميع مؤلفاته ورواياته[٢].

٥ ـ الشيخ منتجب الدين ابن بابويه، علي بن عبيد الله الرازي، صاحب الفهرست، روى عنه في الفهرست في ترجمة العماد الطبري، قال: قرأ عليه الشيخ الإمام قطب الدين الراوندي وروى لنا عنه[٣].

٦ ـ الشريف الفقيه عز الدين، أبو الحارث، أحمد بن الحسن بن علي العلوي البغدادي، كان من فضلاء عصره[٤].

---

(١) خاتمة المستدرك ٢: ٣٣٧.

(٢) بغية الطلب في تاريخ حلب ٧: ٣٣٧٧.

(٣) فهرست منتجب الدين: ١٠٧ رقم الترجمة ٣٨٨.

(٤) أمل الآمل ٢: ٢٦٠، بحار الأنوار ١٠٤: ١٥٤ و١٥٦ و١٩٨، و١٠٥: ٤٦.

٧ ـ الشيخ زين الدين علي بن حسان الرهيمي، يروي عن القطب الراوندي، كما في إجازة الرهيمي للشيخ سديد الدين الحسين بن خشرم[١].

٨ ـ ولده، الإمام عماد الدين، علي بن سعيد بن هبة الله الراوندي.

٩ ـ ولده، الشهيد نصير الدين، الحسين بن سعيد بن هبة الله الراوندي.

١٠ ـ ولده، أبو الفضل محمد بن سعيد بن هبة الله، كما تقدم في رواية ابن العديم، في ترجمة أولاد المصنف.

***مصنّفاته وآثاره العلمية:***

اتّضح من كلمات من ترجم المصنّف ـ القطب الراوندي ـ أنّه كثير التصنيف، وقد تقدم أنّه ألّف في التفسير والحديث والكلام واللغة وفقه القرآن والدعاء وغيرها.

وممّا لا يخفى أنّ كثرة التأليف لا تكشف عن براعة الكاتب وعمقه في مسائل تلك الفنون ما لم يجيد في كتابته بيان لطائف لا يستغني عنها العلماء فضلاً عن غيرهم. وكان المترجم ممن جمع هاتين الصفتين في كتاباته وشهد له أفذاذ العلماء وأثنوا على كتبه واستشهدوا بها، وكانت مؤلّفاته محط أنظار العماء، ومرجعاً للمحقّقين والمصنّفين.

وإليك أسماء مصنفاته:

١ ـ إحكام الأحكام[٢].

٢ ـ أسباب النزول[٣].

٣ ـ الاختلاف الواقع بين الشيخ المفيد والسيد المرتضى، في المسائل

---

(١) بحار الأنوار ١٠٤: ٤٩، الذريعة ١: ٢١٠.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ١: ٢٩١.

(٣) الذريعة ٢: ١٢.

الكلامية، وقد ذكر فيه خمساً وتسعين مسألة[١].

**٤** ـ الإغراب في الإعراب[٢].

**٥** ـ ألقاب الرسول وفاطمة والأئمّة عليهم السلام، ذكر صاحب الرياض أنَّ لديه منه نسخة وقال: إنّه كتاب لطيف مفيد جداً مع صغر حجمه[٣].

**٦** ـ أم القرآن، احتمل الخوانساري اتحاده مع فقه القرآن أو غيره من تفاسيره[٤].

**٧** ـ أم المعجزات، من تتمّات الخرائج والجرائح[٥].

**٨** ـ الإنجاز في شرح الإيجاز، في الفرائض، وعنونه البغدادي بـ: الإعجاز في شرح الإيجاز[٦].

**٩** ـ البحر، ذكره في أمل الآمل ولم يذكر موضوع الكتاب أو شيء من خصوصياته[٧].

**١٠** ـ بيان الانفرادات[٨].

**١١** ـ تحفة العليل، في الأدعية والآداب وأحاديث البلاء وأوصاف جملة من الأغذية[٩].

**١٢** ـ التغريب في التعريب، ذكره الشيخ منتجب الدين في الفهرس، وذكر

---

(١) كشف المحجّة لثمرة المهجة: ٢٠، أمل الآمل ٢: ١٢٧، الذريعة ١: ٣٦٢.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ٢: ٢٣٤ و ٢٥١.

(٣) الذريعة ١٠: ١١٨، أعيان الشيعة ٧: ٢٤١.

(٤) الذريعة ٢: ٣٠٣.

(٥) الذريعة ٢: ٣٠٤.

(٦) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ٢: ٣٦٤، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٧) أمل الآمل ٢: ١٢٧.

(٨) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ٣: ١٧٦.

(٩) الذريعة ٣: ٤٥٦.

بعده كتابه المتقدّم الاغراب في الاعراب فيظهر تغايرهما[١].

**١٣** ـ تفسير القرآن الكريم، في مجلدين[٢].

**١٤** ـ التقريب في التقريب، ذكره الأردبيلي، والبغدادي بعد كتاب التغريب في التعريب للمصنّف، فالظاهر تغايرهما، فلا يحتمل التصحيف[٣].

**١٥** ـ تهافت الفلاسفة[٤].

**١٦** ـ جنى الجنتين في ذكر ولد العسكريين[٥].

**١٧** ـ جواهر الكلام في شرح مقدمات الكلام[٦].

**١٨** ـ حلّ المعقود في الجمل والعقود[٧].

**٢٠** ـ خلاصة التفاسير، قال السيد حسن الصدر: في عشرين مجلداً وهو مشحون بالحقائق والدقائق، من أحسن التفاسير المتأخرة عن الشيخ أبي جعفر الطوسي[٨].

**٢١** ـ الدعوات، وهو المسمّى بـ: سلوة الحزين[٩].

**٢٢** ـ الرائع في شرح الشرائع، في الفقه[١٠]، نقل عنه الفاضل الآبي في

---

(١) فهرست منتجب الدين: ٦٨.

(٢) الذريعة ٤: ٣٠١.

(٣) جامع الرواة ١: ٣٦٤، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٤) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ٤: ٥٠٢.

(٥) الذريعة ٥: ١٤٨، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٦) فهرست منتجب الدين: ٦٨، أمل الآمل ٢: ١٢٦، الذريعة ٥: ٢٧٧.

(٧) فهرست منتجب الدين: ٦٨، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٨) فهرست منتجب الدين ٦٨، الذريعة ٧: ٢٢٠، الشيعة وفنون الإسلام: ١٤٣.

(٩) الذريعة ١٢: ٢٢٣.

(١٠) جامع الرواة ١: ٣٦٤، أمل الآمل ٢: ١٢٦، كشف الحجب والأستار: ٢٢٢، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

كشف الرموز، والعلّامة الحلي في المختلف، والشهيد في الذكرى، وغيرهم[١].

**٢٣ ـ** رسالة في صّحة أحاديث أصحابنا، كذا عنونها الطهراني[٢]، وعنونها الحرّ في أمل الآمل بـ: رسالة في أحوال أحاديثنا وإثبات صحّتها[٣]، ونقل عنها في الوسائل وقال: وقال سعيد بن هبة الله الراوندي في رسالته التي ألّفها في أحوال أحاديث أصحابنا وإثبات صحّتها[٤]، ونقل عنها العلامة المجلسي في البحار وسمّاها بـ: رسالةالفقهاء[٥]، ونقل عنها أيضاً الشيخ الأنصاري في فرائدالأصول[٦].

**٢٤ ـ** رسالة في الصلاة الحاضرة لمن عليه الفائتة[٧]، ويحتمل اتحاده مع مسألة في من حضره الأداء وعليه القضاء، سيأتي.

**٢٥ ـ** زهر المباحثة وثمر المناقشة[٨].

**٢٦ ـ** الشافية في الغسلة الثانية، ويقال له أيضاً المسألة الشافية[٩].

**٢٧ ـ** شجار العصابة في غسل الجنابة[١٠].

**٢٨ ـ** شرح آيات الأحكام، وهو غير كتاب فقه القرآن كما صرَّح بذلك غير واحد، وإن احتمل صاحب الرياض اتحادهما[١١].

---

(١) كشف الرموز ١: ٤٦٩ و ٤٨٥ و ٥٥٨، مختلف الشيعة ٢: ٢١٩، و ٣: ٨١، الذكرى ٣: ٤٢١.
(٢) الذريعة ١٥: ١٢.
(٣) أمل الآمل ٢: ١٢٧.
(٤) وسائل الشيعة ٢٧: ١١٨ / ٢٩.
(٥) بحار الأنوار ٢: ٢٣٥ / ١٧ ـ ٢٠.
(٦) فرائد الأُصول ٤: ٦٣ ـ ٦٥.
(٧) الذريعة ١٥: ٨٢.
(٨) فهرست منتجب الدين: ٦٨، جامع الرواة ١: ٣٦٤، أمل الآمل ٢: ١٢٦.
(٩) أمل الآمل ٢: ١٢٦، الذريعة ١٣: ١٢.
(١٠) فهرست منتجب الدين: ٦، جامع الرواة ١: ٣٦٤، أمل الآمل ٢: ١٢٦.
(١١) كشف الحجب والأستار: ٣٢٥، الذريعة ١: ٤١، و١٣: ٥٥، و١٦: ٢٩٥، أعيان الشيعة ٧: ٢٤١.

**٢٩ ـ** شرح الآيات المشكلة في التنزيه[١].

**٣٠ ـ** شرح العوامل المائة، في النحو، قال صاحب كشف الحجب: وقد قرأته على والدي في صغري[٢].

**٣١ ـ** شرح الكلمات المائة لأمير المؤمنين عليه السلام، وهي التي جمعها الجاحظ[٣].

**٣٢ ـ** شرح ما يجوز وما لا يجوز من النهاية، وهو غير شرحه للنهاية المسمى بـ: المغني، وغير شرح مشكلات النهاية أيضاً[٤].

**٣٣ ـ** شرح مشكلات النهاية[٥].

**٣٤ ـ** ضياء الشهاب في شرح الشهاب[٦].

**٣٥ ـ** علامات النبي والإمام، وهو من تتمات الخرائج والجرائح[٧].

**٣٦ ـ** غريب النهاية[٨].

**٣٧ ـ** الفرق بين الحيل والمعجزات، وهو من تتمات الخرائج والجرائح[٩].

**٣٨ ـ** الفقهاء، ذكر له في الذريعة كتاب الفقهاء ورسالة الفقهاء[١٠]، والظاهر هو رسالة الفقهاء التي نقل عنها العلامة المجلسي في البحار، والحر في الوسائل، وتقدّمت بعنوان رسالة في صحّة أحاديث أصحابنا. والله العالم.

---

(١) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ١٣: ٥٦.
(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٩، كشف الحجب والأستار: ٣٤٣.
(٣) فهرست منتجب الدين: ٦٩، الذريعة ١٤: ٤١.
(٤) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ١٤: ٥٢.
(٥) أمل الآمل ٢: ١٢٧، الذريعة ١٤: ٦٦.
(٦) فهرست منتجب الدين: ٦٨، هدية العارفين ١: ٣٩٢، الذريعة ١٥: ١٢٣.
(٧) الذريعة ١٥: ٣١١.
(٨) فهرست منتجب الدين: ٦٨، هدية العارفين ١: ٣٩٢.
(٩) الذريعة ١٦: ١٧٦، هدية العارفين ١: ٣٩٢.
(١٠) الذريعة ١٦: ٢٧٩ و ٢٨١.

**٣٩ ـ** فقه القرآن، وهو هذا الكتاب، وسيأتي الكلام عنه مفصلاً.

**٤٠ ـ** قصص الأنبياء[١].

**٤١ ـ** الكافية في الغسلة الثانية[٢]، وعنونه الطهراني بـ: المسألة الكافية، والظاهر هو كتاب الشافية المتقدّم[٣].

**٤٢ ـ** لب اللباب، وهو مائة وخمسون مجلساً في أخبار الوعظ والأخلاق[٤].

**٤٣ ـ** لباب الأخبار، قال في الرياض: كتاب مختصر في الأخبار[٥].

**٤٤ ـ** اللباب في فضل آية الكرسي[٦]، احتمل الطهراني اتّحاده مع الآتي[٧].

**٤٥ ـ** اللب واللباب مختصر فصول عبدالوهاب في فضل آية الكرسي[٨]، وجاء بعنوان تلخيص فصول عبدالوهاب واللباب المستخرج من فصول عبدالوهاب، واحتمل صاحب الرياض اتحاد الجميع مع المتقدّم بعنوان اللباب في فضل آية الكرسي[٩].

**٤٦ ـ** المجالس في الحديث[١٠].

**٤٧ ـ** المزار، قال الشيخ أسد الله صاحب المقابيس: إنَّه مزار كبير[١١].

---

(١) أمل الآمل ٢: ١٢٧، هدية العارفين ١: ٣٩٢، الذريعة ١٧: ١٠٥.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٩، جامع الرواة ١: ٣٦.

(٣) الذريعة ٢٠: ٣٩١.

(٤) الذريعة ١: ٢٨٩.

(٥) الذريعة ١٨: ٢٧٥.

(٦) هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٧) الذريعة ١٨: ٢٨٠.

(٨) الذريعة ١٨: ٢٩٢.

(٩) هدية العارفين ١: ٣٩٢، الذريعة ٤: ٤٢٥، و ١٨: ٢٨١ و ٢٩٢.

(١٠) الذريعة ١٩: ٣٥٤.

(١١) الذريعة ٢٠: ٣٢٣.

**٤٨ ـ** مسألة في الخمس[١].

**٤٩ ـ** مسألة في صلاة الآيات[٢].

**٥١ ـ** مسألة في العقيقة[٣].

**٥٢ ـ** مسألة في من حضره الأداء وعليه القضاء[٤].

**٥٣ ـ** المستقصى في شرح الذريعة، في الأصول، قال الشيخ منتجب الدين: هو في ثلاث مجلدات[٥].

**٥٤ ـ** مشكلات النهاية[٦].

**٥٥ ـ** المعارج في شرح نهج البلاغة، وهو غير شرحه المسمى بـ: منهاج البراعة[٧].

**٥٦ ـ** المغني في شرح النهاية، عشر مجلدات، وهو غير نهاية النهاية وغير شرح مشكلات النهاية وغير شرح ما يجوز وما لا يجوز من النهاية[٨].

**٥٧ ـ** منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، أكثر من النقل عنه ابن أبي الحديد في شرحه على النهج[٩].

**٥٨ ـ** الموازاة بين المعجزات[١٠].

---

(١) فهرست منتجب الدين: ٦٩، الذريعة ٢٠ : ٣٨٦.
(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٩، الذريعة ٢٠ : ٣٨٨.
(٣) فهرست منتجب الدين: ٦٩، الذريعة ٢٠ : ٣٩٠.
(٤) فهرست منتجب الدين: ٦٩، الذريعة ٢٠ : ٣٩٥.
(٥) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ٢١ : ١٣، هدية العارفين ١ : ٣٩٢.
(٦) أمل الآمل ٢ : ١٢٦، الذريعة ٢١ : ٦٦.
(٧) الذريعة ٢١ : ١٧٨، و ٢٣ : ١٥٨.
(٨) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ١٤ : ١١٠، و ٢١ : ٢٩٦، هدية العارفين ١ : ٣٩٢.
(٩) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ١٤ : ١٢٦، و ٢٣ : ١٥٧، هدية العارفين ١ : ٣٩٢.
(١٠) هدية العارفين ١ : ٣٩٢.

**٥٩** ـ الناسخ والمنسوخ من القرآن العزيز[١].

**٦٠** ـ نفثة المصدور، ديوان شعره، وقال الشيخ منتجب الدين: هي منظومة[٢].

**٦١** ـ نهاية النهاية، وعنونه البغدادي بـ: نهاية النهاية في غريب النهاية[٣].

**٦٢** ـ نوادر المعجزات، من تتمات الخرائج والجرائح[٤].

**٦٣** ـ النيّات في جميع العبادات، ذكره منتجب الدين وغيره[٥].

***الاعتناء بأقواله الفقهية:***

ومن الجدير بالذكر في ترجمة هذا العلم الفذ منزلته الفقهية ومكانته بين الفقهاء فضلاً عمّا ذكر من طول باعه في فنون شتى.

فقد كانت انظاره الفقهية محط أنظار كثير من الفقهاء مثل ابن ادريس والمحقّق الحلّي والفاضل الآبي والعلامة الحلّي وابن فهد الحلّي والمحقّق الكركي والفاضل القطيفي والشهيدين وغيرهم[٦].

ووقعت أقواله موقع الترجيح على أقوال غيره من الفقهاء، فإنَّ ذلك يدلّ على أنَّ أقواله وأراءه هي في مصاف أقوال الأعلام الكبار من فقهاء الإمامية، فعلى سبيل المثال فقد رجّح العلامة الحلي قول القطب على قول ابن إدريس في مسألة إلحاق

(١) الذريعة ٢٤: ١٤.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٦٨، الذريعة ٢٤: ٢٤٤.

(٣) الذريعة ١٤: ١١٠، ٢٤: ٤١، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٤) الذريعة ٢٤: ٣٤٩، هدية العارفين ١: ٣٩٢.

(٥) فهرست منتجب الدين: ٦٨، بحار الأنوار ١٠٢: ٢٣٧، الذريعة ٢٤: ٤٣١.

(٦) اُنظر: السرائر ١: ١٧٧، المعتبر ١: ٧٤ و ٤٤٦، كشف الرموز ١: ١٣٧ و ٣٨٧ و ٤٦٣ و ٤٦٩ و ٤٨٥ و ٥٥٨، مختلف الشيعة ١: ١٨٤ و ٤٧٦ و ٤٨٤، و ٢: ٢٦٣، الدروس الشرعية ١: ٤٣٩، و ٢: ٣٣٧، المهذب البارع ١: ٨٢، جامع المقاصد ١: ١١٦، السراج الوهاج: ٩٣، مسالك الأفهام ٩: ١١٤، و ١٣: ١٦٠.

بعض الدماء بدم الحيض والاستحاضة، فقال في المختلف: والمعتمد قول القطب رحمه الله، وقال في تذكرة الفقهاء: والحقّ عندي اختيار القطب[١].

وكذا ترجيح الفاضل الآبي لقوله على قول غيره في مسألة كتابة الكافر فقال: واختيار الراوندي أقرب[٢].

***نسبة الكتاب للمترجم:***

نسب الكتاب ـ ضياء الشهاب ـ للمترجم كثير من العلماء والمترجمين، أنّ الأمر مسلّم لا شكّ في هذه النسبة، وممّن ذكر الكتاب ونسبه للمترجم رحمه الله:

**١** ـ الميرزا النوري، حيث قال عندما عدّ شرّاح الشهاب: ومنهم: قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي، عدّ في المنتجب من كتبه ضياء الشهاب في شرح الشهاب[٣].

**٢** ـ العلّامة المجلسي، قال: له تصانيف، وذكر منها، ضياء الشهاب[٤].

**٣** ـ الأميني، وعدّ من كتب المترجم ضياء الشهاب[٥].

**٤** ـ منتجب الدين، عدّ من كتبه الضياء[٦].

**٥** ـ ابن شهرآشوب، حيث قال: شيخي أبو الحسين سعيد... له كتب منها: كتاب ضياء الشهاب[٧].

**٦** ـ آقا بزرك الطهراني[٨].

---

(١) مختلف الشيعة ١: ٤٧٦، تذكرة الفقهاء ١: ٧٣.

(٢) كشف الرموز ٢: ٣٧.

(٣) خاتمة المستدرك ١: ٣٥٤.

(٤) بحار الأنوار ١٠٢: ٢٣٥.

(٥) الغدير ٥: ٣٨٢.

(٦) فهرست منتجب الدين: ٦٨.

(٧) معالم العلماء: ٩٠ / ٣٦٨.

(٨) الذريعة ١٣: ٣٤٣ و ١٥: ١٢٣.

***وفاته ومدفنه:***

توفّي القطب الراوندي في ضحوة يوم الأربعاء، الرابع عشر من شهر شوّال، سنة ٥٧٣ هـ، كذا في إجازات البحار نقلاً عن خط الشهيد الأول رحمه الله[١].

ونقل ابن حجر العسقلاني عن تاريخ الري، أنَّ وفاته كانت في الثالث عشر من شهر شوال[٢].

ودفن رحمه الله في مقبرة السيدة الجليلة فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام بمدينة قم، وقبره الآن شاخص في الصحن الكبير، قبال باب القبلة، مشهور يزار ويتبرّك به[٣].

(١) بحار الأنوار ١٠٧ : ١٩.

(٢) لسان الميزان ٣ : ٤٨.

(٣) بحار الأنوار ١٠٤ : ١٩، رياض العلماء ٢ : ٤٢٠، طبقات أعلام الشيعة ٢ : ١٢٤، ريحانة الأدب ٤ : ٤٦٩.

## ترجمة
## فضل الله الراوندي
## صاحب ضوء الشهاب

***اسمه ونسبه ولقبه:***

هو السيد فضل الله بن علي بن عبيد الله بن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أبي الفضل عبيد الله بن الحسن السليق بن علي بن محمد السليق بن الحسن بن جعفر بن الحسن المثنىٰ بن الإمام أبي محمد الحسن المجتبىٰ السبط بن الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليهما السلام، الراوندي الكاشاني[1].

وأُمّه بنت عمّ أبيه وهي العلويّة الشريفة فاطمة بنت السيد الحسين بن محمد ابن عبيد الله... إلىٰ آخر نسبه إلىٰ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

يلقّب بضياء الدين، ويكنّىٰ أبو الرضا، كذا ذكرهما ابن عنبة في عمدة الطالب[2].

فعلىٰ هذا فقد جمع المترجم رحمه الله بين شرف النسبين ـ نسب الأب والأُم ـ المنتهي إلىٰ ذروة الفضل والندىٰ، والعلم والتقىٰ، إلىٰ علي أمير المؤمنين والبضعة الطاهرة سيّدة نساء العالمين.

---

(١) عمدة الطالب: ١٨٥، الدرجات الرفيعة: ٥٠٦، خاتمة المستدرك ١: ١٧٣.

(٢) عمدة الطالب: ١٨٥، فهرست منتجب الدين بن بابويه: ٩٦ / ٣٣٤.

ثمّ إنّه لم يكتَفِ بشرف الآباء وحسبهم، حتّىٰ ضمّ إليه شرف العلم والأدب والفقه والحديث والتفسير، فصار بين ذا وذا علماً ثابتاً، وسراجاً منيراً من القرن الخامس إلىٰ يومنا هذا.

فكان رحمه الله كما يقول الشاعر:

*لسنا وإن أحسابنا كرمت ... يوماً علىٰ الأحساب نتّكلُ*

*نبني كما كانت أوائلنا ... تبني ونفعل مثلما فعلوا*

**مولده:**

ولد السيد المترجم في كاشان في قرية راوند ـ وقد مرّ ذكرها ومكانها في ترجمة القطب الراوندي ـ ولم يُذكر تاريخ ولادة المترجم تحديداً، بل في أواخر القرن الخامس الهجري.

نعم، بقرينة أنّه رحل إلىٰ شيخه الشهيد أبي المحاسن الروياني المستشهد في سنة ٥٠٢ هجرية أرخ السيد ـ كما نقل عنه ـ شهاب الدين المرعشي في كتابه لمعة النور والضياء في ترجمة الرضا ولادته سنة ٤٨٣هـ، بقرينة أنّه لابدّ من رحيله إليه وعمره عشرون سنة علىٰ أقلّ تقدير(١).

***أقوال العلماء فيه:***

أثنىٰ علىٰ المترجم كلُّ من ذكره، ووصفه بأشرف الأوصاف كلّ من ترجمه، وهذه كتب التراجم للمحدّثين والأُدباء والفقهاء شاهدة على ذلك، وإليك بعض من ذكر المترجم:

١ ـ قال العماد الكاتب ـ معاصر المترجم ـ: الشريف النسب، الكريم السلف، القديم الشرف، العلم العامل، المفضّل الفاضل، قبلة القبول، وعقلة العقول،

(١) مقدمة النوادر: ١٨، بتحقيق سعيد رضا علي عسكري.

ذو الأبّهة والجمال، والبديهة والارتجال، الرائق اللفظ، الرائع الوعظ، متقن علوم الشرع في الأصل والفرع، الحسن الخطّ والحظّ، السعيد الجَدّ، والسديد الجِدّ، له تصانيف كثيرة في الفنون والعيون، واعظ قد رُزق قبول الخلق، وفاضل اُتي سعة في الرزق، مقلي الكتابة، صابي الإصابة، عميدي الاعتماد في الرسائل، صاحبيّ العصمة لأهل الفضائل.

إلى أن قال: وقد سلّمنا والدنا إلىٰ صاحب له من أهل قاشان وأقمنا سنة نتردّد إلىٰ المدرسة المجدية إلىٰ المكتب، وكنت أرىٰ هذا السيد ـ أعني أبا الرضا ـ وهو يعظ في المدرسة والناس يقصدونه ويتردّدون إليه ويستفيدون منه[١].

**٢ ـ** قال تلميذه منتجب بن بابويه: علّامة زمانه، جمع مع علو النسب كمال الفضل والحسب، وكان اُستاد أئمة عصره، له تصانيف[٢].

**٣ ـ** قال السمعاني في ذكره لمدينة (قاسان): دخلتها وأقمت بها يومين وأهلها من الشيعة، وقدمها جماعة من أهل العلم والفضل، وأدركت جماعة منهم بها... وأدركت بها السيد الفاضل أبا الرضا فضل الله بن علي (العلوي) الحسيني القاساني، وكتبت عنه أحاديث وأقطاعاً من شعره، ولما وصلت إلى باب داره قرعت الحلقة، وقعدت علىٰ الدكة انتظر خروجه، فنظرت إلىٰ الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجصّ ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٣]. وأنشدني أبو الرضا العلوي القاساني لنفسه بقاسان، وكتب بخطّه:

*هل لك يامغرور من زاجر فترعوي عن جهلك الغامرِ*

*أمس تقضىٰ وغداً لم يجئ واليوم يمضي لمحة الباصرِ*

---

(١) أعيان الشيعة ٨ : ٤٠٨، مجلة تراثنا، العدد ١٠٩، ١١٠ : ١٢٨.

(٢) فهرست منتجب الدين: ٩٦.

(٣) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣.

*فـذلك العـمر كـذا يـنقضي ما أشبه الماضي بـالغابرِ*[١]

٤ ـ قال السيد علي خان المدني ـ بعد ذكر اسمه ونسبه إلىٰ أمير المؤمنين ـ: الإمام الراوندي علّامة زمانه، وعميد أقرانه، جمع إلى علو النسب كمال الفضل والحسب، وكان اُستاذ أئمة عصره، ورئيس علماء دهره، له تصانيف تشهد بفضله وأدبه بين موروث المجد ومكتسبه[٢].

٥ ـ وذكره معاصره نصير الملّة عبد الجليل القزويني في كتاب (النقض) عند كلامه عن كاشان ومدارسها فقال ما معربه: كيف ومدرسها السيد الإمام ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي الحسني، المنقطع النظير في بلاد العالم في علمه وزهده[٣].

٦ ـ قال ميرزا حسين النوري: هو من المشايخ العظام الذي تنتهي إليه كثير من أسانيد الإجازات إليه، وهو تلميذ الشيخ أبي علي ابن شيخ الطائفة ﷺ ويروي عن جماعة كثيرة من سدنة الدين وحملة الأخبار، وله تصانيف تشهد بفضله وأدبه، وجمعه بين موروث المجد ومكتسبه، ومنه انتشرت الأدعية الجليلة المعروفة بأدعية السرّ...[٤].

### *المدرسة المجدية:*

كان السيد المترجم ﵀ يتّخذ من المدرسة المجدية مقرّاً لنشاطه العلمي والتبليغي فيقيم الجمعة والجماعة فيها ويعظ بها الناس، ويقوم خطيباً علىٰ منبرها في الجمع والأعياد والمناسبات الدينية، ويراجعه فيها الناس ليقضي فيما بينهم

---

(١) الأنساب ٤: ٤٢٦.

(٢) الدرجات الرفيعة: ٥٠٦.

(٣) مجلة تراثنا، العدد المتقدّم، عن كتاب النقض: ١٩٨.

(٤) خاتمة المستدرك ١: ١٧٣.

علىٰ شريعة الدين القويم.

والمدرسة المجدية ـ التي ذكرها العماد الكاتب كما تقدّم ـ قال فيها السيد علي خان المدني: له مدرسة عظيمة بكاشان ليس لها نظير علىٰ وجه الأرض سكنها من العلماء والفضلاء والزهّاد والحجّاج خلق كثير.

وفيها يقول ارتجالاً:

| | |
|---|---|
| ومدرسة أرضها كالسماء | تجلّت علينا بآفاقها |
| كواكبها أعز أصحابها | وأبراجها عز أطباقها |
| وصاحبها الشمس ما بينهم | تضيء الظلام بأشراقها |
| فلو أن بلقيس مرّت بها | لأهوت لتكشف عن ساقها |
| وظنّته صرح سليمان إذ | يمرد بالجن حذاقها[1] |

وكان المنفق علىٰ طلّاب هذه المدرسة المباركة وساكنيها الوجيه الخيّر مجد الدين أبو القاسم عبيدالله بن الفضل بن محمد، فسمّيت المدرسة المجدية باسمه[2].

**مشايخه:**

سافر المترجم ورحل إلىٰ بلدان كثيرة ليستفيد من أرباب الفضل والعلم، فإليك أسماء مشايخه:

**١** ـ أمين الإسلام، أبو علي، الفضل بن الحسن الطبرسي.

**٢** ـ أبو علي، الحسن بن أبي جعفر شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي. والمعروف بالمفيد الثاني.

**٣** ـ أبو المحاسن، عبدالواحد بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الطبري

(١) الدرجات الرفيعة: ٥٠٦.

(٢) مجلة تراثنا، العدد ٣٥: ١٦٩.

التميمي الروياني. صاحب كتاب (جمع الجوامع) و(حلية المؤمن) و(الكافي) و(التلخيص)، وغيرها.

٤ ـ والده، العلّامة السيد علي بن عبيد الله الحسني الراوندي.

٥ ـ أبو علي، عبد الجبار بن عبد الله بن علي بن محمد الطوسي الرازي.

٦ ـ عبد الرحيم بن أحمد بن محمد بن محمد بن الأخوة البغدادي الشيباني.

٧ ـ أبو الحسين، محمد بن علي بن الحسن المقري الشجاعي.

٨ ـ علي بن الحسين بن محمد الرازي.

٩ ـ محمد بن أحمد النطنزي الكاشي.

١٠ ـ أبو الحسن، علي الدخهخداه ابن نجيب الدين يحيىٰ بن عبد الله الراوندي.

١١ ـ أبو جعفر، محمد بن علي بن الحسن المقري النيسابوري.

١٢ ـ السيد ناصح الدين، أبو البركات محمد بن إسماعيل الحسيني المشهدي.

١٣ ـ السيد صفي الدين، أبو تراب، المرتضىٰ بن الداعي بن القاسم الحسني الرازي.

١٤ ـ أبو القاسم، الحسن بن محمد الحديقي، وكان من تلاميذ شيخ الطائفة.

١٥ ـ السيد علي بن أبي طالب السليقي الآملي.

١٦ ـ أبو جعفر، محمد بن علي بن المحسن الحلبي.

١٧ ـ ركن الدين، علي بن علي عبد الصمد النميمي النيسابوري السبزواري.

١٨ ـ أبو علي، الحسن بن أحمد بن الحسن الحداد الرازي.

١٩ ـ السيد عماد الدين، أبو الصمصام، ذو الفقار بن محمد بن معبد بن الحسن بن أحمد، قتيل القرامطة نزيل بغداد.

**٢٠ ـ** أبو المظفر، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد السكري الأصفهاني.

**٢١ ـ** السيد صفي الدين محمد الموسوي الحلي.

**٢٢ ـ** أبو عبد الله، الحسين بن عبد الملك الحلال الأصفهاني الأثري الأديب.

**٢٣ ـ** أبو عبد الله، النافع، الحسين بن محمد بن عبد الوهاب الحارثي البغدادي الأديب المقري.

**٢٤ ـ** الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادي.

**٢٥ ـ** محمد بن الفضل الفزاري الصاعدي النيسابوري.

**٢٦ ـ** إسماعيل بن الفضل الأخشيدي الإصفهاني.

**٢٧ ـ** أبو الفتح، محمد بن الحسن الكاتب.

**٢٨ ـ** أبو الحسين، علي بن محمد بن عبد الرحيم بن دينار.

**٢٩ ـ** أبو حرب، السيد المجتبىٰ بن الداعي بن القاسم الحسني الرازي.

**٣٠ ـ** محمد بن علي بن عبد الصمد التميمي السبزاوري.

وغير هؤلاء المشايخ تركنا ذكرهم للاختصار(١).

***تلامذته والراوون عنه:***

**١ ـ** أبو عبد الله، منتخب الدين، علي بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين بن بابويه القمي الرازي، صاحب كتاب (الفهرست).

**٢ ـ** أبو جعفر، محمد بن علي بن شهرآشوب المازندراني رشيد الدين السروي صاحب كتاب (مناقب آل أبي طالب عليهم السلام).

**٣ ـ** أبو الفضل، محمد بن الحسن الجهرودي، والد العلّامة نصير الدين الطوسي، وابن أُخت نصير الدين عبد الله بن حمزة الطوسي.

**٤ ـ** أبو سعد، السمعاني عبد الكريم بن محمد بن منصور المروزي صاحب

---

(١) مقدّمة النوادر: ١٨، أعيان الشيعة ٨: ٤٠٨.

(الأنساب).

٥ ـ تاج الدين أبو تراب، علي، ابن شيخ الطالبية في عصره الزينبي القزويني.

٦ ـ ناصر الدين، راشد بن إبراهيم بن إسحاق بن محمد أبو إبراهيم البحراني.

٧ ـ نجم الدين، عبد الله بن جعفر الدوريستي.

٨ ـ السيد المجتبىٰ الجعفري القزويني.

٩ ـ برهان الدين، محمد بن محمد أبي عبد الله بن حمدويه القزويني الماضي.

١٠ ـ السيد محمد بن الحسن العلوي القاشاني.

١١ ـ أبو علي، الحسن بن طارق بن الحسن التاجر الشاعر، المعروف بابن الوحش.

١٢ ـ القاضي سديد الدين، أبو محمد، الحسن بن الحسين بن علي الدوريستي.

١٣ ـ أبو حفص، زيد بن علي بن محمد بن قشام الحلبي.

١٤ ـ أبو علي، عبد الجبار بن الحسين بن أبي القاسم.

١٥ ـ أفضل الدين، الحسن بن أبي عبد الله بن إبراهيم الخومجاني.

١٦ ـ نصير الدين، أبو طالب، عبد الله بن حمزة بن عبد الله بن حمزة الشارحي الطوسي.

١٧ ـ أبو نصر، علي بن أبي سعد بن الحسن بن أبي سعد الطبيب.

١٨ ـ عماد الدين، أبو الفرج، علي بن قطب الدين سعيد بن هبة الله الراوندي.

١٩ ـ القاضي جمال الدين، علي بن عبد الجبار بن محمد الطوسي.

٢٠ ـ زين الدين، أبو جعفر، محمد بن أبي نصير بن محمد بن علي القمي.

٢١ ـ السيد محمد بن عز الدين، أبي عبد الله، الحسين بن المنتهىٰ،

ابن الحسين الحسيني المرعشي.

**٢٢** ـ ناصر الدين، محمد بن الحسين الحمداني.

**٢٣** ـ القاضي فخر الدين، محمد بن خالد الحنفي الأبهري.

**٢٤** ـ قوام الدين، محمد بن محمد البحراني.

**٢٥** ـ تاج الدين، محمد بن محمد الشعيري.

**٢٦** ـ محمد بن الحسين بن الحسن البيهقي، المعروف بقطب الدين الكيدري، صاحب شرح نهج البلاغة، المسمّىٰ (حدائق الحقائق).

**٢٧** ـ ابنه، السيد شمس الدين، محمد بن فضل الله الراوندي.

**٢٨** ـ ابنه، السيد عز الدين، علي بن فضل الله الراوندي.

**٢٩** ـ ابنه، السيد كمال الدين، أحمد بن فضل الله الراوندي[1].

***مصنّفاته:***

ذكر للمترجم تصانيف وكتب كثيرة تنم عن براعته وطول باعه في فنون شتّىٰ في اللغة والحديث والأدب وبذله الجهد في حفظ تراث أئمّة الإسلام عليهم السلام ومن قبلهم تراث الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، فنذكر بعضها:

**١** ـ أدعية السرّ، وأكثر نسخها تبدأ روايتها بالسيد المترجم.

**٢** ـ الأربعين في الأحاديث.

**٣** ـ الحاشية علىٰ أمالي المرتضىٰ.

**٤** ـ شرح حماسة أبي تمام.

**٥** ـ ديوان شعره.

**٦** ـ شرح نهج البلاغة.

---

(١) مقدّمة النوادر: ٢٤.

(٢) مجلة تراثنا العدد ١٠٩ ـ ١١٠: ١٢٧.

٧ ـ النوادر.

٨ ـ ضوء الشهاب في شرح شهاب الأخبار.

وقد أظهر فيه المترجم ﷺ قدرته الأدبية ومبلغه في اللغة والحديث والشعر، وتسلّطه في فهم معاني الأخبار. ويظهر ـ كما يأتي ـ إحاطته باستعمالات العرب للمفردة وكثرة الشواهد الشعرية التي سيذكرها في شرحه للأحاديث. وإن كانت ـ مع الأسف الشديد ـ نسختنا ناقصة وحذف منها شرح الكثير من الأحاديث.

٩ ـ الكافي في التفسير.

١٠ ـ الموجز الكافي في علمي العروض والقوافي.

١١ ـ نظم العروض للقلب المروض.[١]

***وفاته:***

لم يضبط تاريخ محدّد ومتّفق عليه لوفاة المترجم مع رفعته وعظمته العلميّة ووجاهته الاجتماعية، وهذا ممّا يعدّ مادة مهمة لنقد مسؤولياتنا في ضبط تاريخ علمائنا وفهرسة مصنّفاتهم.

وعلىٰ بعض القرائن رجّح تأريخ وفاته ﷺ حدود سنة ٥٧٢هـ في يوم عرفة في كاشان، فيكون عمره المبارك نحو التسعين عاماً.

وقبره في كاشان في الزاوية الجنوبية من مقابر (پنجه شاه) في شمال المسجد الجامع القديم، وما زالت مقبرته عامرة باسم مقبرة السيد أبي الرضا في شارع بابا أفضل[٢].

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٠٦، مقدّمة النوادر: ٢٧.

(٢) أعيان الشيعة ٨: ٤٠٨، مقدّمة النوادر: ٤٧، ٤٨.

## عملنا في التحقيق

كان عملنا واسعاً نسبياً، فقد اشتمل علىٰ كتب ثلاثة وهي: الشهاب، وضياء الشهاب، وضوء الشهاب، فكان العمل علىٰ المراحل التالية:

١ ـ مقابلة نسختين من كتاب الشهاب، الأُولىٰ نسخة مكتبة مجلس الشورىٰ، برقم (١١٩٨٤)، والثانية تمّ استنساخها يوم الجمعة تاسع رجب الأصب سنة ١٣٤٥هـ ـ كما أُرخت في آخرها ـ بقلم محمد صادق المازندراني. ومختومة باسم (مير جلال الدين محدّث) برقم (١٣٣٠)، فقمنا بتثبت الخلاف بين النسبتين.

٢ ـ ضبط الكتب الثلاثة وتصحيحها لغوياً، وتقطيع متنها تقطيعاً فنياً يسهّل علىٰ القارئ فهمها.

٣ ـ تخريج الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأقوال والأشعار واقتصرنا في تخريج أحاديث الشهاب علىٰ تخريجها في ضياء الشهاب، وكذلك الأحاديث والآيات المذكورة في الشرحين اقتصرنا علىٰ تخريجها من الضياء، وقد كثر الاستشهاد بالأشعار في ضوء الشهاب فتمّ تخريج الأشعار أولاً من دواوين الشعراء المذكور أسماؤهم أو لم يذكر إذا كان له ديوان، وإلّا من كتب الأدب الأُخرىٰ.

٤ ـ إضافة ما يحتاجه النص من كلمات بين معقوفين.

٥ ـ تصحيح كثير من الضمائر في التأنيث والتذكير أشرنا إلىٰ بعضها في الهامش ولم نشر إلىٰ كثير منها لدفع الملل عن القارئ.

٦ ـ ترقيم الأبواب بالترتيب، حيث اكتفي في المخطوطات بذكر (باب) فقط.

٧ ـ توضيح الكلمات المبهمة والغريبة.

٨ ـ تمّ تقسيم الصفحة إلىٰ قسمين، فجعلنا في القسم الأعلىٰ ضياء الشهاب، وفي القسم الأسفل ضوء الشهاب، والهوامش مشتركة بين الشرحين.

## شكر وتقدير

وفي الختام نشكر كلّ من ساهم في إخراج هذه الكتب الثلاثة بهذه الصورة، ونخصّ بالشكر والتقدير ـ بعد شكر الله جلّ وعلا ـ الأمانة العامّة في العتبة الحسينيّة وشعبة التحقيق وأخصّ بالذكر الأخ الفاضل مشتاق المظفّر علىٰ ما بذله من جهد في نشر وتحقيق التراث الإسلامي وتفعيل النشاط العلمي والتحقيقي في العتبة الحسينيّة علىٰ مشرّفها آلاف التحيّة والصلوات.

وكذلك نخصّ بالشكر والتقدير الأخ الفاضل باقر النوّاب علىٰ تنضيده وإخراجه الكتاب بهذه الصورة الجميلة.

والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

**عقيل الربيعي**

**٢٥ / محرم / ١٤٣٥هـ**



شهاب الأخبار للقاضي أبي عبد الله محمد ابن سلامة ابن جعفر ابن علي القضاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب شهاب الأخبار الجامع ألف ومائتي حديثًا من أحاديث سيد
الكائنات وخلاصة الموجودات عليه من الصلوة أفضلها ومن التحيات
أكملها برسم مطالعة سلطان السلاطين السلطان محمد خان ابن مراد خان
خلد الله خلافته وسلطانه. أخبرنا الشيخ الأمين أبو القاسم هبة الله
ابن علي ابن مسعود ابن ثابت ابن هاشم ابن غالب الخزرجي الأنصاري
المعروف بالبوصيري قراءة عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة
قيل له أخبركم الشيخ أبو عبد الله محمد ابن بركات ابن هلال السعيد
الصوفي النحوي بقراءة أبي إسحق إبراهيم حاتم الأندلسي في شهور سنة
سبع عشرة وخمسمائة بفسطاط مصر فأقر به نعم قال حدثنا القاضي أبو عبد الله
محمد ابن سلامة ابن جعفر ابن علي القضاعي رضي الله عنه بمصر في
العشر الأول من ذي الحجة سنة ثلث وخمسين وأربعمائة الحمد لله
القادر

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة لشهاب الأخبار



الا عبد من عبيدك مصيبة في بدنه او ماله او ولده ثم استقبل ذلك

بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا

الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في النار

باب اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع

ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع اعوذ بك اللهم من شر هؤلاء الاربع

اللهم اني اعوذ بك ان اَضِلَّ او اُضَلَّ او اَزِلَّ او اُزَلَّ او اَذِلَّ او اُذَلَّ او اَظلم

او اُظلم او اجهل او يجهل علي اللهم اني اسئلك تعجيل عافيتك وصبرا على

بليتك وخروجا من الدنيا الى رحمتك اللهم خر لي واختر لي اللهم حسنت

خلقي فحسن خلقي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عني اللهم اني اعوذ

بك من شرورهم وادرء بك في نحورهم بك احاول وبك اقاتل وبك

اذاول وبك اصاول اللهم واقيتة كواقية الوليد اللهم اغفر لي ما خطات

وما تعمدت وما اسررت وما اعلنت وما جهلت اللهم آت نفسي تقواها

وزكها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها اللهم انك اذقت اول

قريش نكالا فاذق آخرهم نوالا اللهم بارك لامتي في بكورها اللهم اليك

انتهت الاماني يا صاحب العافية رب تقبل توبتي واغسل حوبتي واجب يا رب

دعوتي اللهم اني اسئلك عيشة سوية وميتة نقية ومردا غير مخز ولا فاضح بمحمد وآله

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة لشهاب الأخبار

بسم الله الرحمن الرحيم رب سهّل ولا تعسّر

قال الشيخ الإمام قطب الدين كافي الإسلام جمال العلماء ابو الحسين سعيد بن هبة الله
بن الحسن الراوندي ادام الله ظله على كافة المسلمين • اما بعد حمد الله الذي جعلنا من اهل
البراعة وخصّنا من عموم فضله بانواع ثمرات البلاغة حتى تشبّثت فينا عروقها وافنانها
وتهدّلت علينا اوراقها واغصانها والصلوة على نبيه محمد قطب الشرع وعماد اليقين وعلى
آله كهوف العلم واساس الدين فاني لما وجدت شروحا كثيرة حرّرها العلماء لكتاب الشهاب
مشحونة بالفوائد والعوائد على السداد والصواب ولم يمكنّي ان احصّلها في وقتي مهيأة
ولم اطق ان احيط باقطار جميعها مهنّاة جمعت بعون الله زلالها وسلسها بيد الاختيار
جريالها وشذّبت الالفاظ وهذّبت المعاني في ذلك كما ترى وان كل الصيد كما قيل
في جوف الفرا ومن الله العصمة والتوفيق واقول بعد ذلك وهو التحقيق حدثنا
السيد الامام ابو محمد شميلة بن محمد ابي هاشم الحسيني امير مكة قال قال القاضي ابو عبد الله
محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي الفقيه الشافعي المدفون بمصر ० الحمد لله القادر
الفرد الحكيم الفاطر الصمد الكريم باعث نبيه محمد بجوامع الكلم وبدايع الحكم وجاعله
للناس بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا صلى الله عليه وعلى آله الذين اذهب
الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ० اما معناه فانه جميع المحامد وكل ما هو من جنسها
كائن ثابت لله الذي كان يحق له العبادة في الازل وهو تعالى الان يستحقها الى ما لا
يزال قد صح منها كل فعل لا يستحيل هو المتوحد بصفة لا يشاركه فيها غيره العالم بدقائق
الامور المحكم لافعاله الخالق المبدئ فطر العدم فاخرج منه الموجودات السيد المعمود
الذي يقصد اليه بالحوايج يكرم من عباده من يستحق الاكرام الذي ارسل محمدا الرفيع منزلته
ومعه القرآن الذي يجمع جميع ما كان في الكتب المنزلة من الكلمات التي تمنع عن كثير من
القبايح صاحبها وجعله مبشرا للمؤمنين بالثواب ومعلما بالتخويف جميع الكافرين من العقاب

فاعل

الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة لضياء الشهاب

يخاطب انسانًا يكون في العافية والسلامة ولا يكون عنده مال ولا نعمة يطيب عليه السلم قلبه بذلك
ويقول الى حالتك اشتهى اماني الخلق يا من هو في العافية احمد الله على العافية وسله تمام
العافية فانها اعظم النعم ثم قال يا رب اجعل توبتي في موضع القبول ومعنى توبتي اي
رجوعي عن الذنوب والخطايا واغسل حوبتي اي ازل عني الدرن من الآثام والعيوب كما
يزال وسخ الثوب بالماء والحوبة الاثم وروى وارحم حوبتي وفسرت بالحاجة والمسكنة و
انما سموا الحاجة حوبة لكونها مذمومة غير مرضية وكل ما لا يرتضونه فهو عندهم خطيئة
وسيئة واذا ارتضوا شيئًا سموه خيرًا ورشدًا وصوابًا وانما اقام اماطة وزرها واسقاط
اثمها مقام غسل الادران لان الانسان بعدها يعود نقي الاثواب وهذا الدعاء منه عليه السلم
على وجه التعبد والخضوع لا لان له حوبة فيحط وزرها ويستغسل درنها ويكون قوله
ذلك على طريق التعليم لامته كيف يتوب العاصي ويستأمن الخائف والسبب الذي لاجله
قلنا ان الانبياء لا يجوز ان يواقعوا المعاصي ان الحكيم اذا ارسل رسولًا جنبه كل ما ينفر
عنه والمعاصي منفرة في العادات وليس ههنا موضع بيانه وعنه عليه السلم اللهم اليك
ارفع حوبتي ثم سأل ربه عيشًا سويًا على السداد والرشاد بعيدًا عن الزيغ والفساد
وعيشة سوية يعني ذات سواء وميتة نقية اي طاهرة من الشبهات والشهوات و
الآفات والعاهات ومردًا اي مرجعًا اليك لا يخزى صاحبه والخزي الهوان والمذلة
ولا فاضح اي مردًّا لا يفضحني على رؤوس الاشهاد واراد عليه السلم حسن العافية في الدنيا
وجميل الخاتمة في الآخرة جعل الله عاقبتنا الى كل خير بحق محمد وآله
عليهم السلم قد وقع الفراغ من تتمة يوم الجمعة
الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة الحرام
سنة ست وتسعين بعد ١٠٩٦
الالف من الهجرة النبوية

الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة لضياء الشهاب



الصفحة الأُولىٰ من النسخة المخطوطة لضوء الشهاب

يبكي فخفت منه على نفسي ثم دنوت منه وقلت له يا هذا أجني أنت أم
انسي فقال لي أمؤمن أنت أم كافر قلت مؤمن فقال كذبت لو كنت مؤ
منا ما خفت سوى الله قلت له من أنت قال أنا طريد الملائكة قلت يا
سبحان الله ألم تسجد لآدم سجدة ولم تتخلص من الكبر والطرد فقال
لي يا عليم القلب أما تقرأ في القرآن وكان من الكافرين هذا يدل
على أنه كان كافرا منافقا ولم يكفر بترك السجدة وإنما صار تركها
سببا لظهور نفاقه [illegible] الكفار [illegible] قيل
انه كان ذا الخمار في بعض الغزوات وقال الا من [illegible] فقتل [illegible]
ومن لم [illegible] فأنا [illegible] هذا اليوم نفسي انا قاتل [illegible] حصين
من [illegible] اليوم [illegible] فقال بعض الصحابة والله ان
لسانه [illegible] فكيف [illegible]
ثم [illegible] بين يدي النبي عليه السلام [illegible]
له [illegible] فقال وكيف [illegible] الله من لم
[illegible]
ان [illegible] من

**الصفحة الأخيرة من النسخة المخطوطة لضوء الشهاب**

بســـــــم الله الرحمٰن الرحيم

هذا كتاب شهاب الأخبار الجامع ألفاً ومائتي حديثاً من أحاديث سيّد الكائنات، وخلاصة الموجودات عليه من الصلاة أفضلها، ومن التحيات أكملها، برسم مطالعة سلطان السلاطين السلطان محمّد خان بن مراد خان خلّد الله خلافته وسلطانه.

أخبرنا الشيخ الأمين أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت ابن هاشم بن غالب الخزرجي الأنصاري ـ المعروف بالبوصيري ـ قراءة عليه سنة سبع وتسعين وخمسمائة، قيل له: أخبركم الشيخ أبو عبد الله محمّد بن بركات ابن هلال السعيد الصوفي النحوي بقراءة أبي إسحاق إبراهيم حاتم الأُندلسي في شهور سنة سبع عشرة وخمسمائة بفسطاط مصر، فأقرّ وأنعم(١)، قال: حدثنا القاضي أبو عبد الله محمّد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي ﷺ بمصر في العشر الأُول من ذي الحجّة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة:

---

(١) إلى هنا لم يرد في «ب».

الحمد لله القادر، الفرد الحكيم، الفاطر الصمد الكريم، باعث نـبيّه محمّد ﷺ بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، وجاعله للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً صلّى الله عـليه وآله الذيـن أذهب عـنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

أمّا بعد: فإنّ في الألفـاظ النـبويّة والآداب الشـرعية جـلاء لقـلوب العارفين، وشفاء لأدواء الخائفين؛ لصدور [ها] عن المؤيّد بـالعصمة، والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يـدعو إلى الهـدى، ويـبصّر مـن العمى، ولا ينطق عن الهوى صلّى الله عليه وآله أفضل ما صلّى على أحد من عباده الذين اصطفى.

وقد جمعت في كتابي هذا ممّا سمعته من حـديث رسـول الله ﷺ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب و المواعـظ والأمـثال، قـد سلمت من التكلّف مبانيها، وبعدت عن التعسّف معانيها، وبانت بالتأيّد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدى النبوّة عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوّبة على حسب تقارب الألفاظ؛ ليقرب تناولها، ويسهل حفظها.

ثمّ زدت مائتي كلمة، فصارت ألف كلمة ومائتي كـلمة، وخـتمت الكتاب بأدعية مروية عنه ﷺ وأفردت لأسانيد جميعها كتاباً يرجع فـي معرفتها إليه، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه، ومقرّباً من رحمته بحوله وقدرته.

## باب

**١ـ الأعمال بالنية[1].**
**٢ـ المجالس بالأمانة.**
**٣ـ المستشار مؤتمن.**
**٤ـ العِدَة عطية.**
**٥ـ العِدَة دين.**
**٦ـ الحرب خدعة.**
**٧ـ الندم توبة.**
**٨ـ الجماعة رحمة.**
**٩ـ والفرقة عذاب.**
**١٠ـ الأمانة غنى.**
**١١ـ الدِّين النصيحة.**
**١٢ـ الحسب المال.**

---

(١) في «ب»: بالنيات.

١٣ـ والكرم التقوى.

١٤ـ الخير عادة.

١٥ـ والشرّ لجاجة.

١٦ـ السماح رباح.

١٧ـ والعسر شؤم.

١٨ـ الحزم سوء الظنّ.

١٩ـ الولد مبخلة مجبنة محزنة[١].

٢٠ـ البذاء من الجفاء.

٢١ـ القرآن هو الدواء.

٢٢ـ الدعاء هو العبادة.

٢٣ـ الدَّين شين الدِّين.

٢٤ـ التدبّر نصف العيش.

٢٥ـ التودّد نصف العقل.

٢٦ـ والهم نصف الهرم.

٢٧ـ وقلّة العيال أحد اليسارين.

٢٨ـ وحسن السؤال نصف العلم.

٢٩ـ السلام قبل الكلام.

٣٠ـ الرضاع يغيّر الطباع.

٣١ـ البركة مع أكابركم.

---

(١) محزنة، لم ترد في «ب».

٣٢ـ ملاك العمل خواتمه.

٣٣ـ كرم الكتاب ختمه.

٣٤ـ ملاك الدِّين الورع.

٣٥ـ خشية الله رأس كلّ حكمة.

٣٦ـ والورع سيّد العمل.

٣٧ـ مطل الغني ظلم.

٣٨ـ ومسألة الغني نار.

٣٩ـ التحدّث بالنعم شكر.

٤٠ـ انتظار الفرج بالصبر عبادة.

٤١ـ الصوم جُنّة.

٤٢ـ الزعيم غارم.

٤٣ـ الرفق رأس الحكمة.

٤٤ـ كلمة الحكمة ضالّة كلّ حكيم.

٤٥ـ البِرّ حسن الخلق.

٤٦ـ اليُمن حسن الخلق[1].

٤٧ـ الشباب شعبة من الجنون.

٤٨ـ النساء حبائل الشيطان.

٤٩ـ الخمر جماع الإثم.

٥٠ـ الخمر أُمّ الخبائث[2].

---

(١) لم يرد هذا الحديث في «أ».

(٢) لم يرد هذا الحديث في «أ».

٥١ـ الغلول من جمر جهنّم.

٥٢ـ النياحة من عمل الجاهلية.

٥٣ـ الزنا يورث الفقر.

٥٤ـ زنا العيون النظر.

٥٥ـ الحمّى رائد الموت.

٥٦ـ الحمّى من فيح جهنّم.

٥٧ـ الحمّى حظّ كلّ مؤمن من النار.

٥٨ـ القناعة مال لا ينفد.

٥٩ـ الأمانة تجرّ الرزق.

٦٠ـ والخيانة تجرّ الفقر.

٦١ـ الصبحة تمنع الرزق.

٦٢ـ العمائم تيجان العرب.

٦٣ـ الحياء خير كلّه.

٦٤ـ الحياء لا يأتي إلّا بخير.

٦٥ـ المسجد بيت كلّ تقي.

٦٦ـ آفة الحديث الكذب.

٦٧ـ وآفة العلم النسيان.

٦٨ـ وآفة الحلم السفه.

٦٩ـ وآفة العبادة الفترة.

٧٠ـ وآفة الشجاعة البغي.

٧١ـ وآفة السماحة المنّ.

٧٢ـ وآفة الجمال الخيلاء.
٧٣ـ وآفة الحسب الفخر.
٧٤ـ وآفة الظرف الصلف.
٧٥ـ وآفة الجود السرف.
٧٦ـ وآفة الدِّين الهوى.
٧٧ـ آفة الدِّين اللهو[١].
٧٨ـ السعيد من وعظ بغيره.
٧٩ـ والشقيّ من شقي في بطن اُمّه.
٨٠ـ كفارة الذنب الندامة.
٨١ـ الجمعة حجّ المساكين.
٨٢ـ الحجّ جهاد كلّ ضعيف.
٨٣ـ وجهاد المرأة حسن التبعّل.
٨٤ـ طلب الحلال جهاد.
٨٥ـ موت الغريب شهادة.
٨٦ـ العلم لا يُحلّ منعه.
٨٧ـ الشاهد يرى مالا يرى الغائب.
٨٨ـ الدال على الخير كفاعله.
٨٩ـ ساقي القوم آخرهم شرباً.
٩٠ـ كلّ معروف صدقة.

(١) لم يرد هذا الحديث في «أ».

٩١ـ ما وقى به المرء عرضه كتب له صدقة.

٩٢ـ مداراة الناس صدقة.

٩٣ـ الكلمة الطيّبة صدقة.

٩٤ـ الصدقة على القرابة صدقة وصلة.

٩٥ـ الصدقة تمنع منية السوء.

٩٦ـ وصدقة السرّ تطفئ غضب الربّ.

٩٧ـ صلة الرحم تزيد في العمر.

٩٨ـ صنايع المعروف تقي مصارع السوء.

٩٩ـ الرجل في ظلّ صدقته حتّى يقضى بين الناس.

١٠٠ـ الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار.

١٠١ـ أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح.

١٠٢ـ المعتدي في الصدقة كمانعها.

١٠٣ـ التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

١٠٤ـ الظلم ظلمات يوم القيامة.

١٠٥ـ كثرة الضحك تميت القلب.

١٠٦ـ في كلّ كبد حرّىٰ أجر.

١٠٧ـ العلماء اُمناء الله في خلقه.

١٠٨ـ رأس الحكمة مخافة الله.

١٠٩ـ الجنّة دار الأسخياء.

١١٠ـ الجنّة تحت ظلال السيوف.

١١١ـ الجنّة تحت أقدام الاُمّهات.

١١٢ـ الدعاء بين الأذان و الإقامة لا يردّ.

١١٣ـ طلب الحلال فريضة بعد الفريضة.

١١٤ـ أعظم النساء بركة أقلهن مؤنة.

١١٥ـ المؤمن مرآة المؤمن[١].

١١٦ـ المؤمن أخو المؤمن[٢].

١١٧ـ المؤمن يسير المؤنة.

١١٨ـ المؤمن كيّس فطن حذر.

١١٩ـ المؤمن اَلِف مألوف.

١٢٠ـ المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ودمائهم.

١٢١ـ المؤمن غرّ كريم.

١٢٢ـ والفاجر خبّ لئيم.

١٢٣ـ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً.

١٢٤ـ المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

١٢٥ـ المؤمن يوم القيامة في ظلّ صدقته.

١٢٦ـ المؤمن يأكل في معىً واحد (والكافر يأكل في سبعة أمعاء)[٣].

١٢٧ـ المؤمنون هيّنون ليّنون.

١٢٨ـ الشتاء ربيع المؤمن.

١٢٩ـ الدعاء سلاح المؤمن.

---

(١)و(٢) لم يرد الحديثان في «أ».

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «أ».

١٣٠ـ الصلاة نور المؤمن.

١٣١ـ الدنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر.

١٣٢ـ حرمة مال المؤمن كحرمة دمه[١].

١٣٣ـ الحكمة ضالة المؤمن.

١٣٤ـ نية المؤمن أبلغ[٢] من عمله.

١٣٥ـ هدية الله إلى المؤمن السائل على بابه.

١٣٦ـ تحفة المؤمن الموت.

١٣٧ـ الموت راحة المؤمن[٣].

١٣٨ـ شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزّه استغناؤه عن الناس.

١٣٩ـ والعلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قائده، والرفق والده، والبّر إخوانه، والصبر أمير جنوده.

١٤٠ـ الغيرة من الإيمان.

١٤١ـ والمراء من النفاق[٤].

١٤٢ـ الحياء من الإيمان.

١٤٣ـ والبذاءة من الإيمان[٥].

١٤٤ـ النداوة من الإيمان.

١٤٥ـ الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كلّه.

---

(١) لم يرد هنا الحديث في «أ».

(٢) في «ب»: خير.

(٣) لم يرد هذا الحديث في (أ).

(٤)و(٥) لم يرد هذان الحديثان في (أ).

١٤٦ـ الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

١٤٧ـ الإيمان يمانٍ.

١٤٨ـ والحكمة يمانية.

١٤٩ـ الإيمان قيّد الفتك.

١٥٠ـ عَلَمُ الإيمان الصلاة.

١٥١ـ المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه.

١٥٢ـ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه.

١٥٣ـ المسلمون يد واحدة علىٰ من سواهم.

١٥٤ـ الموت كفارة لكلّ مسلم.

١٥٥ـ طلب العلم فريضة علىٰ كلّ مسلم ومسلمة[1].

١٥٦ـ كلّ المسلم علىٰ المسلم حرام دمه وعرضه وماله.

١٥٧ـ حرمة مال المسلم كحرمة دمه.

١٥٨ـ المهاجر من هجر ما نهاه الله عنه.

١٥٩ـ المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله.

١٦٠ـ الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى علىٰ الله.

١٦١ـ المرء كثير بأخيه.

١٦٢ـ المرء علىٰ دين خليله.

١٦٣ـ المرء مع من أحبّ.

---

(١) ومسلمة، لم ترد في «ب».

**١٦٤ـ كرم المرء دينه، ومروّته عقله، وحسبه خُلقه.**
**١٦٥ـ من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.**
**١٦٦ـ الناس كأسنان المشط.**
**١٦٧ـ الناس معادن كمعان الذهب والفضّة.**
**١٦٨ـ الناس كإبل مائة لا تجد فيها راحلة واحدة.**
**١٦٩ـ الغنىٰ اليأس ممّا في أيدي الناس.**
**١٧٠ـ رأس العقل بعد الإيمان التودّد إلىٰ الناس.**
**١٧١ـ كلّ امرء حسيب نفسه.**
**١٧٢ـ كلّ ما هو آت قريب.**
**١٧٣ـ كلّ عين زانية.**
**١٧٤ـ كلّ آتية دانية[1].**
**١٧٥ـ كلّ شيء بقدر حتّىٰ العجز والكيس[2].**
**١٧٦ـ كلّ صاحب علم غرثان إلىٰ العلم[3].**
**١٧٧ـ ولكلّ شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه.**
**١٧٨ـ كلّ مشكل حرام وليس في الدين إشكال.**
**١٧٩ـ كلّ مسكر حرام[4].**
**١٨٠ـ كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته.**

---

(١) لم يرد هذا الحديث في «أ».
(٢) الكيس، لم يرد في «ب».
(٣) في «ب» بدل العلم: إلى علم آخر.
(٤) أثبتنا هذا الحديث من «ب»، ولم يرد في «أ».

١٨١ـ لكلّ غادر لواء يوم القيامة يُعرف به بقدر غدرته.

١٨٢ـ أوّل ما يقضىٰ بين الناس يوم القيامة في الدماء.

١٨٣ـ أوّل ما يحاسب به الصلاة.

١٨٤ـ أوّل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن[1].

١٨٥ـ أوّل ما يرفع من هذه الأُمة الحياء والأمانة[2].

١٨٦ـ أوّل ما تفقدون من دينكم الأمانة، وآخر ما تفقدون الصلاة.

١٨٧ـ الودّ يتوارث، والبغض يتوارث.

١٨٨ـ حبّك الشيء يعمي ويصمّ.

١٨٩ـ الهدية تُذهب السمع والبصر.

١٩٠ـ الخير معقود في نواصي الخيل إلىٰ يوم القيامة.

١٩١ـ يُمن الخيل في شقرها[3].

١٩٢ـ السفر قطعة من العذاب.

١٩٣ـ طاعة النساء ندامة.

١٩٤ـ البلاء موكَّل بالمنطق.

١٩٥ـ الصيام نصف الصبر.

١٩٦ـ وعلىٰ كلّ شيء زكاة وزكاة الجسد الصيام.

١٩٧ـ الصائم لا تردّ دعوته.

١٩٨ـ الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة.

---

(١)و(٢) لم يرد هذان الحديثان في «ب».

(٣) في «أ»: سفرها، وفي «ب»: حسن الخيل في شقرها.

١٩٩ـ السواك يزيد الرجل فصاحة.

٢٠٠ـ جمال الرجل فصاحة لسانه.

٢٠١ـ الإمام ضامن والمؤذّن مؤتمن.

٢٠٢ـ المؤذّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة

٢٠٣ـ شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي.

٢٠٤ـ الأنصار كرشي وعيبتي[1].

٢٠٥ـ يد الله علىٰ الجماعة.

٢٠٦ـ الصمت حكم[2] وقليل فاعله.

٢٠٧ـ الرزق أشدّ طلباً للعبد من أجله.

٢٠٨ـ الرفق في المعيشة خير من بعض التجارة.

٢٠٩ـ التاجر الجبان محروم، والتاجر الجسور مرزوق.

٢١٠ـ حسن الملكة نماء، وسوء الملكة شؤم.

٢١١ـ فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

٢١٢ـ القبر أول منزل من منازل الآخرة.

٢١٣ـ الصبر عند الصدمة الأُولى.

٢١٤ـ دفن البنات من المكرمات.

٢١٥ـ معترك المنايا ما بين الستين إلىٰ السبعين.

٢١٦ـ أكثر أعمار أُمّتي ما بين الستين إلىٰ السبعين.

---

(١) في «أ»: وعيني.

(٢) في «ب»: حلم.

**٢١٧ـ المكر والخديعة في النار.**

**٢١٨ـ اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع.**

**٢١٩ـ اليمين الكاذبة منفقة للسلعة وممحقة للكسب.**

**٢٢٠ـ اليمين علىٰ نية المستحلِف.**

**٢٢١ـ الحلف حنث أو ندم.**

**٢٢٢ـ السلام تحية لملتنا، و أمان لذمتنا.**

**٢٢٣ـ علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه.**

**٢٢٤ـ الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر.**

**٢٢٥ـ الصلاة قربان كلّ تقي.**

**٢٢٦ـ بين العبد والكفر[١] ترك الصلاة.**

**٢٢٧ـ موضع الصلاة من الدّين كموضع الرأس من الجسد.**

**٢٢٨ـ صلاة القاعد علىٰ النصف من صلاة القائم.**

**٢٢٩ـ الزكاة قنطرة الإسلام.**

**٢٣٠ـ طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه ، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه[٢].**

**٢٣١ـ التراب ربيع الصبيان.**

**٢٣٢ـ الأرواح جنود مجنّدة فما تعارف منها ائتلف ،وما تناكر منها اختلف.**

**٢٣٣ـ الصدق طمأنينة، والكذب ريبة.**

---

(١) في «ب»: والكافر.

(٢) لم يرد هذا الحديث في «أ».

٢٣٤ـ القرآن غنىً لا فقر بعده، ولا غنىً دونه.

٢٣٥ـ الإيمان بالقدر يذهب الهمّ والحزن.

٢٣٦ـ الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تكثر الهمّ والحزن.

٢٣٧ـ والبطالة تقسّي القلب.

٢٣٨ـ العالم والمتعلم شريكان في الأجر.

٢٣٩ـ على اليد ما قبضت حتّىٰ تؤدي[١].

٢٤٠ـ الولد للفراش وللعاهر الحجر[٢].

٢٤١ـ الضيافة علىٰ أهل الوبر وليست علىٰ أهل المدر[٣].

٢٤٢ـ للسائل حقّ ولو جاء علىٰ فرس[٤].

٢٤٣ـ أيّ دواء أدوىٰ من النحل.

٢٤٤ـ العائد في هبته كالكلب يعود في قيئه.

٢٤٥ـ النظر في الخضرة يزيد في البصر.

٢٤٦ـ النظر إلىٰ المرأة الحسناء يزيد في البصر.

٢٤٧ـ أُمتي الغرّ المحجّلون يوم القيامة من آثار الوضوء.

٢٤٨ـ التصفيح للنساء والتسبيح للرجال.

٢٤٩ـ النظرة سهم مسموم[٥] من سهام إبليس.

٢٥٠ـ الشؤم في المرأة والفرس والدار.

٢٥١ـ نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحّة والفراغ.

---

(١) ـ (٤) لم ترد هذه الأحاديث في «أ».

(٥) في «ب» مشؤوم.

٢٥٢ـ ويل للعرب من شرّ قد اقترب[١].

٢٥٣ـ الجبن والجرأة غرائز يضعها الله حيث يشاء[٢].

٢٥٤ـ من كنوز البرّ كتمان المصائب والأمراض والصدقة.

٢٥٥ـ من سعادة المرء حسن الخلق.

٢٥٦ـ ومن سعادة المرء أن يشبه أباه.

٢٥٧ـ أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة.

٢٥٨ـ الخازن الأمين الذي يعطي ما أمر طيبة بها نفسه وأحد المتصدّقين[٣].

٢٥٩ـ السلطان ظلّ الله في الأرض يأوي إليه كلّ مظلوم.

٢٦٠ـ كلام ابن آدم كلّه عليه لا له إلّا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكراً أو ذكر الله تعالى.

٢٦١ـ التودّد والاقتصاد والسمت[٤] جزء من ستة وعشرين جزءًمن النبوة.

٢٦٢ـ الأنبياء قادة، والفقهاء سادة، ومجالسهم زيادة.

٢٦٣ـ المتشبّع[٥] بما لا يملك كلابس ثوبي زور.

٢٦٤ـ الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم ويصح البصر.

٢٦٥ـ القاصّ ينتظر المقت، والمستمع إليه ينتظر الرحمة.

٢٦٦ـ والتاجر ينتظر الرزق، والمحتكر ينتظر اللعنة.

---

(١) ـ (٣) لم ترد هذه الأحاديث في «أ».

(٤) في «ب»: والصمت.

(٥) في «ب»: المتشنع.

٢٦٧ـ السعادة كلّ السعادة طول العمر في طاعة الله.

٢٦٨ـ الشقي كلّ الشقي من أدركته الساعة لم يمت وهو حيّ[١].

٢٦٩ـ الويل كلّ الويل لمن ترك عياله بخير وقدم علىٰ ربّه بشّر.

٢٧٠ـ دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً، ففجوره علىٰ نفسه.

٢٧١ـ ثلاث دعوات مستجابات لا شكّ فيهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده.

٢٧٢ـ القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وقاضٍ في الجنّة.

٢٧٣ـ خصلتان لا تكونان في منافق: حسن سمت وفقه في الدّين.

٢٧٤ـ خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق.

٢٧٥ـ عينان لا تمسّهما النار: عين بكت في جوف الليل من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله.

٢٧٦ـ منهومان لا يشبعان: طالب العلم، وطالب المال.

٢٧٧ـ الشيخ شاب في حبّ اثنين: في حبّ طول الحياة، وكثرة المال.

٢٧٨ـ أربعة يبغضهم الله تعالى: البياع الحلّاف، والفقير المختال[٢]، والشيخ الزاني، والإمام الجائر.

٢٧٩ـ ثلاث مهلكات، وثلاث منجيات، فالثلاث المهلكات: شحّ مطاع، وهوىً متّبع، وإعجاب المرء بنفسه. والثلاث المنجيات: خشية الله في السّرّ والعلانية، والقصد في الفقر والغنىٰ، والعدل في الغضب

---

(١) وهو حي، لم يرد في «أ».

(٢) في «أ»: المحتال.

**والرضا.**

**٢٨٠ـ المستبّانِ ما قالا فهو علىٰ البادي ما لم[١] يعتدِ المظلوم.**

**٢٨١ـ أنا فرطكم علىٰ الحوض.**

**٢٨٢ـ أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنّة،** وأشار ﷺ بالسبّابة والوسطىٰ.

**٢٨٣ـ أنا النذير والموت المغير والساعة الموعد.**

(١) في «ب»: (حتّىٰ) بدل (ما لم).

## باب

٢٨٤ـ من صمت نجا.

٢٨٥ـ من تواضع لله رفعه الله.

٢٨٦ـ ومن تكبّر وضعه الله.

٢٨٧ـ من يتألّ علىٰ الله يكذبه الله.

٢٨٨ـ ومن يَغْفِرْ يَغْفِرْ الله له.

٢٨٩ـ ومن يعفُ يعفُ الله عنه.

٢٩٠ـ ومن يصبر علىٰ الرزية يعوّضه الله.

٢٩١ـ ومن يكظم غيظه يأجره الله.

٢٩٢ـ ومن قدّر رزقه الله، ومن بذّر حرمه الله.

٢٩٣ـ ومن نوقش للحساب عذّب.

٢٩٤ـ ومن بدا جفا.

٢٩٥ـ ومن اتبع الصيد غفل.

٢٩٦ـ ومن اقترب من أبواب السلاطين افتتن.

٢٩٧ـ ومن قتل دون ماله فهو شهيد.

٢٩٨ـ ومن قتل دون أهله فهو شهيد.

٢٩٩ـ ومن قتل دون دينه فهو شهيد.

٣٠٠ـ ومن يرد الله به خيراً يصب منه.

٣٠١ـ من يرد الله له خيراً يفقّهه في الدّين.

٣٠٢ـ من اشتاق إلىٰ الجنّة سارع إلىٰ الخيرات.

٣٠٣ـ ومن أشفق من النار لهىٰ عن الشهوات.

٣٠٤ـ ومن يرقب الموت ترك اللذات.

٣٠٥ـ ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات.

٣٠٦ـ من مات غريباً مات شهيداً.

٣٠٧ـ من اغتر بالعبيد أذلّه الله.

٣٠٨ـ من غشّنا فليس منا.

٣٠٩ـ من رمانا بالليل فليس منّا[١].

٣١٠ـ من لم يأخذ شاربه فليس منّا[٢].

٣١١ـ من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو ردّ[٣].

٣١٢ـ من تأنّىٰ أصاب أو كاد.

٣١٣ـ ومن عجل أخطأ أو كاد.

٣١٤ـ من يزرع خيراً يحصد رغبة.

٣١٥ـ من يزرع شراً يحصده[٤].

---

(١)و(٢) لم يرد الحديثان في «أ».

(٣) في «ب» زيادة: عليه.

(٤) في «ب»: يحصد ندامة.

٣١٦ـ من أيقن بالخلف جاد بالعطية.

٣١٧ـ ومن أحبّ أن يكون أكرم الناس فليتقِ الله.

٣١٨ـ و من أحبّ أن يكون أقوىٰ الناس فليتوكّل علىٰ الله.

٣١٩ـ ومن أحبّ أن يكون أغنىٰ الناس فليكن بما في يد الله أوثق منه بما في يده.

٣٢٠ـ من همّ بذنب ثمّ تركه كانت له حسنة.

٣٢١ـ من أتاه الله خيراً فليرَ عليه.

٣٢٢ـ من سرّه أن يسلم فليلزم الصمت.

٣٢٣ـ من كثر كلامه كثر سقطه.

٣٢٤ـ ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه.

٣٢٥ـ ومن كثرت ذنوبه كانت النار أولىٰ به.

٣٢٦ـ من رزق من شيء فليلزمه.

٣٢٧ـ من اُوليت إليه نعمة فليشكرها.

٣٢٨ـ من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير.

٣٢٩ـ من عزّىٰ مصاباً فله مثل أجره.

٣٣٠ـ من فطّر صائماً كان له مثل أجره.

٣٣١ـ من رفق باُمّتي رفق الله به.

٣٣٢ـ من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنّة.

٣٣٣ـ من دعىٰ علىٰ من ظلمه فقد انتصر.

٣٣٤ـ من مشىٰ مع ظالم فقد أجرم.

٣٣٥ـ من تشبّه بقوم فهو منهم.

٣٣٦ـ من طلب العلم تكفّل الله برزقه.

٣٣٧ـ من لم ينفعه علمه ضرّه جهله.

٣٣٨ـ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٣٣٩ـ من جُعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين.

٣٤٠ـ من حمل سلعته فقد برئ من الكبر.

٣٤١ـ من يشادّ هذا الدين يغلبه.

٣٤٢ـ من كذّب بالشفاعة[١] لم ينلها يوم القيامة.

٣٤٣ـ من سرّته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

٣٤٤ـ من صام الأبد فلا صام[٢].

٣٤٥ـ من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل.

٣٤٦ـ من يشته كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا.

٣٤٧ـ من كثرت صلاته بالليل حَسُنَ وجهه في النهار.

٣٤٨ـ من أحبّ دنياه أضرّ بآخرته.

٣٤٩ـ ومن أحبّ آخرته أضرّ بدنياه.

٣٥٠ـ من أهان سلطان الله أهانه الله.

٣٥١ـ ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله.

٣٥٢ـ من أحبّ عمل قوم خيراً كان أو شراً كان كمن عمله.

٣٥٣ـ من استعاذكم بالله فأعيذوه.

---

(١) في «ب»: بالشهادة.

(٢) في «ب»: فلا صام ولا أفطر.

٣٥٤ـ ومن سألكم بالله فأعطوه.

٣٥٥ـ ومن دعاكم فأجيبوه.

٣٥٦ـ ومن أتىٰ إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا فادعوا الله له حتىٰ تعلموا أنّكم قد كافئتموه.

٣٥٧ـ من مشىٰ منكم إلىٰ طمع فليمش رويداً.

٣٥٨ـ ومن عمّره الله ستين سنه فقد أعذر إليه في العمر.

٣٥٩ـ من أصبح لم ينوِ ظلم أحد غفر له ما جنىٰ وإن لم يستغفر.

٣٦٠ـ من ألقىٰ جلباب الحياء فلا غيبة له.

٣٦١ـ من ساءته خطيئته غفر الله له وإن لم يستغفر[1].

٣٦٢ـ من خاف الله خوّف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله خوّفه الله من كلّ شيء.

٣٦٣ـ من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه.

٣٦٤ـ من كره لقاء الله كره الله لقاءه.

٣٦٥ـ من سُئل عن علم يعلمه فكتمه اُلجم بلجام من نار.

٣٦٦ـ من استطاع منكم أن يكون له حسنة من عمل صالح فليفعل.

٣٦٧ـ من فُتح له باب من خير فلينتهزه فإنّه لا يدري متى يُغلق عنه.

٣٦٨ـ من كظم غيظاً وهو قادر علىٰ إنفاذه[2] ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً.

---

(١) وإن لم يستغفر، لم يرد في «أ».

(٢) في «أ»: إلقائه.

**٣٦٩ـ من سرّه أن يجد طعم الإيمان فليحبّ المرء لا[١]يحبّه إلّا الله تعالى.**

**٣٧٠ـ من أصاب مالاً من تهاوش أذهبه الله في نهابر[٢].**

**٣٧١ـ من أعطىٰ حظّه من الرفق فقد أعطىٰ حظّه من خير الدنيا والآخرة.**

**٣٧٢ـ من آثر محبّة الله علىٰ محبّة الناس كفاه الله مؤنة الناس.**

**٣٧٣ـ من فارق الجماعة شبراً خلع[٣] ربقة الإسلام من عنقه.**

**٣٧٤ـ ومن فارق الجماعة واستذلّ الإمارة لقى الله ولا وجه له عنده.**

**٣٧٥ـ من نزع يده عن الطاعة[٤] لم تكن له يوم القيامة حجّة.**

**٣٧٦ـ ومن فارق الجماعة مات ميتة الجاهلية[٥].**

**٣٧٧ـ من سرّه أن يسكن بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة.**

**٣٧٨ـ من أقال نادماً بيعته أقاله الله عثرته.**

**٣٧٩ـ من كفّ لسانه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة.**

**٣٨٠ـ من فرّق بين والدة وولدها فرّق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة.**

**٣٨١ـ من شاب شيبة في الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة.**

**٣٨٢ـ من يسّر علىٰ معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة.**

**٣٨٣ـ من أنظر معسراً أو وضع له أظلّه الله تحت ظلّ عرشه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه.**

**٣٨٤ـ من كان ذا لسانين في الدنيا جُعل له لسانان يوم القيامة من نار.**

---

(١) في «أ»: ممّا لا.

(٢) في «أ»: من مهاويش.

(٣) في «أ» زيادة: الله.

(٤) في «ب»: (من فارق الجماعة) بدل (من نزع يده عن الطاعة).

(٥) لم يرد هذا الحديث في «ب».

٣٨٥ـ من نظر في كتاب أخيه بغير إذنه فكأنّما ينظر في النار.

٣٨٦ـ من كان آمراً بمعروف فليكن أمره في ذلك بمعروف.

٣٨٧ـ من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علىٰ لسانه.

٣٨٨ـ من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه[1].

٣٨٩ـ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره.

٣٩٠ـ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت.

٣٩١ـ من أسلم علىٰ يديه رجل وجبت له الجنّة.

٣٩٢ـ من نصر أخاه بظهر الغيب نصره الله في الدنيا والآخرة.

٣٩٣ـ من فرّج عن أخيه كربة من كرب الدنيا فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة.

٣٩٤ـ ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

٣٩٥ـ ومن ستر علىٰ أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة.

٣٩٦ـ والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

٣٩٧ـ من بنىٰ مسجداً لله ولو مثل مفحص قطاة بنىٰ الله له بيتاً في الجنّة.

٣٩٨ـ من طلب علماً فأدركه كتب له كفلان من الأجر.

٣٩٩ـ من طلب علماً ولم يدركه كتب له كفل في الآخرة[2].

٤٠٠ـ من سمّع الناس بعمله سمّع الله به مسامع خلقه يوم القيامة وحقّره

---

(١) أثبتنا هذا الحديث من «ب».

(٢) لم يرد هذا الحديث في «أ».

وصغّره.

٤٠١ـ من طلب الدنيا بعمل الآخرة فماله في الآخرة من نصيب.

٤٠٢ـ من أُولي معروفاً فلم يجد جزاء إلّا الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره.

٤٠٣ـ من أولي معروفاً فليكافئ به، فإن لم يستطع فليذكره، فإن ذكره فقد شكره.

٤٠٤ـ من أولى رجلاً من بني عبد المطلب معروفاً في الدنيا فلم يقدر أن يكافئه كافأته عنه يوم القيامة.

٤٠٥ـ من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موؤدة من قبرها.

٤٠٦ـ من انقطع إلىٰ الله كفاه الله كلّ مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب.

٤٠٧ـ ومن انقطع إلىٰ الدنيا وكله الله إليها.

٤٠٨ـ من طلب محامد الناس بمعاصي الله عاد حامده من الناس ذامّاً.

٤٠٩ـ من التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس.

٤١٠ـ ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضىٰ الله عليه وأرضىٰ عنه الناس.

٤١١ـ من مات على خير عمله فأرجو له خيراً.

٤١٢ـ ومن مات على سيّئ عمله فخافوا عليه ولا تيأسوا.

٤١٣ـ من أذنب في الدنيا فعوقب به فالله أعدل من أن يثنّي عقوبته على عبده.

٤١٤ـ ومن أذنب ذنباً فستره الله وعفا عنه في الدنيا فالله أكرم من أن

يعود في شيء قد عفا عنه.

٤١٥ـ من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

٤١٦ـ من أحسن صلاته حين يراه الناس ثمّ أساءها حين يخلو فتلك استهانة استهان بها ربّه.

٤١٧ـ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزده بها من الله إلّا بعداً.

٤١٨ـ من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما رجا وأقرب لمحو ما أبقىٰ.

٤١٩ـ من كانت له سريرة صالحة أو سيّئة نشر الله عليه منها رداء يُعرف به.

٤٢٠ـ من حلف على يمين فرأى خيراً منها فليكفّر عن يمينه ثّم ليفعل الذي هو خير.

٤٢١ـ من ابتلىٰ من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن يكنَّ له ستراً من النار.

٤٢٢ـ من قتل عصفوراً عبثاً جاء يوم القيامة وله صراخ عند العرش يقول: ربّ سل هذا فيم قتلني من غير منفعة.

٤٢٣ـ من سأل الناس أموالهم مكثراً فإنّما هي جمر فليستقل أو ليستكثر.

٤٢٤ـ من سأل عن ظهر غنًى فصداع في الرأس وداء في البطن.

٤٢٥ـ من مشىٰ إلى طعام لم يدع إليه فقد دخل سارقاً وخرج مغيراً.

٤٢٦ـ من كان وصلة لأخيه المسلم إلى ذي سلطان في منهج برّ أو تيسير عسير أعانه الله علىٰ إجازة الصراط يوم تدحض فيه الأقدام.

٤٢٧ـ من لعب بالنردشير فهو كمن غمس يده في لحم الخنزير ودمه.

٤٢٨ـ من نزل على قوم فلا يصومن تطوعاً إلّا بإذنهم.

٤٢٩ـ من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً.

٤٣٠ـ من أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر.

٤٣١ـ من أصبح معافاً في بدنه، آمناً في سربه[١]، عنده قوت يومه، فكأنّما حيزت الدنيا بحذافيرها.

٤٣٢ـ من ولّي شيئاً من أمر المسلمين فأراد الله به خيراً جعل معه وزيراً صالحاً، فإن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه.

٤٣٣ـ من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدّثهم فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروّته، وظهرت عدالته، ووجبت أُخوّته، وحرمت غيبته.

٤٣٤ـ من حفظ ما بين لحييه وما بين رجليه دخل الجنّة.

٤٣٥ـ من كذّب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار.

---

(١) في «أ»: شربه.

## باب

٤٣٦ـ حُفّت الجنّة بالمكاره، وحُفّت النار بالشهوات.

٤٣٧ـ وجبت محبّة الله على من أُغضب فحلُم.

٤٣٨ـ بُعثتُ بجوامع الكلم.

٤٣٩ـ ونُصرت بالرعب.

٤٤٠ـ ونصرت بالصبا.

٤٤١ـ وأُهلكت عاد بالدبور.

٤٤٢ـ يعجب ربّك من الشاب ليست له صبوة.

٤٤٣ـ كما تكونون يولّىٰ عليكم.

٤٤٤ـ يبعث الناس يوم القيامة على نيّاتهم.

٤٤٥ـ يبعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعاً لسانه[١].

٤٤٦ـ رحم الله عبداً أصلح من لسانه.

٤٤٧ـ ورحم الله عبداً قال فغنم أو سكت فسلم.

---

(١) في «ب»: مولع لسانه في النار.

٤٤٨ـ ورحم الله المتخلّلين من اُمتي في الوضوء والطعام.

٤٤٩ـ أبىٰ الله أن يرزق عبده المؤمن إلّا من حيث لا يعلم.

٤٥٠ـ كاد الفقر أن يكون كفراً.

٤٥١ـ كاد الحسد أن يغلب القدر.

٤٥٢ـ خصّ البلاء بمن عرف الناس وعاش فيهم من لم يعرفهم.

٤٥٣ـ يطبع المؤمن على كلّ خلق ليس الخيانة والكذب.

٤٥٤ـ تبنون مالا تسكنون، وتجمعون ما لا تأكلون، وتأملون ما لا تدركون.

٤٥٥ـ كم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنتظر غداً لا يبلغه.

٤٥٦ـ عجبت لغافل ولا يغفل عنه.

٤٥٧ـ وعجبت لمؤمل دنيا والموت يطلبه.

٤٥٨ـ وعجبت لضاحك ملء فمه ولا يدري أرضي الله عنه أم أسخطه.

٤٥٩ـ ياعجباً كلّ العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور.

٤٦٠ـ عجباً للمؤمن فو الله لا يقضي الله للمؤمن قضاءً إلّا كانّ خيراً له.

٤٦١ـ اقتربت الساعة ولا يزداد الناس على الدنيا إلّا حرصاً ولا تزداد منهم إلّا بعداً.

٤٦٢ـ يهرم ابن آدم وتشب منه اثنتان: الحرص على المال، والحرص على العمر.

٤٦٣ـ جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها.

٤٦٤ـ جفّ القلم بالشقي والسعيد.

٤٦٥ـ وفرغ الله من أربع: من الخَلق والخُلق والأجل والرزق.

٤٦٦ـ وفرغ الله لكلّ عبد من خمس: من عمله وأجله وأثره ومضجعه

ورزقه لا يتعداهنّ عبد.

٤٦٧ـ جفّ القلم بما أنت لاقٍ.

٤٦٨ـ تجدون من شرّ الناس (ذا الوجهين)[1] الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه.

٤٦٩ـ يذهب الصالحون أسلافاً الأول فالأول حتّىٰ لا يبقىٰ إلّا حثالة كحثالة التمر والشعير لا يبالي الله بهم.

٤٧٠ـ يبصر أحدكم القذىٰ في عين أخيه ويدع الجذع في عينه.

٤٧١ـ كبرت خيانة أن تحدِّث أخاك حديثاً هو لك به مصدِّق وأنت له كاذب.

٤٧٢ـ كأنّ الحقّ فيها على غيرنا وجب.

٤٧٣ـ وكأنّ الموت فيها علىٰ غيرنا كُتب.

٤٧٤ـ وكأنّ الذين نشيّع من الأموات سفر عمّا قليل إلينا عائدون، نبوّؤهم أجداثهم، ونأكل تراثهم، كأنّا مخلّدون بعدهم، قد نسينا كلّ واعظة، وأمنا كلّ جانحة.

٤٧٥ـ طوبىٰ لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية، وخالط أهل الفقه والحكمة وجانب أهل الذلّ والمعصية.

٤٧٦ـ طوبىٰ لمن ذلّ في نفسه، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة.

٤٧٧ـ طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته،

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ب».

**وعزل عن الناس شرّه.**

**٤٧٨ـ طوبىٰ لمن عمل بعلمه[1].**

**٤٧٩ـ يا بن آدم عندك ما يكفيك وتطلب ما يطغيك.**

**٤٨٠ـ ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع.**

**٤٨١ـ طوبىٰ لمن هدي للإسلام وكان عيشه كفافاً وقنع.**

---

(١) لم يرد هذا الحديث في «أ».

## باب

٤٨٢ـ اشفعوا تؤجروا.

٤٨٣ـ سافروا تصحّوا وتغنموا.

٤٨٤ـ يسّروا ولا تعسّروا.

٤٨٥- وسكّنوا ولا تنفّروا.

٤٨٦ـ قاربوا وسدّدوا.

٤٨٧- زر غبّاً تزدد حبّاً.

٤٨٨ـ قيّدها وتوكّل.

٤٨٩ـ ابدأ بمن تعول.

٤٩٠ـ اُخْبُرْ تَقْلِهِ[1].

٤٩١ـ ثق بالناس رويداً[2].

٤٩٢ـ قيّدوا العلم بالكتاب.

٤٩٣ـ أقل من الدَّين تعش حرّاً.

---

(١)و(٢) لم يرد الحديثان في «أ».

٤٩٤ـ وأقل من الذنوب يهن عليك الموت.

٤٩٥ـ وانظر في أي نصاب تضع ولدك فإنّ العرق دسّاس.

٤٩٦ـ كن ورعاً تكن أعبد الناس.

٤٩٧ـ وكن قنعاً تكن أشكر الناس.

٤٩٨ـ وأحبب للناس ما تحبّ لنفسك تكن مؤمناً.

٤٩٩ـ وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً.

٥٠٠ـ وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً.

٥٠١ـ واعمل الفرائض لله تكن عابداً.

٥٠٢ـ وارضَ بقسم الله تكن زاهداً.

٥٠٣ـ ازهد في الدنيا يحبّك الله.

٥٠٤ـ وازهد فيما في أيدي الناس يحبّك الناس.

٥٠٥ـ كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل.

٥٠٦ـ وعدّ نفسك في أصحاب القبور.

٥٠٧ـ دع ما يريبك إلى ما لا يريبك.

٥٠٨ـ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً.

٥٠٩ـ ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء.

٥١٠ـ اسمح يسمح لك.

٥١١ـ اسبغ الوضوء يزد في عمرك.

٥١٢ـ وسلّم على أهل بيتك يكثر خير بيتك.

٥١٣ـ واستعفف عن السؤال ما استطعت.

٥١٤ـ قل الحقّ وإن كان مرّاً.

٥١٥ـ اتّقِ الله حيث كنت.

٥١٦ـ واتبع السيئةَ الحسنةَ تمحها[١].

٥١٧ـ وخالق الناس بخلق حسن.

٥١٨ـ صلوا أرحامكم ولو بالسلام.

٥١٩ـ تهادوا تزدادوا حبّاً.

٥٢٠ـ وهاجروا تورثوا أبناءكم مجداً.

٥٢١ـ وأقيلوا الكرام عثرتهم.

٥٢٢ـ تهادوا فإنّ الهدية تذهب حرّ الصدور[٢].

٥٢٣ـ تهادوا فإنّ الهدية تذهب السخيمة[٣].

٥٢٤ـ تهادوا تحالوا[٤].

٥٢٥ـ تهادوا فإنّ الهدية تذهب بالضغائن.

٥٢٦ـ اطلبوا الخير عند حسان الوجوه.

٥٢٧ـ بلّغوا عنّي ولو آية.

٥٢٨ـ وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج.

٥٢٩ـ اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله عزّوجلّ.

٥٣٠ـ اتّقوا الحرام في البنيان فإنّه أساس الخراب.

٥٣١ـ ألزموا[٥] أولادكم وأحسنوا آدابهم.

---

(١) في «أ»: واتبع الحسنة السيئة تمحها.
(٢) لم يرد هذا الحديث في «ب».
(٣) في «ب»: تذهب بالسمجة.
(٤) لم يرد هذا الحديث في «ب».
(٥) في «ب»: أكرموا.

٥٣٢ـ قولوا خيراً تغنموا.

٥٣٣ـ واسكتوا عن شرّ تسلموا.

٥٣٤ـ تخيّروا لنطفكم.

٥٣٥ـ أكثروا من ذكر هادم اللذات.

٥٣٦ـ روّحوا القلوب ساعة بساعة.

٥٣٧ـ اعتموا تزدادوا حلماً.

٥٣٨ـ اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق له.

٥٣٩ـ تزوّجوا الودود الولود فإنّي مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة[١].

٥٤٠ـ تسحّروا فإنّ في السحور بركة.

٥٤١ـ اتّق النار ولو بشقّ تمرة.

٥٤٢ـ اتّق الشحّ فإنّ الشحّ أهلك من كان قبلكم.

٥٤٣ـ استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك[٢].

٥٤٤ـ أغروا النساء يلزمن الحجال.

٥٤٥ـ استوصوا بالنساء خيراً فإنّهنَّ عوان عندكم.

٥٤٦ـ حصّنوا أموالكم بالزكاة.

٥٤٧ـ وداووا مرضاكم بالصدقة.

٥٤٨ـ وأعدوا للبلاء الدعاء.

٥٤٩ـ اغتنموا الدعاء عند الرقّة فإنّها رحمة.

---

(١) يوم القيامة، لم يرد في «أ».

(٢) لم يرد هذا الحديث في «ب».

٥٥٠ـ ألحّوا بـ : يا ذا الجلال والإكرام.

٥٥١ـ التمسوا الرزق في خبايا الأرض.

٥٥٢ـ تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم.

٥٥٣ـ كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه.

٥٥٤ـ اطلبوا الفضل عند الرحماء من اُمّتي تعيشوا في أكنافهم.

٥٥٥ـ اطلبوا الخير دهركم.

٥٥٦ـ وتعرّضوا لنفحات رحمة الله؛ فإنّ لله نفحات من رحمته يصيب من يشاء من عباده.

٥٥٧ـ أجمعوا وضوءكم يجمع الله شملكم.

٥٥٨ـ نوّروا بالفجر فإنّه أعظم للأجر.

٥٥٩ـ تمسّحوا بالأرض فإنّها بكم برّة.

٥٦٠ـ دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض.

٥٦١ـ استعينوا على اُموركم بالكتمان.

٥٦٢ـ استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان لها.

٥٦٣ـ التمسوا الجار قبل شراء الدار.

٥٦٤ـ والرفيق قبل الطريق.

٥٦٥ـ تداووا فإنّ الذي أنزل الداء أنزل الدواء.

٥٦٦ـ احثوا التراب في وجوه المدّاحين.

٥٦٧ـ أحسنوا إذا ولّيتم.

٥٦٨ـ واعفوا عمّا ملكتم.

٥٦٩ـ أطعموا طعامكم الأتقياء.

٥٧٠ـ وأولوا معروفكم المؤمنين.

٥٧١ـ واستعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع.

٥٧٢ـ أجملوا في طلب الدنيا فإنّ كلاً ميسّر لما خلق له منها[1].

٥٧٣ـ أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم.

٥٧٤ـ افشوا السلام تسلموا.

٥٧٥ـ افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلّوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنّة بسلام.

٥٧٦ـ احفظوني في أصحابي فإنّهم خيار أُمّتي.

٥٧٧ـ احفظوني في عترتي.

٥٧٨ـ استشيروا ذوي العقول ترشدوا ولا تقصوهم فتندموا.

٥٧٩ـ توبوا إلى ربّكم من قبل أن تموتوا.

٥٨٠ـ وبادروا بالأعمال الزاكية قبل أن تشغلوا.

٥٨١ـ وصِلوا الذي بينكم [وبين ربّكم][2] بكثرة ذكركم إياه.

٥٨٢ـ تجافوا عن عقوبة ذي المروءة ما لم تكن حداً.

٥٨٣ـ تجافوا عن [ذنب][3] السخيّ فإنّ الله آخذ بيده كلّما عثر.

٥٨٤ـ عودوا المريض واتبعوا الجنائز تذكّركم الآخرة.

٥٨٥ـ ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا زاد الراكب.

٥٨٦ـ اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل

(١) من هذا الحديث رقم: (٥٧٢) إلى حديث رقم: (٥٩٥) لم يرد في «ب».

(٢) ما أثبتناه بين المعقوفين من مسند أبي يعلى ٣: ٣٨٢ / ١٨٥٦ لمقتضى سياق الحديث، وفي «أ»: بينه.

(٣) ما أثبتناه بين المعقوفين من مسند الشهاب ١: ٤٢٣، وفي «أ»: قرب.

سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك.

٥٨٧ ـ ليأخذ العبد من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الكبر، ومن الحياة قبل الممات، فما بعد الدنيا دار إلّا الجنّة أو النار.

٥٨٨ ـ كونوا في الدنيا أضيافاً.

٥٨٩ ـ واتّخذوا المساجد بيوتاً.

٥٩٠ ـ وعوّدوا قلوبكم الرقّة.

٥٩١ ـ وأكثروا التفكّر والبكاء.

٥٩٢ ـ ولا تختلفنَّ بكم الأهواء.

٥٩٣ ـ أكرموا الشهود، قال الله: تستخرج بهم الحقوق، ويدفع بهم الظلم.

٥٩٤ ـ اتّقوا دعوة المظلوم فإنّها تُحمل على الغمام، يقول الله تعالى: وعزّتي وجلالي نصرتك ولو بعد حين.

٥٩٥ ـ ارحموا ثلاثة: غنيّ قوم افتقر، وعزيزاً ذلّ، وعالماً تلعب به الحمقىٰ والجهّال.

٥٩٦ ـ تعشّوا ولو بكفّ من حشف فإنّ ترك العشاء مهرمة.

٥٩٧ ـ وانظروا إلىٰ من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلىٰ من هو فوقكم، فإنّه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم.

٥٩٨ ـ أمط الأذىٰ عن طريق المسلمين تكثر حسناتك.

٥٩٩ ـ أحبب حبيبك هوناً ما؛ عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما؛ عسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

٦٠٠ ـ أوصيك بتقوى الله فإنّه رأس أمرك.

٦٠١ـ وعليك بالجهاد فإنّه رهبانية أُمّتي.

٦٠٢ـ وليردّك عن الناس ما تعرف من نفسك.

٦٠٣ـ واخزن لسانك إلّا من خير فإنّك بذلك تغلب الشيطان.

٦٠٤ـ اقرأ القرآن ما نهاك، فإذا لم ينهك فلست تقرؤه.

٦٠٥ـ أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك.

٦٠٦ـ أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه.

٦٠٧ـ احفظ الله يحفظك.

٦٠٨ـ احفظ الله تجده أمامك.

٦٠٩ـ وتعرّف[1] إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدّة.

٦١٠ـ واعلم أنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

٦١١ـ واعلم أنّ الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئاً لم يرد الله أن يعطيك لم يقدروا عليه، أو يصرف عنك شيئاً أراد الله أن يصيبك به لم يقدروا على ذلك.

٦١٢ـ فإذا سألت فسأل الله.

٦١٣ـ وإذا استعنت فاستعن بالله.

٦١٤ـ واعلم أنّ النصر مع الصبر، وأنّ الفرج مع الكرب، وإنّ مع العسر يسراً.

٦١٥ـ واعلم أنّ القلم قد جرىٰ بما هو كائن.

٦١٦ـ عش ما شئت فإنّك ميت، وأحبب من أحببت فإنّك مفارقه،

---

(١) في «ب»: تقرّب.

واعمل ما شئت فإنّك مجزيّ به.

٦١٧ـ اصنع المعروف إلىٰ من هو أهله و إلىٰ من ليس أهله، فإن أصبت أهله فهو أهله وإن لم تصب أهله فأنت من أهله.

٦١٨ـ اشتدّي أزمة تنفرجي.

٦١٩ـ أنفق يابلال ولا تخشَ من ذي العرش إقلالاً.

٦٢٠ـ بشّر المشائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التامّ يوم القيامة.

٦٢١ـ عليك بذات الدِّين تربت يداك.

٦٢٢ـ عليكم من الأعمال بما تطيقون؛ فإنّ الله لا يملّ حتّى تملّوا.

٦٢٣ـ إذا وريتم فارجعوا.

٦٢٤ـ إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.

٦٢٥ـ إذا جاءكم الزائر فأكرموه.

٦٢٦ـ إذا غضبت فاسكت.

٦٢٧ـ وإذا أحبّ أحدكم أخاً فليعلمه.

٦٢٨ـ إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الأخير منهما.

٦٢٩ـ إذا تمنّى أحدكم فلينظر إلى ما يتمنّاه ؛ فإنّه لا يدري ما كتب له من اُمنيته.

٦٣٠ـ واعلموا أنّ خير[1] أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلّا مؤمن[2].

---

(١) في «أ»: خيراً من.

(٢) لم يرد الحديث في «ب».

## باب

٦٣١ـ ما عال من اقتصد.

٦٣٢ـ ما أعزّ الله بجهل قط ، ولا أذلّ بحلم قط.

٦٣٣ـ ما نزعت الرحمة إلّا من شقي.

٦٣٤ـ ما شقى عبد قط بمشورة ، وما سعد باستغناء برأي.

٦٣٥ـ ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار.

٦٣٦ـ ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه.

٦٣٧ـ ما رزق العبد رزقاً أوسع عليه من الصبر.

٦٣٨ـ ما خالطت الصدقه مالاً إلّا أهلكته.

٦٣٩ـ ما نقص مال من صدقة.

٦٤٠ـ ولا عفىٰ رجل عن مظلمة إلّا زاده الله بها عزّاً.

٦٤١ـ ما تركت بعدي فتنة هي أضرّ على الرجال من النساء.

٦٤٢ـ ما أصرّ من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرّة.

٦٤٣ـ ما أحسن عبد الصدقة إلّا أحسن الله الخلافة على تركته.

٦٤٤ـ ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنّة نام طالبها.

٦٤٥ـ ما كان الرفق في شيء قط إلّا زانه.

٦٤٦ـ وما كان الخرق في شيء قط إلّا شانه.

٦٤٧ـ ما استنزل الله عبداً إلّا حطّ عنه العلم والأدب[١].

٦٤٨ـ ما أنزل الله من داء إلّا أنزل له شفاء[٢].

٦٤٩ـ ما زان الله عبداً بزينة أفضل من عفاف في دينه وفرجه.

٦٥٠ـ ما عظمت نعمة الله على عبد إلّا عظمت مؤنة الناس عليه.

٦٥١ـ ما استتر الله على عبد في الدنيا ذنباً فيعيّره به يوم القيامة.

٦٥٢ـ ما أكرم شاب شيخاً لسنّه إلّا قيّض الله له عند سنّه من يكرمه.

٦٥٣ـ ما امتلأت دار حبرة إلّا امتلأت عبرة.

٦٥٤ـ وما كانت فرحة إلّا تبعتها ترحة.

٦٥٥ـ ما استرعىٰ الله عبداً رعيته فلم يحطها بنصيحته إلّا حرّم الله عليه الجنّة.

٦٥٦ـ ما من عبد يسترعيه الله رعية ثمّ يموت يوم يموت غاشّاً لرعيّته إلّا حرّم الله عليه الجنّة[٣].

٦٥٧ـ ما من رجل من المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع إمام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى.

٦٥٨ـ ما من مؤمن إلّا وله ذنب يصيبه الفينة بعد الفينة لا يفارقه حتّى يفارق الدنيا.

---

(١) لم يرد هذا الحديث في «ب».

(٢) لم يرد هذا الحديث في «ب».

(٣) لم يرد هذا الحديث في «أ».

٦٥٩ـ ما طلعت شمس قط إلّا بجنبيها ملكان يقولان: اللّهمّ عجّل لمنفق خلفاً وعجّل لممسك تلفاً.

٦٦٠ـ ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم بأسرع فيها من حبّ الشرف والمال في دين المسلم.

٦٦١ـ ما عبد الله بشيء أفضل من فقه الدين.

٦٦٢ـ ما من شيء أُطيع الله فيه بأعجل ثواباً من صلة الرحم.

٦٦٣ـ وما من عمل يعصى الله فيه بأعجل عقوبة من بغي[١].

٦٦٤ـ ما فتح رجل على نفسه باب مسألة إلّا فتح الله عليه باب فقر.

٦٦٥ـ ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلّا غنىً مطغياً، أو فقراً منسيّاً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، (أو الدجّال، فالدجّال أشدّ منتظراً، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر)[٢].

٦٦٦ـ ما يصيب المؤمن وصب ولا نصب ولا سقم ولا أذى ولا حزن حتّى الهمّ يهمّه إلّا كفّر الله به من[٣] خطاياه.

٦٦٧ـ ما تزال المسألة بالعبد حتّىٰ يلقى الله عزّوجلّ وما في وجهه مزعة لحم.

٦٦٨ـ لا تزال المسألة بأحدكم حتّىٰ يلقى الله وما في وجهه مزعة لحم[٤].

---

(١) لم يرد هذا الحديث في «أ».
(٢) ما بين القوسين لم يرد في «أ».
(٣) من، لم ترد في «ب».
(٤) لم يرد هذا الحديث في «ب».

## باب

٦٦٩ـ لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرّتين.

٦٧٠ـ لا يشكر الله من لا يشكر الناس.

٦٧١ـ لا يردّ القضاء إلّا الدعاء.

٦٧٢ـ لا يزيد في العمر إلّا البرّ.

٦٧٣ـ لا حليم إلّا ذو عثرة.

٦٧٤ـ ولا حكيم إلّا ذو تجربة.

٦٧٥ـ لا فقر أشدّ من الجهل.

٦٧٦ـ ولا مال أعود من العقل.

٦٧٧ـ ولا وحدة أوحش من العجب.

٦٧٨ـ ولا مظاهرة أوثق من المشاورة.

٦٧٩ـ ولا عقل كالتدبير.

٦٨٠ـ ولا حسب كحسن الخلق.

٦٨١ـ ولا ورع كالكفّ.

٦٨٢ـ ولا عبادة كالتفكّر.

٦٨٣ـ ولا إيمان كالحياء.

٦٨٤ـ والصبر لا يتمّ بعد حلم.

٦٨٥ـ لا عقد[١] في الإسلام.

٦٨٦ـ لا ضرورة في الإسلام.

٦٨٧ـ لا هجرة بعد الفتح.

٦٨٨ـ لا إيمان لمن لا أمانة له.

٦٨٩ـ ولا دين لمن لا عهد له[٢].

٦٩٠ـ لا رقية إلّا من عين أو حمّة.

٦٩١ـ لا هجرة فوق[٣] ثلاث.

٦٩٢ـ لا كبيرة مع استغفار.

٦٩٣ـ ولا صغيرة مع إصرار.

٦٩٤ـ لا هم إلّا همّ الدَّين، ولا وجع إلّا وجع العين.

٦٩٥ـ لا فاقة لعبد يقرأ القرآن ولا غنىٰ له بعده.

٦٩٦ـ لا ينتطح فيها عنزان.

٦٩٧ـ لا يقي حذر من قدر.

٦٩٨ـ لا يفتك مؤمن.

٦٩٩ـ لا يفلح قوم تملكهم إمرأة.

---

(١) في «أ»: حلف.

(٢) لم يرد هذا الحديث في «ب».

(٣) في «ب»: بعد.

٧٠٠ـ لا ينبغي لمؤمن أن يذلّ نفسه.

٧٠١ـ لا ينبغي للصديق أن يكون لعّاباً.

٧٠٢ـ لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً عند الله.

٧٠٣ـ لا يصلح الملق إلّا للوالدين والإمام العادل.

٧٠٤ـ لا تصلح الصنيعة إلّا عند ذي حسب أو دين، كما لا تصلح الرياضة إلّا في النجيب.

٧٠٥ـ لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق.

٧٠٦ـ لا يدخل الجنّة قتات[١].

٧٠٧ـ لا يدخل الجنّة عبد لا يأمن جاره بوائقه.

٧٠٨ـ لا يحلّ لمسلم أن يروّع مسلماً.

٧٠٩ـ لا يحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.

٧١٠ـ لا تحلّ الصدقة لغني ولا لذي مرّة قوي.

ويروىٰ: (سوي) بدل (قوي).

٧١١ـ لا يهلك الناس حتّىٰ يعذروا من أنفسهم.

٧١٢ـ لا يستقيم إيمان عبد حتّىٰ يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتّىٰ يستقيم لسانه.

٧١٣ـ لا يؤمن عبد حتّىٰ يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير.

٧١٤ـ لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتّىٰ يعلم ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

---

(١) لم يرد هذا الحديث في «أ».

٧١٥ـ لا يستكمل العبد الإيمان حتّىٰ يكون فيه ثلاث خصال: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسه، وبذل السلام.

٧١٦ـ لا يستكمل أحدكم حقيقة الإيمان حتّىٰ يخزن لسانه.

٧١٧ـ لا يرحم الله من لا يرحم الناس.

٧١٨ـ لا يشبع المؤمن[1] دون جاره.

٧١٩ـ لا يشبع عالم من علم حتّىٰ يكون منتهاه الجنّة.

٧٢٠ـ لا يزداد الأمر إلّا شدّة، ولا الدنيا إلّا إدباراً ولا الناس إلّا شحّاً، ولا تقوم الساعة إلّا على شرار الناس.

٧٢١ـ ولا مهدي إلّا من يصلّي خلفه عيسى بن مريم.

٧٢٢ـ لا يأتي على الناس زمان إلّا والذي بعده شرّ منه[2].

٧٢٣ـ لا تقوم الساعة إلّا تقلّ الرجال وتكثر النساء.

٧٢٤ـ لا يسرّ عبدٌ عبداً في الدنيا إلّا سرّه الله يوم القيامة.

٧٢٥ـ لا خير في صحبة من لا يرىٰ لك من الحقّ مثل الذي يرىٰ له.

٧٢٦ـ لا يذهب حبيب عبد فيصبر ويحتسب إلّا دخل الجنّة.

٧٢٧ـ لا يبلغ العبد أن يكون من المتّقين حتّىٰ يدع ما لا بأس به حذر لما به البأس.

٧٢٨ـ لا تزال طائفة من أُمّتي على الحقّ ظاهرين حتّىٰ يأتي أمر الله.

٧٢٩ـ لا تزال نَفْس الرجل معلّقة بدَينه[3] حتّىٰ يقضىٰ عنه.

---

(١) في «ب»: (الجار) بدل (المؤمن).

(٢) لم يرد هذا الحديث في «أ».

(٣) في «ب»: يديه.

٧٣٠ـ لا يزال العبد في صلاته ما انتظر الصلاة.

٧٣١ـ لا تظهر الشماتة بأخيك فيعافيه الله ويبتليك.

٧٣٢ـ لا تسبّوا الدهر فإنّ الله هو الدهر.

٧٣٣ـ لا تسبّوا السلطان فإنّه خليفة الله في أرضه.

٧٣٤ـ لا تسبّوا الأموات فتؤذوا الأحياء.

٧٣٥ـ لا تسبّوا الأموات فإنّهم قد أفضوا إلى ما قدموا.

٧٣٦ـ لا تمسح يدك في ثوب من لا تكره.

٧٣٧ـ لا يردّ الرجل هدية أخيه فإن وجد فليكافئه.

٧٣٨ـ لا تردّوا السائل ولو بشقّ تمرة.

٧٣٩ـ لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم.

٧٤٠ـ لا تخرقنّ علىٰ أحد ستراً.

٧٤١ـ لا تحقّرنّ من المعروف شيئاً.

٧٤٢ـ ولا تواعد أخاك موعداً فتخلفه.

٧٤٣ـ لا يتمنىٰ أحدكم الموت لضرّ نزل به.

٧٤٤ـ لا يموتنّ أحد إلّا وهو يحسن الظنّ بالله.

٧٤٥ـ لا تحاسدوا[١] ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً.

٧٤٦ـ ولا تكونوا عيّابين ولا مدّاحين ولا طعّانين ولا متوانين[٢].

٧٤٧ـ ولا تعجبوا لعمل عامل حتّىٰ تنظروا بم يختم له.

---

(١) في «ب»: لا تجاسروا ولا تباحثوا.

(٢) في «أ»: متمادين.

٧٤٨ـ لا يعجبنكم إسلام رجل حتىٰ تعلموا كنه عقله.

٧٤٩ـ لا تجعلوني كقدح الراكب.

٧٥٠ـ لا تمنعنّ أحدكم مهابة الناس أن يقوم بالحقّ إذا علمه.

٧٥١ـ لا يخلونّ رجل بإمرأة فإنّ ثالثهما الشيطان.

٧٥٢ـ لا يرضينّ أحد بسخط الله، ولا يحمدنّ أحد على فضل الله.

٧٥٣ـ ولا تذمنّ أحداً على ما لم يؤتك الله فإنّ رزق الله لا يسوقه إليك حرص حريص ولا ترده عنك كراهة كاره.

٧٥٤ـ لا تسأل الإمارة فإنّك إن اُعطيتها من غير مسألة أعنت عليها فإن اُعطيتها عن مسألة وكلت إليها.

٧٥٥ـ لا تقوم الساعة حتّىٰ يكون الولد غيظاً، والمطر قيظاً، ويفيض اللئام فيضاً، ويغيض الكرام غيضاً، ويجترأ الصغير على الكبير، واللئيم على الكريم.

٧٥٦ـ لن يهلك امرؤ بعد مشورة.

٧٥٧ـ لن تهلك الرعية وإن كانت ظالمة مسيئة إذا كانت الولاة هادية مهدية.

## باب

٧٥٨ـ إيّاك وما يُعتذر منه.

٧٥٩ـ إيّاكم والمدح فإنّه الذبح.

٧٦٠ـ إيّاك ومحقّرات الذنوب فإنّ لها من الله طالباً.

٧٦١ـ إيّاك ومشارّة الناس فإنّها تظهر العُرّة وتدفن الغُرّة[1].

٧٦٢ـ إيّاكم وخضراء الدمن.

٧٦٣ـ إيّاكم والدَّين فإنّه همّ بالليل ومذلّة بالنهار[2].

٧٦٤ـ إيّاكم والظنّ فإنّ الظنّ أكذب الحديث.

٧٦٥ـ إيّاكم ودعوة المظلوم وإن كان كافراً.

---

(١) في «ب»: إيّاك ومشاورة النساء فإنهنّ يظهرنّ العُرّة ويدفنّ الغُرّة.

(٢) لم يرد هذا الحديث في «أ».

## باب

٧٦٦ـ إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر لحكماً.

٧٦٧ـ وإنّ من القول عيالاً.

٧٦٨ـ وإنّ [من] طلب العلم جهلاً.

٧٦٩ـ إنّ أُمّتي أُمّة مرحومة .

٧٧٠ـ إنّ حسن العهد من الإيمان.

٧٧١ـ إنّ حسن الظنّ من حسن العبادة.

٧٧٢ـ إنّ العلماء ورثة الأنبياء.

٧٧٣ـ إنّ الدّين يسر.

٧٧٤ـ إنّ دين الله الحنيفة السمحة.

٧٧٥ـ إنّ أعجل الطاعة ثواباً صلة الرحم.

٧٧٦ـ إنّ الحكمة تزيد الشريف شرفاً.

٧٧٧ـ إنّ محرّم الحلال كمحلل الحرام.

٧٧٨ـ إنّ أحساب أهل الدنيا هذا المال.

٧٧٩ـ إنّ لصاحب الحقّ مقالاً.

٧٨٠ـ إنّ مكارم الأخلاق من أعمال أهل الجنّة.

٧٨١ـ إنّ أحسن الحسن الخُلق الحسن.

٧٨٢ـ إنّ مولى القوم من أنفسهم.

٧٨٣ـ إنّ أكثر أهل الجنّة البله.

٧٨٤ـ إنّ أقل[1] ساكني الجنّة النساء.

٧٨٥ـ إنّ المعونة تأتي العبد على قدر المؤنة.

٧٨٦ـ وإنّ الصبر يأتي العبد على قدر المصيبة.

٧٨٧ـ إنّ أبرّ البرّ أن يصل الرجل أهل ودّ أبيه بعد أن يولّى الأب.

٧٨٨ـ إنّ الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

٧٨٩ـ إنّ أشكر الناس لله أشكرهم للناس.

٧٩٠ـ إنّ إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة.

٧٩١ـ إنّ عذاب هذه الأُمّة جعل في دنياهم.

٧٩٢ـ إنّ الرجل ليحرم الرزق للذنب يصيبه.

٧٩٣ـ إنّ من عباد الله من لو أقسم على الله لأبرّه.

٧٩٤ـ إنّ لله عباداً يعرفون الناس بالتوسّم.

٧٩٥ـ إنّ لله عباداً خلقهم لحوائج الناس.

٧٩٦ـ إنّ حقّاً على الله لا يرفع شيئاً من الدنيا إلّا وضعه.

٧٩٧ـ إنّ لجواب الكتاب حقّاً كردّ السلام.

---

(١) في «ب»: أوّل.

٧٩٨ـ إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب.

٧٩٩ـ إنّ أطيب مأكل الرجل من كسبه، (وإنّ ولده من كسبه)[١].

٨٠٠ـ إنّ المسألة لا تحلّ إلّا لفقر متقع أو غرم مقطع[٢].

٨٠١ـ إنّ قليل العمل مع العلم كثير، وكثير العمل مع الجهل قليل.

٨٠٢ـ إنّ العبد ليدرك بحسن الخُلق درجة الصائم القائم.

٨٠٣ـ إنّ لكلّ دين خُلقاً وإن خُلق هذا الدين الحياء.

٨٠٤ـ إنّ لكلّ شيء شرفاً وإنّ أشرف المجالس ما استُقبلت به القبلة.

٨٠٥ـ إنّ لكلّ أُمّة فتنة وإنّ فتنة أُمّتي المال.

٨٠٦ـ إنّ لكلّ ساعٍ غاية وغاية كلّ ساعٍ الموت.

٨٠٧ـ إنّ لكلّ عاملٍ شره ولكلّ شره فترةً.

٨٠٨ـ إنّ لكلّ قول مصداقاً، ولكل حقّ حقيقة.

٨٠٩ـ إنّ لكلّ ملك حمىٰ، ألا وإنّ حمىٰ الله محارمه.

٨١٠ـ إنّ لكلّ صائم دعوة مستجابة[٣].

٨١١ـ إنّ لكلّ شيء باب، وإنّ باب العبادة الصيام[٤].

٨١٢ـ إنّ لكلّ شيء معدناً، ومعدن التقوى قلوب العارفين.

٨١٣ـ إنّ لكلّ شيء قلباً وإنّ قلب القرآن يسٓ.

٨١٤ـ إنّ لكلّ نبيّ دعوة، وإني اختبأت[٥] دعوتي لشفاعة أُمّتي يوم القيامة.

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في «أ».

(٢) لم يرد هذا الحديث في «ب».

(٣)و(٤) لم يرد هذان الحديثان في «ب».

(٥) كذا في النسخ.

٨١٥ـ إنّ المؤمن[1] يؤجر في نفقته كلّها إلّا شيئاً جعله في التراب أو البناء.

٨١٦ـ إنّ الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

٨١٧ـ إنّ أكثر ما يُدخل الناس النارألاجوفان الفم والفرج.

٨١٨ـ إنّ أكثر ما يُدخل الناس الجنّة تقوىٰ الله وحسن الخلق.

٨١٩ـ إنّ الدين بدأ غريباً وسيعود الدين كما بدأ فطوبىٰ للغرباء.

٨٢٠ـ إنّ الفتنة تجيء فتنسف العباد نسفاً ثمّ ينجو العالم منها بعلمه.

٨٢١ـ إنّ العين لتُدخل الرجل القبر وتُدخل الجمل القدر.

٨٢٢ـ إنّ الذي يجر الثوب خيلاءً لا ينظر الله إليه يوم القيامة.

٨٢٣ـ إنّ الله يحبّ الرفق في الأمر كلّه.

٨٢٤ـ إنّ الله جميل يحبّ الجمال.

٨٢٥ـ إنّ الله يحبّ الملحّين في الدعاء.

٨٢٦ـ إنّ الله يحبّ الأبرار الأخفياء الأتقياء.

٨٢٧ـ إنّ الله يحبّ المؤمن المحترف.

٨٢٨ـ إنّ الله يحبّ كلّ قلب حزين.

٨٢٩ـ إنّ الله يحبّ معالي الأُمور وأشرافها ويكره سفسافها.

٨٣٠ـ إنّ الله يحبّ أن تؤتىٰ رخصته كما يحبّ أن تترك معصيته.

٨٣١ـ إنّ الله يحبّ البصر النافذ عند مجيء الشهوات، والعقل الكامل عند نزول الشبهات، ويحبّ السماحة ولو على تمرات، ويحبّ

---

(١) في «ب»: الرجل.

الشجاعة ولو على قتل حيّة.

٨٣٢ـ إنّ ربّك يحبّ المحامد.

٨٣٣ـ إنّ الله يحبّ السهل الطلق.

٨٣٤ـ إنّ الله يقبل توبة عبده مالم يغرر.

٨٣٥ـ إنّ الله يبغض العِفْرِيَّة النِفْرِيَّة الذي لم يرزأ في جسمه وماله.

٨٣٦ـ إنّ الله كره لكم العبث في الصلاة، والرفث في الصيام، والضحك عند المقابر.

٨٣٧ـ إنّ الله ينهاكم عن قيل وقال وإضاعة المال وكثرة السؤال.

٨٣٨ـ إنّ الله يغار للمسلم فليغر.

٨٣٩ـ إنّ الله لا يرحم من عباده إلّا الرحماء.

٨٤٠ـ إنّ الله ليدرأ بالصدقة سبعين ميتة من السوء.

٨٤١ـ إنّ الله لينفع العبد بالذنب يذنبة[1].

٨٤٢ـ إنّ الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر.

٨٤٣ـ إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها.

٨٤٤ـ إنّ الله إذا أنعم على عبد نعمة أحبّ أن تُرىٰ عليه.

٨٤٥ـ إنّ الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه عن الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء.

٨٤٦ـ إنّ الله يعطي الدنيا (على نية الآخرة، وأبىٰ أن يعطي الآخرة على

---

(١) في «ب»: بدينه.

نية الدنيا)[١].

٨٤٧ـ إنّ الله يستحيي من العبد أن يرفع إليه يديه فيردّهما خائبتين.

٨٤٨ـ إنّ الله جعل لي الأرض مسجداً و طهوراً.

٨٤٩ـ إنّ الله زوىٰ لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإنّ ملك اُمّتي سيبلغ ما زوي لي منها.

٨٥٠ـ إنّ الله تجاوز لاُمّتي عمّا حدّثت به أنفسها ما لم تكلّم به أو تعمل به[٢].

٨٥١ـ إنّ الله بقسطه و عدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط.

٨٥٢ـ إنّ الله كتب الغيرة على النساء والجهاد على الرجال فمن صبر منهم احتساباً كان له مثل أجر الشهيد.

٨٥٣ـ إنّ الله عند لسان كلّ قائل.

٨٥٤ـ إنّ الله لا يقبل[٣] عمل عبد حتىٰ يرضىٰ قوله.

٨٥٥ـ إنّ الله إذا أراد بقوم خيراً ابتلاهم.

٨٥٦ـ إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه[٤].

٨٥٧ـ إنّ شرّ الناس عند الله يوم القيامة من فرقه الناس اتّقاء فحشه[٥].

٨٥٨ـ إنّ من شرّ الناس عند الله يوم القيامة عبداً أذهب آخرته بدنيا

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ب».
(٢) أو تعمل به، لم ترد في «أ».
(٣) في «ب»: لا يرضىٰ.
(٤)و(٥) لم يرد هذان الحديثان في «ب».

غيره[١].

٨٥٩ـ إنّ أشقىٰ الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة[٢].

٨٦٠ـ إني أخاف على اُمتي بعدي أعمالاً ثلاثة: زلّة عالم، وحكم جائر، وهوًى متبعاً[٣].

٨٦١ـ إنّي ممسك بحجزكم عن النار وتتقاحمون فيها تقاحم الفراش والجنادب.

(١) ـ (٣) لم ترد هذه الأحاديث في «ب».

## باب

٨٦٢ـ إنّا لا نستعمل على عملنا من أراده.
٨٦٣ـ إنّك لا تدع شيئاً اتّقاء الله إلّا أعطاك الله خيراً منه.
٨٦٤ـ إنّ من موجبات المغفرة (بذل السلام وحسن الكلام)[١].
٨٦٥ـ إنّ الدنيا حلوة خضرة، وإنّ الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون.
٨٦٦ـ إنّ لقلب ابن آدم بكلّ وادٍ شعبة فمن اتّبع[٢] قلبه الشعب كلّها لم يبال الله عزّوجلّ في أي وادٍ أهلكه.
٨٦٧ـ إنّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، ولا تبغّض إلىٰ نفسك عبادة الله، فإنّ المنبتّ لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقىٰ.
٨٦٨ـ إنّ من السنّة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار.
٨٦٩ـ إنّ روح القدس نفث في روعي أنّ نفساً لا تموت حتّىٰ تستكمل رزقها فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب.
٨٧٠ـ إنّ ممّا أدرك الناس من كلام النبوة الأُولىٰ (إذا لم تستحيي فاصنع

(١) في «ب» بدل ما بين القوسين: إدخال السرور علىٰ أخيك المؤمن.
(٢) في «أ»: اتّسع.

**ما شئت)[١].**

**٨٧١ـ إنّ في الصلاة لشغلاً.**

**٨٧٢ـ إنّ المصلّي ليقرع باب الملك وإنّه من يُدم قرع الباب يوشك أن يفتح له.**

**٨٧٣ـ إنّ ربّي أمرني أن يكون نطقي ذكراً، وصمتي فكراً، ونظري عبراً[٢].**

**٨٧٤ـ إنّما أنا رحمة مهداة[٣].**

**٨٧٥ـ إنّما شفاء العيّ السؤال[٤].**

**٨٧٦ـ إنّما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل[٥].**

**٨٧٧ـ إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق[٦].**

**٨٧٨ـ إنّما أخاف على أُمّتي الأئمّة المضلّين.**

**٨٧٩ـ إنّما الأعمال بالخواتيم[٧].**

**٨٨٠ـ إنّما التصفيح للنساء[٨].**

**٨٨١ـ إنّما بقي من الدنيا بلاء وفتنة.**

**٨٨٢ـ إنّما الرضاعة من المجاعة[٩].**

**٨٨٣ـ إنّ هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، قيل: فما جلاؤها؟ قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن.**

**٨٨٤ـ ألا إنّ عمل أهل الجنّة حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ، ألا إنّ عمل أهل النار سهل بشهوة.**

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في «ب».

(٢) لم يرد هذا الحديث في «ب».

(٣) ـ (٦) لم ترد هذه الأحاديث في «ب».

(٧) أثبتنا هذا الحديث من «ب».

(٨ ـ ٩) لم يرد هذا الحديث في «ب».

## باب

٨٨٥ـ ليس الخبركالمعانية.

٨٨٦ـ ليس لفاسق غيبة.

٨٨٧ـ ليس لعرق ظالم حقّ.

٨٨٨ـ ليس من خلق المؤمن الملق.

٨٨٩ـ ليس بعد الموت مستعتب.

٨٩٠ـ ليس منّا من وسّع الله عليه ثمّ قتّر على عياله.

٨٩١ـ ليس منّا من تشبّه بغيرنا.

٨٩٢ـ ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن.

٨٩٣ـ ليس منّا من لم يوقّر الكبير، ويرحم الصغير، ويأمر بالمعروف، وينهَ عن المنكر.

٨٩٤ـ ليس بكذّاب من أصلح بين اثنين فقال خيراً أو نمى خيراً.

٨٩٥ـ ليس الغنىٰ عن كثرة العرض، إنّما الغنىٰ غنىٰ عن النفس[١].

---

(١) هذا الحديث وما بعده إلى آخر الباب لم ترد في «ب».

٨٩٦ـ ليس الشديد بالصرعة، إنّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب.

٨٩٧ـ ليس شيء أكرم على الله من الدعاء.

٨٩٨ـ ليس شيء أسرع عقوبة من بغي.

٨٩٩ـ ليس شيء خيراً من ألف مثله إلّا المؤمن.

٩٠٠ـ ليس لك من مالك إلّا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت.

## باب

٩٠١ـ خير الذكر الخفي.

٩٠٢ـ وخير الرزق ما يكفي.

٩٠٣ـ خير العبادة أخفاها.

٩٠٤ـ خير المجالس أوسعها.

٩٠٥ـ خير النكاح[١] أيسره.

٩٠٦ـ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنىٰ.

٩٠٧ـ خير العمل ما نفع.

٩٠٨ـ وخير الهدىٰ ما اتبع.

٩٠٩ـ خير ما أُلقي في القلب اليقين.

٩١٠ـ خير الناس أنفعهم للناس.

٩١١ـ خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه.

٩١٢ـ خير الرفقاء أربعة.

---

(١) في «ب» بدل النكاح: دينكم.

٩١٣ـ وخير الطلائع أربعمائة.

٩١٤ـ وخير الجيوش أربعة آلاف.

٩١٥ـ خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه.

٩١٦ـ خيركم خيركم لأهله.

٩١٧ـ وخيركم من يُرجىٰ خيره ويؤمن شرّه.

٩١٨ـ خير بيوتكم بيت فيه يتيم مكرم.

٩١٩ـ خير المال سكّة مأبورة وفرس مأمورة.

٩٢٠ـ خير مساجد النساء قعر بيوتهن[١].

٩٢١ـ إنّ خير ثيابكم البياض، و إن خير أكحالكم الإثمد[٢].

٩٢٢ـ خير شبابكم من يتشبّه بكهولكم.

٩٢٣ـ وشرّ كهولكم من تشبّه بشبابكم.

٩٢٤ـ خير صفوف الرجال أوّلها (وشرّها آخرها)[٣].

٩٢٥ـ وخير صفوف النساء آخرها و شرّها أولها.

٩٢٦ـ اليد العليا خير من اليد السفلىٰ.

٩٢٧ـ ما قلّ وكفىٰ خير ممّا كثر و ألهىٰ.

٩٢٨ـ خيار المؤمنين القانع وشرارهم الطامع.

٩٢٩ـ الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة.

٩٣٠ـ الوحدة خير من جليس السوء، والجليس الصالح خير من الوحدة.

---

(١)و(٢) لم يرد هذان الحديثان في «ب».

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «ب».

٩٣١ـ وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشرّ.

٩٣٢ـ استتمام المعروف خير من ابتدائه.

٩٣٣ـ عمل قليل في سنته خير من عمل كثير في بدعته.

٩٣٤ـ خياركم كلّ مفتن توّاب.

٩٣٥ـ خياركم أحسنكم قضاء.

٩٣٦ـ خيار أُمّتي علماؤها، وخيار علمائها حلماؤها.

٩٣٧ـ خيار أُمّتي أحدّاؤها الذين إذا غضبوا رجعوا.

٩٣٨ـ أفضل الصدقة صدقة اللسان[1].

٩٣٩ـ إنّ أفضل الصدقة إصلاح ذات البين.

٩٤٠ـ أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح.

٩٤١ـ أفضل العبادة انتظار الفرج[2].

٩٤٢ـ أفضل عبادة أُمّتي قراءة القرآن[3].

٩٤٣ـ أفضل الحسنات تكرمة الجلساء[4].

٩٤٤ـ أفضل الجهاد كلمة حقّ عند أمير جائر.

٩٤٥ـ أفضل الفضائل أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمّن ظلمك.

٩٤٦ـ أفضل العبادة الفقه.

٩٤٧ـ وأفضل الدين الورع.

٩٤٨ـ فضل العلم أفضل من فضل العبادة.

---

(١) ـ (٤) لم ترد هذه الأحاديث في «ب».

٩٤٩ـ ما من عمل أفضل من إشباع كبد جائع.

٩٥٠ـ ما تقرّب العبد إلى الله بشي أفضل من سجود خفي.

٩٥١ـ ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن.

٩٥٢ـ أحبّ العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء.

٩٥٣ـ أحبّ الله عبداً سمحاً بائعاً ومشترياً وقاضياً ومقتضياً.

٩٥٤ـ أحبّ البقاع إلى الله المساجد[١].

٩٥٥ـ أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ[٢].

٩٥٦ـ إنّ أحبّ الناس إلى الله يوم القيامة وأدناهم مجلساً إمام عادل[٣].

٩٥٧ـ الخلق كلهّم عيال الله فأحبّهم إليه أنفعهم لعياله[٤].

٩٥٨ـ ما صلّت امرأة صلاة أحبّ إلى الله من صلاتها في أشدّ بيتها ظلمة.

٩٥٩ـ ما من جرعة أحبّ إلى الله من جرعة غيظ كظمها رجل أو جرعة صبر على مصيبة.

٩٦٠ـ وما من قطرة أحبّ إلى الله من قطرة دمع أُهرقت من خشية الله، أو قطرة دم أُهرقت في سبيل الله.

٩٦١ـ نعم الشفيع القرآن لصاحبه يوم القيامة.

٩٦٢ـ نعم الهدية الكلمة من كلام الحكمة.

٩٦٣ـ نعم المال النخل الراسخات في الوحل المطعمات في المحلّ.

٩٦٤ـ نعم المال الصالح للرجل الصالح[٥].

---

(١)و(٢) لم يرد هذان الحديثان في «ب».

(٣) ـ (٥) لم ترد هذه الأحاديث في «ب».

٩٦٥ـ نعم العون على تقوى الله المال[1].

٩٦٦ـ نعم الشيء الفال[2].

٩٦٧ـ نعم الإدام الخلّ[3].

٩٦٨ـ نعم صومعة المسلم بيته.

٩٦٩ـ أصدق الحديث كتاب الله.

٩٧٠ـ وأوثق العُرىٰ كلمة التقوىٰ.

٩٧١ـ وأحسن الهدىٰ هدىٰ الأنبياء.

٩٧٢ـ وأشرف الموت قتل الشهداء.

٩٧٣ـ أطيب الطيب المسك.

٩٧٤ـ سيّد إدامكم الملح.

٩٧٥ـ أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب.

٩٧٦ـ لقلب بن آدم أسرع تقلّباً من القدر إذا استجمعت غلياً.

٩٧٧ـ حبّذا المتخلّلون من أُمّتي.

---

(١) ـ (٣) لم ترد هذه الأحاديث في «ب».

## باب

٩٧٨ـ بئس مطية الرجل زعموا.

٩٧٩ـ  شرّ الأُمورمحدثاتها.

٩٨٠ـ وشرّ العمىٰ عمىٰ القلب.

٩٨١ـ وشرّ المعذرة حين يحضر الموت.

٩٨٢ـ وشرّ الندامة يوم القيامة.

٩٨٣ـ وشرّ المأكل أكل مال اليتيم.

٩٨٤ـ وشرّ المكاسب كسب الربا.

٩٨٥ـ شرّ ما في الرجل شحّ هالع، أو جبن خالع[1].

٩٨٦ـ أعمىٰ العمىٰ الضلالة بعد الهدىٰ.

٩٨٧ـ ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب.

٩٨٨ـ ما ملأ آدمي وعاءً شرّاً من بطن.

---

(١) في «ب»: شحّ هامع، أو جبن هالع.

## باب

٩٨٩ـ مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح؛ من ركب فيها نجىٰ ومن تخلّف عنها غرق.

٩٩٠ـ مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدىٰ بشيء منها اهتدىٰ[١].

٩٩١ـ إنّ مثل أصحابي في أُمّتي كالملح في الطعام، لا يصلح الطعام إلّا بالملح.

٩٩٢ـ مثل أُمّتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره.

٩٩٣ـ مثل المؤمن كمثل النحلة لا تأكل إلّا طيّباً ولا تضع إلّا طيّباً.

٩٩٤ـ مثل المؤمن والإيمان كمثل الفرس يجول في آخيته ثمّ يرجع إلى آخيته[٢].

٩٩٥ـ مثل المؤمن القوي مثل النخلة[٣]، ومثل المؤمن الضعيف كخامّة الزرع.

---

(١)و(٢) لم يرد الحديثان في «ب».

(٣) ما أثبتناه من كتب الحديث وهو المناسب للسياق وفي النسخ: النحلة.

٩٩٦ـ مثل المؤمن مثل السنبلة تحركها الريح فتقوم مرّة وتقع أُخرىٰ.

٩٩٧ـ ومثل الكافر كمثل الأُرزة لاتزال قائمة حتّىٰ تنقعر.

٩٩٨ـ مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكىٰ بعضه تداعىٰ سائره بالسهر والحمّىٰ.

٩٩٩ـ مثل القلب مثل ريشة بأرض فلاة تقلّبها الرياح.

١٠٠٠ـ مثل القرآن مثل الإبل المعقّلة إن عقلها صاحبها أمسكها وإن تركها ذهبت.

١٠٠١ـ مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين.

١٠٠٢ـ مثل المرأة كالضلع إن أردت أن تقيمه كسرته، وإن استمتعت به استمتعت به وفيه أود.

١٠٠٣ـ مثل الجليس الصالح مثل الداري إن لم يجدك من عطره علقك من ريحه[١].

١٠٠٤ـ ومثل الجليس السوء مثل صاحب الكبر إن لم يحرقك من شرار ناره علقك من نتنه[٢].

١٠٠٥ـ إنّ مثل الصلاة المكتوبة كالميزان من أوفىٰ استوفىٰ[٣].

١٠٠٦ـ ما مثلي ومثل الدنيا إلّا كراكب قالَ في ظلّ شجرة في يوم حارّ ثمّ راح وتركها.

١٠٠٧ـ ما الدنيا في الآخرة إلّا كما يجعل أحدكم أصبعه السبابة في اليمّ فلينظر بم يرجع.

---

(١) ـ (٣) لم ترد هذه الأحاديث في «ب».

## باب

١٠٠٨ـ إذا أراد الله بعبد خيراً عسله.

١٠٠٩ـ إذا أراد الله قبض عبد بأرض جعل له فيها حاجة.

١٠١٠ـ إذا أحبّ الله عبداً حماه الدنيا كما يظلّ أحدكم يحمي سقيمه الماء.

١٠١١ـ إذا استشاط السلطان تسلّط الشيطان.

١٠١٢ـ إذا نصح العبد لسيّده وأحسن عبادة ربّه كان له الأجر مرّتين.

١٠١٣ـ إذا تقارب الزمان انتقىٰ الموت خيار اُمتي كما ينتقي أحدكم خيار الرطب من الطبق.

١٠١٤ـ إذا اشتكىٰ المؤمن أخلصه ذلك من الذنوب كما يخلص الكير الخبث من الحديد.

١٠١٥ـ إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتّىٰ ينفذ فيهم قضاؤه وقدره.

## باب

١٠١٦ـ كفىٰ بالسلامة داء.

١٠١٧ـ كفىٰ بالموت واعظاً.

١٠١٨ـ كفىٰ باليقين غنىً.

١٠١٩ـ كفىٰ بالعبادة شغلاً.

١٠٢٠ـ كفىٰ بالمرء إثماً أن يضيّع ما يقوت.

١٠٢١ـ كفىٰ بالمرء إثماً أن يحدّث بكلّ ما يسمع.

١٠٢٢ـ كفىٰ بالمرء سعادة أن يوثق به في أمر دينه ودنياه.

## باب

١٠٢٣ـ ربّ مبلّغ أوعىٰ من سامع[١].

١٠٢٤ـ ربّ حامل فقه إلى من أفقه منه[٢].

١٠٢٥ـ ربّ نفس جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة[٣].

١٠٢٦ـ ألا ربّ نفس طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة.

١٠٢٧ـ ألا ربّ مكرم لنفسه وهو لها مهين.

١٠٢٨ـ ألا ربّ مهين لنفسه وهو لها مكرم.

١٠٢٩ـ ألا ربّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

١٠٣٠ـ ربّ قائم ليس له من قيامه إلّا السهر.

١٠٣١ـ وربّ صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش.

١٠٣٢ـ وربّ طاعم شاكر أعظم أجراً من صائم صابر.

---

(١) ـ (٣) أثبتنا هذه الأحاديث من «ب».

## باب

١٠٣٣ـ لولا أنّ السؤّال يكذبون ما قدّس من ردّهم.

١٠٣٤ـ لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً.

١٠٣٥ـ لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها سميناً.

١٠٣٦ـ لو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

١٠٣٧ـ لو كان المؤمن في جحر فأرة لقيّض الله له فيه من يؤذيه.

١٠٣٨ـ لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقىٰ كافراً منها شربة من ماء.

١٠٣٩ـ لو أنّ لابن آدم واديين من ذهب لابتغىٰ إليهما وادياً.

١٠٤٠ـ ولا يملأ جوف ابن آدم إلّا التراب.

١٠٤١ـ ويتوب الله علىٰ من تاب.

١٠٤٢ـ لو أنكم تتوكّلون على الله حقّ توكّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً.

١٠٤٣ـ لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أشدّ من ذلك العجب العجب.

١٠٤٤ـ لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيغفر لهم ويدخلهم الجنّة.

## باب

**يتضمّن كلمات مروية عن النبي ﷺ عن ربّه عزّ وجلّ، يقول الله تعالى:**

**١٠٤٥ـ أنا عند ظنّ عبدي بيّ.**

**١٠٤٦ـ وأنا مع عبدي إذا ذكرني.**

**١٠٤٧ـ وجبت محبتي للمتحابّين فيّ، والمتجالسين فيّ، والمتزاورين فيّ، والمتباذلين فيّ[١].**

**١٠٤٨ـ لا إله إلّا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي.**

**١٠٤٩ـ اشتدّ غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصراً غيري.**

**١٠٥٠ـ يادنيا اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك.**

**١٠٥١ـ يادنيا مرّي علىٰ أوليائي لا تحلولي لهم فتفتنيهم.**

**١٠٥٢ـ من أهان لي وليّاً فقد بارزني بالمحاربة.**

**١٠٥٣ـ وما تردّدت في شيء أنا فاعله.**

---

(١) والمتباذلين فيّ، لم ترد في «ب».

١٠٥٤ـ ما تردّدت في قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته ولا بدّ له منه.

١٠٥٥ـ ما تقرّب إليّ عبدي بمثل الزهد في الدنيا، ولا تعبّد لي بمثل أداء ما افترضته عليه.

١٠٥٦ـ هذا دين ارتضيه لنفسي ولن يصلحه إلّا السخاء وحسن الخلق، فأكرموه بهما ما صحبتموه.

١٠٥٧ـ يا موسى إنّه لم يتصنّع المتصنّعون إليّ بمثل الزهد في الدنيا.

١٠٥٨ـ ولم يتقرّب المتقرّبون إليّ بمثل الورع عمّا حرمت عليهم.

١٠٥٩ـ ولم يتعبّدني المتعبّدون بمثل البكاء من خيفتي.

١٠٦٠ـ إذا وجّهتُ إلىٰ عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثمّ استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً.

١٠٦١ـ الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار.

## باب

الدعاء الذي نختم به كتاب الشهاب:

١٠٦٢ـ اللّهمّ إنّي أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، أعوذ بك اللّهمّ من شرّ هؤلاء الأربع.

١٠٦٣ـ اللّهمّ إنّي أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضِلَّ أو أَذِلَّ أو أُذَلَّ[1] أو أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عليّ.

١٠٦٤ـ اللّهمّ إنّي أسألك تعجيل عافيتك، وصبراً على بليّتك، وخروجاً من الدنيا إلىٰ رحمتك.

١٠٦٥ـ اللّهمّ خِر لي واختر لي.

١٠٦٦ـ اللّهمّ حسّنت خَلقي فحسن خُلقي.

١٠٦٧ـ اللّهمّ إنّك عفو تحبّ العفو فاعف عنّي.

١٠٦٨ـ اللّهمّ إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، بك

---

(١) في «أ» زيادة: أُذِل.

**أُحاول، وبك أُقاتل[١]، وبك أُصاول[٢].**

**١٠٦٩ـ اللّهمّ قني واقية كواقية الوليد.**

**١٠٧٠ـ اللّهمّ اغفر لي ما أخطأتُ وما تعمّدتُ وما أسررتُ وما أعلنتُ وما جهلت وما علمتُ.**

**١٠٧١ـ اللّهمّ آتِ نفسي تقواها وزكّها أنت خير من زكاها وأنت وليّها ومولاها.**

**١٠٧٢ـ اللّهمّ إنّك أذقت أوّل قريش نكالاً فأذق آخرهم نوالاً.**

**١٠٧٣ـ اللّهمّ بارك لأُمّتي في بكورها[٣].**

**١٠٧٤ـ اللّهمّ إليك انتهت الأماني ياصاحب العافية.**

**١٠٧٥ـ ربّ تقبّل توبتي واغسل حوبتي وأجب يا ربّي دعوتي.**

**١٠٧٦ـ اللّهمّ إنّي أسألك عيشة سويّة، وميتة نقيّة، ومردّاً غير مخزٍ ولا فاضح، بمحمّد وآله[٤].**

---

(١) في «أ»: أُقائل، وما أثبتناه من المصادر. وفي «أ» زيادة: وبك أُزاول.

(٢) في «ب»: أصول.

(٣) في «أ» زيادة: إليك.

(٤) في «ب»: (برحمتك يا أرحم الراحمين) بدل (بمحمد وآله).

**بسم الله الرحمن الرحيم**

قال الشيخ الإمام قطب الدين كافي الإسلام وجمال العلماء أبو الحسين سعيد ابن هبة الله ابن الحسن الراوندي أدام الله ظلّه على كافّة المسلمين.

***أمّا بعدُ:*** حمداً لله الذي جعلنا من أهل البراعة، وخصّنا من عموم فضله بأنواع ثمرات البلاغة، حتّىٰ تنشّبت فينا عروقها وأفنانها، وتهدّلت علينا أوراقها وأغصانها. والصلاة على نبيّه محمّد قطب الشرع وعماد اليقين، وعلى آله كهوف العلم وأساس الدين.

فإنّي لمّا وجدت شروحاً كثيرة حرّرها العلماء لكتاب «***الشهاب***» مشحونة بالفوائد والعوائد على السداد والصواب، ولم يمكنّي أن أحصّلها في وقتي مهيّأةً، ولم أطق أن أحيط بأقطار جميعها مهنّأةً، جمعت بعون الله زلالها، وسلبتها بيد الاختيار جرياً لها، وشذّبتُ الألفاظ، وهذّبتُ المعاني في ذلك

---

**[ بسم الله الرحمٰن الرحيم ]**

...[1] لنا فيما يقرّ بنا من طاعته ويزلفنا إلى مرضاته بفضله ورحمته، إنّه على ما يشاء قدير، وهو عليه سهل يسير.

وبدأت بشرح الخطبة على ما شرطت ثمّ أتبعه إن شاء الله بشرح الأحاديث والأخبار مستمدّاً من الله المَعونة والتوّفيق، فما المعونة إلّا به، وما التوفيق إلّا من عنده.

قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي:

***الحمد لله القادر الفرد الحكيم الفاطر الصمد الكريم، باعث نبيّه محمد*** صلى الله عليه وآله

---

(١) سقط من هذه النسخة جزء من أوّل الخطبة كما هو ظاهر.

كما ترى، وإنّ كلّ الصيد ـ كما قيل ـ في جوف الفرا[1]، ومن الله العصمة والتوفيق.

***وأقول*** ـ بعد ذلك وهو التحقيق ـ: حدّثنا السيّد الإمام أبو محمّد شميلة بن محمد بن أبي هاشم الحسيني أمير مكّة، قال: قال القاضي أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي، الفقيه الشافعي، المدفون بمصر.

***الحمد لله القادر الفرد الحكيم الفاطر الصمد الكريم، باعث نبيه محمد بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، وجاعله للنّاس بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً صلّى الله عليه وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.***

***أمّا معناه:*** فإنّه جميع المحامد، وكلّ ما هو من جنسها كائن ثابت لله الذي كان تحقّ له العبادة في الأزل، وهو تعالى الآن يستحقّها إلى ما لا يزال، قد صحّ منها كلّ فعل لا يستحيل، هو المتوحّد بصفة لا يشاركه فيها غيره، العالم بدقائق الأُمور،

**الضوء في شرح الشهاب**

***بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، وجاعله للناس بشيراً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً صلّى الله عليه وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.***

***أمّا بعد: فإنّ في الألفاظ النبويّة والآداب الشرعيّة جلاءً لقلوب العارفين، وشفاءً لأدواء الخائفين؛ لصدورها عن المؤيّد بالعصمة والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعو إلى الهدى، ويبصّر من العمى، ولا ينطق عن الهوى***

---

(١) مثل يضرب لمن يُفضّل على أقرانه. الفرأ: الحمار الوحشي، والجمع فراء، مثل جبل وجبال. وقال الفيروزآبادي: بغير همز؛ لأنّه مثل والأمثال موضوعة على الوقف. ومعنى المثل: كلّ صيد دون الحمار الوحشي، أي أقلّ منه.
أُنظر: الصحاح ١: ٦٢، مادة (فرأ)، القاموس المحيط ١: ٢٣ (فرأ).

المُحِكم لأفعاله، الخالق المبدىء فطر العدم فأخرج منه الموجودات، السيد المصمود الذي يقصد إليه بالحوائج، يُكرم من عبادة من يستحقّ الإكرام، الذي أرسل محمداً الرفيعة منزلته، ومعه القرآن الذي يجمع جميع ما كان في الكتب المنزلة من الكلمات، التي تمنع عن كثير من القبائح صاحبها، وجعله مبشّراً للمؤمنين بالثواب، ومعلّماً بالتخويف جميع الكافرين من العقاب، فاعل الدعوة إلى طاعة الله سراجاً ذا نور، يهتدي الناس به في ظلمة الكفر، فأدام الله وصول الصلاة والرحمة إليه، وإلى أرفع أهله، وأخصّ أهل بيته المعصومين الذين باعدوا من أرجاس الذنوب بعصمة الله، وقُرّبوا من طيب الطاعات وطاهرها من الشوائب بتوفيق الله.

***وأمّا مشكلاته:*** فالحمد عام في الفضائل والفواضل، والشكر أخصّ منه؛ لأنّه الاعتراف بنعمة المنعم مع ضرب من التعظيم.

---

***صلّى الله عليه وعلى آله أفضل ما صلّى على أحد من عباده الذين اصطفى.***

***وقد جمعت في كتابي هذا ممّا سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلّف مبانيها، وبعدت عن التعسّف معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدى النبوّة عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوّبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ؛ ليقرب تناولها، ويسهل حفظها، ثمّ زدت مائتي كلمة فصارت ألف كلمة ومائتي كلمة، وختمت الكتاب بأدعية مرويّة عنه عليه السلام، وأفردت لأسانيد جميعها كتاباً يرجع في معرفتها إليه، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه ومقرّباً من رحمته بحوله وقوّته.***

والحمد: رضا فعل الفاعل، يقال: حمدته على شجاعته وسخاوته، ويستعمل في مواضع الشكر، فيقال: حمدتهُ على نعمته، واللام في «الحمد» لاستغراق الجنس.

والله أصله إلاه، مصدر بمعنىٰ المفعول كالكتاب والحساب بمعنى المكتوب والمحسوب، فحذف فاء الفعل وأُدخل عليه لام التخصيص التي تسمّىٰ في غيره لام التعريف.

والفرد والفريد والمنفرد: المتفرّد بالإلهيّة والقِدَم.

والحكيم فَعِيْل بمعنىٰ مُفْعِل.

وفاطر السماوات: الذي شقّها من العدم وأخرجها منه، وهذا مجاز حسن.

والصمد فَعَل[1] بمعنىٰ مَفْعُول، يقال: صمده أي قصده، ويكون المصمّد غير المجوّف.

## الضوء في شرح الشهاب

***الحمد لله:*** الحمد: رضا فعل الفاعل. والشكر: الاعتراف بنعمة المنعم مع ضرب من التعظيم، يقال: حمدته على شجاعته وسخاوته، ولا يقال: شكرته عليهما، ويستعمل الحمد في موضع الشكر، فيقال: حمدته على نعمته.

فعلى هذا الحمد أعمّ من الشكر [وهو] أخصّ منه على ما ترى.

يقال: حمدته أحمده حمداً، وحمّدته تحميداً؛ لتكثير الفعل، فهو محمود ومحمّد وأحمدته: وجدته محموداً. واستحمدته: طلبت منه الحمد، أو كان عندي وفي ظنّي محموداً، واللام لاستغراق الجنس.

الله: اسم من يقدر على أصول نِعَم متى فعلها بالمكلّف استحقّ منه العبادة والشكر، واللّام فيه معناه التخصيص والاستحقاق، والمعنى أنّ جميع المحامد وما

(١) في النسخة: فعيل، وما أثبتناه هو الصحيح.

والكريم فعيل بمعنى مُفْعِل، وقيل: هو اسم جامع لجميع الفضائل، ويكون الكريم فعيلاً بمعنى فاعل كالظريف، والعظيم.

والبعث: الإرسال والإحياء والإيقاظ.

ومحمد اسم علم لرسول الله، ومعناه البليغ في كونه محموداً.

والجوامع فواعل، والبدائع فعائل، واحدتها جامعة وبديعة، مثل كافرة وكوافر وفضيلة وفضائل.

والابتداع: الابتداء، وهو من الإبدال[١].

والكلم عند سيبويه اسم واحد وضع للجمع كالنفر والرهط[٢]، وعند الخليل جمع كلمة[٣].

والبشارة: كلّ خبر يظهر أثر مسرّته على بَشَرة الوجه، والبشير فعيل بمعنىٰ

---

كان من جنسها يكون لله خاصاً خالصاً، وهو مستحقّ لها. وأصله «إلاه» فِعال بمعنى مَفْعُول، يعني المعبود كالكتاب والحساب بمعنى المكتوب والمحسوب، فأُدخل عليه لام التخصيص فصار «الإلاه» فاستثقل اجتماع الهمزتين فحذف التي هي [فاء الفعل] فاستثقل اللّامان فأُدغم إحداهما في [الأُخرى] فصار الله، فهذا أحد قولي سيبويه.

والقول الآخر أنّ أصل الكلمة «لاَه» من قول الشاعر:

...................... *يسمعها لاَهه الكبار*[٤]

---

(١) أي إبدال الهمزة بالعين.

(٢) أُنظر: الصحاح ٥: ٢٠٢٣، مادة (كلم)، لسان العرب ١٢: ٥٢٣، مادة (كلم).

(٣) العين ٥: ٣٧٨، مادة (كلم).

(٤) ديوان الأعشى: ٧٢، وتمام البيت:

كحلفة من أبي رباح ... يسمعها لاَهه الكبار

مُفَعِّل، والنذير فعيل بمعنىٰ مُفْعِل.

وإذهاب الرجس عبارة عن ألطاف فعلها الله لهم فامتنعوا عندها عن سائر المعاصي اختياراً لا إجباراً، وإنّما حظّ اللطف التقريب دون الإلجاء، لا أنّ هناك رجساً فأذهبه الله عنهم، وهذا كما يقال للقيامة: معاد ومرجع.

وكذلك معنىٰ التطهير والصلاة من الله بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنىٰ الاستغفار، ومنا بمعنىٰ الدعاء، وإذا قيل: صلّى الله عليه، فالأولىٰ أن يقال: وعلى آله؛ لأنّ الضمير المجرور مع الجار بمنزلة شيء واحد، فلو لم يعد الجار لكان بمنزلة العطف على بعض الكلمة.

وإذا قيل: صلّى الله علىٰ محمد فالأولىٰ أن يقال: وآل محمد، ولا يعاد الجار ليكون الكلام جملة واحدة.

وإذا قلت: صلّى الله علىٰ محمّد وعلى آل محمّد صار الكلام جملتين، وتقدّر

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

فأُدخل عليه لام التخصيص التي تسمّى لام التعريف في غير هذا الموضع فصار الله[١].

وقد جاء مستعملاً على الأصل في الشعر كثيراً، منها، قوله:

معاذ الإله أن تكون كظبية ... ولا دمية ولا عقيلة ربرب[٢]

واشتقاقه من الإلهة وهي العبادة، ومنه قراءة ابن عبّاس ﴿**وَيَذَرَكَ وَءالِهَتَكَ**﴾[٣] أي عبادتك[٤].

وقيل: اشتقاقه من الأله، وهو الفزع؛ لأنّ الخلق يفزعون إليه في

---

(١) مجمع البيان ١ : ٥٠، الصحاح ٦ : ٢٢٤٨، مادة (ليه).

(٢) خزانة الأدب ٢ : ٢٤٣، والبيت للشاعر البعيث بن حريث.

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٢٧.

(٤) تفسير الثعلبي ١ : ٩٦، التبيان ٤ : ٥١٢.

محذوفاً، أي وصلّىٰ الله على آل محمّد، وعند بعضهم هذا أبلغ في علم البيان[١].

والآل أجلّ من الأهل في العرف[٢]، والهمزة بدل من الهاء لكونهما من الحلق.[٣]

***أمّا بعد: فإنّ في الألفاظ النبوية والآداب الشرعية جلاءً لقلوب العارفين، وشفاءً لأدواء الخائفين لصدورها عن المؤيّد بالعصمة والمخصوص بالبيان والحكمة، الذي يدعو إلى الهدىٰ، ويبصّر من العمىٰ، ولا ينطق عن الهوىٰ، صلّى الله عليه وعلىٰ آله أفضل ما صلّىٰ على أحد من عباده الذين اصطفىٰ.***

---

الحوائج[٤].

وقيل: اشتقاقه من الوله وهو التحيّر؛ لأنّ العقول توله في ذاته وصفاته[٥].

وقيل وجوه أُخر تركنا ذكرها خشية التطويل.

***القادر الفرد الحكيم:***

القادر: هو من صحّ منه الفعل، وقال بعضهم على بعض الوجوه: والصحيح أنّه لا يحتاج إلى هذا التقييد؛ لما ذكر في كتب الأُصول، وشرح ذلك يطول لا يليق بهذا الكتاب.

يقال: على الشيء أقدر قُدْرَة ومقدرة، وقدّرت الشيء ـ من التقدير ـ أقْدُرُه

---

(١) شرح الكافية ٢ : ٣٣٤ ـ ٣٣٨.

(٢) الفروق اللغوية: ٨٤، مجمع البحرين ١ : ١٣٣، وقال أبو هلال العسكري في الفروق اللغوية: ٦: الآل يخصّ بالأشراف وذوي الأقدار بحسب الدين أو الدنيا فلا يقال: آل الحجام وآل حائك.

(٣) تبدل العرب الهمزة هاء، ومن الهاء همزة للقرب الذي بينهما من حيث إنّهما من أقصى الحلق، فجاز أن يبدل كلّ منهما من صاحبه، مثل: هنرت النار وأنرتها.

أُنظر: تاج العروس ٧ : ٦٢٧، ٦٢٨، مادة (هنر)، ١٣ : ٤٩٥، مادة (هرق).

(٤) التبيان ١ : ٢٨، تفسير الثعلبي ١ : ٩٦.

(٥) مجمع البيان ١ : ٥٢، إملاء ما منّ به الرحمن ١ : ٥.

***أمّا معناه:*** فإنّه ذكر تشبيباً[١] قبل شروعه في المقصود، وقال: أُخبر ـ بعدما تقدّم من التسمية والتحميد والصلاة على محمّد وآله ـ إنّ في كلّ لفظة لفظها النبيّ[٢] من فمه، ورماه من لسانه، وفي كلّ خصلةٍ حسنة من الشرع دعا الله إليها، تنقية لصدأ الذنب والشكّ عن فؤاد كلّ محصّل، معرفة[٣] الله ورسوله وحججه، وشفاءً لكلّ داء يكون بالذين يخافون عقاب الله؛ لأنّ تلك اللفظة صدرت عن صدر موفّق مقوّىٰ بالعصمة، قد خصّ بالفرق بين الحلال والحرام فلا وجه لردّها، وكيف أنها جاءت من جهة النبيّ الموصوف بهذه الصفات، وهي أنّه عليه السلام يدعو الناس إلى الإسلام، ويرشد عن الجهل والغفلة، ولا يجوز على من ائتمنه الله من وحيه عليه أفضل صلاة صُلّيت على أحد من الأنبياء.

**الضوء في شرح الشهاب**

وأقدِرُه قَدْرَاً وقَدَرَاً، وقدّرته تقديراً، وقَدَرَتُ على عيالي قَدْرَاً، أي ضيّقت، ومنه قوله: ﴿**يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾[٤] وقوله: ﴿**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ**﴾[٥] وقتر بمعنى قدر، ومنه قوله: ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُوراً**﴾[٦] وقدّر وقتّر لتكثير الفعل، اقتر الرجّل فهو مقتر إذا افتقر. والقتير: رؤوس مسامير الدرع ويشبّه

---

(١) للتشبيب معنيان:

الأوّل: وهو في الأصل ذكر أيام الشباب واللهو والغزل، ويكون في القصائد. وتشبيب الشعر ترقيق أوّله بذكر النساء، وشبّب بالمرأة قال فيها الغزل.

الثاني: الابتداء، فروي لمّا سمع حسّان شعر الهاتف شبّب يجاوبه، أي ابتدأ في جوابه، مأخوذ من تشبيب الكتب وهو الابتداء بها والأخذ منها.

أُنظر: لسان العرب ١: ٤٨١، مادة (شبب)، تاج العروس ٢: ٩٤، مادة (شبب).

(٢) في النسخة: الذي.

(٣) اسم «إنّ» المتقدّم في قوله: إنّ في كلّ لفظة...

(٤) سورة الرعد ١٣: ٢٦.

(٥) سورة الفجر ٨٩: ١٦.

(٦) سورة الإسراء ١٧: ١٠٠.

***وأمّا مشكلاته:*** فإنّ «أمّا» للتخيير[١] كما إنّ «إمّا» للتخيير، و«أمّا» كلمة تقال بعد تقدّمِ كلام وهو متضمّن معنى الشرط، ولذلك يجاب بالفاء.

و«بعدُ» مبني على الضمّ، بُني لمّا حذف منه المضاف إليه[٢].

واللفظ: الرمي، إلّا أنّه اختصّ بالعرف بما يلفظ من الفم.

والنبويّة منسوبة إلى النبيّ، وأصله من النباوة وهي الرفعة، ولا يهمز؛ لقوله عليه السلام: «***ولا تنبروا باسمي***»[٣] ليكون اسم مدح، ولا يكون من النبأ وهو الخبر.

والأدب ما يدعى إليه، فَعَل بمعنى مَفْعُول، كالنَفَضِ وَالقَبَضِ[٤]، ومنه المأدبة.

---

به الشيب، يقال: وخطه القتير[٥] إذا ظهر في شعره البياض[٦].

والفرد: هو المتفرّد بالإلهيّة والقدم، أو المتوحّد بصفة لا يشاركه فيها غيره،

(١) كذا في النسخة، فهذه الفقرة إمّا مكرّرة أو سها قلم الكاتب هنا؛ لأنّ «أما» لا تكون للتخيير بل هي حرف شرط وتوكيد وتفصيل.
أُنظر: مغني اللبيب ١ : ٥٥.

(٢) تُبنى «بعدُ» على الضم إذا حذف المضاف إليه وينوىٰ معناه دون لفظه، وأمّا إذا حذف المضاف ونوي لفظه فإنّها تعرب، وهي إحدى الصور الثلاثة التي تكون فيها معربة.
أُنظر: شرح قطر الندىٰ: ٣٩.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٥ : ٣، وفيه: إنّ رجلاً قال للنبي ﷺ: يا نبيء الله، فقال: لا تنبر باسمي، إنّما أنا نبي الله.
والنبرة: الهمزة، وقريش لا تنبر أي لا تهمز.
وانظر: الصحاح ٢ : ٨٢٢، لسان العرب ١ : ١٦٢.

(٤) النَفَضُ ـ بالتحريك ـ ما تساقط من الورق والثمر، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعول كالقَبَضِ بمعنى المقبوض.
انظر: لسان العرب ٧ : ٢٤٠.

(٥) في النسخة: الفقير.

(٦) لسان العرب ٧ : ٤٢٤، مادة (وخط).

فالأدب: كلّ خصلة من خصال الخير جديرة بان يُدعىٰ إليها.

والشرع: طريقة الإسلام، ومنه شريعة الماء، الطريق الذي يشرع إليه، فَعِيلَة بمعنى مَفْعُولَة، يقال: شرعت في الأمر شرعاً إذا خُضت فيه.

والجلاء: مصدر جلوتُ السيف إذا نقّيته من الصدأ، وأصله الكشف والإظهار.

وقيل: ما سمّي القلب إلّا من تقلّبه[١].

والمراد بالعارف هو المحصّل معرفة الله، وجميع ما يجب عليه تحصيله من المعارف.

والمعرفة: علم يحصل بعد أن لم يكن، ولذلك يوصف القديم بأنه عالم، ولا يقال له: عارف، فالمعرفة أخصّ من العلم، وهو ما اقتضىٰ سكون النفس.

وشفاه الله من مرضه أي خلّصه من جانبه، وشفاء البئر حرفه.

**الضوء في شرح الشهاب**

يقال: فلان فرد في صنعته وفريد ومتفرّد منفرد بمعنى واحد، والفارد بمعناه، إلّا أنّه قلّ استعماله، قال: واصغت خدّ من هو فارد[٢].

واختلفوا في الحكيم، فقال بعضهم: هو من صفات النفس، ومعناه العالم بدقائق الأُمور، وقال بعضهم: من صفات الفعل ومعناه المُحْكِم لأفعاله فَعِيْل بمعنى مُفْعِل كسميع بمعنى مُسْمِع في قول الشاعر:

*أمن ريحانة الداعي السميع* يؤرقني *وأصحابي هجوع*[٣]

أي المسمع، وأصله المنع من حكمة اللجام؛ لأنّ الحكمة تمنع صاحبها عن

---

(١) مجمع البحرين ٣: ٥٣٧.

(٢) البيت لعبّاس بن مرداس السلمي، وتمامه:

إذا طالت النجوى بغير أُولي النهىٰ أضاعت واصغت خدّ من هو فارد

زهر الأكم في الأمثال والحكم ٢: ٢٧٧.

(٣) الاستيعاب ٣: ١٢٠٤، والبيت لعمرو بن معدي كرب.

والأدواء: جمع داء.

وروي لصدرها، والصدور: الرجوع عن الماء، والورود ضدّه، والورد: الدخول، والصدر: الخروج.

والبيان مصدر بَانَ الشيء أي ظهر بمعنىٰ التبيين، ويكون مصدر بَانَ زيد الشيء، بمعنى التبيين، ويكون البيان التمييز.

والفرقان والهدىٰ هنا الدين.

وقوله: تبصّر من العمىٰ، استعارة عن الهداية بالتبصير عن الغفلة والجهل.

وأفضل أفعل للتفضيل. وما صلّىٰ: «ما» مصدرية أي أفضل صلاة على رسول، ولو أتى بالشرح لقال: اصطفاهم، فحذف ضمير المفعول تفخيماً.

***وقد جمعت في كتابي هذا ما سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمةٍ***

---

كثير من القبائح، ومنه قول الشاعر:

*أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم إنّي أخاف عليكم أن أغضبا*[١]

يقال: حكمت لفلان على فلان، وكذا وأحكمت الأمر إحكاماً، وحكّمت فلاناً جعلته حاكماً، واستحكم الأمر أي صار محكماً، والحكم[٢]: الحَكَم، والحَكَم: القاضي[٣]، ومنه المثل: في بيته يُؤتى الحكم[٤]، أي الحاكم.

***الفاطر الصّمد الكريم:***

الفاطر: الخالق المبدئ، والفطر الخلق والشّق أيضاً، والفطر: عجن الدقيق، ومنه الفطير فَعَيْل بمعنى مفعول، وأصله الشّق، كأنّ الله فطر العدم فأخرج منه

---

(١) ديوان جرير: ٤٧.

(٢) كذا في النسخة: ولعلّها تصحيف: الحكيم.

(٣) في النسخة: القضية. وما أثبتناه هو المناسب.

(٤) الصحاح ٥: ١٩٠٢، مادة (حكم).

***من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلّف مبانيها، وبعدت عن التعسّف معانيها، وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدىٰ النبوّة عن بلاغة البلغاء، وجعلتها مسرودة يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد، مبوّبة أبوابُها على حسب تقارب الألفاظ، ليقرب تناولها ويسهل حفظها.***

***أمّا معناه:*** فواضح؛ لأنّه حكىٰ أنّه جمع في هذا الكتاب من أخبار النبي عليه السلام ألفاً، منها ما يُوعظ به الإنسان، ومنها ما يشبّه به حال بحال؛ لرغبة أو رهبة، لا شدّة في معرفة لفظها، ولا مشقّة في الاطلاع على معناها، ثمّ وصفها بالفصاحة؛ لأنّ منبعها من قليب النبوة، يعجز كلّ بليغ عن إيراد مثلها، ثمّ ذكر أنّه جعل نظمها متناسباً، وضمّ كلّ كلمة إلى أُختها، إرادة التيسير والتسهيل على الناظر في ذلك.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

الموجودات على نوع من التوسع والمجاز، قال الله تعالى: ﴿**الْحَمْدُ لِلهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾[1] والفطر اسم الإفطار؛ لأنّه شقّ الصّوم، وأفطر إذا أخرج عن كونه صائماً، وفطّر غيره تفطيراً، ومنه الحديث: ***من فطّر صائماً فله مثل أجره***[2]. والفطرة: الخلقة، ومنه الحديث: ***كلّ مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه***[3].

والصمد: السّيد المصمود أي المقصود المفزوع إليه في الملمات فَعَل بمعنى مفعول، والصمد: القصد، يقال: صمد صمدة أي قصد قصدة، والصمد الشيء المصمد غير المجوّف، ومنه قول طرفة:

---

(١) سورة فاطر ٣٥: ١.

(٢) الكافي ٤: ٦٨ / ١، مسند أحمد ٤: ١١٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢: ٤٩ / ١٦٦٨، صحيح البخاري ٢: ١٠٤. وفيهما زيادة: يمجّسانه.

***وأمّا مشكلاته:*** فإنّ الحديث صار بالعرف مختصاً بأحاديث النبي ﷺ، ولذلك سمّي حملة الأخبار أصحاب الحديث، فالحديث بمنزلة اسم العلم لأخبار رسول الله.

وحدّ الكلمة: كلّ لفظة دلّت على معنىً بالوضع.

والوصايا: جمع وصية كمنية ومنايا، والوصيّة: الأمر بما يعمل به الغير مقترنا بوعظ.

والمواعظ: جمع موعظة، وهي مصدر؛ وإنّما جمع لاختلاف أنواعه، وقيل: إنّما جُعل[1] اسماً صريحاً ثمّ جمع؛ لأنّ المصادر لا تثنى ولا تجمع[2].

والمَثل والمِثل كالشَبه والشِبه لفظاً ومعنىً، وهو كلّ ما يمثل به الحال.

وقوله: سلمت من التكلّف كناية عن كونها مطبوعة لا كلفة له في بنائها.

والمباني: جمع مبناة ومبنًى.

---

........................ *صفائح صمّ في صفيح مصمد*[3]

والكريم فعيل بمعنى مُفْعِل أي مُكْرِم من عباده من يستحقّ الإكرام. وقيل: الكريم: اسم جامع لجميع المحامد والفضائل، ولقد أحسن من قال:

*لقد جلّ في أوصافه وصفاته عن الكاف إلّا أن يقال كريم*[4]

يعني كاف التشبيه، يقال: كرم يكرم كرماً فهو كريم، وفعيل في فَعُلَ بمعنى فاعل قياس مطّرد كالكريم والظريف والعظيم والصّغير والكبير وغير ذلك.

---

(١) في النسخة: جمع، وما أثبتناه هو المناسب.

(٢) اُنظر: شرح الكافية ٤: ٣٤٥، تاج العروس ١: ٢١٢.

(٣) ديوان طرفة: ٣٣، يصف قبري أخوين غني وفقير، والبيت هو:

ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صمّ من صفيح منضّد

(٤) لم نعثر عليه في المصادر.

والتعسّف: الأخذ على عسف، والعسوف: الظلوم، والمعنىٰ ما يقصد بالكلام.

وبان: ظهر وبَعُد. والتأييد تفعيل من الأيد وهو القوة.

والفصاحة: الظهور والبيان.

والبلاغة: إيصال المعنىٰ إلىٰ القلب في جنس صورة من اللفظ.

والسردّ: النظم، ومسرودة أي منظومة مؤلفة.

ومحذوفة الأسانيد أي متروكة. والإسناد مصدر جعله اسماً صريحاً ثمّ جمعه، وإسناد الأخبار طرقه التي توصل الحديث إلى النبي عليه السلام من أسماء الرواة.

وقال: إنّه فصّلها باباً باباً على مقتضىٰ مقاربة الألفاظ، كما تراه في الكتاب من باب الأمر والنهي، وباب رُبّ، وباب نعم وبئس؛ ليسهل على من أراد حفظها ولا يختلط عليه.

الضوء في شرح الشهاب

***باعث نبيّه محمد صلى الله عليه وآله بجوامع الكلم وبدائع الحكم:***

البعث: الإرسال والإحياء والإيقاظ، فمن الأوّل قوله: ﴿**فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ**﴾[1] ومن الثاني قوله: ﴿**وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[2] ومن الثالث قوله: ﴿**وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ**﴾[3] وقدفسره في قوله: ﴿**فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً**﴾[4] بالإلهام، وعلى التسليط في قوله: ﴿**بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ**﴾[5] أي سلّطنا عليكم لقرينة «على» ويسمّى هذا النوع في علم البيان التضمين، كأنّه ضمّنه معنى سلّطنا.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢١٣.

(٢) سورة الحج ٢٢: ٧.

(٣) سورة الكهف ١٨: ١٩.

(٤) سورة المائدة ٦: ٣١.

(٥) سورة الإسراء ١٧: ٥.

والتناول: الأخذ والإدراك.

***ثمّ زدتُ مائتي كلمة فصارت ألف كلمة ومائتي كلمة، وختمتُ الكتاب بأدعية مروية عنه عليه السلام، وأفردت للأسانيد جميعها كتاباً يرجع في معرفتها إليه، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل ما اعتمدته من ذلك خالصاً لوجهه، ومقرّباً من رحمته، بحوله وقدرته.***

كان أوّل مرّة وضع الكتاب على ألف حديث، ثمّ ظهر له أخبار، ولاح له أحاديث تليق بكلّ باب فزاد على الألف مائتي حديث، فجعلها على هذا العدد، وختم الكتاب بالدعاء كما أفتتح بالحمد والثناء تبركاً بذلك وتيمّناً، ثمّ ذكر أنّه صنّف كتاباً آخر لأسانيد هذه الأخبار على ما سمعته من طرقه؛ فإنّ الإسناد حجّة على صحّة الأخبار، وعِلمُ الأخبار علم جليل، خاصة معرفة الرجال وطبقاتهم والعلم بجرحهم وتعديلهم؛ فإنّ الشريعة تُعرف بها بعد كتاب الله والإجماع، إذ

---

والنبيّ فعيل بمعنى فاعل، أي مرتفع الدرجة، من النباوة وهي الرفعة، ولا يجوز أن يهمز هذا اللفظ من النبأ الذي هو الخبر، لقوله عليه السلام: **لا تنبروا باسمي**[1] أي لا تهمزوا؛ ليكون من النباوة لا من النبأ، لأنّه اسم مدح.

ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وآله، ومعناه البليغ في كونه محموداً؛ لما بيّنا أنّ التفعيل للمبالغة، وروي أنّ اسمه محمّداً اشتق من اسم لله عزّ وجلّ وهو المحمود[2]؛ ولهَذا قال حسان بن ثابت:

*وشقّ له من اسمه ليجلّه — فذو العرش محمود وهذا محمد*[3]

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥: ٣.

(٢) مجمع البيان ٢: ٤٠٣، السيرة الحلبية ١: ١٢٨.

(٣) مجمع البيان ٢: ٤٠٣، السيرة الحلبية ١: ١٢٨، ولم نعثر عليه في ديوان حسان.

لا طريق للعقل إلى معرفتها، وما جاء من ذلك في كتاب الله مُجمل وبيانه يؤخذ من الأخبار، وخبر الواحد وإن لم يوجب العلم فهو موجب للعمل على الظن عند أكثر العلماء.

**فصل**

اعلم أنّ كلّ خبر وحديث كان له سبب خاص، كما أنّ لكلّ آية من كتاب الله كان له سبب نزول مفرد، إلّا أنّ الرواة لم ينقلوا على الأكثر إلّا ما لا يعلم إلّا بذكر سببه وأن كان ورد كلّ خبر في أمر خاص، ولا يجب قصره عليه؛ لأنّ لكلّ كلام حكم نفسه، فإذا اُطلق الكلام إطلاقاً فهو على العموم تناول كلّ ما يصحّ دخوله تحته، والأصل في الكلام الإطلاق، وإنّما يكون التقييد فرعاً، والتخصيص ـ شرعاً ـ يُعلم بقرينة ودلالة منفصلة.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

والصلاة من الله بمعنى الرحمة، ومن الملائكة بمعنى الاستغفار، ومنّا بمعنى الدعاء، واشتقاق هذه اللفظة من الصلا[١] وهو اللزوم، يقال: صليت النّار وبالنار، ومنه قوله تعالى: ﴿**لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى**﴾[٢]، وقول الشاعر:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . *وليس يصلى بحر الحرب جانيها*[٣]

وعلى آله، لا بدّ من إعادة حرف الجرّ في الآل؛ لأنّ الضمير المجرور مع الجار بمنزلة شيء واحد، فلو لم تعد حرف الجرّ لكان بمنزلة العطف على بعض الكلمة،

---

← وفي كثير من المصادر نسب هذا البيت إلى أبي طالب عليه السلام، منها: العلل لابن حنبل ١ : ٤٥٤، شرح نهج البلاغة ١٤ : ٧٨، التاريخ الصغير ١ : ٣٨، الثقات ١ : ٤١، وغيرها.

(١) في النسخة: الصلاة، وما أثبتناه هو الأنسب.

(٢) سورة الليل ٩٢ : ١٥.

(٣) مجمع الأمثال ٢ : ١٦٢ / ١٩٥٣، وتمام البيت:

الشرُّ يبدؤه في الأصل أصغره ... وليس يصلى بحر الحرب جانيها

وفي النسخة: (بحبل) بدل (بحر).

والمراد بقولنا: «سبب في الكلام» الداعي إلىٰ الخطاب بـه والبـاعث عـليه، وليس المراد به الأسباب المولّدة للأفعال. وقد اتّفقنا علىٰ أنّ الحكيم لا يجوز أن يريد بخطابه إلّا ما له داعٍ إليه، فلا بدّ من خطابه من أن يكون مقصوراً على أسبابه غير أنّه لا يجيء منها أنّه إذا سأله عليه السلام سائل عن مسألة حادثة فأجابه بقول عامّ أن يقصره على ذلك السؤال؛ لأنّه إذا عمّ بخطابه سؤال السائل وغيره فلم يضف إلى بيان ما يسأل عنه بيانٌ حكم غيره إلّا لسبب آخر وداعٍ هو غير سؤال؛ لأنّه لو لم يكن كذلك لأجاب بما يكون وقفاً للسؤال من غير أن يكون فاضلاً عليه.

وكلامه عليه السلام ينقسم إلى مطابق السبب غير فاضل عنه، وإلىٰ ما يكون أعمّ منه والأول لا خلاف فيه، والثاني على ضربين:

إمّا أن يكون أعمّ منه[1] في الحكم المسؤول، نحو قوله وقد سئل عمّن ابتاع

---

لا يقال: مررت به وزيد، وإنّما يقال: وبزيد لهذه العلّة، فأمّا إذا كان الاسم ظـاهراً فالأولى أن لا يعاد حرف الجرّ، لا يقال: مررت بزيد وبعمرو؛ لنيابة الواو عن حرف الجرّ، فالجمع بين العوض والمعوض عنه ضعيف، فـالفصيح الذي عـليه كـلام العرب ***اللّهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد***، ولو قلت: وعلى آل محمّد لا بـدّ أن تقدّر محذوفاً، فتقول: وصلّ على آل محمّد، فيصير الكلام حينئذٍ جملتين، وهو أبلغ في علم البيان؛ لأنّك استأنفت للآل صلاة مجدّدة مستأنفة.

والآل والأهل بمعنى واحد، فالهمزة بدل من الهاء، لكـونهما مـن حـروف الحلق إلّا أنّ الآل في العرف أجلّ وأرفع من الأهل، يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد وآل الدار، إنّما يقال: آل الأمير، وآل السلطان، قال الله تعالى: ﴿ **آلُ مُوسَى** ﴾[2]

---

(١) في النسخة زيادة مكرّرة: والأول لا خلاف فيه والثاني على ضربين إمّا أن يكون أعمّ منه.
(٢) سورة البقرة ٢: ٢٤٨.

عبداً واستغله ثمّ وجد به عيباً: ***الخراج بالضمان***(١).

وإمّا أن يكون أعمّ منه في غير ذلك الحكم المسؤول نحو قوله ﷺ وقد سئل عن الوضوء بماء البحر: ***هو الطهور ماؤه، الحل ميتته***(٢). فأجاب بما يقتضي شربه وإزالة النجاسة به وغير ذلك.

وأكثر أحاديثه ﷺ متضمّنة للأوامر والنواهي، وإنّما لم يذكرها على لفظ «أفعل» و«لا تفعل» لفوائد جمة؛ ألا ترى أنّه ﷺ لو قال: الزموا جماعة الحقّ ترحموا، بدل قوله: ***الجماعة رحمة***(٣). لظن المخاطبون أنّهم مخصوصون بذلك، علىٰ أنّ لفظ الإخبار أسهل على السامع، ويكون المخاطب به أقرب إلىٰ تدبّره، ثمّ تقليل الكلام من غير إخلال محمود؛ وذلك يجاز الذي هو من أشرف مراتب البلاغة، وهو إظهار المعنىٰ الكبير باللفظ اليسير، وإذا أمكن المخاطب أن يستغني بالقليل كان الإطناب هذراً، وحسن البيان البلاغي أخف مؤنةً على القائل والسامع.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

و ﴿**آلَ فِرْعَونَ**﴾(٤) لملكه، وخبريته(٥) في الأرض تسلّطه فيها.

والآل: السراب، قال:

.......................... *لرقــراق آل فــوق رابــية صــلد*(٦)

وآل يؤول إذا رجع. والأوْل: الرجوع. والإيالة: السياسية، يقال: أُلْنَا وإيل

---

(١) سنن ابن ماجة ٢ : ٧٥٤، مختلف الشيعة ٥ : ٣٢١.

(٢) المعتبر ١ : ٣٦، دعائم الإسلام ١ : ١١١، مسند أحمد ٢ : ٣٦١.

(٣) المعتبر ٢ : ٣٦٣، كنز العمال ٣ : ٢٦٦ / ٦٤٨٠، ٧ : ٥٥٨ / ٢٠٢٤٢.

(٤) سورة البقرة ٢ : ٤٩، ٥٠.

(٥) كذا في النسخة.

(٦) البيت للعديل بن الفرخ، وتمامه:

فكنت كمهريق الذي في سقائه لرقــراق آل فــوق رابــية صــلد

لسان العرب ١٠ : ٣٦٧، مادة (هرق). خزانة الأدب ٩ : ٢٨١.

فهذا ديباجة الكتاب وعنوان اُنموذج الخطاب، ولا يُوحشنّك إطناب الكلام هاهنا في صدر الكتاب فأنا اُوجز شرح الأحاديث من بعد ذلك إن شاء الله، و [من] الله سبحانه استمد المعونة فيما تحرّيت، وانتجز التسديد والتثبيت على الطريقة التي فيها جريت، وهو حسبي ونعم الوكيل.

---

علينا[1]، أي سسنا وساسنا غيرنا.

والجوامع جمع جامعة، وفواعل في جمع فاعلة قياس مستمر، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾[2] أي الكافرات، وإنّما يجيء في جمع فاعل في أحرف معدودة، حيث لا يكون مشتقاً من الفعل كحاجب وحواجب وفارس وفوارس، وغارب ـ لأعلى الموج ـ وغوارب وكذلك لأعلى السنام، يقال في المثل: فلان يفتل في الغارب والسنام[3]. يضرب في الخادع المختال.

والكلم جمع كلمة عند الخليل وغيره، وقال سيبوية: اسم واحد وضع للجمع نحو النفر والرهط والقوم.

والبدائع جمع بديعة، وفعائل في جمع فعيلة قياس مطرد، نحو فضيلة وفضائل، وسريرة سرائر، وصغيرة وصغائر وكبيرة وكبائر.

والحِكَم جمع حِكْمَة كفكرة وفكر، ودِرَّة[4] ودِرَر، وبدعة وبدع، وأصل الكلمة واشتقاقها من الإبداع وهو أن يأتي بأمر بديع أي عجيب أو مبتدأ، والبديعة: الكلمة المبتدأة التي لم يقتدِ قائلها بأحد. والابتداع والابتداء بمعنى واحد، من

---

(١) الصحاح ٤: ١٦٢٨، مادة (أول).

(٢) سورة الممتحنة ٦٠: ١٠.

(٣) لفظ هذا المثل الذي عثرنا عليه في المصادر هكذا: فما زال يفتل في الذروة والغارب. اُنظر: الفائق في غريب الحديث ١: ٣٩٨، شرح نهج البلاغة ٩: ٢٨.

(٤) الدِرَّة ـ بالكسر ـ التي يُضرب بها.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



الإبدال؛ لأنّ الهمزة والعين من حروف الحلق، ومثلها المدح والمده.

***وجاعله الناس بشيراً ونذيراً وداعياً إليه بإذنه وسراجاً منيراً:***

صلّى الله عليه وعلى آله، هو من قوله: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّرًا وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً**﴾[١] شاهداً أي يشهد لله على الناس، لقوله: ﴿**وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَى هَؤُلَاءِ**﴾[٢] وبشيراً أي مبشّراً، فعيل بمعنى مُفْعِل، والبشارة: كلّ خبر يظهر أثر مسرّته على بشرة الوجه، وحقيقتها في الخير، وتستعمل في الشرّ على سبيل المجاز في نحو قوله: ﴿**فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾[٣] من حيث إنّ أثر الحزن يظهر أيضاً معها في البشرة، غير أنّ العرف حقّقها بالمَسرّة، وجعلها [في] الحزن كالمنسوخ، والحكم للطارىء والعرف طارىء على الوضع.

والنذير: المنذر، فعيل بمعنى مُفْعِل، والإنذار: إعلام مع التخويف، ومن ذلك يقال للناعي منذر، فالمنذر والنذير أخص من المُعْلِم، والمُعْلِم أعمّ منهما.

والداعي: فاعل الدعوة، يقال: دعاً فلان فلاناً إلى كذا، ودعا فلان إلى أبيه أي انتسب إليه، دِعوة ـ بالكسر ـ ودعا القوم إلى طعامه دَعوة ـ بالفتح ـ ودعا فلان لفلان بالخير وعليه بالشرّ، قال الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[٤] والادّعاء: الانتساب، ومنه قول الشاعر:

*أتدّعي في أسد نسبة* لا تقبل *الدّعوى* بلا شاهد[٥]

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٤٥، ٤٦.
(٢) سورة النحل ١٦: ٨٩.
(٣) سورة آل عمران ٣: ٢١.
(٤) سورة النحل ١٦: ١٢٥.
(٥) البيت لعبدان الأصبهاني. أُنظر: يتيمة الدهر ٣: ٣٥٢.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وقال تعالى: ﴿**ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ**﴾[١] أي انسبوهم إلى آبائهم، ودعا فلاناً إذا صاح به وناداه، قال الله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**﴾[٢] أي لا تقولوا: يا محمّد يا أحمد، ولكن قولوا: يا رسول الله، ويا نبيّ الله.

وسراجاً منيراً: سمّاه الله سراجاً؛ لأنّه تعالى بعثه في ظلام الشرك وظلمة الكفر ليهتدي النّاس به كاهتداء الساري في ظلمة الليل بالسراج.

سُئل وقيل: لِمَ يسمّى عليه السلام سراجاً ولم يُسمّ شمعاً ومشعلة وهما أضوء وأكثر نوراً؟

فأُجيب وقيل: لأنّه اختار المسكنة والفقر في قوله: ***أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين***[٣]، والسراج آله للفقراء، والشمع والشعلة آلة الأغنياء والجبابرة.

والمنير: النيّر، مُفْعِل من النور، يقال. أنار إنارة إذا أضاء.

***وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً:***

فإذهاب الرجس عبارة عن ألطاف فعلها الله لهم فامتنعوا عندها عن سائر المعاصي اختياراً لا إجباراً وهو الذي يقال له: العصمة، في اصطلاح أهل الكلام.

واللطف ما يختار المكلّف عنده الطاعة باختياره وسمّي توفيقاً، وإذا امتنع عنده من المعاصي باختياره سمّي عصمة، وإنّما حظّه التقريب[٤] والدعوة دون

(١) سورة الأحزاب ٣٣: ٥.

(٢) سورة النور ٢٤: ٦٣.

(٣) روضة الواعظين: ٤٥٤، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٨١ / ٤١٢٦.

(٤) كذا وردت العبارة في النسخة، وفيها زيادة: التقريب.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

الضوء في شرح الشهاب

الإلجاء والإجبار، لا أنّ هناك كان رجساً فأذهبه الله عنهم، وكذلك معنى التطهير، وروت العامة والخاصة أنّ الآية نزلت في بيت أُمّ سلمة، وذلك أنّ النبي صلى الله عليه وآله دخل بيت أُمّ سلمة وكانت النوبة لها، وكانت تتّخذ لرسول الله حيساً[١] فنام رسول الله صلى الله عليه وآله فدخل الحسن والحسين فجلسا عند رجله، ثمّ دخلت فاطمة عليها السلام فجلست عند رأسه، ثمّ تبعهم علي عليه السلام فجلس عندهم، فلمّا انتبه النبي عليه السلام ونظر إليهم تهلّل واستبشر وسرّ بمقدمهم فقام وكان هناك كساء خيبري فغطّاهم به، وقال: ***اللّهمّ إنّ لكلّ نبي أهل بيت وهؤلاء أهل بيتي فأذهب الرجس عنهم وطهّرهم تطهيراً***.

فنزلت الآية ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً**﴾[٢].

فقالت أُمّ سلمة رحمة الله عليها: يا رسول الله، ألست من أهل بيتك؟ فقال: ***إنّك إلى خير، وإنّما أهل بيتي هؤلاء***[٣].

فقال الشعراء في ذلك أشعاراً، وذكر أبو عبدالله الدامغاني صاحب كتاب سوق العروس ـ وهو من أئمّة أصحاب الحديث ـ هذا الخبر في كتابه بالإسناد، وذكر هذه الأبيات:

*إنّ يوم الطهور يوم عظيم* *فاز بالفضل فيه أهل الكساءِ*

*قام فيه النبي صلى الله عليه وآله مبتهلاً* *ضارعاً إلى ربّه بحسن الرجاءِ*

---

(١) الحيس: الخلط، وهو تمر يخلط بسمن وأقط. الصحاح ٣: ٩٣٠، مادة (حيس).

(٢) سورة الأحزاب ٣٣: ٣٣.

(٣) الفضائل لشاذان بن جبريل القمي: ٩٥، ذخائر العقبى: ٢١، المعجم الكبير ٣: ٥٤.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

قال يارب إنّهم أهل بيتي فاستجب فيهم إلهي دعائي

أذهب الرجس عنهم وعن الأبناء عنهم وعن بني الأبناءِ

رحمة الله والسلام عليكم وصلاة الأبرار والأتقياء[١]

وإنّما أوردت هذا الخبر ليتوضح به معنىٰ إذهاب الرجس ومعنى التطهير.

***أمّا بعد: فإنّ في الألفاظ النبويّة والآداب الشرعيّة:***

أمّا بعد: كلمة تقدّم كلام وهو متضمّن معنى الشرط والجزاء ولذلك يجاب بالفاء، قال الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[٢] و«بعد» مبني على الضمّ بناء عارضاً، بني لمّا حذف منه المضاف إليه، والتقدير: بعدما تقدّم من الكلام، ويسمّيه الكوفيّون رفعاً على[٣]، ومثله قوله تعالى: ﴿**لِلّٰهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ**﴾[٤].

والألفاظ جمع لفظ، وهو ما يلفظ أي يُرمى من الفم. واللفظ: الرَمي، إلّا أنّه اختص بالعرف بما يلفظ بالفم.

والنبويّة منسوبة إلى النبوة أو إلى النبيّ.

والآداب: جمع أدب، وهو ما يُدعى إليه، فَعَل بمعنى مفعول، كالقَبَضِ

---

(١) قال آقا بزرك الطهراني في ذيل كشف الظنون: ٥٥: سوق العروس لأبي عبد الله الدامغاني من أئمة أصحاب الحديث فيه حديث مسند في نزول آية التطهير في بيت أُم سلمة عند تغطية النبي آله بالكساء الخيبرية، وذكره الشعراء في أشعارهم... ثمّ ذكر الأبيات المذكورة في المتن.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ٩ ـ ١١.

(٣) كذا في النسخة.

(٤) سورة الروم ٣٠: ٤.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

والنَفَضِ، ومنه المأدبة المدعاة للضيافة، وقال:

*نحن في المشتاة ندعوا الجفلى لا ترى الأدب فينا ينتقر*[1]

والجفلى: دعوة العام، والنقري: دعوة الخاص. والأدب: كلّ خصلة من خصال الخير حقيقة بأن يدعى إليها.

والشرعية منسوبة إلى الشرع، والشرع: طريقة الإسلام والدين، ومنه شريعة الماء للطريق الذي يشرع إليه، يقال: شرعت الدواب في الماء، وأشرعتها أنا، وشرعت في الماء وأشرعتها أنا، وشرعت في الأمر شروعاً إذا خضت فيه، وأشرعت باباً إلى الطريق إشراعاً إذا فتحته، وأشرعت الرمح قِبَله إذا سويته إليه، والشِرعة: الطريقة المشروعة وهي والشريعة بمعنى، فإنّهما بمعنى مفعوله، قال الله تعالى: ﴿**شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾[2] وهم في هذا الأمر شرع أي سواء، وشرعك من رجل زيداً، أي حسبك.

***جلاء لقلوب العارفين وشفاء لأدواء الخائفين:***

والجلاء مصدر جلوت المرآة والسيف، إذا نفيتهما الصدأ جلاءً، وجلا القوم عن منازلهم جلاءً إذا خرجوا، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ**﴾[3] وأجلوا عن القتيل إجلاءً، وجلوت العروس جلوة، وأصل الباب الكشف والإظهار.

والقلب: الفؤاد، والقلب مصدر قلبت الثوب والأمر قلباً، والقليب: البئر،

---

(١) ديوان طرفة: ٥٥.

(٢) سورة المائدة ٥: ٤٨.

(٣) سورة الحشر ٥٩: ٣.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

والقلوب: الذي لا يثبت على حالة، والقلاب: داء في القلب، والقلبة: داء في حافر الدابة يحتاج معه إلى تقليبه للدواء، يقال: ما بها قلبة، أي داء، وقال:

*ولم يقلب أرضها البيطار ولا لحبليه بها حبار*[1]

أي أثر. والقلب نوع من السوار لتقلبه في اليد، والقلب ـ بضمتين ـ جمع القليب.

والمراد بالعارفين المحصّلين معرفة الله تعالى ومعرفة أنبيائه ورسله وما يجب عليهم تحصيله، من العارف، ليكونوا به مؤمنين عارفين، والمعرفة والعلم بمعنى، إلّا إنّ العلم أعمّ والمعرفة أخص، فالمعرفة علم يحصل بعد إن لم يكن، ولذلك يوصف القديم بأنّه عالم، ولا يقال له عارف. [والعلم] ما اقتضى سكون النفس، والعلم ضدّ الجهل، والمعرفة ضدّ النكرة، والعرف ضدّ النكر، والمعروف [ضدّ] المنكر.

والشفاء مصدر شفاه الله من مرضه يشفيه شفاءً وشفا البئر ـ مقصوراً ـ حرفه وجانبه، وأشفا على كذا أي أشرف، وشفيته من فلان فاشتفي، وأصل الباب من شفاء البئر.

والأدواء جمع داء، وأدويته فدوى إذا ألمته فتألّم، والمراد بالخائفين الذين يخافون عقاب الله.

***لصدورها عن المؤيّد بالعصمة، والمخصوص بالبيان والحكمة:***

---

(١) البيت لحميد الأرقط يذكر فرساً.
أرضها: قوائمها، أي لم يقلب قوائمها من علة فيها.
اُنظر: الصحاح ١: ٢٠٥، مادة (قلب).

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



الصدور والصدر: الرجوع عن الماء. والورود ضدّه، والورد: الماء المورود.

والمراد بالمؤيّد: الموفّق، معناه المقوّى، من الأيد وهو القّوة، قال الله تعالى: ﴿**دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ**﴾[١] وبيّنا حقيقة التوفيق والعصمة، ولا وجه لإعادته، يعني لأنّها صدرت من جهة النبيّ الموصوف بهذه الصفات، ومن صفاته أنّه المخصوص بالبيان والحكمة.

والبيان مصدر بان الشيء، إذا تبيّن، وأبنته أنا وبيّنته إذا أوضحته وكشفته، وبان إذا بعد من هذا الباب، لأنّه إذا بعد عنه تميّز منه، وبان الفرق بينهما. والبين: الفراق والوصال وهو من الأضداد، ومنه قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ**﴾[٢] أي وصلكم، فيمن قرأ بالرفع. وبينهما بون بعيد، أي فرق ظاهر.

***الذي يدعو إلى الهدى، ويبصّر من العمى، ولا ينطق عن الهوى:***

ومن صفته أنّه عليه السلام يدعو الناس على الهدى وهو الإسلام والهدى[٣]... جمع معنى، وهو ما يعنى ويُقصد بالكلام.

***وبانت بالتأييد عن فصاحة الفصحاء، وتميّزت بهدى النبوّة عن بلاغة البلغاء:***

بان الشيء وأبان إذا تبيّن وظهر، والتأييد تفعيل من الأيد وهو القوّة، قال الله

---

(١) سورة ص ٣٨: ١٧.

(٢) سورة الأنعام ٦: ٩٤.

(٣) في النسخة هنا سقط يشمل بيانَ وشرحَ فقرة من مقدمة الشهاب ـ مضافاً إلى الفقرة المذكورة ـ وهي: أفضل ما صّلى على أحد من عبادة الذين اصطفى، وقد جمعت في كتابي هذا ممّا سمعته من حديث رسول الله ﷺ ألف كلمة من الحكمة في الوصايا والآداب والمواعظ والأمثال، قد سلمت من التكلّف مبانيها، وبعدت عن التعسف معانيها.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

تعالى: ﴿دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾[١] أي ذا القوة. والفصاحة: الظهور والبيان، يقال: أفصح الرجّل عمّا في ضميره، وأفصح الأعرابي، وفصح اللحان.

والتميّز مطاوع التمييز، يقال: ميّزته فتميّز. والهَدي: الطريقة.

والبلاغة مصدر البليغ، والبليغ والمبالغ على طريق المبالغة والتوكيد، يقال: بليغ بيّن البلاغة، وهي بمعنى الفصاحة، وفعلاء في جمع فعيل بمعنى فاعل قياس مطرد ككريم وكرماء وظريف وظرفاً.

***وجعلتها مسرودة، يتلو بعضها بعضاً، محذوفة الأسانيد:***

أي منضمومة مؤلّفة، والسّرد: النظم، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾[٢] أي في النظم، أي لا تجعل المسامير دقاقاً فتقلق ولا غلاظاً فتكسر الحلق، وقولهم في الأشهر الحرم: واحد فرد ـ يعنون رجباً ـ وثلاثة سرد، أي متتابعة، يعنون ذي القعدة وذي الحجّة والمحرّم، يتلوه: يتبع، يقال: تلوت الرجل إذا تبعته، وتلوت القرآن تلاوة من هذا؛ لأنّ التالي يقصد بتلاوته تتبع الحروف.

والمحذوفة: المتروكة. والأسانيد جمع إسناد جعله اسماً ثمّ جمعه، وأسناد الأخبار: طرقهم [التي] توصل الحديث إلى النبيّ ﷺ من أسماء الرواة والمخبرين.

***مبوبة أبواباً على حسب تقارب الألفاظ، ليقرب تناولها ويسهل حفظها:***

أي فصلتها باباً باباً على مقتضى مقاربة الألفاظ كما تراه في الكتاب من باب الأمر، وباب النهي، وباب ربّ، وباب نعم وبئس، ليسهل على من أراد حفظها ولا يختلط عليه. والتناول: الأخذ والإدراك.

---

(١) سورة ص ٣٨: ١٧.

(٢) سورة سبأ ٣٤: ١١.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



***ثمّ زدت مائتي كلمة فصارت ألف كلمة ومائتي كلمة:***

كأنّه وضع الكتاب على ألف حديث، ثمّ ظهر به[١] أخبار تليق بكلّ باب فزاد على الألف مائتي حديث، فجعلها على هذا العدد، وختم الكتاب بالدعاء كما افتتح[٢] بالحمد والثّناء تبرّكاً بذلك وتيّمناً، ثمّ وعد باستئناف كتاب لأسانيد هذه الأخبار، فجاء بالحديث على ما سمعه من طريق أو طريقين أو طرق مختلفة؛ فإنّ الإسناد حجّة على صحّته الأخبار، وهذا العلم أعلى على الأخبار[٣] وإن كان متروكاً في عصرنا فهو علم جليل خصوصاً معرفة الرجال وطبقاتهم والعلم بجرحهم وتعديلهم، وصنّف في ذلك تصانيف، فإنّ الشريعة تعرف بها بعد كتاب الله، إذ لا طريق للعقل إلى معرفتها، وما جاء من ذلك في كتاب الله مجملاً فبيانه يؤخذ من الأخبار، وأكثر العلماء على أنّ خبر الواحد وإن لم يوجب العلم فهو موجب للعمل بطريق الظنّ، وفي الناس من قال: إنّه يوجب العلم[٤]، وليس ذلك بمعتمد.

والله تعالى أسال التوفيق والسّديد، فما التوفيق إلّا من لديه، وما الاعتماد إلّا عليه، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) كذا في النسخة، ولعلّها تصحيف: له.

(٢) في النسخة: افتتح.

(٣) كذا في النسخة، ولعله مصحّفة عن: وهذا العلم أعني علم الأخبار.

(٤) رسائل المرتضىٰ ١: ٤٨، ٥٠، معارج الأُصول: ١٤٠، ويحكىٰ هذا القول عن أهل الظاهر.

## [الباب الأوّل][1]

### ١ـ الأَعَمْالُ بالنِّيَّاتِ[2].

**معنى الخبر:** أنّ الأعمال لا تقبل إلّا بالنية، فأخلصوا الطاعات لله، ولا تشوبوها بغرض غير القربة إليه تعالى، وسبب ذلك لأنّ الفعل يكون ذا وجوه يصحّ أن يوقع على كلّ وجه من وجوهه، ولا يختصّ بالوجه المقصود إلّا بقصد وإرادة وهو اقتران النية به.

ألا ترىٰ أنّ من أراد أن يؤدي صلاة لابدّ أن ينوي القربة والعبادة؛ ليتميّز من الرياء والعادة، وينوي الفرض ليتميّز به من النفل، وينوي الظهر ليتميّز من غيرها، وينوي الأداء ليتميّز بها من القضاء؛ ولهذا تقول: وقوع الفعل على وجه دون وجه يدلّ علىٰ كون فاعله مريداً.

---

## [الباب الأول]

### ١ـ قوله ﷺ: إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ.

هذا حديث متّفق على صحته، لا أظن أحداً ينكره إلّا من قلّ نظره في علم الأُصول، وذلك لأنّ الفعل إذا كان ذا وجوه يصحّ أن يوقع على كلّ وجه من وجوهه، ولا يختصّ بالوجه المقصود إلّا بقصد وإرادة وهو اقتران النيّة به، مثلاً إذا أراد أن يؤدي فريضة الظهر لا بدّ أن ينوي الأداء لتميّز به من القضاء، والفرض لتتميّز به من النفل، والظّهر لتتميّز[3] من سائر الصلوات، وأن ينوي القربة والعبادة

---

(١) في النسخة: باب، وكذا في جميع الأبواب القادمة في الشرحين.

(٢) صحيح البخاري ١ : ٢، سنن ابن ماجة ٢ : ١٤١٣ / ٤٢٢٧، تهذيب الأحكام ١ : ٨٣ / ٢١٨، دعائم الإسلام ١ : ٤.

(٣) في النسخة زيادة: بالا.

والنية من باب الإرادة، فهي كلّ إرادة في القلب مفعولة به متعلّقة بفعل فاعلها، فكأنّه عليه السلام أراد أنّ الأحكام الشرعية إنّما تثبت الأعمال بالنيات، ونفي تلك الأحكام عمّا لم يصاحبه النية من الأعمال، فلا ثواب ولا عقاب على أفعال الساهي والنائم وإن كانت من قبيل الحسن والقبيح.

وظاهر الخبر يفيد أمرين: إمّا أنّ الأعمال تصير أعمالا بالنية، وهذا لا يصحّ؛ لأنّ النائم يقع منه أعمال ولا تكون له نية فيها، فلم يبقَ إلّا الوجه الآخر، وهو أنّه عليه السلام أخبر أنّ الأحكام تثبت الأعمال في الشريعة بالنيّات.

***وأمّا مشكلاته:*** فالعمل: كلّ فعل فيه بعض الأحكام، وتلحق فاعله المشقّة في فعله، ولا يجري علىٰ الله لهذا، وللفعل أحوال يختلف عليه الأسماء لاختلافها، أعمّها الفعل وهو ما وجد بعد أن كان مقدوراً، ثمّ الصنع وهو الفعل المحكم، ويجري على الله كلاهما وعلينا، ثمّ الخلق وهو إخراج المقدور من العدم إلى

**ــــ الضوء في شرح الشهاب**

لتتميّز من العادة والرياء وغير ذلك.

ولذلك قلنا: وقوع الفعل على وجه دون وجه يدلّ على كون فاعله مريداً، وهي من باب الإرادة، وهي كلّ إرادة بالقلب وكانت مفعولة به متعلّقة بفعل فاعلها، وتسمّى انطواءً وضميراً[١]، والطيّة والنيّة واحدة في اللغة[٢]، وإذا كانت متقدّمة على الفعل سمّيت عزماً وتوطيناً للنفس، وإذا كانت مقارنة للفعل سمّيت قصداً وإيثاراً واختياراً بشرط أن تكون من فعل المريد.

والياء الأوّل في النيّة منقلبة عن الواو، والأصل «النوية» فقلبت الواو ياءً لكسرة النون ووقوع الياء بعدها، ثمّ ادغمت في الياء فصارت نيّة؛ بدلالة نوى

---

(١) الرسائل العشر للطوسي: ٧٧.
(٢) الصحاح ٦: ٢٤١٥، مادة (طوى).

الوجود ـ على ضرب من التقدير ـ ولا يطلق إلّا على الله؛ لمنع سمعي، ويستعمل فينا مقيداً، يقال: خلقت الأديم أي قدرته، وكذلك يسمّىٰ الإرادة عزماً وتوطيناً للنفس إذا كانت متقدّمة على الفعل، ويسمّىٰ قصداً وإيثاراً واختياراً إذا كانت مقارنة للفعل بشرط أن يكون من فعل المريد[١].

فإن قيل: لِمَ لم يقل: الأفعال بالنيات؟ قلنا: الأعمال تختصّ بالمعالجات بالجوارح، والأفعال تُنسب إلىٰ القلوب وإلىٰ الجوارح وإلى الله تعالىٰ، فلو كان الخبر علىٰ الصيغة التي سئل عنها لكان فيه إثبات النية لله وهي مستحيلة عليه تعالىٰ في جميع أفعاله، ويلزم أن يكون لكلّ فعل من أفعال القلوب نية، حتّىٰ يجب لكلّ إرادة إرادة فتؤدي إلىٰ ما لا نهاية.

علىٰ أنّ الحثّ منه ﷺ لأُمته علىٰ أن تكون أعمالهم الظاهرة التي يدخل فيها الرياء والسمعة خالصة لله طالبين بها رضاه ورحمته، ولا يكون كذلك إلّا من نية

---

ينوى فهو ناءو[٢]، والأمر منوي عليه.

الأعمال جمع عمل، وهو كلّ فعل فيه بعض الأحكام والملحق فاعله المشقّة في فعله، ولذلك لا يجري على الله تعالى.

وللفعل أحوال يختلف عليه الاسم لاختلافها، أعمّها الفعل وهو ما وجد بعد أن كان مقدوراً، ثمّ الصنع وهو الفعل المحكم، ولذلك يقال للمحترفة: صنّاع؛ لأنّهم يُحكمون الصناعات، وقد يجري على الله تعالى وعلينا، ثمّ الخلق وهو إخراج المقدور من العدم إلى الوجود على ضرب من التقدير، ولا يُطلق إلّا على الله تعالى، لمنع سمعي، ويستعمل فينا مقيّداً، يقال: فلان خلق الأديم فعلاً، أي

---

(١) الرسائل العشر للطوسي: ٧٦.

(٢) كذا في النسخة، والصحيح: ناوي، وبعد حذف الياء في حالتي الرفع والجرّ تكون: ناوٍ.

صحيحة.

و«الأعمال» رفع بالابتداء، وخبره على التحقيق هو الذي تعلق حرف الجر به، وتقديره الأعمال واقعة أو صحيحة بالنيات، والجارّ والمجرور في موضع الرفع لوقوعه موقع خبر المبتدأ، ويجوز أن يكون التقدير: وقوع الأعمال موقع الصحّة والقبول بالنيات، والأعمال واقعة موقع الصحّة بالنيّات.

**وسبب الخبر**: أنّ النبي صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلىٰ المدينة فهاجر بعضهم لرضا الله، وبعضهم لغرض دنيوي من تجارة ونكاح ومال، فأطلعه الله عليه، فقال: ***الأعمال بالنيّات، وإنّما كان لكلّ امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه***.

والأولىٰ حمله على العموم، علىٰ أنّ العموم إذا خرج على سبب خاصّ

**الضوء في شرح الشهاب**

فقدره، قال الله تعالى: ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[1] قال الشاعر:

*ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثمّ لا يفري*[2]

وقال آخر:

*ولا يبط بأيدي الخالقين ولا أيدي الخوالق إلّا جيّد الأدم*[3]

ومثله الربّ في أنّه لا يطلق إلّا على الله تعالى، ويستعمل فينا مقيّداً، يقال: فلان ربّ الدار وربّ الضيعة، وقال عليه السلام لأعرابي: ***أربّ إبل أنت أم ربّ غنم***؟ فقال: من كلّ آتاني الله تعالى فأكثر وأجزل[4].

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ١٤.
(٢) كنز الفوائد: ٢٩، والشاعر هو زهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان.
(٣) تمهيد الأوائل للباقلاني: ٣٥٠.
(٤) مسند أحمد ٤: ١٣٦، تفسير الثعلبي ١: ١١٠.

لا يجب قصره عليه.

---

ثمّ الكسب وهو كلّ فعل يُجر به النفع، ويقال لجوارح الطير كـواسب، قـال لبيد:

........................ *غـبس كـواسب مـا يـمنّ طـعامها*[١]

ولا يجري عليه تعالى لاستحالة النفع.

فأمّا الإحداث والإيجاد والإنشاء فيجري على الله تعالى وعلينا.

وأمّا الاختراع فلا يجري إلّا على الله تعالى من طريق اصطلاح أهل الكلام[٢]. وأمّا في اللغة فيجري علينا وعليه جلّ جلاله.

والباء تتعلّق بمحذوف، والتقدير: وقـوع الأعـمال مـوقع الصـحة والقـبول بالنّيات، أو الأعمال واقعة موقع الصحة بالنيّات. ورفـعه بـالابتداء وخـبره عـلى التحقيق هو الذي تعلّق حرف الجر بـه، وتـقديره: الأعـمال واقـعة أو صـحيحة بالنيات، فالجار والمجرور في موضع الرفع لوقوعه موقع خبر المبتدأ والباء ها هنا هي التي في قولة قصير للزباء: إنّما المَرء بأصغريه بقلبه ولسانه[٣]، يعني إنّما المرء مرء بأصغريه.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وذلك أنّ رسول الله ﷺ لمّا هاجر من مكّة إلى المدينة أمر أصحابة بالهجرة فهاجروا، فهاجر بعضهم من نيّة صادقة مـتابعة

---

(١) ديوان لبيد: ١٧١، وتمام البيت:

لمـعفر قـهد تـنازع شـلوه غبس كواسب لا يمنّ طعامها

(٢) رسائل المرتضى ١ : ١٣٧.

(٣) الذي عثرنا عليه أنّ هذا المثل قاله شقة بن ضمرة التـميمي للـمنذر بـن مـاء السـماء لمّـا استصغر شقة وقال له: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه.

وفيات الأعيان ٤ : ٦٨.

**٢ـ المَجَالِسُ بالأَمَانَةِ**[١].

**معنى الخبر**: النهي عن النميمة، والأمر بأداء الأمانة في المجالس بحفظ ما يُسمع فيها وصيانته عن الإذاعة والإفشاء؛ لأنّ من أفشىٰ ونقل ما جرىٰ هنالك ربّما أدّىٰ إلى إهلاكه في الدنيا، وربما كان يجري في مجلس أسرار يجب حفظها، فإن أُفشيت أدّىٰ إلىٰ تلف أموال وهلاك نفوس.

وقيل: «حفظ السرّ من أعظم البرّ، وإفشاء السرّ من أقبح الشرّ»[٢] و«صدور الأحرار قبور الأسرار»[٣].

والمجلس: موضع الجلوس، ويكون مصدراً.

والأمان والأمانة واحد، والأمانة يستعمل في الشيء المودَع عند أمين.

والباء يتعلق بمحذوف، يعني قوام المجالس وصلاح المجالس يكون

**الضوء في شرح الشهاب**

لأمر الله وموافقة لرسوله، وبعضهم هاجر لغرض دنيوي من تجارة أو نكاح امرأة، فلمّا اطّلع رسول الله على ذلك قال: ***الأعمال بالنيّات، وإنّما لكلّ امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوّجها فهجرته إلى ما هاجر إليه***. والأولى حمله على العموم. ومعنى الخبر أنّ الأعمال لا تقبل إلّا بالنيّة على ما بيّناه.

**٢ـ قوله ﷺ: المَجَالِسُ بالأَمَانَةِ.**

المجالس جمع مجلس، وهو موضع الجلوس، والباء تتعلّق بمحذوف.

---

(١) الكافي ٢: ٦٦٠ / ١ ـ ٣، مسند أحمد ٣: ٣٤٢، سنن أبي داود ٢: ٤٤٩ / ٤٨٦٩.

(٢) كشف الخفاء ٢: ٢٣ / ١٥٩٧، سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٣٣.
وقال العجلوني: هو من كلام ذي النون المصري.

(٣) كشف الخفاء ٢: ٢٣ / ١٥٩٧، سير أعلام النبلاء ١٩: ٣٣٣.
وقال العجلوني: هو من كلام ذي النون المصري.

بالأمانة، ثمّ حذف المضاف وأُقيم المضاف إليه مقامه، وهذا كثير حيث لا يلتبس المعنىٰ.

وروي في الخبر زيادة، وهي: ***المجالس بالأمانة إلّا ثلاثة: مجلس سُفك فيه دم حرام، أو استحل فرج حرام، أو اقتطع مال***[١].

وقال عليه‌السلام: ***المجالس ثلاثة: غانم وسالم وشاجب***[٢]. يعني: أهل المجالس، والغانم: الذاكر. والسالم: الساكت. والشاجب: المفشي، من الشجب وهو الهلاك.

---

يعني: قوام المجلس، وصلاح المجالس، بالإضافة على حذف المضاف وإقامة المضاف [إليه] مقامه، وهذا كثير في كلام العرب، حيث لا يلتبس[٣] المعنى، قال الله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾[٤] يعني أهل القرية، ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾[٥] يعني أمر ربّك، وقال:

*حسبت بغام راحلتي عناقاً ... وما هي ويب غيرك بالعناق*[٦]

أراد صوت عناق.

والأمان والأمانة واحد، وكذلك الأمن، تقول: أمنت أمناً وأماناً، والأمانة يستعمل في شيء عند أمين، قال الله تعالى ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا**﴾[٧] جعلها اسماً ثمّ جمعها، والأصل المصدر.

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٣ / ٤٠، مسند أحمد ٣: ٣٤٣، سنن أبي داود ٢: ٤٤٩ / ٤٨٦٩.
(٢) أمالي الطوسي: ٥٣ / ٤٠، مسند أحمد ٣: ٣٤٣، سنن أبي داود ٢: ٤٤٩ / ٤٨٦٩.
(٣) في النسخة: لا تلبس، وما أثبتناه أنسب.
(٤) سورة يوسف ١٢: ٨٢.
(٥) سورة الفجر ٨٩: ٢٢.
(٦) لسان العرب ١٥: ٨٠، مادة (عقا)، والبيت لذي الخرق الطهوي.
(٧) سورة النساء ٤: ٥٨.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

الضوء في شرح الشهاب

وروي في الخبر زيادة وهي: ***المجالس بالأمانة إلّا ثلاثة: مجلس سفك فيه دم حرام، أو استحل فرج، أو اقتطع مال.***

وقال ؏: ***المجالس ثلاثة: غانم وسالم وشاجب***. يعني أهل المجالس، فالغانم: الذاكر، والسالم: الساكت، والشاجب: المغتاب أو المفشي من الشجب، وهو الهلاك؛ لأنّ من أفشى ونقل ما جرى هنالك ربّما أدّى إلى هلاكة في الدنيا وهلاكه في الآخرة معلوم إلّا إذا تاب.

ويروى: ***المجالس بالأمانة، ومن الخيانة أن يحدّث الرجل أخاه ويقول له: اكتمه***[1] ***عليّ فيفشيه***[2]، وربّما كان يجري في تلك المجالس أسرار يجب حفظها، فإن أُفشيت أدّى إلى هلاك نفوس وتلف أموال، وقيل: حفظ السرّ من أعظم البرّ، وإفشاء السرّ من أقبح الشرّ، وقيل: صدور الأحرار قبور الأسرار.

وقال مسكين الدارمي:

| | |
|---|---|
| فتيان صدق لست مطلع بعضهم | على سرّ بعض كان عندي جماعها |
| لكل امرئ شعب من القلب فارغ | وموضع نجوى لا يرام اطلاعها |
| يبيتون شتى في البلاد وسرّهم | إلى صخرة أعيا انصداعها[3] |

ولآخر في معناه:

| | |
|---|---|
| ما يكتم السرّ إلّا كلّ ذي خطر | والسرّ عند كرام الناس مكتوم |
| والسرّ عندي في بيت ماله غلق | قد ضلّ مفتاحه والباب مختوم[4] |

---

(١) في النسخة: التمسه، وما أثبتناه من المصادر وهو المناسب لسياق الحديث.

(٢) كشف الخفاء ٢: ١٩٨ / ٢٢٦٩، الدر المنثور ٥: ٢٢٦.

(٣) الزهرة: ٧٢٧، الأمالي لإسماعيل القالي ٢: ١٧٩.

(٤) ديوان الإمام علي ؏: ١٣٦، وفيه في الشطر الأول من البيت الأول: ←

**٣ـ المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**[1].

**يعني**: إذا طلبت المشورة من أحد ينبغي أن يؤتمن فيما يشير إليه، فاعتمد

---

ولآخر:

ومستودعي سرّاً تضمّنت حفظه ... فبوأته صدري فصار له قبرا
وزلة جار فاجر قد سترتها ... ولو مثلها مني رأى هتك السترا[2]

ومثله لأبي الشيص:

لا تأمنن على سرّي وسرّكمُ ... غيري وغيرك أو طي القراطيسِ
أو طائراً ساحلية وأنعتهُ ... ما زال صاحب تنقير وتأسيسِ
سوداً براثنه ميلاً ذوائبهُ ... صفراً حمالقه في خلق طاووسِ
قد كان همّ سليمان ليذبحه ... لولا سعايته يوماً ببلقيسِ[3]

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى.

المجالس مرفوعة بالابتداء، وخبره المحذوف الذي تعلّق حرف الجرّ به، أيّ المجالس محفوظة مرعية بالأمانة.

***ومعنى الخبرين:*** الأمر بالنية، وأداء أمانة المجالس بحفظ ما يسمع فيها، وصيانته عن الإفشاء والإذاعة.

**٣ـ المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ.**

يروى: ***والمستشير معانٍ***، وهو الذي يطلب المشورة، والمستشار من يُطلب

---

➔ لا تودع السرّ إلّا عند ذي كرم

(١) مسند أحمد ٥: ٢٧٤، سنن أبي داود ٢: ٥٠٤ / ٥١٢٨، المحاسن ٢: ٦٠١ / ٢٠، الغارات ٢: ٩١٩.

(٢) فوت القلوب في معاملة المحبوب: ٢٧٩.

(٣) عيون الأخبار ١: ١٠٠.

عليه ولا تسئ ظنّك به.

وقيل: معناه لا تطلب المشورة ولا تستشر إلّا من كان أميناً عندك، ويكون غالب ظنّك أنّه أمين، فإن ظننته خائناً[1] فلا تستشره.

وروي بعده: ***والمستشير معانٍ***[2]. والمعنىٰ أنّ الذي يطلب منك المشورة يجب عليك أن تعينه بالرأي والإشارة إلى الصواب.

وفي خبر آخر: ***المستشار بالخيار إن شاء قال، فإن قال فلينصح***[3].

وقد أمر الله نبيه بالمشورة فقال: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾[4] فاستشار عليه السلام أصحابه في باب الأُسارىٰ، فأشار أبو بكر بالاستبقاء، وعمر بالاستيصال، فصار عليه السلام إلىٰ رأي أبي بكر بعد ما نزل عليه الوحي بالاستبقاء[5]؛ وإنّما فعل ذلك لإدخال

**الضوء في شرح الشهاب**

منه المشورة، يقال: استشرت فلاناً في كذا، وشاورته فأشار عليّ بما كان عنده من الرأي، وأصل الكلمة الاستخراج، من قولهم: شرت العسل وأشرته واشترته، قال عديّ:

*في سماع يأذن الشيخ له      وحديث مثل ماذي مشار*[6]

أي عسل مستخرج، والسين في اللفظين للطلب.

وقوله: معان، يعني يجب أن يعان بالرأي والإشارة إلى الصواب.

---

(١) في النسخة: خائباً. وما أثبتناه مناسب للسياق.

(٢) التمهيد ٨: ٣٧٠، كنز العمال ٣: ٤١٠ / ٧١٨٧، تاريخ مدينة دمشق ٥٨: ٤١٠، وفي جميع المصادر وردت هذه الفقرة من الحديث قبل «المستشار مؤتمن» وليس بعده.

(٣) كشف الخفاء ٢: ٢٠٥ / ٢٢٩٤، وفيه: وهو بالخيار إن شاء تكلم وإن شاء سكت، فإن تكلم فليجهد رأيه. وذكر للحديث صوراً أُخرىٰ.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

(٥) مسند أحمد ١: ٣١، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٤٧٤ / ٣٢.

(٦) أمالي المرتضى ٢: ٨١، الفائق في غريب الحديث ١: ٢٨.

السرور عليهم، وليعلموا أنّهم في العداد، وإلّا فما حاجته إلى استشارة أحد مع نزول الوحي عليه.

ويقال: استشرتُ فلاناً وشاورته، فأشار عليَّ بما كان عنده من الرأي.

وأصل الكلمة: الاستخراج لشيءٍ حسن، من قولهم: شُرتُ العسل أي تناولته من موضعه. والسين في الاستشار[ة] للطلب، وائتمنته أي وجدته أميناً واتخذته أميناً.

---

وقوله: مؤتمن، أي ينبغي أن يؤتمن فيما يشير إليه.

وقيل: معناه: لا تستشر إلّا من كان أميناً عندك وفي ظنّك، فإن ظننته خائناً فلا تستشره.

وفي خبر آخر: ***المستشار بالخيار إن شاء قال وإن شاء سكت، فإن قال فلينصح***. وقد أمر الله تعالى نبيه بالمشورة، فقال: ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**﴾ فاستشار النبي عليه السلام أصحابه في باب الأُسارى، فأشار عليه أبو بكر بالاستبقاء، وعمر بالاستئصال، فصار عليه السلام إلى رأي أبي بكر بعد ما نزل عليه الوحي بالاستبقاء؛ وإنّما فعل ذلك لإدخال السرور عليهم، وليعلموا أنّهم عنده في العداد وإلّا فما حاجته إلى استشارة أحد مع نزول الوحي عليه.

وقال بعضهم:

*شاور صديقك في الخفيّ المشكلِ　　واقبل نصيحة ناصح متفضّلِ*

*فالله قد أوصى بذاك نبيّه　　في قوله شاورهم وتوكّلِ*[1]

وقال عليه السلام: ***ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه محمّد أو أحمد فأدخلوه في مشورتهم إلّا خار الله لهم***[2].

(١) تفسير الثعلبي ٣: ١٩٢، تفسير القرطبي ٤: ٢٥٠، والشاعر هو أبو سلمة المؤدّب.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٢ / ٣٠، مكارم الأخلاق: ٢٢٠، وفيه: إلّا كان لهم خيراً، فضائل ←

**٤ـ العِدَةُ عَطِيَّةٌ**[١].

**معنى الخبر**: أنّ من وعد أحداً شيئاً أدخل عليه سروراً، فإذا كان في عزمه الوفاء استحقّ عليه الثواب والمدح، كما أنّه إذا اعطاه سرّ به واستحق الثواب عليه.

ويجوز أن يكون المعنىٰ أنّ الوعد من الرجل الصادق اللهجة بمنزلة العطاء؛ من حيث إنّه علم أنّ خلف الوعد من خُلْقِ الوغد[٢]، يوجب علىٰ نفسه الوفاء به،

**الضوء في شرح الشهاب**

وقال أبو الفتح السبتي في وصف المستشار:

*خصائص من تشاورهم لُمور — فخذ منها جميعاً بالوثيقة*

*وداد خالص ووفور عقل — ومعرفة بحالك في الحقيقة*

*فمن حصلت له هذي المعاني — فتابع رأيه والزم طريقه*[٣]

وقال الشيخ الإمام أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري في إنسان كان يلقّب بمؤتمن الملك وقد أحسن كلّ الإحسان وصنعه على طريق المعنى:

*امتحنوه فكان مؤتمنا — ثمّ استشاروه بعدما امتحنوا*

*ثمّ دعوه لذاك مؤتمنا — للملك والمستشار مؤتمنُ*[٤]

**ﻉ ٥ـ العِدَةُ عَطِيَّةٌ، العِدَةُ دَيْنٌ.**

العدة مصدر وَعَدَ يَعِدُ وعداً وعِدَةً، مثل: وَزَنَ يَزِنُ وَزْناً وزِنَة، والوعد إذا كان مطلقاً كان الموعود به خيراً، وإذا كان مقيّداً فهو صالح للخير والشرّ، تقول: وعدته

---

➔ التسمية بأحمد ومحمد: ٢٢، كنز العمال ١٦: ٤٢٢، وفي المصدرين الأخيرين ورد الحديث بهذا اللفظ: ما اجتمع قوم في مشورة معهم رجل اسمه محمد ولم يدخلوه في مشورتهم إلّا لم يبارك لهم.

(١) مجمع الزوائد ٤: ١٦٧، المعجم الأوسط ٢: ٢٠٩.

(٢) في النسخة: الوعد، وما أثبتناه أنسب.

(٣) و (٤) لم نعثر عليه في مظانّه والمصادر المتاحة.

فإذا وعده علىٰ هذا الوجه فكأنّما أعطاه؛ لأنّ العرب تسمّي الآخذ في الشيء والمبتدئ به فاعلاً لذلك الفعل، ومثله قوله تعالىٰ: ﴿**إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾[١] أي اشتغل بذبحك وآخذ في مقدماته وإعداد أسبابه.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وهو أنّ سائلاً سأل رسول الله شيئاً، فقال: ***ما عندنا شيء***، قال: عدني، فقال: ***إنّ العِدَة عطية***[٢].

ويُروىٰ: ***الوأي***[٣] ***مثل الدين أو هو أفضل***[٤].

وقال عليه السلام: ***إذا وعد*** [***الرجل***] ***أخاه شيئاً فلم يفِ له به وفي نيّته الوفاء فلا إثم عليه***[٥].

---

خيراً وشرّاً. فأمّا أوعد من الوعيد فلا يستعمل إلّا في الشرّ، لا يقال: أوعدته خيراً.

وقيل: ***الكريم إذا وعد وفى، وإذا أوعد عفا***[٦]. قال:

*وإنّي إذا أوعدته [أو وعدته]* *لمخلف إيعادي ومنجز موعدي*[٧]

وهذا ـ أوعدته ـ غاية الكرم، في الواحد منّا[٨].

فإن قيل: إذا كان الله لا يخلف الميعاد فهل يجوز أن يخلف الإيعاد ليكون في غاية الكرم كما قلتم؟

---

(١) سورة الصافّات ٣٧: ١٠٢.

(٢) كشف الخفاء ٢: ٥٧.

(٣) في النسخة: الرأي. والوأي: الوعد. انظر: الصحاح ٦: ٢٥١٨ مادة (وأي).

(٤) كتاب الصمت وآداب اللسان: ٢٣٥ / ٤٥٤.

(٥) سنن أبي داود ٢: ٤٧٦ / ٤٩٩٥، السنن الكبرىٰ ١٠: ١٩٨، وفيهما: إذا وعد الرجل أخاه ومن نيّته أن يفي له فلم يفِ ولم يجيء للميعاد فلا إثم عليه.

(٦) عيون الحكم والمواعظ: ٢٧، وفيه: (قدر) بدل (أوعد).

(٧) لسان العرب ١٤: ٢٢٣، مادة (ختا).

(٨) كذا ورد في النسخة، والمراد أنّ هذا الخلف في الإيعاد في غاية الكرم.

والعِدَة: الوعد كالزِنَة والوزن والصِفَة والوصف، وأصلها وِعْدَة ووِزْنَة ووِصْفَة، ووعدت فلاناً ـ إذا كان هكذا مطلقاً ـ كان الموعود به خيراً، وإذا كان مقيّداً فهو صالح للخير والشر، نقول: وعدته خيراً ووعدته شراً، فأما «أوعد» فهو من الوعيد لا تستعمل إلّا في الشرّ.

والعطية اسم للإعطاء؛ لأنّ الفعل منه أعطىٰ يعطي.

فإن قيل: كيف يصحّ روايتكم: ***الكريم إذا وعد وفا، وإذا أوعد عفا***[١]، فإذا كان الله لا يخلف الميعاد فهل يجوز أن يخلف الإيعاد ليكون في غاية الكرم كما قلتم؟

قلنا: لا يجوز ذلك؛ لأنّ الخلف كذب سواء كان للميعاد أو للإيعاد، إلّا أنّا نقول: من عفا الله وغفر له فالوعيد لم يتناوله في سابق علم الله، ولم يدخل في عموم قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ**﴾[٢].

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

قلنا: لا يجوز؛ لأنّ الخلف كذب سواء كان للميعاد أو للإيعاد، إلّا أنّا نقول: من عفا الله عنه وغفر له فالوعيد لم يتناوله في سابق علم الله، ولم يدخل في عموم قوله: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ**﴾[٣]؛ لأنّ العموم لا صيغة له تختص به، بل هي صالحة للعموم والخصوص بدلالة حسن الاستفهام؛ لأنّ العاقل إذا قال: من دخل داري أكرمته، يحسن أن يُستفهم فيقال: أمن العلماء أم من عامّة الناس؟ ومن دفع حسن هذا الاستفهام كان مكابراً.

والعطية اسم الإعطاء؛ ولأنّ الفعل منه أعطى يعطي، والثلاثي منه عطا يعطو إذا أخذ، قال امرؤ القيس:

---

(١) عيون الحكم والمواعظ: ٢٧.

(٢) سورة النساء ٤: ١٤.

(٣) سورة النساء ٤: ١٤.

**٥ـ العِدَةُ دَيْنٌ**[١].

**معناه:** إذا وعدت أخاك شيئاً فأوفِ له لذلك، فإنّ الوفاء بالوعد يجب كوجوب قضاء الدين في قضية العقل. والأظهر أنّ هذا الخبر حثّ للواعد على الإنجاز والوفاء فقط.

---

*وتعطو برخص غير شثن كأنّه أساريع ظبي أو مساويك إسحل*[٢]

وأعطاه أي مكّنه من الأخذ، من باب حفرت بئراً وأحفرت زيداً بئراً إذا مكنته من الحفر وجعلته حافراً.

ومعنى الخبر على وجهين:

يجوز أن يريد أنّ من وعد أحداً شيئاً أدخل عليه سروراً، ويستحقّ عليه المدح والثواب، كما أنّه إذا أعطاه سُرّ به واستحقّ الثواب عليه.

ويجوز أن يكون المعنى أنّ الوعد من الرجل الصادق اللهجة بمنزلة العطاء، من حيث إنّه علم أنّ خلف الوعد من خلف الوعد[٣]. يوجب على نفسه الوفاء به فإذا وعده على هذا الوجه فكأنّما أعطاه؛ لأنّ العرب تسمّي الآخذ في الشيء والمبتدئ به فاعلاً لذلك الفعل، ومثله قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿**إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾ أي اشتغل بذبحك وآخذ في مقدّماته وإعداد أسبابه.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وهو أنّ سائلاً سأل رسول الله شيئاً، فقال: ***ما عندنا شيء***، قال: عدني، فقال عليه السلام: ***العدة عطية***.

---

(١) مجمع الزوائد ٤: ١٦٦، المعجم الأوسط ٤: ٢٣، شرح نهج البلاغة ١٠: ١٤٠.

(٢) كتاب العين ٢: ٢٠٨، مادة (عطو).

(٣) كذا في النسخة، وتقدّم في الضياء: خلق الوغد.

والخبر الأول له معنيان كما ذكرنا:

**أحدهما:** الحثّ علىٰ الوفاء بالمواعيد، وأنّه يكره الخلف فيها، كما يكره الرجوع في العطاء.

**والثاني:** أنّه بشارة للموعود إذا كان من كريم، وقد ذكرنا سببه المؤكّد لهذا الوجه.

والصيغة التي ذكرها في الخبرين بمنزلة قولهم: أبو يوسف أبو حنيفة أي ينزّل منزلته ويقوم مقامه، فالعِدَةُ كالدين، لكانت[1] دونهما بدرجات.

**الضوء في شرح الشهاب**

ويُروى: ***الوأي مثل الدّين*** ـ الوأي: الوعد ـ ***أو هو أفضل***.

وقال عليه السلام: ***إنّ الرجل إذا وعد أخاه شيئاً فلم يفِ له به وفي نيّته الوفاء فلا إثم عليه***.

وقوله: العِدَة دين، يعني يجب الوفاء به كوجوب قضاء الدين في قضية العقل، وقال:

*إذا قلت في شيء نعم فأتمّهُ* ... فإنّ نعم دين على *الحرّ* واجبُ

وإلّا فقل لا فاسترح وأرح به ... لكيلا يقول *الناس أنّك كاذبُ*[2]

وقال آخر:

وإذا وعدتُ *الوعد* كنت كغارم ... ديناً أقرّ به ولُحضر كاتبا

وإذا منعتُ [منعتُ] منعاً بيّنا ... وأرحت من طول *العناء الرّاغبا*[3]

والخبران واردان في إنجاز الموعد، وأن يراه الواعد كالعطاء المعطن[4].

---

(١) كذا في النسخة، ولعلها: وإن كانت.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٦: ١١٥، والشاعر هو أحمد بن يوسف.

(٣) الأغاني ١٢: ٤٨٩.

(٤) كذا في النسخة، ولعلّها تصحيف: المعطىٰ.

وقيل: ورد هذا الخبر في حقّ الواعد والأول في حقّ الموعود فحسب.

**٦ـ الحَرْبُ خُدْعَة**[١].

**معناه:** أنّ المماكرة في الحرب أبلغ وأنفع من المكابرة والإقدام عن غير علم.

وقيل: معناه إذا خُدِع المقاتل مرّة واحدة لم يكن لها إقالة[٢]. وفتح الخاء أفصح، وروي بضمها، والمعنى: أنّ بعض الحرب حيلة ليس كلّها بالقوّة، أو أصل الحرب مكر، وبضمّ الخاء ونصب الدال بمعنى أنّها تخدع الرجال وتمنّيهم ثمّ لا تفي لهم، ونحو قوله عليه‌السلام: ***الحرب سجال***[٣]. مرّة لنا ومرّة علينا.

---

والدين الذي يجب قضاؤه عقلاً وشرعاً.

**٦ـ الحَرْبُ خُدْعةٌ.**

الحرب اسم للمحاربة، ويجوز أن يكون مصدر حربه ـ إذا سلبه ـ حَرْباً وحَرَباً، والحَرْب الشيء المحروب، فَعْل بمعنى مَفْعُول كالسَّلْب بمعنى المَسْلُوب؛ لأنّ غرضهم في المحاربة في أغلب الأحوال السلب والغنيمة، ثمّ اختصّ بالعرف بالمقاتلة والضرب والطعن، ألا ترى إلى قول بعضهم:

*وكنّ إذا أغرن على جناب ... وأعوزهنّ نهب حيث كانا*

*أغرن من الضباب على حلول ... وضبة أنّه من حان خانا*

*وأحياناً على بكر أخينا ... إذا ما لم نجد إلّا أخانا*[٤]

---

(١) مسند أحمد ١: ٩٠، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٨ / ٥٧٩٤.

(٢) بحار الأنوار ٢٠: ٢١٤، سير أعلام النبلاء ١١: ١٣٣، هامش (١).

(٣) السيرة الحلبية ٢: ٥٣٠. والسَّجل: الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قلّ أو كثر، والمساجلة، المفاخرة، بأن تصنع مثل صنعه من جري أو سقي، و«الحرب سجال» من أمثال العرب. انظر: الصحاح ٥: ١٧٢٥، مادة (سجل)، مجمع البحرين ٢: ٣٤١، مادة (سجل).

(٤) عيون الأخبار ١: ٢٨٨.

***وفائدة الخبر:*** أنّ المحارب إذا خَدع من يحاربه مرّة وانخدع له ظفر به وهزمه. ومعناه على الخدعة أي يخدع فيها القرن، والخدعة نعت الحرب أي أنّها تخدع الرجال.

وفيه دليل علىٰ جواز المماكرة في الحرب، وإنّما تؤنث الحرب لأنّها اسم للمحاربة، وفي الأصل مصدر حَرَبَه ـ إذا سلبه ـ حرباً.

والخَدْعَة: المرّة من الخداع. والخُدْعَة ما يخدع به الصبّي وغيره، كأنّها مخدوع بها. والخُدَعَة الفاعل كالضُحَكَة للذي يضحك من الناس.

***وتحقيق الحديث:*** أنّ الحرب لا تكون بالشدّة والجلادة والقهر والشجاعة، وإنّما هي[1] بالحزم والرأي والعلم.

**الضوء في شرح الشهاب**

إلّا من حملته عزّة النفس وأريحية الكرم على التعفّف عن ذلك، كما قال الطائي في ممدوحه:

*إنّ الأُسود أُسود الغاب همّتها* *يوم الكريهة في المسلوب لا السلب*[2]

وكما فعل أمير المؤمنين عليه السلام يوم قتل عمرو بن عبد ود ولم يسلبه تكرّماً وتعفّفاً، وقال في ذلك أبياتاً منها:

*فصددت حين تركته متجدّلاً* *كالجذع بين دكادك وروابي*

*وعففت عن أثوابه ولو انّني* *كنت المقطّر بزّني أثوابي*

فقال بعض الصحابة: هلا سلبته؟ فقال: ***استحييت أن أكشف عن سوءة ابن عمّي***[3].

---

(١) في النسخة: هو، وما أثبتناه هو الصحيح.

(٢) ديوان أبي تمّام: ١٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ٣٨٣، الإرشاد ١: ٩٩، المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٣.

وقيل: إنّه ﷺ قاله في قتل عمرو بن عبد ودّ[١]، وروي أنّه قاله يوم الأحزاب لمّا بعث نعيم بن مسعود ليخذّل بين قريش وغطفان واليهود[٢].

---

والخَدْعَة: المَرّة من الخداع، والخُدْعَة ما يخدع به الصبيّ كأنّه مخدوع بها، ومنه قوله ﷺ في كتاب له إلى معاوية: ***وأمّا تلك التي تريد فإنّها خُدْعَة الصّبي عن اللبن في أوّل الفصال***[٣].

وقيل: هما لغتان، وكذلك الخُدْعَة، وقيل: الفتح لغة أهل الحجار والضم لغة سائر العرب، والخدعة قبيلة من بني تميم، والأخدع عرف في سالفة العنق، ورجل مخدوع منه ذلك، ودينار خادع، أي ناقص، وفي الحديث في أشراط الساعة: **سنون خدّاعة**[٤]. وهي التي يكثر مطرها ويقلّ ريعها، والأخداع: الستر، ومنه المخدع لبيت يخدع فيه المتاع، وقيل: أصله الفساد، من قول الشاعر:

*أبيض اللون لذيذ طعمه — طيب الرّيق إذا الريق خدع*[٥]

أي فسد.

وقولهم: واحرباه، قيل فيه قولان:

**أحدهما:** أنّه لمّا مات حرب بن أُميّة صاحت النسوة عليه، فقلن: واحرْباه، ثمّ ثقّل فقيل: واحرَباه[٦]. هذا الوجه ضعيف.

**والوجه الثاني** ـ وهو الوجهان[٧] ـ: الحَرَب: المال المَحرب، فإذا أُغير على

---

(١) تذكرة الفقهاء ٩: ٨٣، مسألة (٤٢)، المغني لابن قدامة ١٠: ٣٩٧.

(٢) تفسير القرطبي ١٤: ١٣٥.

(٣) نهج البلاغة: ٥٣٤ / ٦٤.

(٤) المجازات النبوية: ٤٢، الفائق في غريب الحديث ٢: ٤٢٥.

(٥) تفسير الثعلبي ١: ١٥٢، الصحاح ٣: ١٢٠٢ مادة (خدع)، والشاعر هو سويد بن أبي كاهل.

(٦) تاج العروس ١: ٤١١، مادة (حرب).

(٧) كذا في النسخة.

**٧ـ النَّدَمُ تَوْبَةٌ**[١].

أي معظم أركانها الندم، كما قال: ***الحجّ عرفة***[٢]، واقتصر في التوبة على الندم دون العزم علىٰ أن لا يعود إلى مثل الذنب الذي فعله؛ لأنّه إذا كان مصرّاً غير مقلع فإنّه لا يكون نادماً على الحقيقة.

وقال أبو جعفر الطوسي: إذا تاب الرجل من بعض الكبائر مُصّراً علىٰ بعضها

**الضوء في شرح الشهاب**

حيّ وحرب مالهم قالوا: واحرباه، أي وامحروباه يعني المال المحروبات[٣].

***ومعنى الحديث:*** أنّ الحرب لا تكون بالشدّة والجلادة والقهر والشجاعة، وإنّما هو الحزم والرأي والعلم، كما قال أبو الطّيب:

*الرّأي قبل شجاعة الشجعان ... هو أوّل وهي المحلّ الثاني*

*فإذا هما اجتمعا لنفس مرّة ... بلغت من العلياء كلّ مكانِ*

*ولربّما طعن الفتى أقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الأقرانِ*

*لولا العقول لكان أدنى ضيغم ... أدنى إلى شرف من الإنسان*[٤]

**٧ـ النَّدَمُ تَوْبَةٌ.**

الندم مصدر ندمت على كذا أندم ندماً، قيل: هو من باب الاعتقاد، وقيل: هو من باب العلم؛ لأنّه إذا فعل فعلاً ثمّ بدا له بعد ذلك أنّ له في ذلك الفعل ضرراً أو فوت منفعة ندم على ما فعله، وقيل: هو التحيّر، وقيل: هو معنى بدا له.

وقد حدّ المتكلمون التوبة بأنّها ندم على ما مضىٰ وعزم على أن لا يعود إلى

(١) مسند أحمد ١: ٣٧٦، ٤٢٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٤٢٠ / ٤٢٥٢، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠ / ٥٨١١، تحف العقول: ٥٥.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣١٠، مستدرك الوسائل ١٠: ٣٤.

(٣) لسان العرب ١: ٣٠٤ مادة (حرب)، القاموس المحيط ١: ٥٣ مادة (حرب).

(٤) ديوان المتنبي: ٣٣٣.

تصحّ توبته[١].

والصحيح أنّها لا تصّح، قاله المرتضى[٢].

وحدّ التوبة: أنّه ندم علىٰ ما مضىٰ وعزم على أن لا يعود إلىٰ مثله لقبحه أو لوجه قبحه[٣]. والندم من باب الاعتقاد، وقيل: هو من باب العلم؛ لأنه إذا فعل فعلاً ثمّ بدا له بعد ذلك أنّ له فيه ضرراً أو فوت منفعة ندم علىٰ ما فعله. وقيل: هو معنى برأسه. وقيل: هو التحسّر فقط[٤].

وعن النبي عليه السلام ***من أخطأ خطيئة أو أذنب ذنباً ثمّ ندم فهو كفّارة له***. رواه ابن مسعود[٥].

---

مثله لقبحه أو لوجه قبحه على اختلاف فيه بينهم، وعلى هذا يترتب أنّ الرجل إذا تاب من بعض الكبائر وأصرّ على بعضها هل تصّح توبته أم لا؟

فعند أبي علي تصح، وإلى هذا ذهب شيخنا أبو جعفر الطوسي قدّس سرّه.

وعند أبي هاشم لا تصحّ وإلى هذا ذهب المرتضى رحمه الله، وهو الصّحيح.

والتوبة فَعْلَة من تاب إذا رجع، يقال: تاب وآب وآل وآض وأناب إذا رجع، إلّا أنّ التوبة والإنابة اختصتا بالعرف والشرع بالرجوع عن المعصية إلى الطـاعة، فأمّا الأوب والأوْل والأيض فهي عامة في كلّ رجوع، وقد تجري على الله تعالى وعلينا، فالعبد تائب والله توّاب.

يعني أنّ العبد يتوب إلى الله، والله يتوب على العبد، فالفرق بـينهما يـتبين

(١) التبيان ١ : ١٧١.

(٢) الشافي في الإمامة ٤ : ٣٣٤.

(٣) المواقف ٣ : ٥١١.

(٤) اُنظر: شرح اُصول الكافي ١٠ : ١٦٧.

(٥) المعجم الكبير ١٠ : ٢٢٢ / ١٠٥٣٧، كنز العمال ٤ : ٢١٩ / ١٠٢٤٢.

وقال له رجل: يا رسول الله، إنّي رجل مقراف للذنوب، فقال: ***تب إلى الله***، فقال: يا رسول الله إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: ***كلّما أذنبت فتب***، قال: إذاً تكثر ذنوبي، قال: ***عفو الله أكثر من ذنوبك***[١].

وقال: ***المؤمن واهٍ راقع، فالسعيد من هلك علىٰ رقعه***[٢].

والتوبة: الرجوع عن المعصية إلىٰ الطاعة سرعاً.

**الضوء في شرح الشهاب**

بالصلة، ففعلنا يُعدّى بإلىٰ وفعل الله يُعدّى بعلى.

وإنّما اقتصر عليه السلام في التوبة على الندم دون العزم لأنّ النادم إذا أخلص ندمه لابدّ من أن يكون عازماً على أن لا يعود إلى مثله، فأمّا إذا كان مصرّاً غير مقلع فإنّه لا يكون نادماً على الحقيقة، وعن ابن عمر قال: كنّا نعدّ لرسول الله في المجلس الواحد سبعين مرّة: ***اللّهمّ اغفر لي وارحمني وتب عليّ إنّك أنت التّواب الرّحيم***[٣].

وروي أنّ رجلاً [جاء] إلى النبي، فقال: يا رسول الله، إنّي رجل مقراف الذنوب، فقال: ***تب إلى الله***، فقال: يا رسول الله، إنّي أتوب ثمّ أعود، قال: ***كلّما أذنبت فتب***، قال: إذاً تكثر ذنوبي، قال: ***عفو الله أكثر من ذنوبك***.

وقال عليه السلام: ***والمؤمن واهٍ***[٤] ***راقع فالسّعيد من هلك على رقعه***.

---

(١) مجمع الزوائد ١٠: ٢٠٠، كنز العمال ٤: ٢٦٦ / ١٠٤٤١، وسائل الشيعة ١٦: ٨١ / ٥، باختلاف.

(٢) مجمع الزوائد ١٠: ٢٠١، المعجم الصغير ١: ٦٦.

(٣) السنن الكبرى ٦: ١١٩، المعجم الكبير ١٢: ٣١٧، وفيهما: (مائة مرّة) بدل (سبعين مرّة).

(٤) في النسخة: مرة، وما أثبتناه من المصادر وهو المناسب للسياق.
ومعنىٰ واه راقع: مذنب تائب، شبّهه بمن يبلىٰ ثوبه فيرقعه.
أُنظر: النهاية في غريب الحديث ٥: ٢٣٤.

**٨ـ الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ والفُرْقَةُ عَذَابٌ**[١].

**يعني:** كونوا مع جماعة الحقّ تُرحَموا، ولا تفارقوهم؛ فإنّ في مفارقتهم عذاباً.

وقيل: أراد بالجماعة اجتماع المسلمين علىٰ شيء، وبالفرقة اختلافهم فيه، والجماعة بمعنى الاجتماع، والفرقة بمعنىٰ الافتراق[٢].

والمعنىٰ علىٰ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، يعني الجماعة علامة الرحمة وسببها، والفرقة علامة العذاب أو سببه.

وقيل: المراد اجتماع المسلمين علىٰ كلمة واحدة وعلىٰ رأي واحد سبب الرحمة، وافتراقهم واختلاف كلمتهم سبب العذاب وعلامته؛ لأنّ ذلك إنّما يكون

---

وقال عليه السلام: ***لم نرَ شيئاً أحسن طلباً ولا أحسن إدراكاً من حسنة حديثة لذنب قديم***، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾[٣][٤] ضعيف[٥].

وعن ابن مسعود، عنه عليه السلام أنّه قال: ***من أخطأ خطيئة أو أذنب ذنباً ثمّ ندم فهو كفّارة له***.

**٨ـ الجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ والفُرْقَةُ عَذَابٌ**.

**يعني:** أنّ اجتماع المسلمين على كلمة واحدة وعلى رأي واحد سببه الرحمة، وافتراقهم واختلاف كلمتهم سبب العذاب وعلامته؛ لأنّ ذلك إنّما يكون بتوفيق من الله ولطف، وإذا تفرّقت جماعتهم، واختلفت كلمتهم، وتشتّتت آراؤهم تنازعوا

---

(١) مسند أحمد ٤: ٢٧٨، مجمع الزوائد ٥: ٢١٧، التمهيد ٢١: ٢٨١، المعتبر ٢: ٣٦٣.

(٢) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٣٦٩.

(٣) سورة هود ١١: ١١٤.

(٤) المعجم الكبير ١٢: ١٣٥، التمهيد ٢٢: ٢١٣، تفسير القرطبي ٩: ١١٢.

(٥) كذا في النسخة.

بتوفيق من الله ولطفه فإذا تفرّقت جماعتهم واختلف كلمتهم وآراؤهم تنازعوا وتخالفوا ولم يستقم لهم أمر، وهذا إنّما يكون بمعنىٰ اتفاق الآراء في الحروب والخروج إلىٰ العدو، فسبب الرحمة الموافقة والمطابقة وسبب العذاب المفارقة.

**٩ـ الأَمَانَةُ غِنىً[١].**

**معناه:** كونوا أهل الأمانة لا الخيانة، فإنّ الأمانة ذريعة للغِنىٰ ومظنّة لكثرة البيع والشرىٰ؛ لأنّ الأمانة بعينها غنىٰ.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وتخالفوا ولم يستقم لهم أمر، كما قال الشاعر:

*وتشعّبوا شعباً فكلّ جزيرة ... فيها أمير المؤمنين ومنبرُ*[٢]

وهذا إنّما يكون بمعنى اتفاق الآراء في الحروب والخروج إلى العدو، أو المقام على ما هو أصلح في الحال بأمارات توجب غلبة الظنّ.

وقيل: أراد بالجماعة إجماع المسلمين على شيء وبالفرقة اختلافهم فيه، والجماعة بمعنى الاجتماع، والفرقة بمعنى الافتراق.

والمعنى على حذف المضاف وهي إقامة المضاف إليه مقامه، يعني أنّ الجماعة علامة الرحمة وسببها، والفرقة علامة العذاب وسببه.

**٩ـ الأَمَانَةُ غنىً.**

**يعني:** أنّ الأمانة سبب الغنى، على حذف المضاف، وهي مصدر كالسماحة والشجاعة، يقال: أمن يأمن أمناً وأماناً وأمانة، وضدّها الخيانة، وإنّما كان كذلك؛ لأنّ الرجل إذا عُرف بالأمانة رغب الناس في معاملته ومبايعته، فقال عليه السلام: إنّ الأمانة

---

(١) مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٢٨٠/٩٢، النهاية في غريب الحديث ١ : ٧١، كنز العمال ٣ : ٥٤٩٢/٦٠.

(٢) تفسيرالقرطبي ١٦: ٣٤٥، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٣، والشاعر هو المساور بن هند بن قيس.

وتحقيقها: الأمانة سبب الغنىٰ، علىٰ حذف المضاف؛ فإنّ من عُرف بالأمانة يُرغب في معاملته، فقال: الأمانة هي عين الغنىٰ، علىٰ سبيل المبالغة.

**١٠ـ الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ**[١].

أي انصحوا للخلق؛ فإنّ قوّة الدين نصيحتهم، والأصل في النصيحة التلفيق بين الناس من النصح، وهو الخياطة.

وروي لمّا قال ﷺ ***الدين النصيحة***، قيل: لمن؟ قال: ***لله ولرسوله وللأئمة وعامة المسلمين***[٢].

فأمّا النصيحة لله فأداء طاعته، واجتناب معاصيه، وإخلاص العمل.

ونصيحة الرسول الاقتداء بأفعاله وأقواله والاستنان بسننه، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾[٣].

---

هي عين الغنى، على سبيل المبالغة، ومثله قول: ***الأمانة تجرّ الرزق، والخيانة تجرّ الفقر***[٤].

**١٠ـ الدِّينُ النَّصِيْحَةُ.**

الدّين جاء في القرآن وكلام العرب على معانٍ مختلفة، منها: الجزاء، كقولهم في المثل: كما تدين تدان، أي كما تفعل تُجازى، فسمّي الأُولى جزاء على سبيل المزاوجة، كما قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ**﴾[٥] والثاني لا يكون اعتداء، ومثله ﴿**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**﴾[٦] والثّانية لا تكون سيئة؛ لأنّ جزاء

---

(١) روضة الواعظين: ٤٢٤، كتاب المسند للشافعي: ٢٣٣، مسند أحمد ١: ٣٥١.
(٢) مسند أحمد ١: ٣٥١، صحيح البخاري ١: ٢٠، جمال الأُسبوع: ١٨٧.
(٣) سورة النور ٢٤: ٥٤.
(٤) يأتي من أحاديث الشهاب.
(٥) سورة البقرة ٢: ١٩٤.
(٦) سورة الشورىٰ ٤٢: ٤٠.

وأمّا نصيحة الأئمة فهي أن تطيعوهم في كلّ طاعة وصلاح.

وأمّا نصيحة العامة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشفقة عليهم، والدعاء لهم وكفّ الأذىٰ، وأن تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك.

وقال جرير بن عبد الله: بايعنا رسول الله ﷺ علىٰ السمع والطاعة والنصيحة لكلّ مسلم[١].

والمراد بالدين هنا ملّة الإسلام. والنصيحة: إخلاص القول والنية للخير، وهو الإصلاح أيضاً، ومنه الناصح للخياط.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

السيّئة عدل، وعلى الجزاء فسّر قوله تعالى: ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾[٢] على أحد القولين.

والقول الآخر: أنّه بمعنى الحساب[٣]، وعلى هذا قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾[٤] أي الحساب المستقيم، والدين: الملّة في قوله: ﴿**دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً**﴾[٥] والدين: القهر والغلبة، والدين: الطاعة، والدين: المذلة، قال ثعلب: الكلمة من الأضداد، واستشهد بقول أعشى بني ثعلبة:

*هو دان الرباب إذكرهوا الد ... ين دراكاً بغزوة وصيال*

*ثمّ دانت له الرباب – أي قهرهم – وكانت ... كعذاب عقوبة الأطفال*[٦]

وبمعنى الطاعة في قول الشاعر[٧]:

---

(١) المعجم الكبير ٢: ٣٥٠، الكامل فى ضعفاء الرجال ٢: ١٦٣.

(٢) سورة الفاتحة ١: ٤.

(٣) مجمع البيان ١: ٦٠.

(٤) سورة التوبة ٩: ٣٦.

(٥) سورة الأنعام ٦: ١٦١.

(٦) الصحاح ٥: ٢١١٨، مادة (دين)، وفيه: (الأقوال) بدل (الأطفال).

(٧) في النسخة زيادة: من القول.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

*[لئن] حللت بوادٍ في بني أسد      في دين عمرو وحالت بيننا فدك*[1]

والدين: العادة في قول المثقّب العبدي:

*تقول وقد درأت لها وضيني      أهذا دينه أبداً وديني*[2]

أي عادته وعادتي.

والنصيحة والنصح: إخلاص القول والنيّة للخير، وهو الإصلاح أيضاً، ومنه يقال للخياط: النصّاح، والنصاحة: الخياطة[3].

والمراد بالدين كما في الخبر ملّة الاسلام، وعن مكحول قال: قيل لأبي إسحاق الفزاري: ما النصيحة؟ قال: هي أن تحب لغيرك ما تحبّ لنفسك، حتّى لو أنّ الرجل أهوى إليك بسيفه وعلى جانبه بئر وهو لا يراها فتقول: البئر احذرها[4].

وقيل: هي أن تقول له ما لو قال لك لسرّك[5].

وروي أنّ رسول الله قال: ***الدين النصيحة***، قيل: لمن؟ قال: ***لله ولرسوله والأئمّة ولعامّة المسلمين، فأمّا النصيحة لله فأداء طاعاته، واجتناب معاصيه، وإخلاص العمل له.***

***ونصيحة الرسول الاقتداء بأفعاله وأقواله والاستنان بسنته، قال الله تعالى:*** **﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾**[6].

---

(١) لسان العرب ١٠ : ٤٧٣، مادة (فدك)، و«لئن» أثبتناها من المصدر، والشاعر هو زهير بن أبي سلمى.

(٢) الصحاح ٥ : ٢١١٨، مادة (دين).

(٣) معجم مقاييس اللغة ٥ : ٤٣٤، وفيه: الناصح: الخيّاط، والنصاح: الخيط يخاط به.

(٤) و(٥) لم نعثر عليها في المصادر.

(٦) سورة النور ٢٤ : ٥٤.

**١١ـ الحَسَبُ المَالُ والكَرَمُ التَّقْوَىٰ**[١].

**يقول:** لا تفاخروا بالمال والنسب الشريف فـ ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٢] وإنّ الرجل إذا كان ذا مال في الدنيا يضاف إليه الكبر والعظمة وإن لم يكن كبراً في نفسه وأصله.

والكرم لا يحصل في المرء إلّا إذا كان حَذِراً عن الشبهات، مجانباً عن المحظورات.

والحَسَبُ: ما يحسبه الرجل من مفاخره، ويستعمل في النسب لهذا المعنى.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***وأمّا نصيحة الأئمة فهي أن تطيعوهم في الصلاح ولا تطيعوهم في المعصية؛ لأنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.***

***وأمّا نصيحة العامة فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والشفقة عليهم، والدعاء ولهم، وكفّ الأذى عنهم.***

قال جرير بن عبدالله: بايعنا رسول الله على السمع والطاعة والنصيحة لكلّ مسلم.

**١١ـ الحَسَبُ المَالُ.**

الحسب: ما يحسب الرجل من مفاخره ومفاخر آبائه، فَعَل بمعنى مفعول كالقَبَض والنَّفَض، ويستعمل في النسب بهذا المعنى؛ لأنّهم يحسبون النسب في مفاخرهم، يقال: حسب الرجل يحسب حسابة فهو حسيب، وحسبت الحساب أحسبه حساباً وحسباناً، قال الله تعالى: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾[٣] أي

---

(١) مسند أحمد ٥: ١٠، سنن ابن ماجة ٢: ١٤١٠ / ٤٢١٩، سنن الترمذي ٥: ٦٥ / ٣٣٢٥.

(٢) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

(٣) سورة الرحمن ٥٥: ٥.

ولمّا غزا عليه السلام بني هوازن وغنم أموالهم وأولادهم ونساءهم وفدوا عليه صلى الله عليه وآله وكلمّوه في السبي، فخيّرهم بين المال والسبي، فقالوا: أمّا إذا خيّرتنا فإنّا لا نختار على الحَسَبِ شيئاً، فرّد عليهم النساء والصبيان[١]. فكأنّهم قالوا: لا نؤثر المال عليهم، وإنّا لو اخترنا المال لبطل حسبنا.

والكرم: مجمع المفاخر. والتقوى: اتّقاء معاصي الله واتقاء عقابه، والتاء فيه بدل من الواو.

وسئل علي عليه السلام عن التقوىٰ، فقال: ***هو أن لو وضع عملك على طبق، ولم يجعل عليه غطاء وطيف به علىٰ أهل الدنيا لما كان فيه شيء يُستحىٰ منه***[٢].

---

بحساب فأنا حاسب، وحسبت الشيء إذا ظننته أحسبه حساباً، وقرئ ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللهَ**﴾[٣] بكسر السين وفتحها.

وأمّا ما ذكره أبو سليمان الخطابي من أنّ الحسب أهل الرجل وولده وقرابته؛ مستدلاً على ذلك بأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا غزا بني هوازن وغنم أموالهم وسبى ذراريهم ونساءهم فوفدوا على رسول الله، وكلّموه في السبي، فخيّرهم رسول الله بين المال والسّبي، فقالوا: أمّا إذ خيّرتنا فإنا لا نختار على الحسب شيئاً. فردّ عليهم النساء والصبيان، فظنّ أبو سليمان أنّ الحسب لغة في النساء والصّبيان لكثرة عددهم[٤]، وهذا وهم منه وغلط؛ وذلك بأنّهم أرادوا بالحسب ما يحسبه الرجل

---

(١) مصنّف عبدالرزاق ٥: ٣٨١، الفائق في غريب الحديث ١: ٢٤٥، النهاية في غريب الحديث ١: ٣٦٧.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر، ولكن ورد في بحار الأنوار ٦٨: ٣٦٩ / ١٩ قريب من هذا الحديث في المعنىٰ عن أمير المؤمنين عليه السلام: إياك وما تعتذر منه، فإنّه لا يعتذر من خير، وإيّاك وكلّ عمل في السرّ تستحي منه في العلانية، وإيّاك وكلّ عمل إذا ذكر لصاحبه أنكره.

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢.

(٤) انظر: الفائق في غريب الحديث ١: ٢٤٦، النهاية في غريب الحديث ١: ٣٨٢.

وجعل المبتدأ والخبر معرفتين في الخبرين فيه سرّ، وهو أنّه يستفاد من موضوع هذا النظم الإثبات والنفي، فكأنّه قصد إلىٰ أن يجعل الدين النصيحة والحسب المال لا غير، على طريق المبالغة، فكأنّ قد جعل الدين بأسره النصيحة، كما تقول: زيد الرجل، يعني هو عين الرجل وكلّ الرجل حتّىٰ كأنّه لا رجل غيره، وكذا الخبران، يعني: لا حَسَبَ إلّا المال، ولو أدخل «هو» الذي يُسمّىٰ الفصل لكان أوضح تقول: زيد هو الرجل.

**الضوء في شرح الشهاب**

من مفاخره ويعدّه من مآثره، أرادوا إنّا لا نختار شيئاً على مفاخرنا وما يحسب علينا من الأنفة والحميّة، وإنّا لا نؤثر المال على النساء والأولاد، فإنّا لو اخترنا المال لبطل حسبنا وقصرت ألسنتنا عن المفاخر، فالحسب في قولهم هو كما قال النبي عليه السلام في الحديث.

**ومعنى الخبر:** هو ما بيّنه النبي عليه السلام في الحديث الآخر: ألا أنّ أحساب أهل الدنيا هذا المال، يعني أنّ أهل الدّنيا وطالبيها لا يفاخرون إلّا بالمال، فذاك جلّ مفخرهم ومنتهى همّهم، فهم دناة الهمّة، كما قال أُحيحة ابن الجلاح:

*استغنِ أو مت ولا يغررك ذو حسب* — *من ابن عمٍّ ولا عمّ ولا خالِ*

*إنّي مقيم على الزوراء أعمرها* — *إنّ الحبيب على الإخوان ذو المالِ*

*كلّ النّداء إذا ناديت يخذلني* — *إلّا النداء إذا ناديت يا مالي*[1]

ومثله المرياشي:

*غضبان يعلم أنّ المال ساق له* — *ما لم يسقه له دين ولا خُلقُ*

*فمن يكن عن كرام النّاس يسألني* — *فأكرم الناس من كانت له ورق*[2]

(١) معجم البلدان ٣: ١٥٥.

(٢) عيون الأخبار ١: ٣٤٦.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ومثله لابن المعتز:

إذا كنت ذا ثروة أو غنى ... فأنت المسوّد في العالم
وحسبك من نسب صورة ... تخبّر أنّك من آدمِ[١]

ولبعض العلماء:

نُبئت والأيام ذات تجارب ... وتبدي لك الأيام ما لست تعلمُ
بإنّ ثراء المال ينفع ربّه ... ويثني عليه الحمد وهو مذمّمُ
وإنّ قليل المال للمرء مفسد ... يجزّ كما جزّ القطيع المحرّمُ
يرى درجات المجد لا يستطيعها ... ويقعد وسط القوم لا يتكلّمُ[٢]

ولآخر:

متى ما يرى الناس الغني وجاره ... فقير يقولوا عاجز وجليد
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظ قسّمت وجدود[٣]

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى، وهذا أمر مركوز في طباع الناس، أعني حبّ المال وتفضيله على كلّ فضيلة، رزقنا الله القناعة والعافية.

**١٢ـ الكَرَمُ التَّقْوَى.**

قال بعض الحكماء: الكرم خصلة جامعة لخصال الخير، وقيل: الكرم مجمع المفاخر[٤] يقال: كرم الرجل فهو كريم، وأكرمته إكراماً، وكرّمته للمبالغة وتكثير الفعل، واستكرمته أي كان عندي كريماً، وتكرّم إذا تكلّف الكرم.

(١) ديوان ابن المعتز: ٤١٤.
(٢) التذكرة السعدية في الأشعار العربية: ١١٠. والشاعر هو مالك بن حريم الهمداني.
(٣) لسان العرب ٧: ٤٤، مادة (حظظ).
(٤) أُنظر: كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ٢٣٣.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

والتقوى: الاتقاء، يعني اتقاء معاصي الله، أو اتقاء عقابه، ومرجع هذا إلى الأول، وأصل تقوى: وقوى ـ من الوقاية ـ فأبدلوا الواو تاء، كما فعلوا في تولج والأصل وولج من الولوج، وتراث والأصل وراث من الوراثة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1] وقد أكثر العلماء في التقوى ذكرت أكثرها في التفسير في قوله: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[2] وسُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن التقوى، فقال: ***هو أن لو وضع عملك على طبق ولم يجعل عليه غطاء وطيف به على أهل الدنيا لما كان فيه شيء تستحي منه.***

وقال بعضهم:

*وليس بتقوى الله طول عبادة ... ولكنّما التقوى مجانبة الشبه*

*وأن يخلص الإنسان سرّ ضميره ... وأن يبرز الإبريز في معرض الشبه*[3]

وسئل بعضهم عن التقوى، فقال: هل سلكت طريقاً ذا شوك؟ فقال السائل: نعم، قال: وما صنعت؟ قال: كنت أتحرّز من الشوك أن يصيب رجلي، قال: فكن في دين الله كذلك؛ لتنال درجة المتّقين[4].

وقد نظم ابن المعتزّ هذا المعنى فقال:

*خلّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهو التقى*

*واحذر كماشٍ فوق أر ... ض الشوك يحذر ما يرى*

---

(١) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢.

(٣) تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ٦٢٤.

(٤) مجمع البيان ١: ٨٢، تفسير الثعلبي ١: ١٤٢.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

*لا تحقرنّ صغيرة إنّ الجبال من الحصى*[١]

وقال آخر:

*أيا فاعل الشرّ مه لا تعد ويا فاعل الخير عد ثمّ عد*

*فما ساد عبد بغير التقى ومن لم يسد بالتقى لم يسد*[٢]

واعلم أنّ هذه الأحاديث الثلاثة، أعني قوله ﷺ: ***الدين النصيحة، والحسب المال، والكرم التقوى***، فيها سرّ من أسرار علم البيان، وهو جعل المبتدأ والخبر معرفتين، وهو أنّه يستفاد من موضوع هذا النظم الإثبات والنفي، فكأنّه ﷺ قصد إلى أن يجعل الدين النصيحة، والحسب المال، والكرم التقوى لا غير على طريق المبالغة، فكأنّه جعل الدين بأسره النصيحة، والحسب الذي هو الفخر بأجمعه المال، والكرم بجملته التقوى، كما تقول زيد الرجل، تعني هو عين الرجل وكلّ الرجل حتّى كأنّه لا رجل غيره، وكذلك لو قلت: الرجل زيد، يفهم من هذا النظم أنّه الرجل ولا رجل غيره، ولو أرجلُ[٣] «هو» الذي يسمّى الفصل أو العماد لكان أوضح لهذا المعنى، تقول: زيد هو الرجل، فأراد ﷺ أن يفص النصيحة على خصال الدين فبالغ فيه فقال: هي الدين كلّه، والدين هي لا غير، وكذلك الخبران، يعني لا حسب إلّا المال، ولا كرم إلّا التقوى على طريق المبالغة، فافهمه فإنّه من لطائف علم البيان.

---

(١) تفسير الثعلبي ١: ١٤٢.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) كذا في النسخة، ولعلّه تصحيف: أدخل.

**١٢ـ الخَيْرُ عَادَةٌ والشَّرُ لَجَاجَةٌ**[١].

يريد عوّد نفسك فعل الخير، فإنّ الإنسان إذا اعتاد فعل الخير وواظب عليه وفّقه الله وزاد في ألطافه حتّىٰ استمرّ علىٰ الخير فيصير عادة له وسجية، وليس الشرّ كذلك؛ فإنّه إذا كان شرّيراً فذلك من سوء اختياره ولجاج طبعه وغرور الشيطان، فجعل الخير عادة لعود الناس إليه، وحرصها عليه إذا ألفته؛ لطيب ثمره وحسن أثره، وجعل الشرّ لجاجة لما فيه من الاعوجاج ولاجتواء[٢] العقل إياه.

واشتقاق العادة من العود. واللجاج من لجّة البحر؛ لأنّ من وقع فيه تحيّر.

الضوء في شرح الشهاب

**١٣ـ الخَيْرُ عَادَةٌ والشَّرُّ لَجَاجَةٌ.**

أراد أنّ فعل الخير عادة، يعني إذا اعتاد الإنسان فعل الخير وواظب عليه وفّقه الله ولطف له حتّىٰ استمرّ عليه، فيصير عادة له وسجيّة، فقد قال الحكماء: العادة طبيعة خامسة[٣]. أشاروا إلى هذا فكما أنّ الإنسان لا يخرج من طبيعته فكذلك من عادته على طريق التولّع والمبالغة.

وليس الشرّ كذلك، فإنّه إذا كان شرّيراً وكان الشرّ ديدنه فذلك من لجاج طبعه وسوء اختياره وغرور الشيطان، ومن ذهب إلى أنّ الخير والشرّ من الله سواء، وقال: هما من فعل الله أو من قضاء الله، أو بإرادة الله، وكلّ ذلك من حببه[٤] للفعل عندهم لا يكون للخير عندهم، ولا فرق على هذه الطريقة بين الخير والشرّ، ولا فائدة في نفسه، وإضافة الخير إلى العادة والشرّ إلى اللجاجة إذ هما جميعاً من قبل الله تعالى

(١) سنن ابن ماجة ١: ٨٠ / ٢٢١، صحيح ابن حبّان ٢: ٨، المعجم الكبير ١٩: ٣٨٦.
(٢) اجتوىٰ: كره. اُنظر: معجم مقاييس اللغة ١: ٤٩١، مادة (جوىٰ).
(٣) تفسير الرازي ٢: ٢١٨، فيض القدير ٣: ٨٦٠.
(٤) كذا في النسخة.

**١٣ـ السَّمَاحُ رَبَاحٌ والعُسْرُ شُؤْمٌ**[١].

أي سامحوا وتسهّلوا في كلّ أمر تربحوا، ولا تضيّقوا في حال فهو شؤم يرجع إلى صاحبه. والسماح: سهولة الخلق.

***فمعناه:*** إذا كان الرجل سهل الجانب يسامح الناس ويقاربهم كثر معاملوه، فيكثر ربحه، وإذا كان عَسِر الخُلق نفروا عنه.

ودخل أبو العيناء السوق، فقال بعض أهلها: تعال أُقاربك، فقال: إن لم تقاربني باعدتك[٢].

والرباح ـ بفتح الراء ـ الربح، وبكسرها مصدر رَابَحَ مرابحة ورِباحاً.

---

علواً كبيراً عن أن يضاف إليه ما هو عيب لنا وعار علينا من الشّرارة وكون فاعله شرّيراً.

**١٤ـ السَّمَاحُ رَبَاحٌ والعُسرُ شُؤمٌ.**

السماح: سهولة الخلق، من قولهم: فلان سمح الخلق، أي سهل الخلق، وسمح الرجل يسمح سماحة إذا لان جانبه وسهل خلقه، والسماحة التي هي السخاء من هذا الباب؛ لأنّه إذا سئل لا يمتنع على السائل، ولا يحرم مسائله نائله، وبطيبة النفس وسجاحة خلق، ألا ترى إلى قول الطائي:

| | |
|---|---|
| *هو البحر من أيّ النواحي أتيته* | *فلجّته المعروف والجود ساحله* |
| *تعوّد بسط الكفّ حتّى لو أنّه* | *ثناها لقبض لم تجبه أنامله* |
| *ولو لم يكن في كفّه غير روحه* | *لجاد بها فليتّقِ الله سائله*[٣] |

---

(١) كذا في النسخة.

(٢) أمالي السيد المرتضى ١ : ٢١٤، وفيه: عن أبي الأسود الدؤلي.

(٣) ديوان أبي تمام: ٢٠٤، ٢٠٥.

**١٤ـ الحَزْمُ سُوءُ الظَنِّ**[١].

يقول: لا تثقوا بكلّ أحد واحتاطوا بالحذر من الناس؛ فإنّه أسلم لكم، وكذلك يجب على العاقل أن يسيء الظنّ بجميع أحوال نفسه، فإن عزم علىٰ ارتكاب فاحشة وأحسن ظنّه بأنّ عمره طويل وهو يتوب بعد ذلك فليس هذا بحزم وكياسة، وربّما يخترم دون ذلك، وإنّما الحزامة والاحتياط إساءة الظنون بعمره، ويقول: أموت فيما بين الأمر ولا أعيش إلىٰ أن أتوب. والسارق لو أساء ظنّه لم يقطع يمينه.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

والمقصود هذا البيت الأخير.

***ومعنى الخبر:*** أنّ الرجل إذا كان سهل الجانب يسامح الناس ويقاربهم كَثُرَ معاملوه، ورغب النّاس في معاملته، فيربح ويكثر ربحه.

والعسر شؤم: نقيض الحديث الأوّل في المعنى؛ لأنّه إذا كان عَسِر الخلق مستقصياً في الأُمور نفر الناس عنه وعن معاملته، وقيل: [دخل] أبو العيناء السوق يطلب ثوباً يشتريه، فقال له بعض أهل السوق: تعالَ أُقاربك، قال له: إن لم تقاربني أُباعدك.

**١٥ـ الحَزْمُ سُوْءُ الظَّنِّ.**

الحزم: الاحتياط والحذر من الناس، وأصله الجمع والشدّ، ومنه الحزمة من الحطب والكتب وغيرهما، فُعْلَة بمعنى مفعولة، والحازم: الجامع الرأي السديد[٢].

***ومعنى الحديث:*** أنّه إذا كان سيّء الظنّ يحتاط في الأُمور ولا يتكل على أحد ولا يثق به، بل يستوثق ويُعمل الاحتياط من الشدّ والإغلاق والحتم والتيقّظ، وإذا

---

(١) الجامع الصغير ١: ٥٨٨، كنز العمال ٣: ٤٠٣ / ٧١٥٤.

(٢) في النسخة: السديدة.

ولا شكّ أنّ الإنسان إذا كان يسيء الظنّ يحتاط في الأُمور، ولا يتّكل إلى أحد ولا يثق به، بل يستوثق ويُعمل الاحتياط من الشدّ والإغلاق والختم والتيقّظ، وإذا كان حسن الظنّ يعتمد علىٰ كلّ أحد فربّما يكون علىٰ خلافه، ومن اتّهم نفسه يتدبّر في الأُمور ويتأنّىٰ.

وقيل: علامات الحمق ثلاثة: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والثقة بكلّ أحد[1].

وكان فيما مضىٰ من الزمان حُسْن الظنّ من حسن العبادة، فأمّا في زماننا هذا فإنّ كلّ من أحسن الظنّ بأبناء الزمان أوقع نفسه في التلف والخسران.

والحزم: الاحتياط والحذر، أصله الجمع والشدّ، ومنه: الحزمة من الحطب، وحزام الدابة، والحازم: الجامع الرأي السديد[2]، وروي: ***الحزم سوء الظن بالناس***[3]. وحسن الظن ورطة.

---

كان حسن الظنّ يعتمد على من أحسن الظنّ به فربّما يكون على خلافه.

وقيل: علامات الحمق ثلاث: سرعة الجواب، وكثرة الالتفات، والثقة بكلّ أحد[4]. وكان فيما مضى من الزمان حسن الظنّ من العبادة، فأمّا في زماننا هذا إنّ مَنْ أحسن الظنّ بأبناء الزمان أوقع نفسه في التلف والخسران، ولقد أحسن أبو الطيب في قوله:

*وصرت أشكّ فيمن أصطفيه ... لعلمي أنّه بعض الأنام*[5]

(١) أمالي السيد المرتضىٰ ١: ١٩٨.
(٢) في النسخة: السديدة.
(٣) مصنّف ابن أبي الدنيا ١: ٩٨.
(٤) أمالي المرتضى ١: ١٩٨.
(٥) ديوان المتنبّي: ٣٧٨.

**١٥ـ الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ**[١].

**يعني**: احتط لنفسك واستيقظ إذا كان لك أولاد؛ فإنّهم يحملون الآباء على

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

قال بعض العلماء: عاملت الناس ستين سنة بسوء الظنّ فما رأيت إلّا خيراً، ولقد أحسن من قال في هذا المعنى:

*لا تترك الحزم في شيء تحاوله* ... *فإن سلمت فما بالحزم من بئس*

*والعجز ذلّ وما بالحزم من ضرر* ... *وأحزم الحزم سوء الظنّ بالناس*[٢]

وقال آخر:

*وحسن الظنّ يحسن في أُمور* ... *ولكن في عواقبه ندامة*

*وسوء الظنّ يسمج في أُمور* ... *وفيه على سماجته حزامة*[٣]

والحزامة: الحزم، وقال:

*وإنّ الحزامة إن تصرفوا* ... *لحي سوانا صدور الأسل*[٤]

وفي المثل: رَوَّ بحزم فإذا استوضحت فاعزم[٥]. والحزم غصّة في الحلق، يقال: حزم الرجل يحزم حزماً إذا غصّ[٦] بهذه الغصّة تشتدّ في الحلق والصدر، ومنه حزام الدّابة لما يستشدّ عليه.

**١٦ـ الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ.**

الولد لفظ يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وهو فَعَل بمعنى مفعول

---

(١) المجازات النبوية: ١٥٧، بعد الحديث (١١٨)، مستدرك الوسائل ١٥: ١١٣ / ٩، المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٤، السنن الكبرىٰ ١٠: ٢٠٢.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ١١٤. والأبيات للشاعر أحمد بن القاسم أخو أبي الليث الفرائضي.

(٣) روضة العقلاء ونزهة النظار: ١١٥، والشاعر هو الأبرش.

(٤) عيون الأخبار ١: ٤٠٩.

(٥) مجمع البيان ٨: ٨٧. عيون الأخبار ١: ٩١.

(٦) في النسخة: أغصّ.

البخل بالمال، والفرار من القتال، والتأخّر عن الحجّ، ويدعون إلى الحزن لفرح قلوبهم بجمع حطام الدنيا فهم مواضع البخل والجبن والحزن، فإنّ أبا الأولاد يبخل فلا يعطي شيئاً من الزكاة خوفاً عليهم من الفقر، ولا يرغب في الحجّ والجهاد خوفاً من ضياعهم، ويحزن طول الأيام إن جاعوا وإن عطشوا وإن عروا ومرضوا.

وروت خولة بنت حكيم أنّ رسول الله ﷺ خرج وهو محتضن حسناً وحسيناً، وهو يقول: ***أنتم تجبّنون وتجهّلون وتبخّلون، وإنّكم لمن ريحان الله***[(١)]. يعني تدعون آباءكم على الجبن والبخل.

وقيل: المَفْعَلَة مدعاة إلىٰ فعله، ويجوز أن يكون مصدراً كالمَعْدَلَة على تقدير حذف المضاف أي هم سبب البخل والجبن، ويجوز أن يكون بمعنىٰ الموضع أي هم موضع البخل والجبن[(٢)].

والولد لفظ يصلح للواحد والجمع والمذكر والمؤنث، وهو فَعَل بمعنىٰ المَفْعُول، ويجمع أيضاً أولاداً وولداناً.

---

كالقَبَضِ والنَّفَضِ، وقد جاء في جمعه وُلد وأولاد وولدان، والصّحيح أنّ الوُلْد كالوَلَد في صلاحه للواحد والجمع، وهو فُعْل بمعنى مفعول كالخُبْز والجُعْل والأُكْل، وقرئ: ماله ووُلْده ووَلَده.

والمبخلة والمجبنة يجوز أن تكونا مصدرين كالمعدلة، على تقدير حذف المضاف، أي هم سبب البخل والجبن، يعني أنّ أبا الأولاد يبخل فلا يعطي شيئاً خوفاً على فقر أولاده أولا يرغب في جهاد العدو خوفاً من يتم أولاده.

---

(١) المجازات النبويّة: ٦١ / ٣٧، مسند أحمد ٦: ٤٠٩.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١: ١٠٣، اُنظر: كشف الخفاء ١: ٤٥٧.

**١٦ـ البَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ**[١].

ينهىٰ عن قول الفحش وأن يكون الإنسان شتّاماً لعّاناً؛ فإنّ تكلّم الفحش في اللسان نوع من الجفاء، والجفاء: خلاف البرّ، وقبيح القول مع الناس يكون جفاء وإن كان محسناً إليهم.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وروت خولة بنت حكيم أنّ رسول الله خرج وهو محتضن حسناً أو حسيناً، وهو يقول: ***أنتم تجبّنون وتجهّلون وتبخّلون، وإنّكم لمن ريحان الله***.

يعني: تحملون آباءكم على الجبن والجهل والبخل على ما ذكرنا، يقال جبن الرجل وأجبنته وجبّنته، وبخل وبخّلته إذا جعلته كذلك. وريحان الله: رحمته، قال الله تعالى: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾[٢] قال الشاعر:

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر[٣]

**١٧ـ البَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ.**

البذاء والبذاءة: خبث اللسان وفحشه، وأن يكون الرجل شتّاماً لعّاناً، يقال: بذّ، وفلان يبذو بذاءة فهو بذيء، وفلان بذيء اللسان إذا كان مؤذياً سبّاباً.

والجفاء: النبو والارتفاع، من قوله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾[٤] وصفهم بقيام الليّل وأنّ جنوبهم لا تستقر على الفرش، ويستعمل في ترك الزيادة، وفي حديث المقتل أنّ النبي عليه السلام قال لعلي والحسن والحسين:

---

(١) صحيح ابن حبّان ١٣ : ٩، النهاية في غريب الحديث ١ : ١١١، مسند أحمد ٢ : ٥٠١ وورد في الكافي ٢ : ٣٢٥ / ٩ عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٨٩.

(٣) الصحاح ١ : ٣٧١ مادة (روح)، لسان العرب ٢ : ٤٥٩، مادة (روح)، ودرر، أثبتناه من المصادر، وفي النسخة: مطر در، والشاعر هو النمر بن تولب.

(٤) سورة السجدة ٣٢ : ١٦.

وقيل: معناه لا تعمل سيّئاً ولا تتكلّم بقبيح؛ فإنّ ذلك من الجفاء الذي يبعّد العبد من الله تعالىٰ.

وتمام الخبر: ***الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار***[١].

وقال عليه السلام: ***إنّ الله يبغض الفاجر البذيء***[٢]. ***لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء***[٣].

والبذاء: خبث اللسان، وفلان بذيء اللسان إذا كان مؤذياً سبّاباً.

والجفاء: النبو والارتفاع، وقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي والحسن والحسين عليهم السلام: ***كيف بكم إن كنتم صرعىٰ وقبوركم شتّىٰ***[٤]؟! ثمّ قال للناس: ***فإذا كان ذلك فلا تجفونا، فقد جفينا أحياءً ولا تجفونا أمواتاً***.

---

***كيف بكم إذا كنتم صرعى وقبوركم شتّى***... إلى آخر الحديث، ثمّ قال: ***فإذا كان ذلك فلا تجفونا*** ـ أي لا تتركوا زيارتنا ـ ***فقد جفينا أحياء فلا تجفونا أمواتاً***.

ومنه قول ابن دريد في مقصورته:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .     *لمّا جفا أجفانها طيف الكرى*[٥]

وقال عليه السلام: ***لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء***.

---

(١) دلائل الإمامة: ٦٥، ٦٦ / ١، مسند أحمد ٢ : ٥٠١.

(٢) الكافي ٢ : ٣٢٥ / ١١، السنن الكبرىٰ ١٠ : ١٩٣، وفيهما: (الفاحش) بدل (الفاجر).

(٣) مسند أبي داود الطيالسي: ٢٠٩، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٣٩.

(٤) الإرشاد ٢ : ١٣١، الخرائج والجرائح ٢ : ٤٩١، إلى هنا من الحديث ورد في المصادر، ولم نعثر علىٰ القسم الآخر.

(٥) أمالي المرزوقي: ٢٨٧، وتمام البيت:

واتخذ التسهيد عيني مألفا     لمّا جفا أجفانها طيف الكرى

**١٧ـ القُرْآنُ هُوَ الدَّوَاءُ**[١].

**يقول:** إذا كنتم مذنبين أو جاهلين فارجعوا إلىٰ علوم القرآن وأوامره وتدبّروها؛ فإنّه دواء أعظم الأدواء الذي هو الكفر وما دونه.

وقيل: معناه: إذا كان بأحدكم داء لا دواء [له] فعليكم بكتاب الله فإنّه شفاء، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢] وقال: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾[٣] والقرآن دواء للعام شفاء للخاص، إشارة إلى العينين. وقال عليه السلام: ***فاتحة الكتاب الشافية***

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وقال عليه السلام: ***إنّ الله يبغض الفاجر البذيء.***

وقال: ***الحياء من الإيمان والإيمان في الجنّة، والبذاء من الجفاء والجفاء في النّار.***

وقال الأحنف بن قيس: ألا أُخبركم بالدّاء الدويّ؟ قيل وما هو: قال: اللسان البذيء والخلق الرديء[٤].

**١٨ـ القُرآنُ هُوَ الدَّوَاءُ.**

لقوله عزّوجلّ: ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ وقال تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ**﴾ وقال عليه السلام: ***فاتحة الكتاب شفاء من كلّ سمّ.***

---

(١) كنز العمال ١: ٥١٧ / ٢٣١٠، الدعوات: ١٨٨.

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٨٢.

(٣) سورة يونس ١٠: ٥٧.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢٤: ٣٣٦.

***الكافية***[١]. ***فاتحة الكتاب شفاء من كلّ سمّ***[٢]. ***من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله***[٣]. ***من لم يشفه الحمد فلا شفاه الله***[٤].

وعن أبي سعيد الخدري: كنّا في رفقة فمررنا[٥] بحيّ، فقالوا لنا: إنّ فتىً منّا قد صرع وجنّ، فهل فيكم من دواء له؟ قلنا: نعم، فأتيناه فإذا هو مصروع، فجعل أحدنا يقرأ عليه فاتحة الكتاب، فقام بإذن الله كما أنشط من عقال، فأعطونا طعاماً، فقلنا: لا نأكل طعاماً حتّىٰ نسأل رسول الله هل يحلّ لنا، فسأله أحدنا، فقال: ***نعم، من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حقّ***[٦].

وشكا رجل إلىٰ الصادق عليه السلام الحمّىٰ، فقال: ***اقرأ إذا أصبحت قبل أن تكلّم أحداً فاتحة الكتاب سبع مرّات فإن لم تشف فاجعلها سبعين مرّة، وأنا ضامن بالشفاء إلّا أن يكون حمّىٰ الموت***[٧].

---

وروى أبو سعيد الخدري، قال: كنّا في رفقة من أصحاب رسول الله فمررنا بحيّ من أحياء العرب، فقالوا لنا: إنّ فتىً منّا قد جنّ وصرع، فهل فيكم من دواء له؟ قلنا: نعم. فأتيناه فإذا هو مصروع، فجعل أحدنا يقرأ فاتحة الكتاب ويجمع ريقه في فيه ثمّ أبلعه إيّاه، فبرأ بإذن الله وقام كما أنشط من

(١) اُنظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٥٥١.
(٢) مستدرك الوسائل ٤: ٣٠١ / ٨، تفسير القرطبي ١: ١١٢.
(٣) الاعتقادات: ١١٦، كنز العمال ١٠: ٨ / ٢٨١٠٦.
(٤) بحار الأنوار ٥٩: ٧٥، ذيل الحديث ٣٥.
(٥) ما أثبتناه من المصدر، وفي النسخة: عوربا.
(٦) أحكام القرآن ١: ٢٦، باختلاف.
(٧) رُوي هذا الحديث بصورة أُخرىٰ في مستدرك الوسائل ٤: ٢٩٩ / ٢ بهذا اللفظ: عن العالم: من نالته علة فليقرأ في جيبه اُم الكتاب سبع مرات، فإن سكنت وإلّا فليقرأ سبعين مرّة فإنّها تسكن.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



عقال[١]، فأعطونا طعاماً، فقلنا: لا نأكل حتّى نسأل رسول الله، هل يحلّ لنا ذلك؟ فسأله القارئ فقال ﷺ: ***نعم، من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حقّ.***

وشكا رجل إلى الصادق ﷺ الحمّى، فقال: ***اقرأ إذا أصبحت قبل أن تكلّم أحداً فاتحة الكتاب سبع مرّات، فإن لم تشفَ فاجعلها سبعين مرّة، وأنا ضامن بالشفاء إلّا أن تكون حمّى الموت.***

ويروى: أنّ من كان به صداع فليكتب على رقعة بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضرّ مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء، ﴿**وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾[٢].

﴿**كهيعص * ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا**.. إلى قوله: **وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً**﴾[٣] وليعلّقها على رأسه يُشفَ بإذن الله[٤].

وقد وردت أخبار في كلّ داء بآية مخصوصة تركنا ذكرها خشية التطويل.

وقوله: هو الدواء، يُسمّي البصريون «هو» هذا فصلاً، والكوفيون عماداً[٥]، وإنّما قيل له: فصل؛ لأنّه يفصل بين الصفة والخبر، فإنّ الرجل إذا سمع إنساناً

---

(١) أنشطت الحبل أي مددته حتىٰ ينحل، ونشطت الحبل أنشطه نشطاً: ربطته، وإذا حللته فقد أنشطته، ونشطه بالنشاط أي عقده، ويقال للآخذ بسرعة في أي عمل كان، وللمريض إذا برئ، وللمغشي عليه إذا أفاق، وللمسرع في أمر يسرع فيه عزيمته: كأنّما أنشط من عقال، ونشط أي حلّ. وفي حديث السحر: فكأنّما أنشط من عقال أي حلّ.
لسان العرب ٧: ٤١٤، مادة (نشط).

(٢) سورة الإسراء ١٧: ٨٢.

(٣) سورة مريم ١٩: ١ـ ٤.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر.

(٥) شرح الكافية ٢: ٤٥٦. وفي النسخة: هذه فصلاً، وما أثبتناه أنسب.

**١٨ـ الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ**[١].

***معناه:*** ادعوا الله في الشدّة والرخاء واستغيثوا به، واستغيثوا بإظهار التذلل له، فهو رأس العبودية، وقال تعالى: ﴿**ٱدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[٢] ومورده مورد الخبر الذي قبله، كأنّه ﷺ جعل الدعاء أصل العبادة أو العبادة نفسها، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَادْعُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[٣] أي اعبدوا الله، وما من عبادة بعد الفرائض،

---

يقول: زيد المنطلق، يجوز أن يكون المنطلق صفة لزيد وينتظر الخبر، فإذا قال زيد هو المنطلق، علم أنّه خبر لدخول الفاصلة بينه وبين زيد، والصفة لا تفصل من الموصوف بحال، وسمّاه الكوفيون عماداً لأنّه كالعماد بين المبتدأ والخبر[٤]، وما ذكره البصريون أصحّ وأوضح.

ويستعمل «هو» هذه للبيان، وهو قولك: زيد المنطلق، تقول هذا لمن علم أنّ منطلقاً[٥] قد انطلق ولا يدري من هو، فتقول: زيد هو المنطلق، تعني هو المنطلق الذي علمت بانطلاقه، وهذا من علم البيان.

**١٩ـ الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ.**

بيّنا أنّ الدعاء أصله النداء والصياح، يقال: دعوته ودعوت به إذا ناديته وصحت به، قال الله تعالى: ﴿**لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً**﴾[٦] ودعوت له بالخير وعليه بالشرّ، والدعي: المدعي لنسب

---

(١) مسند أحمد ٤: ٢٦٧، سنن أبي داود ١: ٣٣٢ / ١٤٧٩، الدعوات: ١٩ / ١٠.
(٢) سورة غافر ٤٠: ٦٠.
(٣) سورة غافر ٤٠: ١٤.
(٤) شرح الكافية ٢: ٤٥٦.
(٥) في النسخة: مطلقاً.
(٦) سورة النور ٢٤: ٦٣.

وقراءة القرآن أفضل من الدعاء، وروي: ***أنّ الرجل إذا صلّى ركعتين ولم يسأل الله قال الله تعالى للملائكة: كأنّ عبدي استغنىٰ عنّي، وإذا دعا لنفسه خاصّة يقول الله: يا ملائكتي يظنّ عبدي أنّه يسأل بخيلاً، وإذا دعا لنفسه وللمؤمنين قالت الملائكة: بدأ الله بك، فمن حقّك أن تدعُ***[1] ***للمؤمنين أن تدعو***[2] ***لك الملائكة، فإنّ دعاءهم أقرب إلىٰ الإجابة من دعائك***[3].

والدعاء أصله النداء أو الصياح، يقال: دعوته ودعوت به إذا ناديته وصحت به، ودعوت له بالخير وعليه بالشرّ.

والعبادة والتعبّد: التذلّل، من قولهم: طريق معبّد موطوء بالأقدام.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب**

لا[4] يكون منه، قال:

*وأنت دعيّ نيط في آل هاشم*      *كما نيط خلف الراكب القدح الفرد*[5]

والعبادة والعبادة[6] والتعبّد: التذلّل: من قولهم: طريق معبّدٌ، أي مذلّل موطوء بالأقدام، قال طرفة:

........................      وظيفاً وظيفاً فوق مور معبّد[7]

---

(١) في النسخة: تدعوا.

(٢) في النسخة: أتدعو.

(٣) اُنظر: مستدرك الوسائل ٥: ٢٤١ / ٣٨، جامع أحاديث الشيعة ٥: ٣٠٢ عن تفسير أبي الفتوح الرازي، وفي بحار الأنوار ٨٢: ٣٢٥ بهذا اللفظ: روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: إذا فرغ العبد من الصلاة ولم يسأل الله تعالىٰ حاجته يقول الله تعالىٰ لملائكته: انظروا إلىٰ عبدي فقد أدىٰ فريضتي ولم يسأل حاجته منّي كأنّه قد استغنىٰ عني، خذوا صلاته فاضربوا بها وجهه.

(٤) في النسخة: لنسلاً.

(٥) لسان العرب ٧: ٤٢٠، مادة (نوط). تفسير الثعلبي ١٠: ١٣، والبيت لحسان بن ثابت.

(٦) كذا في النسخة، والظاهر أنّها زائدة مكررة.

(٧) ديوان طرفة بن العبد: ٢٢، وتمام البيت:

←

و «هو» هذا[١] يسمّىٰ فصلاً بين الصفة والخبر، فإنّك إذا سمعت من يقول: زيد المنطلق، تجوّز أن يكون المنطلق صفة لزيد وينتظر الخبر، فإذا قال: زيد هو المنطلق، علمت أنّه خبر لدخول الفاصلة.

---

وبعير معبّد إذا كان مطلياً بالقطران[٢]، قال طرفة أيضاً:

........................ *وأُفـردت إفـراد البـعير المـعبّد*[٣]

ومورده مورد الخبر المقدّم، كأنّه عليه السلام جعل الدعاء أصل العبادة، أو العبادة نفسها، قال الله تعالى: ﴿**فَادْعُواْ اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾[٤] وما من عبادة بعد الفرائض وقراءة القرآن أفضل من الدعاء، فروي ***أنّ الرجل إذا صلّى ركعتين ولم يسأل الله تعالى شيئاً من حوائج الدين والدنيا قال الله تعالى للملائكة: كأنّ عبدي قد استغنى عنّي بخيلاً، وإذا دعا لنفسه ولم يدعُ لإخوانه المؤمنين، يقول الله تعالى: يا ملائكتي يظنّ عبدي أنّه يسأل بخيلاً، وإذا دعا لنفسه وللمؤمنين قالت الملائكة: بدأ الله بك، وإذا قال في دعائه: اللّهمّ ابدأ بهم وثنِّ بي، قالت الملائكة: بدأ الله بك فمن حقّك أن تدعو للمؤمنين لتدعو لك الملائكة فإنّ دعاءهم أقرب إلى الإجابة من دعائك.***

---

← تباري عتاقاً ناجيات واتبعت وظيفاً وظيفاً فوق مور معبّد

(١) في النسخة: هذه.

(٢) القطران: عصارة شجر معروف، وفيه خثورة يداوى به دبر البعير ولا يطلي به الجرب وشجره ينبت في جبال الشام، يقال له العرعر.
معجم ما استعجم ٢ : ٦١٢. تابع العروس ١٠ : ٤٦.

(٣) ديوان طرفة بن العبد: ٣٠، وتمام البيت:
إلى أن تحامتني العشيرة كلّها وأُفردت إفراد البعير المعبّد

(٤) سورة غافر ٤٠ : ١٤.

**١٩ـ الدَّيْنُ شَيْنُ الدِّينِ**[١].

ينهى عليه السلام عن أخذ الدين؛ فإنّه عيب الإسلام، وعيبه؛ لأنّ لصاحب الدين أن يحبسه ويمنعه من القيام بالخيرات، وربّما يكذب خوفاً من الغريم، وفيه تحذير عن المظالم، وقال عليه السلام: ***ما من خطيئة أعظم عند الله بعد الكبائر من أن يموت الرجل وعليه دين لا يوجد له قضاء***[٢].

ومات صحابي وعليه دين ثلاثة دراهم أو خمسة فلم يصلِّ عليه النبي عليه السلام حتّىٰ ضمن ذلك بعض الصحابة[٣].

وقال: ***الدين راية الله في الأرض، فإذا أراد أن يذلّ عبده ابتلاه بالدَّين***[٤].

والدَّين: ما للرجل علىٰ غيره. والشين: العار. وأُنشد:

**الضوء في شرح الشهاب**

**٢٠ـ الدَّيْنُ شَيْنُ الدِّينِ.**

الدين مال الرجل على غيره، وأصله من الدِين الذي هو الذلّة والقهر، من باب فعل، وفعل باتفاق المعنى[٥]؛ لأنّ من عليه الدين ذليل مقهور، يبيّن هذا قوله عليه السلام: ***إيّاكم والدَين فإنّه همّ بالليل وذلّة بالنهار***[٦].

وقوله: ***اقلل من الدين تعش حرّاً***[٧].

وعلى هذا قال بعض المحدّثين:

---

(١) كنز العمال ٦: ٢٣١ / ١٥٤٧٦، تفسير القرطبي ٣: ٤١٧، ميزان الاعتدال ٢: ٤٣٩.
(٢) مستدرك الوسائل ١٣: ٣٩٣ / ٥، ميزان الاعتدال ٤: ٥٤٥ / ١٠٣٦٦.
(٣) الكافي ٥: ٩٢ / ٢، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٢ / ٣٦٨٣.
(٤) علل الشرائع ٢: ٥٢٩ / ١٠، المستدرك على الصحيحين ٢: ٢٤.
(٥) كذا في النسخة. وأُنظر معنىٰ (دين) في معجم مقاييس اللغة ٢: ٣١٨.
(٦) علل الشرائع ٢: ٥٢٧، تفسير الثعلبي ٢: ٢٨٩.
(٧) الجامع الصغير ١: ٢٠٢، كنز العمال ١٦: ٢١.

*أكــثرْ مــن الدرهــم والعــينِ*      *كمّاً تـعش حـرّاً مـن الدَّيـنِ*
*فـــقوّة العـــين بـــإنسانها*      *وقــوّة الإنســان بــالعينِ*[1]

---

*أكثر مـن الدّرهـم والعـين*      *كمّا تعش [حرّاً] من الدينِ*
*فـــقوة العـــين بـــإنسانها*      *وقـــوّة الإنســـان بـــالعينِ*

تقول: أدنت الرجل إذا بعته بدين، ودنت أنا وأدنت إذا أخذته بدين.

والشين: خلاف الزين، وهو العار والشنار، شانه يشينه شيناً.

جعل الدَين عار الدِين وعيبه؛ لأنّ لصاحب الدَين أن يحبسه ويـمنعه مـن الجماعة والجمعة، وحضور مجالس الذكر وأداء الصلاة بأوقاتها، وأوراد العبادة والحجّ والجهاد، وقال عليه السلام: ***الدَّين راية الله في الأرض، فإذا أراد أن يذلّ عبده ابتلاه بالدَين وجعله في عنقه***.

وقال عليه السلام: ***ما من خطيئة أعظم عند الله بعد الكبائر من أن يموت الرجل وعليه دين لا يوجد له قضاء***.

وروي أنّ بعض الصحابة مات وكان عليه ثلاثة دراهم أو خمسة دراهم، فلم يصل عليه النبيّ حتّى ضمن عنه بعض أصحابه.

وقال عليه السلام: ***أعوذ بالله من الكفر والدَين***، فقال رجل: يا رسول الله، أيعدل الدّين الكفر؟ قال: **نعم**[2]. وذلك محمول على أنّ الرجل استدان على نيّة أن لا يقضيه مستحلّاً لذلك.

---

(١) الأبيات لأبي الفتح علي بن محمّد الكاتب السبتي، ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر ٤: ٣٨٢ باختلاف في البيت الأول وهو:

اشفق علىٰ الدرهم والعـين      تسـلم مـن العـينة والديـن

(٢) الخصال: ٤٤ / ٣٩، علل الشرائع ٢ : ٥٢٧ / ٣، مسند أحمد ٣: ٣٨.

**٢٠ـ التَّدْبِيرُ نِصْفُ العَيْشِ**[١].

**يقول:** أحْسِنْ التدبير في عواقب الأمر، ولا تسرف النفقة، وراعِ القصد؛ فإنّ من دبّر فيما يكتسبه وينفقه وجانب الإسراف والتقصير فهو يحتاج إلى نصف ما ينفق مَنْ لم يفعل ذلك، والإفراط والتفريط مذمومان في جميع الأشياء، وخير الأُمور أوساطها، وليس المراد بالنصف هاهنا التحديد والتقدير، وإنّما معناه: فإنّ [في] التدبير حظّ وافر في معيشته، وأراد بالعيش المعيشة.

**٢١ـ التَّوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ**[٢].

**يقول:** تودّدوا وتحبّبوا إلىٰ الناس وتكلّموا معهم بطلاقة الوجه؛ فإنّه علامة

**الضوء في شرح الشهاب**

**٢١ـ التَّدْبِيْرُ نِصْفُ العَيْشِ.**

التّدبير: الفكر في أدبار الأُمور وعواقبها، ومن دبّر فيما ينفقه وراعى القصد الذي هو واسطة بين الإسراف والتقصير فهو يحتاج إلى نصف ما يحتاج إليه من [لم] يفعل ذلك، وأراد بالعيش المعيشة.

والإفراط والتفريط مذمومان في جميع الأشياء، وخير الأُمور أوساطها، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾[٣] قال:

*عليك بالقصد فيما أنت فاعله ... إنّ التخلّق يأتي دونه الخلق*[٤]

**٢٢ـ التَّوَدُّدُ نِصْفُ العَقْلِ.**

التودّد تفعّل من الودّ، ففي هذا البناء نوع من التكلّف كالتصنّع والتخلّق،

---

(١) كنز العمال ٣: ٤٩ / ٥٤٣٥، الجامع الصغير ١: ٥٢١ / ٣٣٩٩.

(٢) الكافي ٢: ٦٤٣ / ٤، الإخوان لابن أبي الدنيا: ١٩٤ / ١٣٩.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ٢٦ و ٢٧.

(٤) خزانة الأدب ١: ٣٤١، تاج العروس ١٣: ١٢٥، والشاعر هو سالم بن وابصة.

لكمال العقل، ومن تحبّب إلىٰ الناس فيما يعاشرهم ويعاملهم بما يودّونه كان كمن استعمل أوفر علوم عقله، ومن قضية العقل أن يكتسب المرء الأصدقاء والإخوان ما استطاع؛ ليكونوا عوناً علىٰ نوائب الدهر. والتودّد تَفَعُّل من الودّ، وفي هذا البناء نوع من التكلّف كالتصنّع والتخلّق، وأدنىٰ ما يورثه التودّد الثناء الحسن.

---

يقول: من تودّد إلى النّاس فيما يعاشرهم ويعاملهم بما يودونه كان كمن استعمل نصف العقل، ومثله قوله عليه السلام: ***رأس العقل بعد الإيمان بالله التودّد إلى الناس***[1].

ومن قضيّة العقل أنّ الرجل يكتسب الإخوان والأصدقاء والأولياء ما استطاع؛ ليكونوا أعواناً له على نكبات الدهر ونوائب الزمان، ألا ترى إلى قول الشاعر:

*تكثّر من الإخوان ما استطعت إنّهم* ... عماد إذا استنجدتهم وظهورُ
*وليس كثيراً ألف خلّ وصاحب* ... وإنّ عدوّاً واحداً لكثيرُ[2]

وقال آخر:

مـن *لم ينل* كنز مال في تقلّبه ... فليستفد من كـرام *الناس إخواناً*
ما ضرّ من *نال إخواناً* ذوي كرم ... ألّا يفيد مع *الإخوان* عقياناً
*الودّ* يزكو على *الإخوان* بذلته ... *والمال* يعقبه *الأيّام* نقصاناً
*والمال* بيت وصرف *الدّهر* يهدمه ... *والودّ* أحكم ما شيّدت بنياناً[3]

وقال آخر:

وما *المرء* إلّا بإخوانه ... كما يقبض *الكفّ* بالمعصم

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٨ / ٧٧، السنن الكبرى ١٠: ١٠٩.

(٢) ربيع الأبرار ١: ٣٥٦، أمالي الصدوق: ٧٦٦، محاضرات الأُدباء ٣: ٦ ورواه الشيخ الصدوق عن أمير المؤمنين عليه السلام، وفي محاضرات الأُدباء الشاعر هو محمود الوراق.

(٣) لم نعثر على هذه الأبيات في المصادر.

**٢٢ـ قِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَيْنِ**[١].

هذا إشارة إلىٰ قوله تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[٢] وذلك أنّ من قلّ عياله وأهله قلّ إنفاقه فلا يحتاج إلىٰ ما يحتاج إليه مَنْ يكثر عياله في النفقة، فيبقىٰ ذات يده في يده، وذلك أحد يساريه، وهما: كثرة المال، وقلّة الخرج لقلّة العيال.

**بيانه:** أنّ كثرة العيال أحد الفقرين، وفيه حثّ على العزلة والعزوبة في آخر الزمان. واليسار: اليسر، وهو عبارة عن كثرة المال وحسن الحال.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب**

ولا خير في *الكفّ* مقطوعة ولا خير في *الساعد الأجذم*[٣]

وفي المثل: بساط من الإنسان خير من بساط من العقيان[٤].

**٢٣ـ الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ.**

الهمّ والغمّ واحد معنىً وبناءً؛ لأنّ الهاء والغين من حروف الحلق، ولو قيل: إنّه من الإبدال كالمدح والمده لم يبعد.

يقول من يهتم ويكثر همّه وغمّه بالأمور يسرع إليه المشيب قبل أن يشيب أقرانه بنصف تلك المدّة، ومنه قوله ﷺ: ***شيّبتني سورة هود وأخواتها***، قيل: وما شيّبك منها؟ قال: قوله: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[٥] فإنّه كان يهتم بأنّه هل استقام كما أمر.

---

(١) قرب الإسناد: ١١٦ / ٤٠٦، كنز العمال ١٦: ٢٨٧ / ٤٤٥٠٦.
(٢) سورة النور ٢٤: ٣٣.
(٣) المستطرف في كلّ فنّ مستظرف ١: ٢٠٩.
(٤) لم نعثر عليه في المصادر.
(٥) سورة هود ١١: ١١٢.

**٢٣ـ الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ**[١].

**تقول:** لا تهتم في اُمور الدنيا فإنّ مَنْ كثر غمّه يسرع الشيب إليه قبل أن يشيب أقرانه بنصف تلك المدّة، ومنه قوله ﷺ: ***شيّبتني سورة هود وأخواتها***، قيل: وما شيّبك منها؟ قال: قوله: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[٢]،[٣] فإنّه كان يهتم هل تستقم اُمّته كما اُمروا؟

وقيل: معناه: لا يغلبنّكم الهموم فتضعف علومكم وأبدانكم كضعفهما فيمن يصير هرماً.

والهمّ والغمّ واحد معنىً وبناءً. وكان[٤] بدل من الغين فإنّهما من الحلق كالمدح والمده[٥].

---

وقيل: كثرة الهمّ من علو الهمّة، ألا ترى قول بعض الأكابر، وقيل: هو للصاحب رحمه الله:

وقائلة *لم عرتك الهموم* ... وأمرك ممتثل *في الأُمم*

فقلت ذريني على همّتي ... *فإنّ الهموم بقدر الهمم*[٦]

**٢٤ـ قِلَّةُ العِيَالِ أَحَدُ اليَسَارَيْنِ.**

وذلك أنّ من قلّ عياله قلّ إنفاقه فلا يحتاج في النفقة إلى ما يحتاج إليه الكثير العيال، فتبقى ذات يده في يده، وذلك أحد يساريه، واليساران أحدهما كثرة

---

(١) كنز العمال ١٦: ١٢٠ / ٤٤١٣٤، ميزان الاعتدال ٢: ٤٨١.

(٢) سورة هود ١١: ١١٢.

(٣) اُنظر: الخصال: ١١٩ / ١٠، كنز العمال ١: ٥٧٣ / ٢٥٨٦ ـ ٢٥٩٢.

(٤) أي وكان حرف الهاء بدل من الغين.

(٥) الصحاح ٦: ٢٢٤٩، مادة (مده)، لسان العرب ١٣: ٥٤٠، مادة (مده).

(٦) الوافي بالوفيات ٩: ٨٤، يتيمة الدهر ٣: ٣٢٣، وفيهما: (غصتي) بدل (همّتي).

**٢٤ـ حُسْنُ السُؤَالِ نِصْفُ العِلْمِ**[(١)].

يريد اطلبوا الحقّ، والتمسوا بيان الشرع، واسألوا عن الحلال والحرام؛ فإنّ إبانتها تتحصّل لكم من طريق السؤال، ومن يعرفه يصير عارفاً بجوابه، وذلك أنّ من أحسن السؤال وأتقنه كان ذلك دليلاً على أنّه غير أجنبي من تلك المسألة، فإذا أُجيب عنها أسرع ذلك إلىٰ فهمه، فكأنهّ علم نصف الجواب.

وأراد بالسؤال مسألة الرجل للاستفادة لا للتعنّت.

وأراد بالعلم هنا العلم بجواب السؤال، وقال عليه السلام: ***العلم مخزون ومفتاحه السؤال، فاسألوا رحمكم الله فإنّه يؤجر فيه أربعة: السائل والمسؤول والمتكلّم والمستمع***[(٢)].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

المال، والآخر قلّة الخرج لقلّة العيال.

وقيل: من قلّ عيال كثر ماله، وحسنت حاله، وأمن اختلاله، وطاب مثاله، وسعد ماله[(٣)].

واليسار: اليسر، وهو عبارة عن كثرة المال وحسن الحال.

**٢٥ـ حُسْنُ السُؤَالِ نِصْفُ العِلْمِ.**

أراد بالسؤال مسألة الرجل للاستفادة؛ وذلك إنّ من أحسن السّؤال وأتقنه كان ذلك دليلاً على أنّه غير أجنبي من تلك المسألة، فإذا أُجيب عنها أسرع ذلك إلى فهمه فكأنّه علم نصف الجواب.

وأراد بالعلم هاهنا العلم بجواب السؤال، وقال عليه السلام: **العلم مخزون ومفتاحه**

(١) مجمع الزوائد ١: ١٦٠، المعجم الأوسط ٧: ٢٥.
(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٢ / ٢٣، كنز العمال ١٠: ١٣٣ / ٢٨٦٦٢، باختلاف.
(٣) أُنظر: معارج نهج البلاغة: ٤٢٧.

**٢٥ـ السَّلَامُ قَبْلَ الكَلَامِ[١].**

**يقول:** إذا أردتم مكالمة إنسان فسلّموا عليه أوّلاً؛ فإنّ الكلام بعد التحيّة من آداب الشرع، ومن فعل ذلك فإن كان له عند المخاطب حاجة كان أقرب إلىٰ إنجاحها، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ**﴾[٢] وقال: ﴿**لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**﴾[٣] وبيانه في الخبر الآخر، وقال عليه السلام: ***من بدأ بالكلام قبل السؤال فلا تجيبوه***[٤]. ومن حسن الأدب أنّك إذا دخلت منزلاً وفيه جماعة فيهم عالم أن تعمّهم بالسلام وتخصّه بالتحيّة.

---

***السؤال فاسألوا رحمكم الله؛ فإنّه يؤجر فيه أربعة: السائل والمسؤول والمتكلّم والمستمع.***

وقال: بعضهم في الحثّ على السؤال:

شفاء *لذي الجهل السؤال وإنّما*     *تمام العمى طول السكرة على الجهل*[٥]

**٢٦ـ السَّلامُ قبْلَ الكَلاَمِ.**

هذا من باب الأدب فإنّ من آداب الشرع والعرف أن يبدأ الرجل بالسلام على من أراد مكالمته، ثمّ يتكلّم بما أراد، فإن تكلّم ثم سلّم كان خارجاً عن العرف والشرع، ومن حسن الآداب إذا دخل الرجل مجلساً وفيه عالم أو فقيه أو أحد من أهل الخير التميّز أن يعمهم بالسلام ويخصّه بالتحيّة احتراماً له.

(١) سنن الترمذي ٤: ١٦١ / ٢٨٤٢، مسند أبي يعلىٰ ٤: ٤٨ / ٢٠٥٩، الدعوات: ٢٣ / ٢٩.
(٢) سورة النور ٢٤: ٦١.
(٣) سورة النور ٢٤: ٢٧.
(٤) الكافي ٢: ٤٤ / ٢، الخصال: ١٩ / ٦٦، كنز العمال ٩: ١٢٦ / ٢٥٣٢٠.
(٥) عيون الأخبار ٢: ١٣٩، باختلاف بسيط.

**٢٦ـ الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ**[١].

وتأويله في الحديث الآخر، وهو قوله عليه السلام: ***لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فإنّ اللبن يعدي***[٢].

وقيل: معناه: إذا كانت المرضعة تقرب من الفساد وتبعد من السداد فلا تتّخذوها ظئراً لأولادكم؛ فإنّ رضاعها ولبنها يغيّران أخلاقهم، والولد وإن كان أبواه علىٰ الاستقامة فإن أرضعه مَنْ لها عادة قبيحة يتخلّق بأخلاقها دون خلق الأبوين، هذا حكم الرضاع من جهة العرف، والطبع يكون كذلك على الأغلب.

وله حكم آخر من الشرع، وهو انتشار الحرمة بين الصبي والرضيع، وبين من يتقرّب إليه من جهة النسب عندنا حتىٰ تصير المرضعة أم الصبي الرضيع، ويصير الفحل ـ الذي هو صاحب اللبن ـ أباه وأقرباؤهما أقرباءه.

**الضوء في شرح الشهاب**

**٢٧ـ الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ.**

الرضاع مصدر رضع الصبي يرضع، فهو راضع ورضيع، وفي المثل: ألأم من راضع[٣]، وذلك أنّ اللئيم ـ البخيل ـ لا يحلب الشاة لئلّا يسمع أحد صوت شبخه[٤] فيستميحه، بل يرضع بفيه. ويجوز أن يكون اسماً للإرضاع.

والمعنى: أنّ الصبي إذا أرضع بلبن ظئرٍ يتخلّق بخلقها دون خلق الأبوين، هذا حكم الرضاع من جهة العرف والطبع، وله حكم من جهة الشرع، وهو انتشار

---

(١) كنز العمال ٦ : ٢٧٠ / ١٥٦٥٣، ميزان الاعتدال ٢ : ٢٩٦، وفي قرب الإسناد: ٩٣ / ٣١٢، عن الإمام علي عليه السلام.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٦٧/٣٧:١، تهذيب الأحكام ٨: ٣٤/١١٠، الكامل في ضعفاء الرجال ١٥٤:٥.

(٣) الفائق في غريب الحديث ٢ : ٤٢.

(٤) الشبخ: صوت اللبن عند الحلب. لسان العرب ٣ : ٢٧، مادة (شبخ).

يدلّ عليه ما روي من أنّ علياً قال يا رسول الله، ***هل لك في ابنة عمّك حمزة، فإنّها أجمل فتاة [في]قريش***؟ فقال عليه السلام: ***أما علمت أنّ حمزة أخي من الرضاعة، وأنّ الله حرّم من الرضاعة ما حرّم من النسب***[١].

وصفة الرضاع المحرِّم خمس عشرة رضعة متوالية لا يفصل بينها برضاع امرأة أُخرىٰ، أو يكون بحدّ أنبت اللحم وشدّ العظم على الولاء أيضاً، أو رضاع يوم [و] ليلة لا يتخلّلها رضاع امرأة أُخرى، فإذا ارتضع عشر رضعات يكره التناكح بينهما.

وحدّ الرضعة ما يرويه دون المصّة، يدلّ عليه قوله عليه السلام: ***الرضاع من المجاعة***[٢]. أي ما سدّ الجوع.

---

الحرمة بين الصبي الرضيع وبين من يتقرّب إليه من جهة النسب عندنا، حتّى تصير المرضعة أمّ الصبي المرتضع، والفحل الذي هو صاحب اللبن أباه، وأبوه جدّه، وأُمّه جدّته، وأُخته عمّته، وكلّ ولد له فهم أخوة لهذا المرتضع[٣]، وبه قال علي عليه السلام وابن عبّاس وعطاء وطاووس ومجاهد، وفي الفقهاء مالك والأوزاعي والليث بن سعد وأبو حنيفة وأصحابه والشافعي وأحمد وإسحاق[٤].

وخالفهم في ذلك ابن الزبير وابن عمر وسعيد بن المسيّب وسلمان بن يسار،

---

(١) مستدرك الوسائل ١٤: ٣٦٦ / ٤، صحيح مسلم ٤: ١٦٥.

(٢) مسند أحمد ٦: ٩٤، صحيح البخاري ٣: ١٥٠، الخلاف ٥: ٩٧، وفي جميع المصادر: الرضاعة.

(٣) الخلاف ٥: ٩٣، ٩٤، الحدائق الناظرة ٣٣: ٣٨١، جواهر الكلام ٢٩: ٣٠٩.

(٤) الاستذكار ١٨: ٢٤٩، بداية المجتهد ٤: ١٠٠، الكافي في فقه أهل المدينة: ٢٤٣، عيون المجالس ٣: ١٣٧٩ ـ ١٣٨١، الهداية للمرغيناني ١: ٢٤٤، مختصر اختلاف العلماء ٢: ٣١٨، المغني لابن قدامة ٩: ٢٠ ـ ٢٠١، مختصر المزني: ٢٤٠.

والمعنىٰ: أنّ الرضاع إنّما يعتبر إذا لم يُشبع الرضع إلّا اللبن وذلك في الحولين، فأمّا رضاع من يشبعه الطعام فلا، وقوله: ***لا تحرّم المصّة ولا المصتان ولا الرضعة ولا الرضعتان***(١).

الضوء في شرح الشهاب

وفي الفقهاء ربيعة اُستاذ مالك، وحمّاد بن أبي سليمان اُستاذ أبي حنيفة، والأصم واُستاذه ابن أبي عبلة(٢)، وبه قال أصحاب الظاهر داود وأصحابه، وقالوا: لبن الفحل لا يُنشر الحرمة، ولا يكون من الرضاع أب ولاعمّ ولاعمّة ولا جدّ من قبل الأب ولا أخ لأب، ولهذا الفحل أن يتزوج التي أرضعتها امرأته(٣).

والدليل على المذهب الصحيح إجماع أهل البيت(٤)، وما روي من أنّ عليّاً عليه السلام قال: ***يا رسول الله، هل لك في ابنة عمّك حمزة فإنّها أجمل فتاة في قريش؟ فقال*** عليه السلام***: أما علمت أنّ حمزة أخي من الرضاعة، وأنّ الله حرّم من الرضاعة ما حرم من النّسب***. ومعلوم أنّ الأُخت والعمّة تحرمان من النسب فوجب أن يحرما الرضاعة بعموم الخبر.

أمّا صفة الرضاع الشرعي الّذي يحرّم عشر رضعات عند بعض أصحابنا، وعند بعضهم خمس عشرة رضعة ـ وهو الصحيح ـ متوالية لا يفصل بينهما برضاع امرأة اُخرى، أورضاع يوم وليلة لا يتخلّلها رضاع امرأة اُخرى، أو يكون بحدّ أنبت اللحم وشدّ العظم، وحدّ الرضاعة: ما يرويه دون المصّة(٥).

(١) مستدرك الوسائل ١٤: ٣٦٧ / ٥، المسند للشافعي: ٢٢١.
(٢) في الخلاف ٥: ٩٤: ابن علية اُستاذ الأصم.
(٣) بداية المجتهد ٤: ١٠٠، ١٠١، الاستذكار ١٨: ٢٥١، عيون المجالس ٣: ١٣٨٢، الحاوي الكبير ١١: ٣٥٨، مختصر اختلاف العلماء ٢: ٣١٨، المغني لابن قدامة ٩: ٢٠١.
(٤) الخلاف ٥: ٩٣، ٩٤، جواهر الكلام ٢٩: ٣٠٩.
(٥) ذهب إلى القول الأول ـ تحرّم عشر رضعات ـ أكثر المتقدمين وبعض المتأخرين لعموم ←

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

وقال الشافعي: خمس رضعات متفرقات كن أو مجتمعات تورث الحرمة، وبه قال ابن الزبير وعائشة، وفي التابعين سعيد بن جبير وطاووس، وفي الفقهاء أحمد وإسحاق[١]، وقال أبو ثور وأصحاب الظّاهر: ثلاث رضعات[٢]، وقال قوم: إنّ الرضعة الواحدة أو المصّة الواحدة ولو قطرة تحرّم. ذهب إليه ابن عمر وابن عبّاس[٣]، وفي الفقهاء: مالك والأوزاعي والليث بن سعد والثوري وأبو حنيفة وأصحابه[٤].

دليلنا قوله عليه السلام: ***الرضاعة من المجاعة***. يعني ما سدّ الجوع؛ وقول: ***لا تحرم المصّة ولا المصّتان ولا الرضعة [ولا الرضعتان ]***[٥].

---

← قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ خرج ما دون العشرة بالإجماع فيبقى الباقي، وذهب الشيخ الطوسي والمحقق وأكثر المتأخرين إلى القول الثاني ـ تحرّم خمس عشرة رضعة.

مسالك الأفهام ٧: ٢١٣، الحدائق الناضرة ٢٣: ٣٣٠، كشف اللثام ٧: ١٣٤ ـ ١٣٥، رياض المسائل ١٠: ١٣٥ ـ ١٣٦، جواهر الكلام ٢٩: ٢٦٩ ـ ٢٧١.

(١) الأُم ٥: ٤٥، البيان للعمراني ٩: ٢١٢، الإشراف لابن المنذر ١: ٩٣، المهذّب للشيرازي ٤: ٥٨٤ ـ ٥٨٦.

(٢) الإشراف لابن المنذر ١: ٩٣، عيون المجالس ٣: ١٣٨٦.

(٣) المصنّف لعبد الرزاق ٧: ٤٦٧ ـ ٤٦٩ / ١٣٩١٩، ١٣٩٢٤، باب القليل من الرضاع، السنن الكبرى ٧: ٤٥٨، كتاب الرضاع، باب من قال يحرم قليل الرضاع وكثيره، الإشراف لابن المنذر ١: ٩٢.

(٤) المدونة الكبرى ٢: ٤٠٥، عيون المجالس ٣: ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥، التفريع ٢: ٦٨، المعونة ٢: ٩٤٦ ـ ٩٤٧، مختصر اختلاف العلماء ٢: ٣١٤، مختصر القدوري: ١٥٢، الإشراف لابن المنذر ١: ٩٢.

(٥) في النسخة زيادة: ان.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

وهذه الرضعات يجب أن تقع في مدّة الحولين عندنا[١]، وبه قال الشافعي وأبو يوسف ومحمد[٢]، وقال مالك: في حولين وشهر[٣]، وقال أبو حنيفة: في ثلاثين شهراً[٤]، وقال زفر: في ثلاثة أحوال[٥]. وهذا خلاف في مدّة الرضاع.

دليلنا: قوله تعالى: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**﴾[٦] وهذا ظاهر فيما ذهبنا إليه.

الإيجار لا ينشر الحرمة، وهو أن يُصبّ اللبن في حلق الصبي[٧]، وبه قال عطاء وداود[٨]، وخالفه جميع الفقهاء وفي ذلك[٩].

[و] إذا سقط اللبن في أنف الصبي حتّىٰ يصل إلى دماغه لا ينشر الحرمة[١٠]،

---

(١) تذكرة الفقهاء ٢: ٦١٩ (حجري)، مستند الشيعة ١٦: ٢٥٠، الخلاف ٥: ٩٩ ـ ١٠٠.
(٢) الهداية للمرغيناني ١: ٢٤٣، مختصر اختلاف العلماء ٢: ٣١٥.
(٣) لمالك في هذه المسألة ثلاثة أقوال:
١ ـ الزيادة اليسيرة على العامين.
٢ ـ الزيادة بشهر.
٣ ـ إلى ثلاثة أشهر.
بداية المجتهد ٤: ٩٧، ٩٨، المقدّمات الممهّدات ١: ٤٩٣، المعونة ٢: ٩٤٦ ـ ٩٤٧.
(٤) الهداية للمرغيناني ١: ٢٤٣، مختصر اختلاف العلماء ٢: ٣١٤، بدائع الصنائع ٥: ٧٨.
(٥) الهداية للمرغيناني ١: ٢٤٣، مختصر اختلاف العلماء ٢: ٣١٥، بدائع الصنائع ٥: ٧٦.
(٦) سورة البقرة ٢: ٢٣٣.
(٧) جامع المقاصد ١٢: ٢١١، مسالك الأفهام ٧: ٢٣٠، الحدائق الناضرة ٢٣: ٣٥٩، جواهر الكلام ٢٩: ٢٩٤.
(٨) عيون المجالس ٣: ١٣٩٠، المحلّى ١٠: ٧.
(٩) المغني لابن قدامة ٩: ١٩٤، المدونة الكبرى ٢: ٤٠٥، المعونة ٢: ٩٤٦ ـ ٩٤٧، ٩٤٨.
(١٠) مسالك الأفهام ٧: ٢٣٠، جواهر الكلام ٢٩: ٢٩٤.

**٢٧ـ البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ**[١].

أي عظّموا أكابر السنّ من المؤمنين لا أكابر الحال؛ فإنّ مع مشايخهم النماء والزيادة في الخيرات، وبانقراضهم ذهاب البركة، وفي الحديث: ***وقّروا شيوخكم فإنّ البركة معهم***[٢].

---

وبه قال عطاء وداود[٣]، وخالف جميع الفقهاء فيه[٤].

[و] إذا اُحقن الصبي باللبن لا ينشر الحرمة[٥]، وللشافعي فيه قولان:

**أحدهما:** مثل ما قلنا.

**والثاني:** ينشر الحرمة، وبه قال المزني ومحمد بن الحسن، ووافقنا أبو حنيفة[٦].

ومسائل الرضاع واختلاف الفقهاء فيه كثيرة، وهاهنا يكفي هذا القدر لئلّا يطول به الكتاب وينشر الخطاب.

**٢٨ـ البَرَكَةُ مَعَ أَكَابِرِكُمْ.**

البركة: الثبات والبقاء، واشتقاقها من بروك البعير، والبرك للصدر من هاهنا[٧]، والبركة لثبوت الماء فيها.

والأكابر جمع أكبر، أفعل للتفضيل أراد مع شيوخكم، والكاف خطاب

(١) بحار الأنوار ٧٢: ١٣٧ / ٤، المستدرك على الصحيحين ١: ٦٢.
(٢) لم نعثر علىٰ نصّ هذا الحديث ولكن عقد المجلسي في بحار الأنوار ٧٢: ١٣٦ باباً في إجلال ذي الشيبة المسلم.
(٣) عيون المجالس ٣: ١٣٩٠، المحلّى ١٠: ٧، بداية المجتهد ٤: ٩٨.
(٤) بداية المجتهد ٤: ٩٨، مختصر المزني: ٢٢٧، المغني لابن قدامة ٩: ١٩٥.
(٥) جامع المقاصد ١٢: ٢١١، الحدائق الناضرة ٢٣: ٣٥٩، رياض المسائل ١٠: ١٤١.
(٦) المغني لابن قدامة ٩: ١٩٧، بدائع الصنائع ٤: ٩، المبسوط للسرخسي ٥: ١٣٤.
(٧) كذا في النسخة.

والبركة: الثبات والبقاء، واشتقاقها من بروك البعير.

والأكابر: جمع أكبر، أفعل للتفضيل، ولو كان جمع كبير القدر كثير المال لكان: مع كبرائكم، أراد مع شيوخكم، والكاف خطاب للمؤمنين، وروىٰ النصحي: أنّ المراد به البركة مع علمائكم[1].

**٢٨ـ مِلَاكُ العَمَلِ خَوَاتِمُهُ**[2].

**معناه:** إذا ابتدأت بعمل صالح وفعل خير فاجتهد أن تتمه، فلم أرَ في عيوب

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

للمؤمنين، وفي الحديث: ***إنّ من كلام الله المنزل في بعض كتبه: لولا شيوخ ركّع وصبيان رضع، وبهائم رتّع لسلّطت جهنّم على أهل الدنيا***[3].

ويُروى: ***لصببت عليكم العذاب صبّاً***، وأخذ البارع الجرجاني هذا المعنى ونظمه، فقال:

*لولا عباد للإله ركّعُ*     *وصبية من اليتامى رضّعُ*

*ومهملات في الفلاة رتّعُ*     *صبّ عليكم العذاب الأوجعُ*[4]

وفي الحديث: ***وقّروا شيوخكم فإنّ البركة معهم***.

وفي الحديث: ***إنّ الله يستحيي ذا الشيبة أن يعذّبه في النار***[5].

**٢٩ـ مِلَاكُ العَمَلِ خَوَاتِمُهُ.**

ملاك الأمر: قوامه وما يتملّك به، أي يشتدّ ويستمسك؛ لأنّ الملك في اللغة

---

(١) اُنظر: فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٦٨٠ / ٤١٥١.

(٢) كنز العمال ٥: ٦٩٤ / ٤٢٧٧٧، الاختصاص: ٣٤٣، وفيه: خواتيمه.

(٣) السنن الكبرى ٣: ٣٤٥، مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٧، مسند أبي يعلى ١١: ٥١١ / ٦٦٣٣، وفي الخصال: ١٢٨ / ١٣١، عن الإمام الصادق عليه السلام، وفي الجميع: لصبّ عليكم العذاب صبّاً.

(٤) تفسير الثعلبي ٢: ٢٢٤، تفسير القرطبي ٣: ٢٦٠.

(٥) تفسير البيضاوي ١: ٢٥٥، مفردات الراغب: ١٤٠.

الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام.

وملاك الأمر: قوامه وما يتملّك به أي يشتدّ، من ملكت العجين إذا شددته.

والخواتم: جمع خاتم، وهو ما يختتم به الشيء، أراد عواقبه وأواخره؛ لأنّ الشيء إنّما يختتم في آخره عند الفراغ منه بتمامه، ومنه: ***الأُمور بخواتيمها***[١].

---

الشدّ، من قولهم: ملكت العجين إذا شددته، ومنه قول الشاعر:

*ملكت بها كفي فأنهرت فتقها* *يرى قائم من دونها ما وراءها*[٢]

أي شددت.

والخواتم جمع خاتم[٣]، وهو ما يختتم به الشيء، أراد عواقبه وأواخره؛ لأنّ الشيء إنّما يختتم في آخره عند الفراغ منه بتمامه، ومنه المثل: الأُمور بخواتمها، وهو جمع خاتام، وفي الناس من ذهب إلى أنا لا نحكم بإيمان أحد ولا بإسلامه إلّا إذا مات عليه؛ لأنا نجوّز أن يرتدّ أو يفعل شيئاً يحبط به إيمانه وإسلامه، فإذاً لا يكون مؤمناً ولا مسلماً إلّا إذا وافى يوم القيامة وهو مستحقّ للثواب الدائم، لم يحبط ثوابه بكثرة المعصية[٤].

وهذا المذهب غير صحيح؛ لأنّه مبني على الارتداد والإحباط، وكلاهما باطلان؛ لما دلّت عليه الأدلّة العقليّة، وربّما يأتي في هذا الكتاب من هذا الباب ما يدلّ على المذهب الصحيح من ذلك عند بلوغنا إلى حديث يقتضي ذلك، ويليق بمعناه إن شاء الله تعالى.

---

(١) السير الكبير للشيباني: ٢٢٦.

(٢) الوافي بالوفيات ٢٤: ٢١٩، والشاعر قيس بن الخطيم.

(٣) في النسخة: خكتم، وهو تصحيف ما أثبتناه.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر.

**٢٩ـ كَرَمُ الكِتَابِ خَتْمُهُ**[١].

فشرف كتابك إليه بوضع الختم عليه؛ لئلّا يطلّع فيه أحد ولا يفسد الحال المودعة فيه، وإنّ الكتاب إذا ختم دلّ علىٰ أنّ فيه شيئاً من المهمات العظام والأُمور الكبار، وإذا لم يختم يُرىٰ أنّه لا شيء فيه ممّا يُعتنىٰ به، وإذا كان فيه سرّ فلا يتكتم عليه.

فسّر قوله: ﴿**أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾[٢] أي مختوم[٣]، وكان فيما مضىٰ يختم الكتاب بالطين أو يشدّ عليه سحاء، وهو خيط، ثمّ ترك ذلك إلىٰ الإلصاق، وقيل: معناه إذا قرأت القرآن فإنّ إكرامه أن تختمه وتقرأه إلى آخره، والعموم يتناولهما، وعلىٰ هذا الوجه يجوز أن يكون المراد بالكتاب الجنس، أعني كلّ كتاب عِلْم.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**٣٠ـ كَرَمُ الكِتَابِ خَتْمُهُ.**

أراد أنّ الكتاب إذا خُتم دلّ على أنّه ضمن أشياء من المهمّات العظام والأُمور الكبار، وأمّا [إذا] لم يُختمْ علم أنّه لا شيء فيه يُعتنى بشأنه، فهو كالشيء المبذول وعلى هذا فسّر قوله تعالى: ﴿**إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ**﴾ أي مختوم، وقيل: كان خاتمه مسكاً، وقيل: كان حجراً من الحجارة الصلبة فختم عليه سليمان فأخذ فيه نقش الختج[٤] معجزة له عليه السلام، وكان فيما مضى من الزمان جرت العادة بأن يختم الكتاب بالطين أو يشدّ عليه سحا، وهو خيط كان يشدّ عليه، ثـمّ تـرك ذلك إلى الإلصاق والإلزاق باللزّاق، وعلى ذلك قول بعض الكتّاب ـ قيل: هو للصالي ـ في مدح الصاحب:

---

(١) مجمع البيان ٧: ٣٧٨، مجمع الزوائد ٨: ٩٩.
(٢) سورة النمل ٢٧: ٢٩.
(٣) مجمع البيان ٧: ٣٧٨.
(٤) كذا في النسخة.

**٣٠ـ مِلاَكُ الدِّينِ الوَرَعُ**[١].

**يقول**: إذا كنت متديّناً فزيّن نفسك بالورع، فالإنسان إذا اتّقىٰ محارم الشرع والعقل وتَرْكَ الواجبات فقد أتىٰ بكلّ ما يجب عليه في الدين، والمرجع بهذه اللفظة إلى الترك والتقىٰ، علىٰ أنّ الترك ـ فعل الورع ـ الكفّ عن المعاصي.

والملاك: القوام ما يتمسّك به الشيء؛ لأنّ الملك ـ في اللغة ـ الشدّ[٢].

---

فـي كـفّه قـلم نـاهيك مـن قـلم ... نـبلاً ونـاهيك مـن كـفّ بـه اتّشـحا

يـمحو ويـثبت *أرزاق العـباد* بـه ... فـما *المـقادير* إلّا مـا مـحى ووحـى

أي يثبت.

*لو أنّ عـبدالحـميد اليـوم* شـاهده ... *لظـلّ* بـين يـديه مـذعناً وسـحا[٣]

**٣١ـ مِلاَكُ الدِّيْنِ الوَرَعُ.**

قد بيّنا أنّ ملاك الأمر قوامه. والورع: الكفّ عن المعاصي، يقال: وَرِع الرجل يرع ورعاً ورعة؛ لأنّ الرجل إذا اتقى محارم الشرع والعقل وتَرْكَ الواجبات فقد أتى بكلّ ما يجب عليه في الدين، ومثله قوله عليه السلام: ***الورع سيّد العمل***[٤].

والمرجع بهذه اللفظة إلى الترك والتقى، وسماه عليه السلام عملاً على التوسّع؛ لما فيه من المشقّة، فأمّا على مذهب من ذهب إلى أنّ الترك فعل لا يحتاج إلى هذا التأويل.

---

(١) ثواب الأعمال: ٢٩٤، مكارم الأخلاق: ٤٦٨، مجمع الزوائد ١: ١٢٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٥: ٣٥١، مادة (ملك).

(٣) تفسير الثعلبي ١٠: ٨، ونسب الأبيات لابن الرومي.

(٤) يأتي ضمن أحاديث الشهاب برقم: (٣٢) من الضياء، ولم يذكر في الضوء، ولعلّه اكتفىٰ بما ذكره هنا.

**٣١ـ خَشْيَةُ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ**[١].

أي خَفْ عقاب الله بترك معاصيه؛ فإنّ الخوف من عقوبة الله أصل العلوم، والحكيم اذا رأىٰ مضرّة صغيرة دفعها عن نفسه بمقتضىٰ حكمته.

والحكمة: مصدر حَكَمَ، فهو حكيم، والحكيم المُحْكِم لأفعاله كالألِيْم بمعنىٰ المُؤْلِم، وقيل: الحكيم العالم بدقائق الأمور[٢]، وأصله من حكمة اللجام؛ لأنّ خوف عقابه تعالىٰ يمنع من ارتكاب المعاصي وترك الواجبات.

وقيل: المراد بالخشية هاهنا العلم بثواب الله وعقابه إلىٰ كلّ علم[٣].

وقيل: العلم بالله ابتداء كلّ علم[٤]. فلو لم يوجب علينا علوماً شرعية لكان الواجب علينا أن نعرفه، والخشية بمعنىٰ العلم معروفة، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً**﴾[٥] أي علمنا أنّه يؤذيهما أذًى عظيماً لطغيانه وكفره.

الضوء في شرح الشهاب

**٣٢ـ خَشْيَةُ اللهِ رَأْسُ كُلِّ حِكْمَةٍ.**

يقال: خشي الرجل يخشى خشية، إذا خاف، والحكمة مصدر حكم الرجل يحكم حكمة وحكامة، فهو حكيم، والحكيم: المحكم لأفعاله، فعيل بمعنى مُفْعِل كالأليم بمعن المؤلم، والسميع بمعنى المسمع في قول الشاعر:

*أمن ريحانة الداعي السميع   يؤرقني وأصحابي هجوعُ*[٦]

أي المسمع، وقيل: الحكيم: العالم بدقائق الأُمور، وأصله المنع، من حَكَمَة

(١) الورع لابن أبي الدنيا: ٤٣، كنز العمال ٣: ١٤١ / ٥٨٧٢.

(٢) الفروق اللغوية: ١٩٥، النهاية في غريب الحديث ١: ٤٠٢.

(٣) أُنظر: تفسير القرطبي ١٣: ٦٩.

(٤) أُنظر: شرح نهج البلاغة ١: ٧٣.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٨٠.

(٦) الصحاح ٣: ١٢٣٣ مادة (سمع)، والشاعر هو عمرو بن معدي كرب.

**٣٢ـ الوَرَعُ سَيِّدُ العَمَلِ**[١].

**يـقول:** امسكـوا عـن المـحرّمات والمـحظورات، وكـفّوا عـن الشـبهات والشهوات؛ فإنّ الثواب على ترك المناهي أعظم من الثواب على الأوامر، فكأنّ الورع الذي هو الكفّ عن السيئات سيِّد الأعمال.

والـّلام في العمل تعريف الجنس، وإذا رضي السيّد فالرعية تابعة له.

**٣٣ـ مَطَلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ وَمَسْأَلَةُ الغَنِيِّ نارٌ**[٢].

**يعني:** إذا كان لأحد عليك دين حال أو مؤجّل وقد حضر وقته، وكنت قادراً على قضائه وهو يطالبك به فإن دافعته من اليوم إلى غدٍ كنت ظالماً، وإذا كنت غنيّاً غير محتاج وتطلب من الناس شيئاً وتسألهم مالاً لتكثر أموالك فكلّ ما تـجتمع عندك بالسؤال فهو نار جهنّم، وذلك السؤال سبب النار.

---

اللجام، وذلك لأنّ خشية الله تمنعه من ارتكاب المعاصي وترك الواجبات.

**٣٣ـ مَطْلُ الغني ظُلْمٌ ومَسْأَلَةُ الغَني نارٌ.**

المطل: مدافعة الرجل غريمة من يوم إلى يوم، ومن شهر إلى شهر.

والظلم ـ في اللغة ـ: النقصان[٣]، من قوله تعالى: ﴿**آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾[٤] في ذكر البستان أي لم تنقص، فأمّا قولهم: الظّلم: وضع الشيء في غير

---

(١) الورع لابن أبي الدنيا: ٤٣، كنز العمال ٣: ١٤١ / ٥٨٧٢.

(٢) ورد القسم الأول من الحديث «مطل الغني ظلم» في من لا يحضر الفقيه ٤: ٣٨٠ / ٥٨١٩، وكتاب الأُم ٣: ٣٠٦ وغيرهما، وله صور أُخرىٰ ورد فيها. ولم نعثر على القسم الآخر «ومسألة الغني نار».

(٣) التبيان ١: ١٥٨.

(٤) سورة الكهف ١٨: ٣٣.

وقيل: في الخبر دلالة أنّ من ليس بواجد للوفاء بقضاء الدين لم يكن ظالماً، وإن كان مطل الغنيّ عدولاً عن الحقّ، وأنّ المسألة وإنّ حُرّمت من جانب الغنيّ فغير حرام من جانب الفقير في أمر لابدّ منه[1].

والمطل: مدافعة الرجل غريمه من يوم إلىٰ يوم، ومن شهر إلىٰ شهر.

والظلم ـ في اللغة ـ: النقصان[2]، من قوله: ﴿**آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً**﴾[3] وقولهم: الظلم: وضع[4] الشيء في غير موضعه[5]، فهو استعارة.

وفي اصطلاح المتكلّمين: هو كلّ ضرر يوصل إلىٰ أحد عارٍ من كلّ منفعة أو دفع مضرّة معلومة أو مظنونة عاجل أو آجل، ولا يكون مستحقاً ولا علىٰ

**الضوء في شرح الشهاب**

موضعه، فهو على طريق التمثيل والاستعارة، وقولهم في المثل: من أشبه أباه فما ظلم[6]، قيل معناه: ماوضع الشبه في غير موضعه، ولو قيل لم ينقص من الشبه شيئاً كان جائزاً.

فأمّا في اصطلاح أهل الكلام فهو: كلّ ضرر يوصل الحي[7] عارٍ من كلّ منفعة أو دفع مضرّة معلومة أو إلى مظنونة عاجلة أو آجلة، ولا يكون مستحقاً ولا على سبيل المدافعة، ولا يكون في الحكم كأنّه من فعل المضرور أو من جهة غير فاعل الضرر.

---

(١) كتاب الأُم ٣: ٢٠٦.

(٢) لسان العرب ١٢: ٣٧٥، مادة (ظلم).

(٣) سورة الكهف ١٨: ٣٣.

(٤) ما أثبتناه من المصادر والضوء وهو المناسب لتعريف الظلم، وفي النسخة: ومنع.

(٥) غريب الحديث لابن قتيبة ١: ٢٠٢، الصحاح ٥: ١٩٧٧، مادة (ظلم).

(٦) لسان العرب ١٣: ٥٠٣ (شبه).

(٧) كذا في النسخة، وفي الضياء: يوصل إلى أحدٍ عارٍ...

سبيل المدافعة، ولا يكون في الحكم كأنّة[١] من فعل المضرور أو من جهة غير فاعل الضرر.

واحترز بكلّ واحد من هذه الشروط من نقض على الحدّ، فقوله: «ظلم» يطرد في الطرفين أعني طرفي الغريم وصاحب المال؛ لأنّ المماطل الغنيّ يظلم صاحب المال بإصراره من احتباس حقّه، ويظلم نفسه من حيث إنّه ارتكب معصية بمدافعة الغريم مع تمكّنه من أداء حقّه، فهو مستحقّ الذم والعقاب، والسؤال محرّم إلّا عند الضرورة إليه، ومن سأل مستغنياً فهو مستحق للذم والعقاب.

والسؤال والمسألة كلاهما مصدر سأل، ويستعملان في الاستعطاء والاستعلام حقيقة لا مجازاً.

---

وكلّ شرط من هذه الشّروط احترز به من نقض على الحدّ في شرح طويل ليس هذا موضعه، وهو مذكور في كتب الأُصول.

وقوله: ظلم، يطّرد في الطرفين، أعني طرفي الغريم وصاحب المال؛ لأنّ الماطل الغني يظلم صاحب المال بإضراره من احتباس حقّه، ويظلم نفسه من حيث إنّه ارتكب معصية بمدافعة الغريم مع تمكّنه من أداء حقّه، فهو مستحقّ للذّم والعقاب.

وما قيل في ذمّ المطل والتسويف أكثر من أن يحاط به، منها قول بعضهم:

*إذا أنعمت بالقول ... فلا تفسده بالبطل*

*فما أقرب ما بين ... مطال الوعد والبخل*[٢]

---

(١) في النسخة: كافة، وما أثبتناه موافق للسياق، وكذلك هو المذكور في الضوء في تعريف الظلم.

(٢) لم نعثر عليها.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

وقال الأخطل:

أفـــنيت بـالمطل والتـرداد أعـماري ... حـــتّى تـحيّرت بـين البـاب والدارِ

وقد رأيت بني السـهم عـن عـرض ... من نـبضة نـبضت عـن غـير مـقدارِ

يـاسـاهياً لاهـياً عـنّي بـعزّته فـيما ... التـــغافل عـن مسـتأسد ضـاري[١]

وقال آخر:

بـــــحقّ المــصطفى وبـــني عـــلي ... وفـــــاطمة المـــــهذّبة الزكـــــيّة

صل الريش المكسـر مـن جـناحي ... يســــــــتريح ونــــــايلة ســـــنيّة

فـــمثلك لا يـــليق بـــه التـــقاضي ... ومـــثلى لا يـــرافـــقني النســـيّة[٢]

وللعطوي وإن لم يكن فيما نحن بصدده إلّا إنّه قد ملّح وأغيد:

لا نـــــــبات بـــــــعارضيه ... كأن جـــــــبينه قـــــمر يـــــلوح

يـــواعـــدني بـــلا وبـــلى وحـــتّى ... وسوف وقد وحسبك كـم تـصيح[٣]

ومثله لماني الموسوس[٤]:

لا بـــــارك الله فـــــي الحســـــان ... ولا بكـــــفّهنّ الرّجـــــاء والإمـــلا

أنّـــــىٰ يـــقلن أن وعســـى وهـــا ... وحـــتّىٰ وقـــــد وســـــوف ولا[٥]

ومن خصال الأدب أنّ جدّه جدّ وهزله جدّ.

---

(١) و (٢) لم نعثر عليها في المصادر.

(٣) لم نعثر عليها في المصادر.

(٤) ماني الموسوس هو محمد بن القاسم، المعروف بماني الموسوس، من أهـل مـصر قـدم بغداد أيام المتوكّل، وكان من أظرف الناس وألطفهم، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين. الوافي بالوفيات ٤: ٢٤٦.

(٥) لم نعثر عليه في المصادر المتاحة.

### ٣٤ـ التَّحَدُّثُ بالنِّعَمِ شُكْرٌ[١].

**يقول:** حدّثْ بفضل الله عليك نفسك، واثنِ عليه ولا تستر نـعم الله عـليك بالكفر والكفران عند أحد، فإذا كنت ذاكراً لنعمائه على كلّ حال فقد أدّيت شكره وقال تعالىٰ: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[٢] ولذلك إذا أنعم عليك مخلوق فاقرأ الثناء عليه عند الناس؛ ليكون ذكر إحسانه أداء لشكره، وسأل ابن الكوّاء علياً عليه السلام عن أصحاب رسول صلى الله عليه وآله، قال: ***عن أيّ الأصحاب تسألني***؟ قـال: أخـبرني عـن عبد الله بن مسعود، قال: ***قرأ القرآن ثمّ وقف عنده***، فقال: أخبرني عن أبي ذر، قال:

---

ومسألة الغنيّ نار، ومعناه: تحريم السؤال إلّا عند الضرورة إلى ذلك، وأنّ من فعل ذلك وهو عنه مستغنٍ فهو يستحقّ الذمّ والعقاب. ومثله قـوله: ***فـإنّما هـي جمرة فليستقلّ منها أو ليستكثر***[٣].

والمسألة مـصدر سأل يسأل سـؤالاً ومسألة، ويسـتعملان فـي الاسـتعطاء والاستعلام في الحقيقة.

### ٣٤ـ التَّحَدُّثُ بالنِّعَمِ شُكْرٌ.

التحدّث تفعّل من الحديث، يقال: حدّث به وتحدّث، قال الله تعالى: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ ومن قوله عليه السلام: **من ذكره فقد شكره**[٤].

وقال أمـير المـؤمنين عليه السلام حـين سأله ابـن الكـواء: أخـبرني عـن أصـحاب

---

(١) تفسير القرطبي ٢٠: ١٠٢، الشكر لله لابن أبي الدنيا: ٩٥ / ٦٣، مجمع البيان ١: ١٨٤.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ١١.

(٣) مسـتدرك الوسـائل ٧: ٢٢٤ / ٨، بـحار الأنـوار ٩٣: ١٥٦ / ٢٩، وكـلاهـما عـن جـامع الأخبار.

(٤) مجمع الزوائد ٨: ١٨١، فضيلة الشكر لله: ٦٣، مستدرك الوسائل ٥: ٢٩٦ / ٢١، عن تفسير أبي الفتوح الرازي.

***عالم شحيح علىٰ علمه*** ـ يعني لا يعلّمه إلّا من كان أهله، ولو أراد أنّه كان بخيلاً بعلمه لكان ذمّاً ـ فقال: أخبرني عن سلمان، قال: ***أدرك علم الأوّلين والآخرين، وهو بحر لا يُنزح وهو مّنا أهل البيت***، فقال: أخبرني عن حذيفة بن اليمان، قال: ***كان عرّافاً بالمنافقين، وسأل رسول الله*** ﷺ ***عن المعضلات، وإن سألتموه وجدتموه بها خبيراً***، فقال: أخبرني عن عمّار بن ياسر، قال: ***خلط الإيمان لحمه ودمه، وهو محرّم على النار كيف ما زال زال الحقّ معه***، أخبرني عن نفسك، قال: قال الله تعالىٰ ﴿**فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ**﴾[1] إلّا أنّه تعالىٰ [قال:] ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾[2] كنت أوّل داخل وآخر خارج، وكنت إذا سألت أُعطيت، وإذا سكتّ ابتديت، وبين جوانحي علم جمّ، فقال: ما نزل فيك؟ قال: ألم تقرأ في سورة هود: ﴿**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**﴾[3] ***فرسول الله على بيّنة من ربّه.***

**الضوء في شرح الشهاب**

رسول الله، قال: ***عن أيّ الأصحاب تسألني؟*** قال: أخبرني عن عبد الله بن مسعود، قال: ***قرأ القرآن ثمّ وقف عنده.***

قال: أخبرني عن أبي ذرّ، قال: **عالم شحيح على علمه** ـ يعني لا يعلّمه إلّا من كان أهله، ولو قال قرأ القرآن ثمّ وقف عنده[4] ـ.

قال: أخبرني عن سلمان، قال: ***أدرك علم الأولين والآخرين، وهو بحر لا يُنزح، وهو منّا أهل البيت.***

قال: أخبرني عن حذيفة بن اليمان، قال: ***كان عرّافاً بالمنافقين، وسأل***

---

(١) سورة النجم ٥٣: ٣٢.

(٢) سورة الضحى ٩٣: ١١.

(٣) سورة هود ١١: ١٧.

(٤) كذا في النسخة، والسهو فيها ظاهر، وفي الضياء: ولو أراد أنّه كان بخيلاً بعمله لكان ذماً. وهو الصحيح.

***وأنا أتلوه شاهداً له وأنا منه***(١).

**٣٥ـ انْتِظَارُ الفَرَجِ بِالصَبْرِ عِبَادَةٌ**(٢).

**يقول:** إذا كنت في مكروه فراقب الله في كشفه؛ فإنّ ترقّب الانكشاف وحبس النفس على احتمال البلاء عبادة وانقياد وخضوع لله، وإنّما يصير عبادة بكـونك

---

***رسول الله عن المعضلات، وإن سألتموه وجدتموه بها خبيراً.***

قال: أخبرني عن عمّار بن ياسر، قال: ***خالط الإيمان لحمه ودمه، وهو محرّم على النار، كيف دار ما زال الحقّ معه.***

قال أخبرني عن نفسك، قال: ***قال الله تعالى:*** ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾(٣) ***إلّا أنّه تعالى قال:*** ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾(٤) قال: ***كنت أوّل داخل أمر على رسول الله، وآخر خارج وكنت إذا سألت أُعطيت، وإذا سكتّ أُبتديت، وبين جوانحي علم جمّ.***

قال: فما نزل فيك؟ قال: ***ألم تقرأ في سورة هود*** ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾(٥) ***فرسول الله على بيّنة من ربّه، وأنـا أتـلوه شـاهداً له، وأنـا منه.***

فقال ابن الكوّاء: ما تركت لأحد على نفسك حجّة.

**٣٥ـ انْتِظَارُ الفَرَجِ بالصَبْرِ عِبَادَةٌ.**

---

(١) المعيار والموازنة: ٣٠٠، الغارات ١ : ١٧٧، مجمع الزوائد ٩: ١٥٧.

(٢) الدعوات: ٤١، أمالي الطوسي: ٤٠٥، تفسير القرطبي ٤ : ٣٢٢، وأُنظر: مسند زيد بن عـلي: ٤٩٦.

(٣) سورة النجم ٥٣ : ٣٢.

(٤) سورة الضحى ٩٣: ١١.

(٥) سورة هود ١١ : ١٧.

منتظراً له، والصبر بانتظار الفرج على مكاره التكليف نوع من العبادة.

والفرج: ذهاب الغمّ. والصبر: حبس النفس على ما تكره. والعبادة: من العبودية.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

الانتظار افتعال من النظر بمعنى الانتظار، يقال: نظرته بمعنى انتظرته، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ**﴾[1] أي منتظرة، ومنه قوله تعالى ﴿**فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾[2] أي انتظار، ومنه قوله عزّوجلّ: ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ**﴾[3] ﴿**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ**﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات التي النظر فيها بمعنى الانتظار.

والفرج: ذهاب الغمّ، وأصله الفرجة؛ لأنّه إذا انفرج الشيء ذهب ما فيه، أراد انكشاف البلاء.

والصبر: حبس النفس على ما تكره. ومثله قتلته صبراً، وهو أن تقتله على مكانه وهو ينظر إليك وكذلك إذا حبسته ولم تطعمه ولم تسقه حتّى يموت، قيل: قتله صبراً، ونهى رسول الله عن ذبح البهائم صبراً، وهو أن تذبح ذبيحة وتنظر إليها اُخرى.

والعبادة من العبودية، والصبر بانتظار الفرج على مكاره التكليف نوع من العبادة.

---

(١) سورة النمل ٢٧: ٣٥.
(٢) سورة البقرة ٢: ٢٨٠.
(٣) سورة البقرة ٢: ٢١٠.
(٤) سورة الأنعام ٦: ١٥٨.

**٣٦ـ الصَّوْمُ جُنَّةٌ[١].**

**يقول:** صوموا كثيراً؛ فإنّ الصوم وقاية من النار، يقول: ***الصوم لي وأنا أجزي به***[٢]. ومن صام كثيراً حافظاً بشرائطه انكسرت شهواته فكأنّه وقاية للصائم دون المعاصي؛ لأنّه كسر شهوته عنها، وقال عليه السلام: ***الصوم وِجاء***[٣] أي خصاء.

والصوم يكسر الباه.الصوم: إمساك ـ لغة ـ وهو في الشرع من الأسماء المخصوصة.

والجُنّة: [الترس] الواسع، وأصل الكلمة الستر، وإنّما شبّه الصوم بالجُنة؛ لأنّه يجنّ صاحبه من العقاب، كما أنّها تقي من الطعان والضراب.

---

**٣٦ـ الصَّوْمُ جُنَّةٌ.**

الصوم ـ في اللّغة ـ: الإمساك[٤]. وفي الشرع كذلك، إلّا أنّه إمساك مخصوص عن أشياء مخصوصة، في زمان مخصوص، على وجه مخصوص[٥]. وهو من الأسماء المخصوصة، يقال: صام الفرس إذا قام على آريه[٦] لا يعتلف ولا يجري[٧]، قال:

*خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأُخرى تعلك اللجما*[٨]

---

(١) الكافي ٢ : ١٨ / ٥، من لا يحضره الفقيه ٢ : ٧٤ / ١٧٧١، مسند أحمد ٢ : ٣٠٦.
(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ : ١٧٧٣/٧٥، تهذيب الأحكام ٤ : ٣/١٥٢، صحيح البخاري ٨ : ١٩٧.
(٣) المجازات النبوية: ٨٥، روضة الواعظين: ٣٧٤، مسند أحمد ١ : ٥٨.
(٤) الصحاح ٥ : ١٩٧٠، مادة (صوم).
(٥) تذكرة الفقهاء ٦ : ٥، جامع المقاصد ٣ : ٥٧.
(٦) الآري: محبس الدابة، وكذلك هو حبل تشدّ به الدابّة في محبسها.
الصحاح ٦ : ٢٢٦٧، مادة (أرا).
(٧) العين ٧ : ١٧١، مادة (صوم).
(٨) غريب الحديث لابن سلام ١ : ٣٢٧، الصحاح ٤ : ١٦٠١ مادة (عكك)، والشاعر هو النابغة الذبياني.

وللصوم مزيّة علىٰ سائر العبادات؛ لأنّ أثره لا يظهر بقول ولا فعل وإنما هو نية في الجنان مع إمساك، فهو يقع بين الإنسان وبين الله خالصاً.

**٣٧ـ الزَّعِيْمُ غَارِمٌ**[(١)].

**يقول:** إنّ الضامن والضمين يغرم إذا ضمن من غير إذن المضمون عنه، فأمّا إذا ضمن بأمره لا يغرم وإن غرم يرجع [على المضمون] عنه.

والزعامة: الكفالة. والغرم: ما يلزم أداؤه. وقيل: معناه أنّ الإنسان إذا تكفّل الدين عن المديون للدائن فلم يَفِ المديون أو هرب أو مات كان غارماً لما صحّ له عليه وثبت، وهو غارم؛ لأنّ ذلك غرامة عليه، فكأنّه نهىٰ عن أن يتعرّض أحد لكفالة غيره إلّا مَن أيقن أنّه يغرم ذلك، ويحتمل تلك المشقّة عنه فإن ضمن كذلك وهو يرىٰ أنّ المديون لا يوقعه ورطته ثمّ يتوارىٰ أو يهرب فيبتلي الضامن.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

ويقال: صامت الشمس إذا قامت وسط السماء وقبيل الزوال، قال:

*حتّىٰ إذا صام النهار واعتدل      وسال للشمس لعاب [فنزل]*[(٢)]

والجُنّة: الترس الواسع؛ لأنّه يجنّ الرجل أي يستره، والجنّ: الستر، يقال: جنّ عليه الليل وأجنّه أي ستره. والجَنّة: البستان الكبيرة الأشجار. والجِنّة: الجنّ. والجِنّة: الجنون. والجنان: القلب، لاستتاره، والجنان والجنات جمع الجنّة، وأصل الكلمة الستر.

والمعنى: أنّ الصوم وقاية من النار.

**٣٧ـ الزَّعِيْمُ غَارِمٌ.**

الزعيم والضمين والكفيل والقبيل واحد، ومصدرها الزعامة والضمان

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ٨٠٤ / ٢٤٠٥، مستدرك الوسائل ١٣: ٤٣٥.

(٢) تفسير الثعلبي ٢: ٦٢، تفسير القرطبي ٢: ٢٧٣، تفسير البحر المحيط ٢: ٣٠. وما بين القوسين أثبتناه من المصادر، وفي النسخة: ففور.

**٣٨ـ الرِّفْقُ رَأْسُ الحِكْمَةِ[١].**

أي ارفقوا في الأمور كلّها، واتركوا العجلة؛ فإنّ من عاشر الناس بالأناة والسكون وعايشهم بخلق حسن، ورافقهم بتلطّف وسهولة جانب كان عين الحكيم وفيه كلّ الحكمة والرفق المداراة والملاينة وحسن المعاشرة مع الناس، يقال: رفق، فهو رفيق أي لطيف، فعيل بمعنىٰ فاعل، ورافقه مرافقه، فهو رفيقه، فعيل بمعنىٰ مُفَاعِل كالأكيل والجليس، والرفق أيضاً مصدر رفق، وهو ضد العنف.

---

والكفالة والقبالة.

***ومعناه:*** أنّ الزعيم إذا تكفّل الدين عن المديون للدائن فلم يفِ المديون أو هرب أو مات كان غارماً لما صحّ له عليه وثبت، وهو غارم؛ لأنّ ذلك غرامة عليه.

**٣٨ـ الرِّفْقُ رَأسُ الحِكْمَةِ.**

الرفق: المداراة والملاينة وحسن المعاشرة مع الناس، يقال: رفق به فهو رفيق، أي لطيف فعيل بمعنى فاعل، ورافقه مرافقة فهو رفيقه فعيل بمعنى مُفَاعِل كالأكيل والنديم والجليس.

والرفاقة مصدر رافقه، والرفق مصدر رفق.

***والمعنى:*** أنّ من عاشر الناس بخلق حسن ورافقهم بلطف وسهولة جانب كان عين الحكيم، وفيه كلّ الحكمة.

---

(١) مستدرك الوسائل ١١: ٢٩٥ / ١٤، كنز العمال ٣: ٥١ / ٥٤٤٤.

**٣٩ـ كَلِمَةُ الحِكْمَةِ ضَالَّةُ كُلِّ حَكِيْمٍ**[١].

**يقول:** إذا سمعت بكلمة الحكمة من غير حكيم فلا تظنّها من عنده، وإنّما كانت عند حكيم فضلّت عنه فوجدها[٢] الجاهل وأخذها كمن وجد ضالّة.

وقيل: إنّ معناه: أنّ كلمة الحكمة إذا سمعها الحكيم تعلّق بها وكتبها وحفظها واحتفظ بها [كأنّها][٣] ضالّته؛ لأنّه كان طالباً له كطالب الضالة[٤]، يعني أنّ المؤمن يحرص على جمع الحكم من أين يجدها.

وقال سيبويه: الكلم اسم صيغ للجمع وليس بجمع الكلمة[٥]، وإنّما جمعها الكلمات، ولو قلنا: إنّه من باب تمرة وتمر لم يبعد.

**الضوء في شرح الشهاب**

**٣٩ـ كَلِمَةُ الحِكْمَةِ ضَالّةُ كُلِّ حَكِيْمٍ.**

الكلمة واحدة الكلم، وقيل: الكلم اسم صيغ للجمع وليس بجمع الكلمة، وإنّما جمعها الكلمات، ذكره سيبويه، ولو قيل: هي من باب تمر وتمرة لم يبعد.

والضالة: ما ضلّ عن الناس، والهاء للمبالغة، ويجوز أن تكون صفة موصوف مؤنث كالنفيسة، قال ابن دريد: الحكمة كلمة وعظتك أو زجرتك أو دعتك الى مكرمة أو نهتك عن قبيح.

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٩٥ / ٤١٦٩، عوالي اللئالي ٤: ٨٠ / ٨٢، وفيها: (المؤمن) بدل (كلّ حكيم).

(٢) في النسخة: عند يوجدها، وما أثبتناه أنسب.

(٣) في النسخة: كانت.

(٤) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٢: ٦٩١، شرح مائة كلمة لأمير المؤمنين: ٨١.

(٥) أُنظر: الصحاح ٥: ٢٠٢٣، مادة (كلم)، لسان العرب ١٢: ٥٢٣، مادة (كلم).

والضالّة: ما ضلّ [عن] الناس، والهاء للمبالغة، ويجوز أن يكون صفة موصوف مؤنث كالنفيسة.

قال ابن دريد: الحكمة كلمةٌ وعظتْكَ أو زجرتْكَ أو دعتْكَ إلىٰ مكرمة أو نهتكَ عن قبيح[1]. وعن مكحول سمع ابنُ جريح كلمةَ حكمة، فقال، ضالّتي وربّ الكعبة[2].

وفي رواية: ***الحكمة ضالّة المؤمن حيث وجدها قيّدها، ثمّ ابتغىٰ إليها ضالّة اُخرى***[3].

---

والحكم الحكمة في قوله: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**﴾[4] وفي قوله عليه السلام: ***إنّ من الشعر لحكماً***[5]. وقال مكحول: سمع ابن جريح كلمة حكمة فقال: ضالّتي وربّ الكعبة. وقيل: الحكمة كالعروس تريد بيتاً خالياً. وفي رواية: ***الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها قيّدها ثمّ ابتغى إليها ضالة اُخرى.***

قال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً**﴾[6] قال: علم القرآن[7].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ**﴾[8] قال: الفقه

(١) شرح مسلم للنووي ٢: ٣٣، عمدة القاري ٤: ٤٣.
(٢) لم نعثر عليه في المصادر.
(٣) روىٰ هذا الحديث أبو خيثمة النسائي: ٣٦ بهذا اللفظ: العلم ضالة المؤمن كلّما أصاب منه شيئاً حواه وابتغىٰ ضالة اُخرىٰ.
(٤) سورة مريم ١٩: ١٢.
(٥) أمالي الصدوق: ٧١٨ / ٦، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ٦١٣، مجمع الزوائد ٨: ١١٧.
(٦) سورة البقرة ٢: ٢٦٩.
(٧) التبيان ٢: ٣٤٨، تفسير الثعلبي ٢: ٢٧١.
(٨) سورة لقمان ٣١: ١٢.

**٤٠ـ البِرُّ حُسْنُ الخُلقِ**(١).

**يقول:** إن شئت أن تكون بارّاً جامعاً للخير كلّه فكن حَسَنَ الخلق؛ فإنّ البارّ هو الذي حَسَّنَ خلقه مع الخلق وسِرَّه مع الحقّ.

وقيل: معناه إذا لم تصل يدك إلى الإحسان والمبرّة بالغير فخالقه بخلق حسن، وإذا كانت شيمتك مع الناس حسنة فكأنّما بررتهم ووصلتهم.

والبرّ والمبرّة: الصلة والإحسان، ورجل بارٌّ وبَرّ بوالديه إذا كان حسن الخدمة

**الضوء في شرح الشهاب**

والإصابة والعمل(٢).

وقيل: في معنى الخبر وجهان:

**أحدهما:** أنّ كلمة الحكمة إذا سمعها الحكيم تعلّق بها وكتبها وحفظها واحتفظ بها كأنّها ضالّته؛ لأنّه كان طالباً لها كطالب الضالة.

**والثاني:** أنّك إذا سمعت كلمة الحكمة من غير حكيم فلا تظنّها من عنده، إنّما كانت عند حكيم فضلّت عنه فوجدها الجاهل وأخذها كمن وجد ضالة بعيره.

**٤٠ـ البِرُّ حُسْنُ الخُلقِ.**

البرّ والمبّرة: الصلة والإحسان، ورجل برّ وبار، وفلان برّ بوالديه إذا كان حسن الخدمة لهما وبرّ في يمينه إذا صدق فيها ولم يحنث، فتقول للرجل الحاجّ: بُرّ حجّكم، أي قبل، وحجّ مبرور أي مقبول.

***والمعنى:*** أنّ الرجل إذا لم تصل يده إلى الإحسان والمبرّة بالغير(٣) فخالقه

(١) مسند أحمد ٤: ١٨٢، صحيح مسلم ٨: ٧، سنن الترمذي ٤: ٢٣ / ٢٤٩٧.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٥: ٢٨٣، جامع البيان ٢١: ٨١، ولم يرد فيهما (العمل) وجاء بدله: العقل. وكذلك في مصادر أُخرى.

(٣) في النسخة: بغير، وما أثبتناه أنسب.

لهما. وحجّ مبرور أي مقبول، وبَرَّ في يمينه: صدق فيها ولم يحنث. والخُلق: الطبيعة.

**٤١ـ الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الجُنُونِ**[١].

**معناه:** إذا كنت شاباً فإياك أن تكون طليق العنان؛ فإنّ الشباب طائفة من الجنون، والمجنون ينبغي أن يكون مقيّداً حتّىٰ لا يعبث، وإنّما قال ذلك لأنّ الأغلب في حال الشباب أنّه لا يركب أمراً يُستحسن في المقال والفعال، بل ينسب ذلك إلىٰ الجنون والمجون.

وقيل: معناه: إذا كان لك ولد شاب فاحفظه وكن قائداً بلجام القهر له إلى الطاعة، ودافعاً إياه بزمام التسخير عن المعصية؛ فإنّ الشاب الغرّ الذي لم يجرّب الأُمور ولم تحنّكه التجارب يكون في الأغلب سادراً في جماحه[٢]، متسكّعاً في غلوائه لا يتعظ بمواعظ العقل، ولا يتأدّب بآداب الشرع طوعاً ورغبة ـ إلّا من عصمه الله ـ فهو كالمجنون وإن كان عاقلاً، إذ لا يُعمل عقله ولا يَعمل به، فكأنه ليس له عقل[٣].

---

بخلق حسن فكأنّما برّه ووصله.

**٤١ـ الشَّبَابُ شُعْبَةٌ مِنَ الجُنُونِ.**

***يقال:*** شبّ الصبيّ يشب شباباً إذا ترعرع، فهو شاب، وشبّ الفرس يشبّ شبوباً وشباباً إذا رفع يديه، وشبّ النار يشبّها شبّاً إذا رفعها وأوقدها، قال:

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٧٧ / ٥٧٧٤، عوالي اللئالي ١ : ٢٨٩ / ١٥٣، إعجاز القرآن للباقلاني: ١٤٧.
(٢) في النسخة: جماعة، وما أثبتناه أنسب.
(٣) اُنظر: الفائق في غريب الحديث ٢ : ٢٠٧.

يقال: شبّ الصبيّ شباباً، إذا ترعرع فهو شاب. والجنون: مصدر جنّ الرجل فهو مجنون، إذا كان مغلوباً على عقله، كأنّه قال: الشباب جزء من الجنون وطرف منه. و«من» للتبيين. والشعبة: غصن من أغصان الشجر، ثمّ استعمل في كلّ جزء من غيرها.

**٤٢ـ النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ**[١].

تقول: إيّاك والنساء الطالحات[٢]، وكن على حذر من الصالحات؛ فإنّ

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

*إنّي حمدت بني شيبان إذ خمدت* *نيران قومي وفيهم شبّت النار*[٣]

والشعبة غصن من أغصان الشجر ثمّ استعمل في كلّ جزء من غيرها.

وجنون مصدر جنّ الرجل فهو مجنون إذا كان مغلوباً على عقله، كأنّه عليه السلام قال: الشباب جزء من الجنون وطرف منه، ومن للتبيين؛ وذلك لأنّ الشاب الغرّ الذي لم يجرّب الأُمور ولم تحنّكه التجارب يكون في الأغلب سادراً في جماحة متسكّعاً في غلوائه لا يتّعظ بمواعظ العقل ولا يتأدب بآداب الشرع إلّا من عصمه الله، فهو كالمجنون وإن كان عاقلاً، إذ لا يُعمل عقله ولا يَعمل به، فكأنّه ليس له عقل.

**٤٢ـ النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ.**

النساء والنسوة جمع المرأة لا من لفظها، ونظيرها التوابل ـ لأبزار القدر ـ واحدها قزح[٤].

---

(١) بحار الأنوار ١٠٠ : ٢٤٩ / ذيل الحديث ٣٨، مفردات الراغب: ١٠٧.

(٢) في النسخة: الصالحات، والصحيح ما أثبتناه.

(٣) عيون الأخبار ١ : ٤٦٤، الأمالي لإسماعيل بن القاسم ١ : ٤٢.

(٤) جاء في لسان العرب ٢ : ٥٦٣، مادة (قزح) أنّ جمع قزح أقزاح. ولم نعثر على مصدر يجمع القزح على توابل، نعم فسّر القزح بالتابل.

الشيطان إذا أراد أن يصيد رجلاً من الصلحاء جعل واحدةً منهنّ شبكة وأُحبولة فينصبها ويصطاده بها، وقال عليه السلام: ***النساء شرّ كلّهنّ، وشرّ ما فيهن قلّة الاستغناء عنهنّ***[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ***لا تطيعوا النساء على حال، ولا تأمنوهنّ على مال، إن تُركن وما يردن أوردن المهالك، وأزلن الممالك، لا دين لهنّ عند لذّتهن، ولا ورع لهنّ عند شهوتهنّ، يَنسين الخير، ويحفظن الشرّ، يتهافتن بالبهتان، ويتمادين للطغيان، ويتصدّين للشيطان***[٢].

والحبائل: جمع حبالة، وهي شبكة الظباء والنعاج عند العرب، يعني: أنّهنّ آلة من آلات الشيطان وشبكة من شبكاته، قال أبو عبيد: جعل الحبالة [التي]

---

والحبائل جمع حبالة وهي شبكة الظباء، وإنّما ذكر بلفظ الحبائل إشارة إلى أنّ الحسان من النساء يشبّهن بـ [شباك] الظباء والنعاج، يعني أنّهن آلة من آلات الشيطان، وشبكة من شبكاته.

قيل: إنّ امرأة ذات جمال مرّت برجل، فقال الرجل:

*إنّ النساء شياطين خلقن لنا*      *أعوذ بالله من شرّ الشياطين*

فقالت المرأة وكانت أديبة:

*إنّ النساء رياحين خُلقن لكم*      *وكلّكم يشتهي شمّ الرياحين*[٣]

ومرّت جماعة من النساء بماجن فقال: ﴿**لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾[٤]، فأجابت

---

(١) نهج البلاغة: ٥٩٢، حكمة رقم ٢٣٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام.
وفي فتح الباري ٩: ١١٨ وتحفة الأحوذي ٨: ٥٣ نُسب هذا القول إلى بعض الحكماء.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٧٥ / ٦، من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٥٤ / ٤٩٠٠.

(٣) تفسير القرطبي ٧: ٦٨، والرجل هو عمر بن الخطاب.

(٤) سورة سبأ ٣٤: ٣١.

تنصب للصيد مثلاً للنساء مع الشيطان وأراد أنّه يلعب بهنّ كيف يشاء، يجعلهنّ سبباً لكلّ فساد، جعلهنّ من أقوىٰ ما يصيد به الشيطان الرجال، فهنّ له كالحبائل المبثوثة؛ ولأنّهنّ مظانّ الشهوات[١].

**الضوء في شرح الشهاب**

واحدة منهنّ: ﴿**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ**﴾[٢].

وقال عليه السلام: ***أوثق سلاح إبليس النساء***[٣].

ونظر بقراط إلى رجل يكلّم امرأة فقال له: تنحّ عن هذا الفخ لئلّا تقع فيه[٤].

وقال لقمان: كن من خيار النساء على حذر فأنت من شرارهنّ على يقين[٥].

وقال رجل: ما دخل داري شرّ قط، قال له حكيم: ومن أين تدخل امرأتك[٦].

وقال عليه السلام: ***النساء شرّ كلّهنّ وشرّ ما فيهنّ قلّة الاستغناء عنهنّ***[٧].

وقال: ***تعوّذ من شرار النساء وكن من خيارهنّ على حذر***[٨].

ورأى سقراط امرأة تحمل ناراً، فقال: نار تحمل ناراً والحامل شرّ من المحمول[٩].

وقيل له: أيّ السباع شرّ؟ قال: المرأة[١٠].

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.
(٢) سورة الحجرات ٤٩: ١٤.
(٣) عمدة القارئ ٢٠: ٨٩.
(٤) كنز الفوائد: ١٧٧، ونقله عن ديوجانس.
(٥) انظر: كشف الخفاء ٢: ١٣٣.
(٦) تفسير السمعاني ٣: ٥٤٩.
(٧) ربيع الأبرار ٥: ٢٤٧.
(٨) الكافي ٥: ٥١٧، شرح نهج البلاغة ١٨: ١٩٩.
(٩) كنز الفوائد: ١٧٧، شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٣، الملل والنحل ٢: ٤٣.
(١٠) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٣.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وقيل: شرّ أخلاق الرجال الجبن والبخل، وهما خير أخلاق النساء؛ وذلك لأنّ المرأة إذا كان بخيلة تبخل بنفسها ومالها ومال زوجها، وإذا كانت جبانة[1] لا تجسر أن تفعل ما تريد[2].

وقيل: المرأة إذا أحبّتك آذتك، وإذا أبغضتك خانتك، فحبّها أذى وبغضها داء[3].

وقيل: المرأة سبع معاشر. وقيل: هي حيوان شرّير[4].

وقال لقمان: شيئان لا يحمدان إلّا عند عاقبتها: الطعام والمرأة، فالطعام لا يحمد حتّىٰ يستمرأ، والمرأة لا تحمد إلّا أن تموت[5].

وفي المثل: لا تحمدنّ أَمَة عام شرائها، ولا حرّة عام بنائها[6].

وقال علي عليه السلام: ***لا تطيعن النساء على حال، ولا تأمنوهنّ على مال، إن تركن وما يردن أوردن المهالك وأزلن الممالك، لا دين لهنّ عند لذّتهنّ، ولا ورع لهنّ عند شهوتهنّ، ينسين الخير ويحفظن الشرّ، يتهافتن بالبهتان ويتمادين للطغيان***

---

(١) يجوز في المؤنت أن نقول: امرأة جبان وجبانة انظر: القاموس المحيط ٤ : ٢٠٨، مادة (جبن).

(٢) هذا القول هو بالمعنى لقول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: ٥٩٢ / ٢٣٤، حيث قال: خيار خصال النساء شرار خصال الرجال: الزهو والجبن والبخل؛ فإذا كانت المرأة مزهوة لم تمكّن من نفسها، وإذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال بعلها، وإذا كانت جبانة فرقت من كلّ شيء يعرض لها.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢٠ : ٢٩١ / ٣٢٨.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر.

(٥) مستدرك سفينة البحار ٩ : ٢٧٥.

(٦) شرح نهج البلاغة ١٨ : ٢٠٠.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



***ويتصدّين للشيطان.***

وقيل: من أطاع عرسه لم يرفع نفسه[١].

وعارضت عمر امرأته في أمر يدبّره، فقال: مالكنّ وأُمور الرجال إنّما أنت لعبة إذا كانت لنا حاجة دعوناكنّ[٢].

وبذلك ألمّ المتنبّي في قوله:

*وللخود منّي ساعة ثمّ بيننا فلاة إلى غير اللقاء تجاب*[٣]

وقيل: ***إيّاك وموافقة النساء فإنّ رأيهنّ إلى أفن وعزمهنّ إلى وهن***[٤].

وقيل: أكثروا لهنّ من قول «لا» فإنّ «نعم» تعزيهنّ بالمسألة[٥].

وقال أجدع الهمداني:

*تعيّرني بالغزو عرسي وما درت بأنّي لها في كلّ ما أمرت ضدّ*[٦]

وقال عليه السلام: ***ما من ناقصة العقل والدين أغلب للرجال ذوي الأمر من النساء***[٧]. وقال بعضهم:

*ويخضعن ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفها واقتدارها*[٨]

---

(١) ربيع الأبرار ٥ : ٢٤١، المستطرف في كلّ فن مستظرف ٢ : ٧٨٨.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢ : ٢٣، تاريخ المدينة للنميري ٣ : ٨١٨.

(٣) ديوان المتنبّي: ٣٨١.

(٤) نهج البلاغة: ٤٧١، من وصية له للإمام الحسن عليه السلام برقم (٣١)، وفيه: (مشاورة) بدل (موافقة).

(٥) شرح نهج البلاغة ١٢: ١١، والقائل هو عمر بن الخطاب.

(٦) شرح نهج البلاغة ٣: ٢٥٦، وفيه بدل بالغزو: بالحرب.

(٧) سنن الدارمي ١ : ٢٣٧، المستدرك على الصحيحين ٢ : ١٩٠، مسند الحميدي ١: ٥١ / ٩٢.

(٨) تاريخ بغداد ١٠ : ١٢٨، تاريخ المدينة للنميري ٣: ٧٩١، وفيهما: (أيجمعن) بدل: (ويخضعن).

**٤٣ـ الخَمْرُ جِمَاعُ الإِثِمِ وأُمُّ الخَبَائِثِ**[١].

**يقول:** لا تشربوا الخمر؛ فإنّها تستر العقل، وجماع الإثم حيث لا عقل يردع، وهي مرجع كلّ خصلة قبيحة وخطّة خبيثة وأُمها؛ لأنّها سبب لتوالد المعاصي

---

وقال الرشيد:

*ما لي تطاوعني البرية كلّها* *وأطيعهنّ وهنّ في عصياني*[٢]

*ما ذاك إلّا أنّ سلطان الهوى* *وبه غلبن أعزّ من سلطاني*[٣]

ونظر ذات يوم إلى جارية لزبيدة، فقال:

*أرى ماءً وبي عطش شديد* *ولكن لا سبيل إلى الورود*

*أما يكفيك أنّك تمليكني* *وإنّ الناس كلّهم عبيدي*[٤]

ولم يسمع في هذا المعنى أحسن وأرق من قول جرير:

*إنّ العيون التي في طرفها مرض* *قتلننا ثمّ لم يحيين قتلانا*

*يصرعن ذا اللبّ حتّىٰ لا حراك به* *وهنّ أضعف خلق الله أركانا*[٥]

**٤٣ـ الخَمْرُ جِمَاعُ الإِثْمِ وأُمُّ الخَبَائِثِ.**

سمّي الخمر خمراً لمخامرتها العقول، أي مخالطتها وسترها عليها، والخمر ما واراك من شجر وغيره، والخمار ما يأخذ الشارب من أذى الخمر من الصداع

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٧٦ / ٥٧٧٢، مستدرك الوسائل ١٧ : ٥٥ / ٥، بحار الأنوار ٧٦ : ١٤٩، نصب الراية ٢ : ٤٥.

(٢) عصياني، أثبتناها من المصادر، وفي النسخة: سلطاني. ولأنّ «سلطاني» مكرّرة في البيت الثاني.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٨ : ٤٠٤، الوافي بالوفيات ١٩ : ٣٦٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٣٣ : ٣٢٩، ونسب الأبيات هنا إلى المأمون، وفي ٥٣ : ٤٤٥، نسبها للمهدي، الوافي بالوفيات ٣ : ٢٤٥.

(٥) ديوان جرير: ٤٩٢، وفيه: (حور) بدل (مرض).

وركوب الفواحش [أ] لا ترىٰ أنّ المرء إذا ارتكب معصية فربّما اقتصر عليها ولم يتجاوز إلىٰ غيرها، سوىٰ شرب الخمر فإنّه إذا شربها سكر وزال عقله، وارتكب كلّ عظيمة، وأتىٰ بكلّ كبيرة ولا يستحي، وقال عليه السلام: ***جُعل الشرّ كلّه في بيت وجعل مفتاحه الخمر***[1]. وسمّي الخمر خمراً لمخامرتها العقول، أي مخالطتها وسترها عليها.

والخُمار: ما يأخذ الشارب من أذىٰ الخمر من الصداع والدوار.

والجِمَاع ـ هاهنا ـ: الجمع، وفي غير هذا الموضع بمعنى «المفاعلة».

والأُمّ: الوالدة؛ لأنّ مرجع الولد إليها ومفزعه نحوها، وأُمّ القرىٰ مكة، لأنّها أصل الأرض. وأصل الكلمة من الأمّ وهو القصد.

والخبائث: جمع خبيثة؛ وإنّما سمّاها أُمّ الخبائث استعارة على تغليظ النهي عن شربها، فالأُم جامعة لأولادها.

والفائدة في تقديمها على جميع المعاصي أنّ الأغلب في شربها أن يكون

**الضوء في شرح الشهاب**

والدوار، والخمار ما يغطّى به الرأس، والخمرة قطعة صغيرة من الحصير يسجد عليها.

والجماع هاهنا المجمع، وفي غير هذا الموضع بمعنى المفاعلة؛ لأنّ الفِعَال بمعنى المفاعلة كثير جدّاً، نحو القتال والجدال والصراع.

والإثم عبارة عن كلّ معصية صغيرة كانت أو كبيرة.

(والأُمُّ: أمّ)[2] يؤمه الرجل ويقصده، فُعْل بمعنى مَفْعُول، وكلّ شيء يرجع إليه ويعتصم به فهو أُمّ، ومنه قول الشاعر:

---

(١) مستدرك الوسائل ١٧: ٥٤ / ٣، بحار الأنوار ٧٦: ١٤٨.

(٢) في النسخة بدل ما بين القوسين: واللامام. والظاهر أنّه تصحيف ما أثبتناه.

طريقاً إلىٰ ارتكاب الكبائر، فالسكر يحمل صاحبه على القذف [و] الافتراء وإراقة الدماء واستحلال الأموال.

وروي: أنّ ملكاً دعا زاهداً إلى وطئ امرأة حسناء وغلام وقتل طفل أو إلى شرب الخمر، وقال: إن لم تفعل واحداً قتلتك، فاستهان أمر الخمر، وقال: أشرب الخمر، فسقوه، فلمّا سكر قتل الصبي، وأتىٰ الغلام، ووقع عليها[١]. فجمع بين الكبائر كلّها لفساد العقل، ولو اختار غير الخمر لما فعل إلّا واحدة.

والإثمّ: الذنب العظيم، ويسمّىٰ الخمر إثماً[٢].

---

*فالأرض معقلنا وكانت أُمُّنا     فيها مقابرنا وفيها نولد*[٣]

ومثل البيت في المعنى قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً**﴾[٤] والأُمّ: الراية: لأنّها مفزع الجيش ومرجعهم، ومنه قول الشاعر:

*نأوي إلى أُمّ لنا لا تغتصب     سما لها أنف عزيز وذنب*[٥]

ومنه الأُمّ للوالدة؛ لأنّ مرجع الأولاد إليها، وأُمّ الكتاب: أصل الكتاب، وهي الفاتحة، وأُمّ الكتاب اللوح المحفوظ في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾[٦] وأُمّ القرى مكة؛ لأنّها أصل الأرض، وأصل الكلمة من (الأَمّ) الذي هو القصد.

والخبائث جمع خبيثة، أي خصلة أو خطة خبيثة.

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.
(٢) مجمع البيان ٤: ٢٤٧، مجمع البحرين ١: ٣٦، مادة (أثم).
(٣) تفسير القرطبي ١: ١١٢، تفسير الثعلبي ١: ١٢٧. والشاعر هو أُمية بن أبي الصلت.
(٤) سورة المرسلات ٧٧: ٢٥، ٢٦.
(٥) تفسير الثعلبي ١: ١٢٧.
(٦) سورة الزخرف ٤٣: ٤.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ـــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***ومعنى الحديثين:*** أنّ الرجل إذا أرتكب معصية فربّما اقتصر عليها ولم يتجاوز إلى غيرها سوى شرب الخمر، فإنّه إذا شربها وسكر وزال عقله ارتكب كلّ عظيمة وأتى بكلّ كبيرة ولا يستحيي، وقال عليه السلام: ***جعل الشرّ كلّه في بيت وجعل مفتاحه الخمر***.

وحكي أنّ رجلاً من الزهّاد كان ينكر على أمير البلد ما كان يفعله من المناهي والمعاصي ويغلظ له في القول، فأخذه ذات يوم وأدخله داره وأمر بإغلاق الأبواب، وأحضر امرأة وغلاماً وطفلاً وشيئاً من الخمر، وجرّد السيف، وقال له: اختر من هذه الأُمور واحداً: إمّا أن تقتل هذا الطفل، أو تواقع هذه المرأة، أو تأتي هذا الغلام، أو تشرب هذه الخمر، وإلّا قتلتك، فنظر الرجل وفكّر في أمره، فقال: قتل النفس عظيم، وكذلك الزنا واللواط، فإنّ هذه الأفعال كبائر وعظائم، وظنّ أنّ أهونهنّ وأقلهنّ شرب الخمر، فقال أشرب الخمر فسقوه الخمر حتّى سكر فتاقت نفسه إلى المرأة فأراد أن يشتغل بها قال له: لا يمكن حتّىٰ تأتي الغلام أولاً فأتى الغلام، فلمّا أراد إتيان المرأة قال: لا تصل إليها حتّى تقتل هذا الطفل، فقتله ووقع عليها، فجمع بين الكبائر كلّها لفساد[1] العقل، ولو اختار سوى شرب الخمر لما ارتكب إلّا واحدة، فهذا معنى قوله عليه السلام: ***الخمر جماع الإثم وأُمّ الخبائث***.

وقال عليه السلام: ***من شرب الخمر بعد أن حرّمها الله على لساني فليس له أن يزوّج إذا خطب، ولا يصدّق إذا حدّث، ولا يشفّع إذا شفع، ولا يؤتمن على أمانة، فمن ائتمنه على أمانة فقد استهلكها وحقّ على الله أن لا يخلف عليه***[2].

---

(١) في النسخة: الفساد، وما أثبتناه أنسب.

(٢) الكافي ٦: ٣٩٧ / ٩، تهذيب الأحكام ٩: ١٠٣ / ١٨٢، تفسير الثعلبي ٤: ١٠٧.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وأمّا ما روي من الأخبار في كفر شارب الخمر، وقوله: ***شارب الخمر كعابد الوثن***[١]، وقوله: ***لا يجتمع الخمر والإيمان في جوف امرئ***[٢]. ***وشارب الخمر لا يشربها وهو مؤمن***[٣]. فإنّ المعنى فيه إذا شربها مستحلّاً لها ومستخفّاً بالشريعة.

وأمّا ما روي في الخمر من الأخبار وعقاب شاربها فأكثر من أن يحاط به، وقد ذكرت طرفاً مستوفياً من ذلك في التفسير من أراده فليقف عليه من هناك.

وما قيل في ذلك من النظم أكثر من أن يؤتى عليه وعلى بعضه، إلّا أنّي أذكر بعض ما قيل في ذمّها وذمّ شرّابها، فمن ذلك ما قاله أبو الحسن بن طباطبا العلوي:

*سألت عن السكران ما وزن عقله ... وأحمق ما يلقى إذا ما تعاقلا*

*أتراه إذا استرخت قواه لسكره ... يحاول أمراً لم يزل عنه زايلا*

*يرى العجز منه قوّة مستفادة ... ولو أنّه لاقى كميّاً لقاتلا*

*يحارب أعلاه أسافله فإن ... أراد استواء في القيام تمايلا*

*فإن قلت قل «لا» قال من سكره «نعم» ... وإن قلت نصحاً قل «نعم» قال «لا ولا»*

*إذا أخذت منه المدام رأيته ... لدى الجدّ في بعض الأُمور تهازلا*

*زكيّاً بليداً ساهياً متفكّراً ... كحيران مبهوت تذكّر ما خلا*

---

(١) علل الشرائع ٢: ٤٧٦، وفيه: مدمن الخمر، روضة الواعظين: ٤٦٤، تفسير الثعلبي ٤: ١٠٦.

(٢) تفسير الثعلبي ٤: ١٠٦، وفي مستدرك الوسائل ١٧: ٥٦ / ٢، عن جامع الأخبار، وفي ١٧: ٥٧ / ٦، عن تفسير الشيخ أبي الفتوح.

(٣) الكافي ٢: ٢٨١ / ١٦، مسند أحمد ٢: ٢٤٣، سنن الدارمي ٢: ١١٥، صحيح البخاري ٣: ١٠٧.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

الضوء في شرح الشهاب

إذا ما اقتضاه الهمّ في السكر دينه رأيت غريم الهمّ ثمّ تماطلا
لديه كنوز من أمانيّ نفسه فما يرد منها غروراً تناولا
ويتحف بالتقبيل كلّ مسائل وإن لم يكن في الناس خلّا مواصلا

وقال الآخر:

تركت النبيذ وشرّابه وصرت خديناً لمن عابه
شراباً يضلّ سبيل الهدى ويفتح للشر أبوابه[1]

وقال آخر:

لحى الله أصحاب النبيذ فما لهم إذا فقدوا الصهباء عهد ولا[2]
عقد مودّتهم ما دامت الكاس تحتسىٰ فإن عاق عنها عائق بطل الودُ

ولآخر:

تركت النبيذ لشرّابه ووافيت أشرب عذباً نقاخا
شراب النبيّين والمرسلين ومن لا يريد الشراب أطباخا
رأيت النبيذ يذلّ العزيز ويكسوا التقي النقي اتّساخا
ويورث شرّابه سوءة ويزداد فيه العمى وانتقاخا
وتترك القلب بوراً خلا كما يترك الزارعون السباخا
فإن كان ذا جائزاً للشباب في العذر فيه إذا المرء شاخا

---

(١) تفسير الثعلبي ٤ : ١٠٨، باختلاف، والأبيات من إنشاد رضوان بن أحمد الصيدلاني.
والخدين: الصديق.
(٢) كذا في النسخة.

٤٤ـ الغُلُوْلُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ[١].

**يقول:** لا تخونوا المسلمين في شيء من الأشياء؛ فإنّ من خان أحداً باقتطاع مال له فكأنّما يجرّ [إلىٰ] نفسه جمرة من جمرات نار الله. وقال[٢]: الخبر مخصوص بمن خان في الغنيمة وأخفاها ولا يردّها إلى القسم[٣].

**معناه:** من خان في مال الغنيمة استحقّ نار جهنّم؛ وإنّما سمّيت غلولاً؛ لأنّ الأيدي مغلولة منها، أي ممنوعة.

والغلول: الخيانة، يقال: غلّ الرجل إذا خان، ومنه قوله: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**﴾[٤] وقرئ: يُغلّ أي يُخان. والجمر: القطعة من النار غير الملتهبة.

---

٤٤ـ الغُلُوْلُ مِنْ جَمْرِ جَهَنَّمَ.

الغلول: الخيانة، يقال: غلّ[٥] الرجل[٦] إذا خان، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**﴾ وقرئ: أن يُغلّ أي يخوّن، والغُلّ ما يغلّ به الرجل، أي يقيّد، وقالوا في الدعاء على الغير: أل وغلّ[٧] أي ضرب بالآلة، وهي الرمح وقيّد. وقيل: ألّ وغلّ، أي أعلّه الله، والغلّة: ريع الأرض، وأرض مغلّة. والغِلّ: الحقد. والغلّة: العطش. والغلل: الماء الجاري بين الأشجار، وأصل الباب الستر.

---

(١) الاختصاص: ٣٤٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ١٦٢، شرح السير الكبير للسرخسي ١: ٣٥/٤٥.

(٢) كذا، والمناسب: وقيل.

(٣) المبسوط للسرخسي ١٠: ٥.

(٤) سورة آل عمران ٣: ١٦١.

(٥) في النسخة: على، وما أثبتناه مناسب للسياق، ومثله في الضياء.

(٦) في النسخة زيادة: هل.

(٧) في النسخة: أن وغل، وما أثبتناه من الصحاح ٥: ١٧٨٤، واللسان ١١: ٥٠٤، مادة (غلل)، وفي الأخير: أل: دفع في قضاء، وغل: جنّ فوضع في عنقه الغل.

وجهنّم: اسم للنار علم، أعني النار المعدّة للكفّار. وقيل: هو اسم دركة من دركاته[١]. وروي أنّ صحابياً مات في غزوة خيبر فقال عليه السلام: ***صلّوا علىٰ صاحبكم***، فقال: يا رسول الله لا تصلّي عليه؟ قال: ***لا؛ لأنّه غلّ من الغنيمة***. ففتّشوا رحله فوجدوا فيه خرزاً ليهودي ما كان يساوي درهمين[٢].

وأصاب سهم رجلاً فمات، فقال رسول الله: ***هو في النار***، فنظروا فإذا عليه كساء قد غلّه[٣].

وقال عليه السلام: ***إيّاكم والغلول، فإنّ الغلول خزي علىٰ صاحبه [يوم القيامة]***[٤] ***فأدّوا الخيط والمخيط***[٥].

**الضوء في شرح الشهاب**

والجمرة: القطعة من النار غير الملتهبة، ويجمع على جمرات وجمر.

وجهنّم اسم للنار علم، أعني النار المعدّة للكفار، وقيل: هو اسم دركة من دركاته، ولو حكم بزيادة النون لكان من الجهامة.

يعني: أنّ من خان أحداً باقتطاع مال له فكانّما يجر إلى نفسه جمرة من جمرات نار الله.

وروي: أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله مات في غزوة خيبر، فقال عليه السلام: ***صلّوا على صاحبكم***، فقالوا يا رسول الله: ألا تصلّي عليه؟ قال: ***لا؛ لأنّه غلّ من الغنيمة***، قالوا: فتشنا رحله فوجدنا فيه خرزاً ليهودي، فو الله ما كان يساوي درهمين.

---

(١) اُنظر: تفسير أبي السعود ٦: ١١٣.

(٢) كتاب الموطأ ٢: ٢٣/٤٥٨، وفيه: (حنين) بدل (خيبر)، مسند أحمد ٤: ١١٤، تذكرة الفقهاء ٢: ٣٧.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٦٠، البداية والنهاية ٥: ٣٤١.

(٤) ما أثبتناه من المصدر.

(٥) مسند أحمد ٥: ٣٣٠، المعجم الأوسط ٦: ١٥.

**٤٥ـ النِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيّةِ**[١].

**يقول:** لا تتركوا نساءكم يتناوحن عند وفاة أحد، ويرجعن الكلمات المنظومة تشبه الشعر؛ فإنّ ذلك من أعمال الجاهلية وليس من سيرة المسلمين، وكان أهل زمان الجهل ينوحون على موتاهم وقتلاهم لا يرون بعثاً ولا نشوراً، والمسلمون إذا كانوا آمنوا بالقيامة من حقّهم أن يصطبروا.

وقال عليه السلام: ***يحشر النوائح يوم القيامة ينبحن كما تنبح الكلاب***[٢].

---

ويروى: أنّ رجلاً على عهد رسول الله أصابه سهم فمات، فقال رسول الله: ***هو في النار***، فنظرنا فإذا عليه كساء قد غلّه.

وقال عليه السلام: ***إيّاكم والغلول، فإنّ الغلول أخزى على صاحبه، فأدّوا الخيط والمخيط***.

وقيل: الأمين آمن، والخائن الخائف[٣].

**٤٥ـ النِّيَاحَةُ مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ.**

الفِعَالة ـ بالكسر ـ أكثرها من أبنية الصناعة كالنساجة والحياكة والضيافة والخياطة، والفَعَالة ـ بالفتح للمصدر كالسّماحة والظرافة والملاحة والسماجة، كأنّه قال: من تصنّع بهذه الصناعة.

والجاهليّة زمان الفترة قبل الإسلام، أي الأيام الجاهليّة أو السنون أو الأزمنة المنسوبة إلىٰ الجهل، وهي في العرف عبارة عمّا كان قبل مبعث النبيّ عليه السلام فإنّهم كانوا ينوحون على موتاهم وقتلاهم ويوصون بذلك، ألا ترى إلى

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٦ / ٥٧٦٩، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٤ / ١٥٨١.

(٢) اُنظر: مجمع الزوائد ١٤: ١٤، كنز العمال ١٥: ٦٠٨ / ٤٢٣١٦.

(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٨٤، تاريخ بغداد ٧: ١٠٤.

***وتخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء واضعة يدها علىٰ رأسها، تقول: وا ويلاه، وملك يقول: آمين***[(١)]، ولعن رسول الله النائحة والمستمعة[(٢)].

والفِعَالة من أبنية الصناعة كالنساجة والخياطة. والفَعَالة ـ بالفتح ـ المصدر كالسَمَاجة والظَرَافة، كأنّه قال: من يصنع بهذه الصنعة التي هي النياحة لم يكن على سنتي.

والجاهلية زمان الفترة قبل الإسلام، أي الأيام الجاهلية والسنون والأزمنة المنسوبة إلى الجهل، وهي في العرف عبارة عمّا كان قبل مبعث النبيّ ﷺ. والنوح: اجتماع النساء، وأصله من التقابل، وإنّما حُرِّم ذلك لما فيه من منع الصبر وعظم الإثم.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

قول طرفة:

*إذا متّ فانعيني بما أنا أهله* وشقّي عليَّ الجيب يا ابنة معبد[(٣)]

وقال النبي ﷺ: ***يحشر النوائح يوم القيامة صفّين ينبحن كما تنبح الكلاب.***

***وتخرج النائحة من قبرها شعثاء غبراء واضعة يدها على رأسها، تقول: واويلاه، وملك يقول: آمين.***

ولعن رسول الله النائحة والمستمعة والحالقة والصالقة والواشمة والمستوشمة والسلقاء والمرهاء[(٤)].

---

(١) كنز العمال ١٥: ٦١٦، بزيادة، وفيه: (مالك) بدل (ملك).

(٢) الفائق في غريب الحديث ٣: ٤٧، وفيه: (المستفقهة) بدل (المستمعة)، كنز العمال ١٥: ٦١٢ / ٤٢٤٣٥.

(٣) لسان العرب ١٢: ٥٠٣ مادة (قوم).

(٤) الكافي ٥: ٥٥٩ / ١٣، الشرح الكبير ٢: ٤٣٠، عوالي اللئالي ٤: ٨، مجمع البيان ٧: ٢٤٢، ولم نعثر على «السلقاء» وورد بدلها: السلتاء، وهي المرأة التي لا تختضب.

**٤٦ـ الحُمَّىٰ رَائِدُ المَوْتِ**[1].

**يقول:** الحمّىٰ مقدّمة الموت وطليعته ـ لشدّة أمرها ـ ورسوله الذي يرتاد له، فإذا حمّ أحدكم فليوصِّ، فالحمّىٰ رسول الموت، ونموذج من شدائده، وإنّها تنذر وتؤذن بالموت، فمن أتته الحمّىٰ ينبغي أن يتوب وينظر في أُمور نفسه فيما بينه وبين الله وما بينه وبين الناس؛ فإنّه لا يأمن أن لا يُـمْهَل فـهو مـن بـاب الوعـظ والوصيّة بإعداد الأهبّة لسفر القيامة، فإنّ من مات فقد قامت قيامتُهُ.

والرائد: مقدّم القوم إلىٰ الماء والكلاء، من راد يرود إذا جاء وذهب.

---

**٤٦ـ الحُمَّىٰ رَائِدُ المَوْتِ.**

الحمّى فُعلى من حمّ الشيء إذا قُدّر، أو من حمّ الشيء إذا حمى واحترق، ومنه الحديث: ***إنّ قوماً يخرجون من النار بعدما صاروا حمماً فحماً***[2].

وفُعلى تأنيث أفعل للتفضيل كالأحسن والحسنى، والأعلى والعليا، والأدنى والدنيا، والأقصى والقصوى، وهي في العرف لما ينتاب من العلّة في كلّ يوم أو يومين.

والرائد: مقدّم القوم الى الماء والكلاء، من راد يرود إذا جـاء وذهب، وفـي المثل: الرائد لا يكذب أهله.

يعني: أنّ الحمّى مقدّمة الموت، والعامة تقول: الحمّى رسول الموت، يعني أنّها تنذر وتؤذن بالموت فمن حقّ من أتته الحمّى أن يتوب ويوصي وينظر في أُمور نفسه فيما بينه وبين الله تعالى، وما بينه وبين الناس، فإنّه لا يأمن أن لا يمهل،

---

(١) الكافي ٣: ١١٢ / ٧، ثواب الأعمال: ١٩٢، مجمع الزوائد ٥ : ٩٤.

(٢) الفصول المهمة ١ : ٣٧٩، مسند أحمد ٣ : ٩٤، المصنّف لعبد الرزاق ١١ : ٤١٠، بـاختلاف، وليس فيها: فحماً.

**٤٧ـ الحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ**[١].

**يقول:** الحمّىٰ من روائح جهنّم، وله معنيان:

**أحدهما:** الإخبار عن شدّة حرارتها وإنذارها صاحبها من حرارة جهنّم.

**والثاني:** من أخذته فكأنّما أصابه بعض عذاب النار؛ فإنّ الحُمّىٰ نار تجيء من القلب وتحرق البدن، قال الله تعالىٰ في صفة جهنّم: ﴿**نَارُ اللهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ**﴾[٢].

والحمّىٰ «فُعْلىٰ» من حمّ الشيء إذا قدّر، أو من حَمِيَ الشيء إذا حمي واحترق، و«فعلىٰ» تأنيث أفعل التفضيل كالأحسن والحسنىٰ، والأعلىٰ والعليا، وهو في العرف لما ينتاب من العلّة في كلّ يوم أو يومين.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

فهو من باب الوعظ والوصيّة بإعداد الأهبة لسفر القيامة، فإنّ من مات فقد قامت قيامته.

**٤٧ـ الحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ.**

الفيح من قولهم: فاحت الرائحة تفوح وتفيح إذا علت وظهرت، ومنه قول أبي الطيّب:

وتفوح من *طيب الثناء روائح* ... *لهم* بكلّ مكانة تستنشق[٣]

وقوله أيضاً:

وذكيّ *رائحة الرياض* كلامها ... تبغي *الثناء* على *الحيا* فتفوح[٤]

---

(١) الدعوات: ١٧١ / ٤٧٧، الموطأ ٢ : ٩٤٥ / ١٦، مسند أحمد ١ : ٢٩١.

(٢) سورة الهمزة ١٠٤ : ٦ـ٧.

(٣) ديوان المتنبّي: ٥٦.

(٤) ديوان المتنبّي: ٨٦.

والفيح من قولهم: فاحت الرائحة تفوح، إذا علت وظهرت. خرج هذا الكلام مخرج التقريب أي كأنّه نار جهنّم في الحرّ. والفيح انتشار الحرّ وسطوعه.

**٤٨ـ الحُمَّىٰ حَظُّ كلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ[1].**

يشير بهذا إلىٰ أنّ ألم الحُمّىٰ وشدائدها وحرارتها تصير كفّارة لصاحبها المؤمن، فكأنّ الله يكفّر بها من خطاياه، يعني أنّ المؤمن إذا حُمّ وكان مستحقاً للعقاب جعل الله ذلك نصيبه من النار.

وعن مجاهد في قوله: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾[2] قال: من حمّ من المسلمين فقد وردها، وهو حظ المؤمن من النار، والحُمّى في الدنيا هي الورود في الآخرة[3]، وهذا محمول على تخفيف الشدّة لصاحبها في المآب وزيادة الفضل عليه بسببها والثواب.

---

يعني: أنّ الحمّى من روائح جهنّم. وله معنيان:

**أحدهما:** الإخبار عن شدّة حرارتها، وإنذاره صاحبها بحرارة جهنّم.

**والثاني:** أنّ مَن أخذته الحمّى فكأنّه أصابه بعض عذاب النار، وهذا معنى قوله عليه السلام: ***الحمّى حظّ كلّ مؤمن من النار.***

**٤٨ـ الحُمَّىٰ حَظُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنَ النَّارِ.**

الحظّ: النصيب. يشير عليه السلام إلى أنّ الحمّى تصير كفّارة لصاحبها، فكأنّ الله تعالى يكفّر بها من خطاياه، يعني أنّ المؤمن إذا حمّ وكان مستحقاً للعقاب جعل الله ذلك نصيبه من النار، والمعنى يرجع إلى ما ذكرناه من كونها كفّارة للذنوب.

---

(١) الدعوات: ١٧١ / ٤٧٧، مجمع الزوائد ٢: ٣٠٦.

(٢) سورة مريم ١٩: ٧١.

(٣) مجمع البيان ٦: ٤٤٣، تفسير الثعلبي ٦: ٢٢٨.

والخبر الأوّل قريب من هذا في أحد المعنيين، ولمّا فُتح خيبر أقبل الناس على الفواكه فأخذتهم الحُمّىٰ فشكوا ذلك إلىٰ النبيّ عليه السلام، فقال: ***يا أيّها الناس، إنّ الحُمّىٰ رائد الموت، وسجن الله في أرضه، وقطعة من النار***[(١)].

ولمّا بُعث رسول الله قالوا لبعض المتطبّبين: إنّ رجلاً في الحجاز يدّعي النبوّة، فقال: وهل تحفظون[(٢)] شيئاً من كلامه؟ قالوا: نعم، سمعناه يقول: ***حُمّى ليلة كفّارة سنة***، قال: أشهد أنّه نبّي فإنّا نقرأ في كتبنا أنّ حُمّىٰ يوم تذهب بقوّة سنة، فليس هذا باتفاق إنما هو بوحي من الله[(٣)]. وصار هذا سبباً لإسلامه.

وشكا رجل إلىٰ النبي عليه السلام الحمّىٰ فقال: ***اغتسل ثلاثة أيّام قبل طلوع الشمس، وقل: اذهبي يا أُمّ مِلدم، فإن لم تذهب فاغتسل سبعاً***[(٤)].

**الضوء في شرح الشهاب**

وروي: أنّه عليه السلام لمّا فتح خيبر أقبل الناس على الفواكه فأخذتهم الحمّى فشكوا ذلك إلى النبي عليه السلام، فقال: ***يا أيّها النّاس، إنّ الحُمى رائد الموت، وسجن الله في أرضه، وقطعة من النار***.

وقال عليه السلام: ***حمّى ليلة كفّارة سنة***[(٥)].

وقيل لبعض الفضلاء من أهل الطبّ في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ رجلاً قام بالحجاز يدّعي النبوة، فقال: هل تحفظون شيئاً من كلامه؟ قالوا: نعم، سمعناه يقول: **حمّى يوم كفّارة سنة**. قال: أشهد أنّه نبي، قيل له: بم عرفت نبوّته من هذا الحديث؟ قال: لأنا قرأنا في كتبنا فلم يكن ذلك باتفاق إنّما كان بوحي من الله،

(١) ثواب الأعمال: ١٩٢، مجمع الزوائد ٥: ٩٤، ٩٥.

(٢) في النسخة: يحفظون، وما أثبتناه هو المناسب.

(٣) أُنظر: دعائم الإسلام ١: ٢١٧.

(٤) التمهيد ٢٢: ٢٢٨، الاستذكار ٨: ٤١٩.

(٥) كتاب التمحيص: ٤٢ / ٤٥، ثواب الأعمال: ١٩٢، علل الشرائع ١: ٢٩٧ / ١.

وقال عليه السلام: ***من حُمّ ثلاث ساعات فصبر فيها شاكراً لله حامداً له باهى الله به ملائكته، وقال: يا ملآئكتي انظروا إلىٰ عبدي صبر علىٰ بلائي، اكتبوا له برآءة من النار، وكُتِبَ له: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان، أدخلوه جنّة عالية قطوفها دانية***[1].

---

وصار هذا الحديث سبباً لإيمانه.

ويروىٰ: أنّ رجلاً شكا إلى رسول الله الحمّى، فقال: ***اغتسل ثلاثة أيام قبل طلوع الشمس، وقل: اذهبي يا اُمّ مِلدم، فإن لم تذهب فاغتسل سبعاً***.

وقال عليه السلام: ***من حمّ ثلاث ساعات فصبر فيها شاكراً لله حامداً له باهىٰ الله به ملائكته، فقال: ملائكتي، انظروا إلى عبدي صبر على بلائي اكتبوا له براءة من النار، فكتب له: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان، أدخلوه جنّة عالية قطوفها دانية***.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾[2] فقال: من حمّ من المسلمين فقد وردها، وهو حظّ المؤمن من النار، والحمّى في الدنيا هي الورود في الآخرة.

وعن أبي الدرداء أنّه قال: ما يسّرني [من] وصب[3] ليلة حمر النعم، مرض المؤمن تكفير خطيئته[4].

---

(١) بحار الأنوار ٥٩: ١٠٥.

(٢) سورة مريم ١٩: ٧١.

(٣) الوصب: المرض، وأوصبه الله فهو موصب، والموصّب ـ بالتشديد ـ: الكثير الأوجاع. والفرق بين الوصب والألم: أنّ الوصب هو الألم الذي يلزم البدن لزوماً دائماً.
الصحاح ١: ٢٣٣، مادة (وصب)، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري: ٥٧٣ / ٢٣١٣.

(٤) بحار الأنوار ٥٩: ١٠٥.

**٤٩ـ القَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ**[١].

**يقول:** من أراد أن يعيش غنيّاً طول عمره فليجعل القناعة في معيشته دأبه وعادته؛ فإنّه إذا فعل ذلك لم يباشر الفقر والقلّة. والقناعة: الرضا بما تيسّر له من الرزق والحظّ. وإنّما قيل: هي مال لا ينفد؛ لأنّ مرجعها إلىٰ النفي وهو ترك الحرص والطلب، وما يرجع إلىٰ النفي لا نهاية له، ومن استغنىٰ بالله لم يحتج إلىٰ خلقه ويحتاج إليه الناس. وقيل: القناعة: المعرفة بالقسمة والرضا بها[٢].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

ويروى: أنّ أصحاب الأمراض والبلايا لمّا وردوا القيامة ورأوا ما أعدّ الله لهم من الأعواض العظيمة تمنّوا أن لا يكونوا في الدنيا ساعة صحيحي الأبدان[٣].

**٤٩ـ القَنَاعَةُ مَالٌ لا يَنْفَدُ.**

القناعة: الرضى بما تيّسر له من الرزق والحظّ، يقال: قَنِعَ الرجل يقنع قناعة إذا رضي، وقَنَعَ يَقْنَعُ قُنُوعاً إذا سأل، قال:

*لمال المرء يصلحه فيغني — مفاقره أعف من القنوع*[٤]

أي السؤال.

وإنّما قال: هي مال لا ينفد؛ لأنّ مرجعها إلى النفي، وهو ترك الحرص والطلب وما يرجع إلى النفي لا نهاية له.

---

(١) المعجم الأوسط ٧: ٨٤، مجمع الزوائد ١٠: ٢٥٦، وروي هذا الحديث في خصائص الأئمة: ١٢٥، وغيره عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٢١٥، وروي هذا القول لأبي الحسن البوشنجي.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر.

(٤) العين ١: ١٧٠ مادة (قنع).

**٥٠ـ الأَمَانَةُ تَجُرُّ الرِّزقَ، والخِيَانَةُ تَجُرُّ الفَقْرَ**[١].

وقد ذكرنا بعد الخطبة أنّ هذه الكلمات النبوية أكثرها متضمّنة للأوامر والنواهي، يقول: لا تخونوا المسلمين، واستعملوا الأمانة معهم؛ فإنّها أصل البركة، والبركة يستجلب الرزق، وشؤم الخيانة يورث الفقر في الدنيا والخزي في العقبىٰ، والثباب علىٰ الأمانة يفتح أبواب الرزق، وهذا أمر من جهة الطبيعة والتجربة ظاهر، وهو أنّ الرجل إذا كان أميناً مأمون الجانب من الخيانة ازدحم الناس عليه، وفشا ذكره بين الناس بالأمانة، وكثر معاملوه، فكان أمانته سبباً لرزقه، وإذا كان خائناً وعُرف بالخيانة نفر الناس عنه، واجتنبوا معاملته، كأنّ ذلك سبباً لحرمانه وقتره، والمعنيان يحتملهما عموم اللفظ وظاهره.

**٥١ـ الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ**[٢].

**يقول:** لا تناموا بعد صلاة الصبح؛ فإنّ النوم في هذا الوقت يمنع الرزق

---

**٥٠ـ الأَمَانَةُ تَجُرُ الرِّزْقَ، والخِيَانَةُ تَجُرُّ الفَقْرَ.**

هذا أمر ظاهر من جهة الطبيعة ومن جهة التجربة؛ لأنّ الرجل إذا كان أميناً مأمون الجانب من الخيانة ازدحم الناس عليه، وفشا ذكره بين الناس بالأمانة، وكثر معاملوه، فكانت أمانته سبباً لرزقه، وإذا كان خائناً وعرف بالخيانة نفر الناس عنه، واجتنبوا معاملته، فكان ذلك سبباً لحرمانه وفقره.

**٥١ـ الصُّبْحَةُ تَمْنَعُ الرِّزْقَ.**

يقال: فلان ينام الصبحة إذا نام حين يصبح، وقيل فيها قولان:

**أحدهما:** أنّها النوم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، وذلك لما جاء في

---

(١) كنز العمال ٣: ٦١ / ٥٤٩٩، وفي تحف العقول: رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) مسند أحمد ١: ٧٣، مجمع الزوائد ٤: ٦٢.

ويوجب حرمان البركة فيه، وروي في الأخبار كراهة النوم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإنّه وقت قسمة الأرزاق، فمن كان مشتغلاً في ذلك الوقت بالصلاة وذكر الله وقراءة القرآن وسّع الله عليه رزقه، ومن نام في ذلك الوقت فإنّما كان ذلك سبباً لحرمانه وكأنّه مانع للرزق.

وعن ابن عباس أنّه رأىٰ بعض أولاده نائماً نومة الغداة، فقال: قم، لا أنام الله عينك، أما علمت أنّ نوم النهار ثلاثة: خُلق وخُرق وحُمق؟! فالخُلق: نوم الهاجرة، وهو نوم رسول الله وهو عادته وخُلقه، والخُرق: نومة الضحىٰ، والحمق: نومة العصر تورث الخبل[1].

والصُبحة ـ بالضمّ ـ: الاسم وهو نوم الغداة، وبالفتح الفعلة الواحدة، وقيل: نومة الغداة مَنْخَرَةٌ مَجفَرةٌ مَجْعَرةٌ[2] [أي] ينتن الفم، ويقطع الباه، ويكبس الطبيعة. وقيل: المراد بالصبحة النوم بعد ارتفاع النهار؛ لأنّه وقت المعاملة وطلب الرزق

الضوء في شرح الشهاب

الأخبار أنّه وقت قسمة الأرزاق، فمن كان مشتغلاً في ذلك الوقت بالصلاة وذكر الله وقراءة القرآن وسّع الله عليه رزقه، ومن كان في ذلك الوقت نائماً كان ذلك سبباً لحرمانه، فكأنّه مانع الرزق.

**والثاني:** أنّه أراد بالصبحة النوم بعد ارتفاع النهار؛ لأنّه وقت المعاملة وطلب الرزق بالكسب.

وقال ابن عبّاس لبعض أولاده ووجده نائماً نومة الغداة: قم [لا] أنام الله عينيك، أما علمت أنّ نوم النهار ثلاثة: خُلق وخُرق وحُمق، فأمّا الخلق فنوم

---

(١) الطبّ النبوي لابن الجوزي: ١٨٨.

(٢) الفائق في غريب الحديث ١: ١٩١، النهاية في غريب الحديث ١: ١٠١، وجعلاه من حديث عمر، وجعله القتيبي من حديث الإمام علي عليه السلام.

بالكسب، فمن نام بالضحىٰ حُرم الرزق[١].

**٥٢ـ الزِّنَا يُورِثُ الفَقْرَ**[٢].

يحدّ عن هذا الفعل القبيح بعقوبة عاجلة في الدنيا، بَلْهَ[٣] ما أوعد الله عليه من

---

الهاجرة، وهو نوم رسول الله، وهو عادته وخلقه، وأمّا الخرق فنومة الضحىٰ، وأمّا الحمق فنومة العصر.

وفي ذلك يقول الشاعر:

*ألا إنّ نومات الضحى تورث الفتى*     *خبالاً ونومات العشي جنونا*[٤]

وفي حديث عمر أنّه نهى عن نومة الغداة، وقال: أنّها مَنْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ مَجْعَرَة.

النخر: نتن الفم والنكهة، والجفر: انقطاع الباه، والجعر: يبس الطبيعة.

والقول الأوّل أشهر في الأخبار.

**٥٢ـ الزِّنَا يُورِثُ الفَقْرَ.**

الزنا في الشرع: عبارة عن مواقعة الرجل من لا تحلّ له من النساء.[٥]

وهو في اللغة: الارتفاع، يقال: زنأ في الجبل يزنأ زناءً إذا صعد[٦]، وأصله الهمز ثمّ خفّف، وعلى هذا قول بعضهم على طريق اللغز[٧]: ورجال زنوا بمكّة

---

(١) لسان العرب ٢: ٥٠٣، مادة (صبح)، مجمع البحرين ٢: ٥٧٧، مادة (صبح).

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٠ / ٤٩٧٨، كنز العمال ٥: ٣١٣ / ١٢٩٨٩.

(٣) بله: اسم فعل بمعنىٰ اترك ودع. النهاية في غريب الحديث ١: ١٥٥.

(٤) الفائق في غريب الحديث ٢: ٢٢٩، الطبّ النبوي لابن الجوزي: ١٨٨. وفيهما: (العصير) بدل (العشي).

(٥) شرح اللمعة ٩: ١٦.

(٦) لسان العرب ١: ٩١، مادة (زنأ). وفي النسخة: (الخيل) بدل (الجبل) وما أثبتناه هو المناسب وهو المذكور في كتب اللغة.

(٧) في النسخة: الكز، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

العقاب، يقول: لا تزنوا تفتقروا[١]. وقال النبيّ ﷺ: ***للزاني ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأمّا التي في الدنيا: فالفقر، وذهاب ماء الوجه في الناس، وقصر العمر، فأمّا التي في الآخرة: فسخط الربّ، وسوء الحساب، والدخول في النار***[٢].

والزنا ـ مقصوراً ـ: مصدر زنا، وبالمد مصدر زانئ. والزنا في اللغة: الارتفاع[٣]؛ لأنّ الزاني يعلو من يفعل به. وفي الشرع: عبارة عن مواقعة الرجل من لا يحلّ له من النساء[٤].

وأورثه كذا: إذا خلَّفه ميراثاً له، ووَرِثَه إذا أخذ ميراثه، ثمّ يستعمل في كلّ شيء يعقب شيئاً خيراً أو شراً، يقال: أورثه أكلُ الطين صفرَةَ اللون، وأورثه صلاةُ الليل حسنَ الوجه.

**الضوء في شرح الشهاب**

يوماً مع نساء وما زنوا بحرام، أي صعدوا في الجبل، ويجوز أن يكون الزنا من هذا إلّا أنّ الزاني يعلو من يزني به ويرفع.

والأصل أنّ الزنا ـ بالمدّ والقصر ـ من باب الناقص بالياء، وزنأ في الجبل يزنأ من مهموز اللام.

بيان هذا: أنّ الرجل إذا قال لغيره: زنأت في الجبل، هل يحكم عليه بالقذف أم لا؟

---

(١) كذا في النسخة، إلّا أنّ هذه العبارة لا تستقيم لغة في جزم الفعل الثاني (يفتقرون)؛ لأنّ الجملة لا تتضمّن تقدير «إنْ» الشرطية، فلا يصح: إنْ لا تزنوا تفتقروا. أُنظر: مغني اللبيب ٢: ٦٠٤.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٣ / ٤٩٦٠.

(٣) تاج العروس ١٩: ٤٩٧، مادة (زنو).

(٤) المقنعة: ٧٧٤.

والفقر: الحاجة، وهو فَعْل بمعنىٰ مفعول، كأنّه مكسور فقار الظهر، يقال: فقره إذا ضرب فقاره وأصابه.

---

اختلفوا فيه: فعندنا لا يحكم عليه بالقذف ؛ لأنّه ليس بصريح فيه، بل يحمل على الصعود بقرينة الجبل، فإن ادعى المقول له عليه القذف فالقول قول القائل مع يمينه بالله أنّه لم يقصد القذف، ولم يرد إلّا الصعود في الجبل، فإن نكل عن اليمين ردّت على المقذوف، فإن حلف حُدّ[١]، وبه قال الشافعي وأبو يوسف ومحمد[٢].

وقال أبو حنيفة: هو قذف بظاهره يجب عليه الحدّ[٣].

دليلنا ما ذكرناه من اختلاف البنائين واختلاف أصلهما، فإنّ أحدهما ناقص، والآخر مهموز، قالت امرأة من العرب:

*اشبه أبا أُمّك أو اشبه حمل ... ولا تكونّن كهلوف وكل*

*يصبح في مضجعه قد انجدل ... وارق إلى الخيرات زناً في الجبل*[٤]

وأيضاً إذا كانت اللفظة محتملة يشتبه الحال فيه وجب أن يدرأ عنه الحدّ؛ لأنّ الحدود تدرأ بالشبهات.

وأورثه كذا إذا[٥] أخلفه ميراثاً وله، وورثه إذا أخذ ميراثه، ثمّ يستعمل في كلّ

---

(١) الخلاف ٥ : ٣٥، المبسوط ٥ : ٢١٤، السرائر ٢ : ٥ ـ ٧، جامع الخلاف والوفاق: ٤٩٨.

(٢) الخلاف ٥ : ٣٥، الأُمّ ٥ : ٣١٣، ٣٥، مختصر المزني ٢١٣، المجموع ٢٠ : ٥٧، المغني لابن قدامة ١٠: ٢١٧، الشرح الكبير ١٠ : ٢٢٣.

(٣) الخلاف ٥ : ٣٥٥، بدائع الصنائع ٧ : ٤٢، الهداية ٤ : ٢٠٠، تبين الحقائق ٣: ٢٠٤.

(٤) الخلاف ٥ : ٣٥، السرائر ٢ : ٧٠٦، الصحاح ٥ : ١٧٧٥، مادة (عمل) وفي الجميع: (عمل) بدل (حمل)، وفي الصحاح: عمل، اسم رجل، وقالت امرأة ترقّص ولدها.... ثمّ ذكر البيتين.

(٥) في النسخة: إذ.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



شيء يعقب شيئاً خيراً كان أو شرّاً، يقال: أورثه أكل الطين صفرة اللون، وأورثه صلاة الليل حسن الوجه.

والفقر: الحاجة، يقال: افتقر إلى كذا إذا احتاج إليه، واشتقاقه[١] من فقره إذا أصاب فقار ظهره، فالفقير فعيل بمعنى مفعول أي مكسور فقار الظهر.

***ومعنى الخبر:*** التحذير من هذا الفعل القبيح بعقوبة عاجلة في الدنيا، بله[٢] ما أوعد الله عليه من العقاب في الآجلة، وعن جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه عليهم السلام، عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: ***للزاني ستّ خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة، فأمّا التي[٣] في الدنيا: فيذهب بنور الوجه، ويورث الفقر، ويعجّل الفناء، وأمّا التي[٤] في الآخرة: فسخط الربّ، وسوء الحساب، والخلود في النار***[٥].

وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: ***إذا كان يوم القيامة أهبّ الله ريحاً منتنة يتأذّى بها أهل الجمع، حتّىٰ إذا همّت أن تمسك بأنفاس الناس ناداهم منادٍ: هل تدرون ما هذه الريح التي قد آذتكم؟ قالوا: لا، وقد آذتنا وبلغت منّا كلّ مبلغ، فقال: هذه ريح فروج الزناة الذين لقوا الله بالزنا ثمّ لم يتوبوا، فالعنوهم لعنهم الله، فلا يبقى في الموقف أحد إلّا قال: اللّهمّ العن الزناة***[٦].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: **ثلاثة لا يكلّمهم الله ولا يزكّيهم ولهم**

---

(١) في النسخة: الشقاقة، والمناسب ما أثبتناه.

(٢) بَلْهَ كلمة مبنية علىٰ الفتح مثل كيف، ومعناها «دع» الصحاح ٦: ٢٢٢٧، مادة (بله).

(٣) و (٤) في النسخة: الآتي. وما أثبتناه من المصادر وهو المناسب للسياق.

(٥) الكافي ٥: ٥٤١ / ٣، من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٣ / ٤٩٦٠، عوالي اللئالي ٣: ٥٤٧ / ٩.

(٦) المحاسن ١: ١٠٨ / ٩٦، ثواب الأعمال: ٢٦٢.

**٥٣ـ زِنَا العُيُونِ النَّظَرُ**[١].

**معنىٰ الخبر:** الوعظ والتحذير عن النظر إلىٰ ما ليس للإنسان النظر إليه من النساء، يقول: لا تنظروا إلىٰ المحرمات من النساء؛ فإنّ العيون إذا نظرت اليهنّ يعاقب صاحبها عقوبة الزناة، وصار ذلك النظر منزلة الزنا؛ لأنّه يكون في الأكثر سبب الزنا، وإذا عوقب كان استحقاقاً لا إيجاباً وحكماً، فزنا العين مجاز في

---

***عذاب أليم، منهم: المرأة توطىء فراش زوجها***[٢].

وعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: ***إنّ أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أقرّ نطفته في رحم تحرم عليه***[٣].

وعنه عليه السلام أنّه قال: ***إذا زنا الرجل فارقه روح الإيمان، وذلك قوله:*** ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾[٤] ***ذلك الذي يفارقه***[٥].

وقال عليه السلام: ***لا خير في ولد الزنا ولا في بشره [ولا في شعره] ولا في لحمه ولا في دمه ولا في شيء منه***[٦]. يعني ولد الزنا. عصمنا الله منه بفضله ورحمته.

**٥٣ـ زِنَا العُيُونِ النَّظَرُ.**

هذا مجاز من الكلام؛ لأنّه لفظ مستعمل في غيرما وضع له من لغة وعرف وشرع، إلّا أنّه عليه السلام جعلها زانية إذا نظرت إلى ما لا يحلّ لها النظر إليه من النساء، ومثله

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ : ٤٧٠، مجمع الزوائد ٦ : ٢٥٦، المعجم الكبير ١٨ : ٩، وفي جميع المصادر: (العينين) بدل (العيون).

(٢) المحاسن ١ : ١٠٨ / ٩٧، الكافي ٥ : ٥٤٣ / ١، ثواب الأعمال: ٢٦٣.

(٣) المحاسن ١ : ١٠٦ / ٨٩، الكافي ٥ : ٥٤١ / ١، دعائم الإسلام ٢ : ٤٤٧ / ١٥٦٢.

(٤) سورة المجادلة ٥٨ : ٢٢.

(٥) المحاسن ١ : ١٠٦ / ٩٠، الكافي ٢ : ٢٨٠ / ١١، ثواب الأعمال: ٢٦٣.

(٦) المحاسن ١ : ١٠٨ / ١٠٠، الكافي ٥ : ٣٥٥ / ٥، ثواب الأعمال: ٢٦٤. وما بين المعقوفين أثبتناه من المصادر.

الكلام؛ لأنّه لفظ مستعمل في غير ما وضع له من لغة وعرف وشرع، إلّا أنّه عليه السلام جعلها زانية إلىٰ ما لا يحل لها النظر إليه، وقال عليه السلام: ***إيّاكم والنظرة؛ فإنّها تزرع في القلب الشهوة، وكفىٰ بصاحبها فتنة***[1].

**٥٤ـ العَمَائِمُ تِيْجَانُ العَرَبِ**[2].

له معنيان:

**أحدهما:** أنّ العمائم تيجان من أسلم من العرب ومن سائر الناس، ولم يرد به العرب خاصة؛ لأنّ تيجان الملائكة هي العمائم ومن عمّم في الدنيا من المسلمين فهو شبيه بالملائكة.

ويُروىٰ خبر في سبب هذا الحديث وأصله لا يحتاج إلى البيان والتأويل مع ذلك، وهو: ***العمائم تيجان العرب، فإذا وضعوها وضع الله عزّهم***[3]، وقال: ***ما***

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

قوله عليه السلام: ***كلّ عين زانية***[4]. قال الله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[5].

**٥٤ـ العَمَائِمُ تِيْجَانُ العَرَبِ.**

العمائم جمع عمامة، وهي ما يلفّ على الرأس. وتسمّى طويلة، واشتقاقها من العموم؛ لأنّها تعمّ جميع الراس وتشمله.

والتيجان جمع تاج، وهو ما يضع الملك على رأسه حين يقعد على السرير.

---

(١) تحف العقول: ٣٠٥، المصنّف لعبد الرزاق ٤: ١٩٣.

(٢) الكافي ٦: ٤٦١ / ٥، أدب الإملاء والاستملاء: ٣٩، كنز العمّال ١٥: ٣٠٥ / ٤١١٣٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ١١٩، كنز العمال ١٥: ٣٠٥ / ٤١١٣٣. وفي النسخة: (عنهم) بدل (عزّهم).

(٤) مسند أحمد ٤: ٣٩٤، ٤٠٧، سنن الترمذي ٤: ١٩٤ / ٢٩٣٧.

(٥) سورة غافر ٤٠: ١٩.

***بيننا وبين المشركين العمائم على القلانس***[١].

وعن جابر أنّ النبيّ ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء تسمّىٰ السحاب، فأهداها عليّاً عليه السلام فقال الناس: ما أحسن عليّاً في السحاب[٢].

وعمّم عليّاً رسول الله بيده وأرخىٰ طرفيها من ورائه وخلفه، ثمّ قال له: ***أدبر***، فأدبر، ثمّ قال له: ***أقبل***، فأقبل، ثمّ قال: ***هكذا يكون تيجان الملائكة***[٣].

**والمعنى الثاني:** أنّ النبي عليه السلام يأمرهم أن لا يغيّروا زيّهم وطريقتهم وأن يعمّموا ولا يضعوا من استأهل الملك من العرب التاج على رأسه كما يفعل العجم؛ فإنّ ملكهم كان إذا قعد[٤] علىٰ السرير يتتوّج، والعمامة عند العرب بمنزلة التاج للمَلك، وإنّما دعاهم عليه السلام إلى ذلك لئّلا يجمعوا إلى خنزوانتهم[٥] خيلاء العجم أيضاً.

---

والعرب جنس، وقيل: هو جمع عرابي[٦] كروميّ وروم وتركي وترك، قال أبو الطيب في سيف الدولة:

*وفي صورة الرومي ذي التاج ذلة* لأبلج لا تيجان *إلّا عمائمه*[٧]

يعني «لأبلج» العرب، فجعل ذلك كناية عنها، وقيل: العمائم تيجان العرب، والخباء حيطان العرب، والشمس حمّامات العرب، والخيل حصون العرب،

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٢٦٤ / ٤٠٧٨، المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ٤٥٢.
(٢) اُنظر: الوافي بالوفيات ١: ٩٣، السيرة الحلبية ٣: ١٥٢.
(٣) الكافي ٦: ٤٦١ / ٤، وفيه: ... فسدلها من بين يديه وقصرها من خلفه قدر أربع أصابع...
(٤) في النسخة: قعدوا.
(٥) في النسخة حتروانتهم. والظاهر هو تصحيف لما أثبتناه. والخنزوانة: التكبّر. اُنظر: لسان العرب ٣: ٨٧٧، مادة (خنز).
(٦) كذا في النسخة، والصحيح عربي، قياساً علىٰ رومي وتركي.
(٧) ديوان المتنبّي: ٢١٦.

وقال الخليل بن أحمد: عُمِّمَ الرجل: إذا سُوِّدَ؛ لأنّ عـمامتهم التـاجّ[١]، والعـمامة سمّيت بها لأنّها تعمّ جميع الرأس[٢] وتسمّىٰ طويلة أيضاً.

**٥٥ـ الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ[٣].**

أي تحلّوا بهذه الخصلة الحميدة؛ فإنّها من علامة الخير وأماراته، وهي أشرف

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

والرماح معاقل العرب، والسيوف حمى العرب[٤].

ويروىٰ: ***العمائم تيجان العرب، فإذا وضعوها وضع الله عزّهم***.

وقال عليه السلام: ***فرق مابيننا وبين المشركين العمائم على القلانس***. ذكره البخاري[٥].

وقال الخليل بن أحمد: عُمِّمَ الرجل إذا سوّد؛ لأنّ العمامة عندهم بمنزلة التاج للملك.

وروي: أنّ النبي عليه السلام عمّم علياً بيده وأرخى طرفيها من ورائه وخلفه، ثمّ قال له: ***أدبر***، فأدبر، ***وأقبل***، فأقبل، ثمّ قال: ***هكذا يكون تيجان الملائكة***.

وعن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء تسمّى السحاب فأهداها لعلي بن أبي طالب، فقال الناس: ما أحسن علياً في السحاب.

**٥٥ـ الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ لا يَأتي إلّا بِخَيْرٍ.**

الحياء مصدر حَيِيَ[٦] يَحْيَى حياء فهو حَيِيٌّ، وحَيِيَ يَحْيَىٰ حياة فـهو حـيّ،

---

(١) العين ١ : ٩٤، مادة (عمم).

(٢) في النسخة: الناس، وما أثبتناه هو المناسب للسياق، وهو المذكور في الضوء.

(٣) معاني الأخبار: ٤٠٩ / ٩٢، من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٧٩ / ٥٨٠٠، مسند أحمد ٤ : ٤٢٦، صحيح مسلم ١ : ٤٧.

(٤) اُنظر: المجازات النبوية: ٢٠٠، وفيه: الاحتباء، أمالي السيد المرتضى ١ : ٢٦.

(٥) التاريخ الكبير ١ : ٨٢ / ٢٢١، ٣ : ٣٣٨ / ١١٤٦.

(٦) في النسخة: حي.

خلائق الإنسان؛ لأنَّها سبب لامتناع صاحبه من كبير من المقبّحات، والحياء أجل خصال الخير، وهو من الخصال العزيزة التي لا يحصل بالاكتساب، وضدّه الوقاحة، وهو في الأصل مصدر حَيِيَ يَحْيَىٰ حياء فهو حَيِيٌّ، وحَيِيَ حياةً فهو حيّ.

والخير والشرّ يستعملان على معنيين:

**أحدهما:** إثبات النفع والضرّ من غير زيادة ولا تفضيل الشيء علىٰ شيء، كقولك: هذا خير من الخيرات، أي نفع من جملة المنافع.

**والثاني:** أنّ يجيء بمعنىٰ التفضيل والزيادة، تقول: هذا خير من ذلك، أي أجود منه، وزيد خير من عمرو، أي أفضل منه، والخير في هذا الحديث بمعنى القسم الأول أي الحياء كلّه خير ونفع.

---

وحيّاه الله، أي أبقى[1] الله حياته على سبيل دعاء له، وحييّته تحيّة ﴿**إِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾[2].

والحياء خصلة حميدة من خصال الخير، وقيل: هو أشرف خلائق الإنسان؛ لأنّه سبب لامتناع صاحبه من كثير من المقبّحات، وقيل: هو من الخلائق الغريزية التي لا تحصل بالاكتساب وضدّه القحّة والوقاحة، وفلان وقح إذا كان قليل الحياء.

والخير والشر لفظان يجيئان على معنيين:

**أحدهما:** إثبات النفع والضرّ من غير زيادة وتفضيل لشيء على شيء، كقولك: هذا خير من الخيرات، أي نفع من جملة المنافع.

**والثاني:** أن يجيء بمعنى الزيادة والتفضيل، كقولهم: هذا خير من ذلك أي أجود منه، وزيد خير من عمرو أي أفضل منه.

---

(١) في النسخة: اتقى. وهي مصحفة عمّا أثبتناه.

(٢) سورة النساء ٤: ٨٦.

**٥٦ـ المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ**[١].

**يقول:** إذا كنت تقيّاً فأكثر الجلوس في المسجد؛ لأنّ بيت الله لا يصلح أن يكون مجلساً للماجن، ولا يجوز أن يجري فيه اللغو والأباطيل، فالخبر تسلية للمؤمن الذي لا بيت له فهو يأوي إلىٰ المساجد، أو كان له دار فيكون حثّاً له علىٰ كثرة الاختلاف إليها والقعود فيها، وإمّا أن يكون إشارة إلىٰ تعظيم المسجد، فإذا لم يكن المرء تقيّاً لا يمكّن من جلوسه، فهو على الدوام وإن قعد فليكن على سيرة المتّقين، وقال النبي ﷺ: ***من خرج من بيته إلىٰ المسجد كتب الله له بكلّ خطوة يخطوها عشر حسنات، والقاعد في المسجد ينتظر الصلاة كالقانت، ويكتب من المصلين حتىٰ يرجع إلى بيته***[٢].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

والخير في هذا الحديث بمعنى القسم الأول أي الحياء كلّه خير ونفع وبركة.

والحديث الثاني يقرب معناه من معنى الحديث الأول، والباء للتعدية أي لا يؤدّي الحياء إلّا إلى خير، ولا يجيء عليك إلّا بخير ونفع.

**٥٦ـ المَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ.**

المسجد: موضع السجود، والمَفعِل للموضع قياس مطرد كالمجلس والمحفل والمشرق والمغرب، وقد جاء على مَفعَل بفتح العين كالمجمع والمدخل والمخرج، واللام لتعريف العهد للذي يقع هذا الاسم عليه شرعاً وعرفاً دون الموضع والاشتقاق، وهذا من الأسماء الغالبة.

والبيت: موضع البيات والبيتوتة، يقال: بات فلان في بيته، والبيت: القوت[٣]

---

(١) مجمع الزوائد ٢ : ٢٢، المصنّف لعبد الرزاق ١١ : ٩٧، المعجم الكبير ٦ : ٢٥٥.

(٢) مسند أحمد ٤ : ١٥٧، السنن الكبرىٰ ٣ : ٦٣، باختلاف يسير.

(٣) في النسخة: القوة، وهي مصحفة عمّا أثبتناه.

والمَفْعِل للموضع قياس مطّرد كالمجلس، واللام في المسجد لتعريف العهد الذي يقع عليه هذا الاسم عرفاً وشرعاً دون الوضع والاشتقاق الذي هو موضع السجود، فالمسجد من الأسماء الغالبة[١].

والبيت: موضع البيات. والتقي فعيل، وهو بناء مبالغة في الفاعل، ولا يجوز أن يتّخذ مبيتاً أو مقيلاً، ولا بأس بالاستراحة فيه.

---

وما يحتاج إليه في البيت من الآنية[٢]، وقال:

*أصبحت في بيت بلا بيتِ* *قُلّب الكفّ على ليتِ*

*وصاحب البيت يريد الكرا* *وليس في البيت سوى البيتِ*[٣]

والبيت ـ بالكسر ـ لغة فيه، يقال: ما عنده بِيت ليلة.

والتّقي: فعيل من التقى والتّقوى، وقد مرّ تفسيره، وفعيل بناء مبالغة في الفاعل.

وروىٰ عقبة بن عامر الجهنيّ أنّ النبي ﷺ قال: ***من خرج من بيته إلى المسجد كتب الله له بكلّ خطوة يخطوها عشر [حسنات]، والقاعد في المسجد ينتظر الصلاة كالقانت، ويكتب من المصلين حتّىٰ يرجع إلى بيته.***

وعن معاذ بن جبل: من رأى أنّ [من كان] في المسجد ليس في الصلاة إلّا من كان قائماً فيه لم يفقه[٤].

وذكر في قوله تعالى: ﴿**اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾[٥] أنّ الرباط انتظار

---

(١) في النسخة: العالية، وما أثبتناه هو الأنسب، والأسماء الغالبة كالدابّة في الفرس والمال في الإبل. وعليه فإنّ المسجد وإن كان اسماً لمكان السجود إلّا أنّه غالب في معنىٰ خاص.
أُنظر: لسان العرب ١٣ : ٥٠٢، مادة (سنة)، مجمع البحرين ٢ : ٤٣٨، مادة (سنة).

(٢) في النسخة: الآنة، وما أثبتناه هو المناسب.

(٣) ديوان بديع الزمان الهمداني: ٤٧.

(٤) لم نعثر عليه في المصادر.

(٥) سورة آل عمران ٣: ٢٠٠.

**٥٧ـ آفَةُ الحَدِيْثِ الكَذِبُ، وآفَةُ العِلْمِ النِّسْيَانُ، وآفَةُ الحِلْمِ السَّفَهُ، وآفَةُ العِبَادَةِ الفَتْرَةُ، وآفَةُ الشَّجَاعَةِ البَغْيُ، وآفَةُ السَّمَاحَةِ المَنُّ، وآفَةُ الجَمَالِ الخُيَلاءُ، وآفَةُ الحَسَبِ الفَخْرُ وآفَةُ الظَّرْفِ الصَّلَفُ، وآفَةُ الجُودِ السَّرَفُ، وآفَةُ الدِّيْنِ الهَوَىٰ**[١].

**يقول:** نِعْمَ الشيء الحديث الذي يتحدث به الناس؛ لأنّه فائدة مستطرفة إلّا إذا

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

الصلاة؛ لأنّه لم يكن في عهد رسول الله رباط[٢].

وروي عنه عليه السلام أنّه قال: ***من أدخل سراجاً إلى المسجد غفر الله له ذنب سبعين سنة***[٣].

وسئل ابن عبّاس عن النوم في المسجد، قال: أمّا من يتخذه مبيتاً أو مقيلاً فلا، وأمّا أن يستريح فيه ساعة فلا باس، ويستحبّ للرجل إذا أراد الدخول إلى بعض المساجد أن يتعهّد نعله ويمسحه بالأرض، ويُدخل رجله اليمنى قبل اليسرى، وليقل: بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله صلى الله عليه وآله، صلّ على محمّد وآل محمّد، وافتح علينا أبواب رحمتك واجعلنا من عمّار مساجدك جلّ ثناء وجهك[٤].

وما روي في فضل المسجد أكثر من أن يحاط به نذكر بعضه إذا انتهينا إلىٰ موضع يليق به إن شاء الله.

**٥٧ـ آفَةُ الحَدِيْثِ الكَذِبُ، وآفَةُ العِلْمِ النِّسْيَانُ، وآفَةُ الحِلْمِ السَّفَهُ، وآفَةُ العِبَادَةِ الفَتْرَة، وآفَةُ الشَجَاعَةِ البَغْيُ، وآفَةُ السَّمَاحَةِ المَنُّ، وآفَةُ الجَمَالِ الخُيَلاءُ، وآفَةُ الحَسَبِ الفَخْرُ، وآفَةُ الظَّرفِ الصَّلَفُ، وآفَةُ الجُوْدِ السَّرَفُ، وآفةُ الدِّيْنِ الهَوَى.**

هذه أحد عشر حديثاً يشبه أن يكون عليه السلام قالها في مجلس واحد، لأجل ذلك

---

(١) المعجم الكبير ٣: ٦٩ / ٢٦٨٨، مجمع الزوائد ١٠: ٢٨٣، المحاسن ١: ١٧، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٢ / ٥٧٦٢، تحف العقول: ٦، وفي جميع المصادر وقع تقديم وتأخير لبعض الفقرات علىٰ بعض وكذلك لم ترد بعض الفقرات فيها.

(٢) التبيان ٣: ٩٥، مجمع البيان ٢: ٤٨٢، أحكام القرآن للجصاص ٢: ٥٧.

(٣) بحار الأنوار ٨٠: ٣٧٧، مستدرك الوسائل ٣: ٣٨٥ / ١، عن جامع الأخبار، وفيهما: من أدخل ليلة واحدة سراجاً في المسجد...

(٤) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٤، المقنع: ٨٨، النهاية: ١١٠، المهذّب لابن البراج ١: ٧٨.

دخل الكذب فيه، ولا يؤمن أن يكون المُخْبَر بخلاف ما يذكره المُخْبِر فيذهب بهاؤه ورونقه، والسامع لا يطمئنّ إليه ولا تسكن نفسه إلىٰ قبوله، وهذا نهي عن الكذب؛ فإنّه آفة وفساد في الحديث الذي هو زينة للقائل، وعيب في كلامه الذي يتميّز به من الحيوانات.

والآفة: الفساد، من قولهم: فلان مؤوف، إذا كان فاسد الرأي والعقل.

والحديث هنا فعيل بمعنىٰ المفعول، أي المحدّث به.

والكذب: خبر يكون مُخْبَره بخلاف الخبر، وكذلك النسيان والسفه والهوىٰ عبور[1] للعلم والحلم والدين وفساد لها، وكذا كلّ ما اتصل بأخواتها آفة تفسدها، وهذه أحد عشر حديثاً لعله قالها في مجلس واحد.

ومعنى الخبر الثاني: أنّه أراد إذا علمتم مسائل شرعية في العبادات ونحوه فاعملوا عليها وداوموا على العمل بها والمواظبة على قراءتها وتدرّسها؛ فإنّ ترك الشيء منها والإعراض عن تحفّظها عيب للعلم ومفسدة له.

---

جمعنا بينها.

الآفة: الفساد، من قولهم: فلان مؤوف إذا كان فاسد العقل والرأي.

والحديث فعيل بمعنى فاعل، أي حادث، وهو ضدّ القديم، يقال: قدم فهو قديم، حدث فهو حديث، وهاهنا فعيل بمعنى مُفَعَّل أي المحدّث به، ويكون بمعنى المُحْدَث، يقال: هذا أمر حديث وحادث ومحدث بمعنى.

والكذب: خبر يكون مُخْبَرة بخلاف الخبر.

***ومعنى الخبر:*** أنّ الحديث نِعْم الشيء؛ لأنّه فائدة مستظرفة لولا دخول

---

(١) وردت الكلمة في النسخة بدون تنقيط، وما أثبتناه أقرب ما يكون للسياق، وظاهراً أنّها مصحفة عن: عيوب. كما يأتي قوله: وعيب الحلم السفه.

والعلم: ما اقتضىٰ سكون النفس، وهو معنىً.

والنسيان: انتفاء العلم وليس بمعنىً، ولو كان معنىً لكان ضداً للعلم كالجهل وكذا السهو، ولا يجوز البقاء علىٰ العلم، فما كان من فعلنا نفعله حالاً بعد حال، فإذا لم يُفعل كان نسياناً وسهواً، وما كان من فعل الله فينا فهو بفعله حالاً بعد حال.

والنسيان: الترك أيضاً.

وأمّا الحلم: فهو وقار الرجل وهديه وسكونه وكظمه الغيظ. وأمّا السفه: فهو الخفة وقلّة العقل، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾[١] يعني النساء والصبيان، وإنّما جعل السفه آفة للحلم من حيث إنّه ضده؛ لأنّه لا يجتمع الخفّة والوقار، وعيب الحلم السفه وهو عرفاً الجهل، والتكلّم به ضعف الرأي.

وأمّا العبادة فهي التعبّد. والفترة: الضعف، وربّما كان من التواني والتقصير، فإذا ضعف المتعبّد أو توانىٰ وتكاسل في العبادة فهو كالآفة لها.

**الضوء في شرح الشهاب**

الكذب فيه، وأن لا يؤمن أن يكون المُخبَر بخلاف ما يخبره المُخبِر فيذهب بهاؤه ورونقه، والسامع لا يطمئن إليه ولا تسكن نفسه إلى قبوله.

وآفة العلم النسيان، حدّ العلم وحقيقته ما اقتضى سكون النفس وهذا القدر كافٍ في حدّ العلم؛ لأنّ الشيء إنّما يحدّ للكشف والإبانة، فلا يدخل فيه ماليس فيه، ولا يخرج منه ما هو منه فأمّا قول من قال: هو اعتقاد الشيء على ما هو به مع اقتضائه سكون النفس[٢]. فهو زيادة لا يحتاج إليه لإبانة المحدود عن غيره، وإن كان ذلك من حقّ العلم وحكمه غير أنّه لا يذكر في الحدّ؛ لما بيّنا.

والنسيان: انتفاء العلم وليس بمعنىً، ولو كان معنىً لكان ضدّاً للعلم كالجهل،

---

(١) سورة النساء ٤ : ٥.

(٢) الاقتصاد: ٩٢، التبيان ٢ : ٢١.

والفِعَالَة من أبنية الصناعة، كأنّه قال: من جعلها عادة له وكالصناعة التي تشتغل بها في أغلب الأحوال.

والشجاعة مصدر. والبغي في اللغة: الطلب، وصار بالعرف مخصوصاً بطلب ما ليس له أن يطلبه(١). والبغي في الشرع هو: الخروج على الإمام العادل(٢)، قال الله تعالىٰ: ﴿**فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**﴾(٣)، والمراد بالغيّ في الخبر ما ذكرناه، ويدخل فيه طلب ما ليس له من قطع الطريق.

والشجاع إذا تطاول مَنْ دونه تجبراً أو استكباراً قولاً وفعلاً ظاهراً وباطناً علىٰ مذهب الكبر دون التحدّث بالشكر فذلك العمل منه آفة لشجاعة.

وأمّا الخبر الآخر فمعناه آفة الجود أن يجود الرجل بماله ثمّ يمنّ على الآخذ، فيكون كما قال: ﴿**لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾(٤). والسماحة في غير هذا

---

وكذلك العلم لا يجوز عليه البقاء على المذهب الصحيح، فما كان من فعلنا ففعله حالاً بعد حال، فإذا لم نفعل كان سهواً أو نسياناً، وما كان من فعل الله تعالى فهو يفعله حالاً بعد حال.

والنسيان: الترك أيضاً، وعلى هذا فسّر قوله تعالى في قصّة آدم: ﴿**فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً**﴾(٥) أي ترك(٦).

والحِلم: وقار الرجل وسكونه وكظمه الغيظ، يقال: حلُم الرجل فهو حـليم،

---

(١) معجم مقاييس اللغة ١: ٢٧١، مادة (بغي).
(٢) جواهر الكلام ٢١: ٣٢٢، البحر الرائق ٥: ٢٣٤.
(٣) سورة الحجرات ٤٩: ٩.
(٤) سورة البقرة ٢: ٢٦٤.
(٥) سورة طه ٢٠: ١١٥.
(٦) التبيان ٧: ٢١٣، تفسير القرطبي ١١: ٢٥١.

الموضع: سهولة الجانب. والمراد بالسماحة هنا: السخاوة والعطية، يقول: إنّ من يمنّ بصنيعته على الغير ومعروفه ويخبر الناس عن فعله طالباً للثناء فذلك عيب وفساد لفعله.

وأمّا الجمال: فحسن الصورة واستواء الخلقة. والخيلاء: الكِبْر، أي إذا كان لك زينة وحسن هيئة باللباس فلا تفسدها بزهو وتكبّر. واختال أبو دجانة في الحرب وافتخر فقاتل بين يدي رسول الله فقال ﷺ: ***إنّها لخصلة يبغضها الله إلّا في هذا الموضع***[1].

وأمّا الحسب: فهو الذي يُعدّه المرء من مفاخر آبائه ومآثر نفسه، وآفته أن يفتخر به، نهىٰ أن يفخر بحسن الفِعَال المحمود من الخصال.

والظرف عند العرب: الكياسه والعقل وفصاحة اللسان. والصلف: قلّة الخير.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وفي حُلْم النّوم [حَلَمَ] يَحْلُم فهو حالم، وحَلِمَ الأدم[2] يَحْلَمُ حَلَمَاً فهو حلم، قال عمرو ابن عاص لمعاوية:

*فإنّك والكتاب إلى علي ... كدابغة وقد حلم الأديم*[3]

والسفه: الخفّة وقلّة العقل، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ**﴾[4] يعني النساء والصبيان، وإنّما جعل السفة آفة للحلم من جهة أنّه ضدّه؛ لأنّه

(١) المعجم الكبير ٧: ١٠٥، مجمع الزوائد ٦: ١٠٩، شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٥٣.
أُنظر: الكافي ٥: ٨ / ١٣، الاختصاص: ١٤٩، باختلاف يسير.

(٢) والحَلَمَةُ: دودة تكون بين جلد الشاة الأعلىٰ وجلدها الأسفل.
أُنظر: لسان العرب ١٢: ١٤٧، مادة (حلم).
وحلم الأديم: إذا تثقّب وفسد، وذلك أن يقع فيه الحلم وتفسده.

(٣) عين العبرة لابن طاووس: ٦٧، معجم مقاييس اللغة ٢: ٩٣، شرح نهج البلاغة ٣: ٩٤، وفيها أن القائل هو الوليد بن عقبة.

(٤) سورة النساء ٤: ٥.

**ومعنىٰ الخبر:** أنّ العقل والحظّ لا يجتمعان، فالأكثر في أحوال المرء أن لا تجتمع له العلم والمال فإنّه الكمال. وقيل: معناه: أنّه فصاحة اللسان أن [لا] يتكلّم بما لا خير فيه ولا فائدة في الدين[1].

والجود: والسخاء.

والسرف: الأخطاء، قال: ما في عطائهم مَنّ ولا سرف[2]، أي أخطاء ووضع في غير موضعه، وهذا دليل علىٰ أنّ السرف ليس من الإسراف.

**ومعنىٰ الخبر:** أنّ آفة الجود أن يضع العطية في غير موضعها، ويصنعها مع غير أهلها. والدين: الإسلام، أي آفته اتّباع الهوىٰ، علىٰ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والهوىٰ المراد به: الشهوة وهي من أُصول النعم فلا يكون آفة للدين، ولا بدّ من تقدير الحذف، قال الله تعالىٰ: ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**﴾[3].

---

لا يجتمع الخفة والوقار.

والعبادة: التعبّد، والفِعَالة من أبنية الصناعة كأنّه قال: من جعلها عادة له وكالصناعة التي يشتغل بها في أغلب الأحوال.

والفترة والفتور: الضعف، وربّما كان من التواني والتقصير، فإذا ضعف أو توانى وتكاسل في العبادة فهو كالآفة لها.

والشجاعة مصدر كالسماحة والظرافة، يقال: شجع الرجل فهو شجيع، والشجاع أبلغ منه كالطُوال[4] والكبير والكبار والعجيب والعجاب.

والبغي في اللغة: الطلب، وصار بالعرف مخصوصاً بطلب ما ليس له أن يطلبه.

---

(١) فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٣: ٥٦٨.

(٢) ديوان جرير: ٣٠٧، ويأتي تمام البيت في صفحة: ٣٠٣.

(٣) سورة النازعات ٧٩: ٤٠.

(٤) في النسخة: كالطول، وما أثبتناه من كتب اللغة وهو الصحيح.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



والبغاء: ـ بالضّم[١] ـ الطلب على الإطلاق. والبغاء. الزنا في قوله تعالى ﴿**وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ**﴾[٢]، وفيه معنى الطلب[٣].

والبغي في الشرع هو الخروج على الإمام العادل، قال الله تعالى: ﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللهِ**﴾[٤].

والمراد بالبغي في الخبر ما ذكرناه، ويدخل فيه طلب ما ليس له من قطع الطريق.

والسماحة المراد بها السخاوة في الخبر، وفي غير هذا الموضع سهولة الجانب، نقول منه: رجل سمح، ومن الأول: سمح اليدين كطلق اليدين، يقول: آفة الجود أن يجود الرجل بماله ثمّ يمنّ على الآخذ، فيكون كما قال تعالى: ﴿**لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى**﴾[٥].

وقيل: المنّ يفسد الصنيعة، قال:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . *ليس الجواد إذا أعطى بمنّان*[٦]

والكريم إذا قبل عطاؤه تحمّل المنّة من الآخذ، كما قال أبو الطيب:

---

(١) في النسخة: الضمّ.

(٢) سورة النور ٢٤: ٣٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة ١: ٢٧١، مادة (بغي).

(٤) سورة الحجرات ٤٩: ٩.

(٥) سورة البقرة ٢: ٢٦٤.

(٦) تفسير الثعلبي ٢: ٢٦٠، وتمام البيت:

أفسدت بالمن ما قدمت من حسن ليس الجواد إذا أعطى بمنّان

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

*يا ذا الذي يهب الكثير وعنده إنّي عليه بأخذه أتصدّق*[١]

وكما قال الطائي:

*يعطي عطاء المحسن الخضل النديّ عفواً ويعتذر اعتذار المذنب*[٢]

والجمال: حسن الصورة واستواء الخلقة.

والخيلاء: الزهو والكبر، وأصل الكلمة من خلت الشيء إذا ظننته وحسبته؛ وذلك لأنّ المتكبر يخال في نفسه ما ليس فيها، ومنه بيت الحماسة:

*فإن كنت سيّدنا سدتنا وإن كنت للخال فاذهب فخل*[٣]

فسّر على الوجهين[٤]: على الخيلاء والحسبان، يعني إن كنت للظن في استحقاق السيادة بما ليس فيك فاذهب فاحسب فليس لك مانع منه. وإن كنت للكبر والزهو فشأنك به فخلّ.

الحَسَب فَعَل، بمعنى مفعول، وهو ما يحسبه الرجل مفاخر آبائه، وآفته أن يفتخر الرجل به ويذكره في نظمه ونثره، ويقوم به ويقعد في المجامع والمحافل.

الظرف عند العرب: العقل والكياسة، وفلان ظريف أي عاقل كيّس، فأمّا استعمال هذه اللفظة في حُسن المعاشرة وسماحة الطبع فهو من كلام البغداديين، ومن هذا مثلهم قولهم: أظرف من الزنديق. قيل: أرادوا به عبد الكريم بن أبي العوجاء وكان رأساً من رؤوس الزنادقة، وقيل: اللّام للجنس، لأنّ الزنديق لا يتورّع

---

(١) ديوان المتنبّي: ٥٦.

(٢) ديوان أبي تمام: ١٩.

(٣) الوافي بالوفيات ٤: ١٠٠، تاريخ مدينة دمشق ١٩: ٥٠٢.

(٤) في النسخة: الوجهي.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

عن المحارم فيوافق طبعه طبع من أراده على كلّ ما أراد من سائر أنواع المعاصي[١].

والصلف: قلّة الخير، من قولهم: صلفت المرأة، إذا لم تحظ عند زوجها، ومنه المثل: ربّ صلف تحت الراعدة[٢]، يعني: ربّ خيبة وحرمان ومخالفة حسن ظنّ بالسحابة التي تأتي بالرعد، فإنّها ربّما ترعد[٣] ولا تمطر، يضرب فيمن تظن فيه خيراً ولا يكون عنده ذلك.

**ومعنى الخبر:** أنّ العقل والحظ لا يجتمعان، فالأكثر في أحوال الإنسان أن لا يجتمع له العلم والمال[٤]، ومن هذا قول أبي الطيّب:

*وما الجمع بين الماء والنار في يدي ... بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما*[٥]

وقيل لبعض الحكماء: لِمَ لَم يجتمع العلم والمال؟ قال: لعدم الكمال[٦].

الجود: السخاء، يقال: فلان جواد: بيّن الجود، وفرس جواد: بيّن الجودة، وشيء جيّد: بيّن الجودة، وجادت السماء تجود جوداً إذ أمطرت مطراً كثيراً.

والسرف: الأخطاء، يقال: مررت بكم فسرقتكم[٧]، أي أخطأتكم وغفلت عنكم، قال جرير:

---

(١) أمالي المرتضى ١ : ٩٩.

(٢) الصحاح ٤ : ١٣٨٧، ماده (صلف)، لسان العرب ٩ : ١٩٧، مادة (صلف).

(٣) في النسخة: تعد، وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٤) في النسخة: العمال.

(٥) ديوان المتنبّي: ١٥٧.

(٦) فيض القدير ٤ : ٥١٤ / ٥٧٢٠، ربيع الأبرار ١ : ٤٣٣، محاضرات الأُدباء ٢ : ٢٩٤، وفي جميع المصادر: (لعزة الكمال) بدل (لعدم الكمال).

(٧) في النسخة: فصرفتكم، والصحيح ما أثبتناه.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

*أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم منّ ولا سرفُ*[١]

أي أخطاء ووضع في غير موضعه، وفي البيت دليل على أنّ السرف ليس من الإسراف؛ لأنّه قال: أعطوا هنيدة، وهي مائة من الإبل تسوقها ثمانية سوّاق[٢]، ثمّ قال: ما في عطائهم منّ ولا سرف، أي أخطاء لموضعه[٣]، ولو أراد الإسراف لكان متناقضاً؛ لأنّ إعطاء لمائة من الإبل إسراف.

**ومعنى الخبر**: آفة الجود أن يضع العطيّة في غير موضعها ويضعها مع غير أهلها.

وآفة الدّين الهوى، أراد بالدّين الإسلام كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ**﴾[٤] والمراد بالهوى اتباع الهوى على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾[٥] ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ**﴾[٦] وكقول الشاعر:

*وكيف تواصل من أصبحت خلالته كأبي مرحب*[٧]

وهذا كثير جدّاً إلّا أنّه لا يجوز إلّا حيث لا يشتبه ولا يلتبس، فلو قلت: جاءني زيد، ثمّ تزعم أنّي أردت غلام زيد، فحذفت المضاف وأقمت المضاف إليه مقامه لم يجز. والهوى المراد به الشهوة، وهي من أُصول النعم، فلا تكون آفة للدين.

---

(١) ديوان جرير: ٣٠٧.
(٢) في النسخة: سائق، وما أثبتناه هو الموافق للقواعد.
(٣) هكذا قرأنا العبارة.
(٤) سورة آل عمران ٣: ١٩.
(٥) سورة يوسف ١٢: ٨٢.
(٦) سورة الفجر ٨٩: ٢٢.
(٧) أمالي المرتضى ١: ١٤٤، لسان العرب ١: ٤١٦، والشاعر هو النابغة الجعدي.

**٥٨ـ السَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، والشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ**[١].

**يقول:** اتّعظ بغيرك ممّن كان قبلك ومعك؛ فإنّ السعيد من نظر إلىٰ أحـوال غيره واعتبر به؛ لأنّه إن اتّعظ بغيره انتفع باتّعاظه ولا يمكنه ان يتّعظ بنفسه، مثاله: إذا رأيت إنساناً قتل نفساً ظلماً فاقتُصّ منه وقُتل بالمقتول قوداً، صار ذلك لطفاً لك تتّعظ به وتزدجر عن مثل ذلك؛ لئّلا يُفعل بك ما فُعل به بعد القتل.

والسعادة يستعمل عرفاً في الحظّ والبخت، يقال: سعد جّده.

وروي: ***السعيد من اتّعظ بغيره***[٢]. أي من يعتبر بـفعل الأغـيار بـما يـجري عليهم من الحدود والأحكام عند اكتساب الآثـام فـيمسك عـن مـثل ذلك سـرّاً وعلانية فلا يوقع نفسه في الهوان فهو السعيد حقاً.

والقرينة الأُخرىٰ له معنيان:

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**٥٨ـ السَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في بَطْنِ أُمِّهِ.**

السعادة تستعمل في العرف في الحظ والبـخت، يـقال: سـعد جـدّه، وهـو البخت، وسعد الرجل يسعد سعادة، فهو سعيد، وسعد فهو مسعود، لازم ومتعّد، وأسعده الله إسعاداً. والإسعاد: المساعدة.

وقرئ قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا**﴾[٣] على وجهين[٤]، يقال. وعـظت الرجل اعظه وعظاً وعظة، كوعدته وعداً وعدة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٧ / ٥٧٧٧، ٥٧٧٨، المـصنّف لعـبد الرزاق ١١: ١١٦ / ٢٠٠٧٦، المعجم الأوسط ٨: ٣١.

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٤٧.

(٣) سورة هود ١١: ١٠٨.

(٤) بضمّ السين وفتحها، أي «سُعدوا» و «سَعدوا».
أُنظر: مجمع البيان ٥: ٣٢٩.

**أحدهما:** أنّ الشقيّ حقّ الشقيّ من علم الله أنّه سيشقىٰ بفعله من اختيار الكفر والمعصية وهو في بطن اُمّه، لا مَن يكون فقيراً مسكيناً يشقىٰ لاحتياجه في الدنيا.

**والوجه الآخر:** أنّه عليه السلام أراد بالأُمّ جهنّم، من قوله: ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ**﴾[1] أي الشقي كلّ الشقي من شقى في نار جهنّم، وهي شقاوة لا شقاوة مثلها، ومن كان في الدنيا في شدّة وشقاوة إنّما يكون ذلك سبب السعادة.

وقيل: المراد ببطن الأُمّ القبر الذي مرجعنا إليه، وتسميته في بطن اُمّه شقيّاً

---

ويروى: ***السعيد من اتّعظ بغيره***[2]. يقال: وعظته فاتّعظ، أي قبل الوعظ.

**ومعنى الخبر:** أنّ السعيد من نظر إلى أحوال غيره فاعتبر به؛ لأنّه إن اتّعظ بغيره انتفع باتّعاظه، وإن اتعظ بنفسه لم ينفعه اتّعاظه به، مثلاً إذا رأى إنساناً قتل نفساً ظلماً فاقتصّ منه وقتل بالمقتول قوداً، صار ذلك لطفاً له يتّعظ به ويزدجر عن مثل ذلك؛ لئلّا يفعل به ما فعل بالقاتل ظلماً، فإذا لم يعتبر به وقتل إنساناً عمداً فقيد إلى القصاص اتّعظ بنفسه فلا ينفعه الاتّعاظ بقتله بعد القتل.

والشقيّ ضدّ السعيد، يقال: شَقِيَ يَشْقَىٰ شَقَاوَةً.

وقيل في معنى الخبر وجهان:

**أحدهما:** أنّ الشقي حقّ الشقي من علم الله أنّه سيشقي بفعله من اختياره الكفر والمعصية وهو في بطن اُمّة، من حيث إنّه علم الله ذلك منه، والمعلوم لا يتغيّر إلّا أنّ العلم يتعلق بالمعلوم على ما هو به ولا يجعله على ما هو به، فهو في هذا المعنى كالإدراك، فإنّه يتعلّق بالمدرك على ما هو به، ولا يجعله على ما هو به،

---

(١) سورة القارعة ١٠١: ٩.

(٢) الكافي ٨: ٧٤ / ٢٩ و: ٨١ / ٣٩، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٦ / ٥٧٧٧، المصنّف لعبد الرزاق ١١: ١١٦ / ٢٠٠٧٦.

على الوجه الأول نوع من المبالغة، أي سيصير كذلك لا محالة، كقولك: إنّك ميت. أي ستموت، وإنّ الله تعالىٰ إذا كان عبد في بطن اُمّه يكتب على اللوح المحفوظ أنه يصير شقيّاً؛ لاختياره الكفر لطفاً للملائكة.

**٥٩ـ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةُ**[١].

**يقول:** إذا أذنبت ذنباً، ثمّ ندمت عليه وتبت منه، وقبل الله توبتك، فإن كان فيه كفّارة ولا تقدر عليها لفقر بك فإنّ ندامتك كافية ومجزية عن الكفّارة وتقوم مقامها، وذلك فضل الله تعالى. والكفّارة: ما يستر به الذنب.

**ـــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

فالعلم يتبع المعلوم والمعلوم لا يتبع العلم، ومثاله: إنّ زيداً إذا كان أسود علم الله [أنّه] أسود، فعِلْمُ الله لم يصيّره أسود، بل عَلِمَ الله [أنّه] أسود؛ لأنّه كان أسود.

أمّا تسميته في بطن اُمّه شقّياً فهو نوع من المبالغة، أي سيصير كذلك لامحالة، كقوله تعالى ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾[٢] أيّ إنّك ستموت وإنّهم سيموتون.

**والوجه الآخر:** أنّه عليه السلام أراد بالأُمّ جهنّم، من قوله تعالى: ﴿**فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ**﴾[٣] أيّ الشقي كلّ الشقي من شقي في نار جهنّم، وهي شقاوة لا شقاوة مثلها.

**٥٩ـ كَفَّارَةُ الذَّنْبِ النَّدَامَةِ.**

قد بيّنا معنى الندم والندامة، وأنّها غمّ وأسف على ما فات.

والكفّارة: اسم للتّكفير، وهو الستر في اللغة، ومنه يقال للّيل كافر، قال لبيد:

*حتّى إذا ألقت يداً في كافر ... وأجنّ عورات الثغور ظلامها*[٤]

---

(١) مسند أحمد ١: ٢٨٩، مجمع الزوائد ١٠: ١٩٨، المعجم الكبير ١٢: ١٣٤.
(٢) سورة الزمر ٣٩: ٣٠.
(٣) سورة القارعة ١٠١: ٩.
(٤) ديوان لبيد: ١٧٦.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

وللزارع كافر؛ لستره الحبّ في الأرض، قال الله تعالى: ﴿**أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ**﴾[1] أي الزراع، قال لبيد:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . *في ليلة كفر النجوم غمامها*[2]

والكفر من هذا؛ لأنّه ستر نعمة الله على نفسه وجحوده بها، ومنه الكفري لغلاف التمر.

وفي الاصطلاح: غفران الله لذنوب العباد[3].

**والمعنى:** أنّ العبد إذا ندم على ما فرّط منه من المعاصي يصير ذلك الندم سبباً لغفران ذنوبه فالساتر والغافر والمكفّر هو الله بفضله وكرمه.

وإضافتها إلى الندامة من حيث إنّها وقعت عندها وكان سبباً لها كإضافة زيادة الإيمان والكفر إلى السورة في قوله: ﴿**وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ**﴾[4] أضاف زيادة الإيمان والكفر إلى السورة، وهي في الحقيقة من فعلهم، ولكنّه لمّا ازداد المؤمنون عند نزول السورة إيماناً، وازداد المنافقون عند نزولها كفراً إلى كفرهم أضاف تلك الزيادة إلى السورة لمّا كانت عند نزولها وإن كانت من فعل المكلّفين على سبيل التوسّع والمجاز، كما أضاف الشاعر ردّ المستعير إلى العافي في قوله:

---

(١) سورة الحديد ٥٧ : ٢٠.

(٢) ديوان لبيد: ١٧٢، وتمام البيت:

يعلو طريقة متنها متواتر ... في ليلة كفر النجوم غمامها

(٣) التبيان ٣ : ٤٦٨، بحار الأنوار ٦٦ : ٣٥٢، مجمع البحرين ٤ : ٥٣.

(٤) سورة التوبة ٩ : ١٢٤ و١٢٥.

**٦٠ـ الجُمُعَةُ حَجُّ المَسَاكِيْنِ**[١].

أراد به تطبيب قلوب الفقراء وتسليتهم، يقول: إنْ لم يمكنهم الحجّ ويريدون أن يكون لهم مثل ثواب الحجّ فعليهم أن يحضروا الجامع لأداء صلاة الجمعة مع الإمام، وهذا علىٰ حذف المضاف، يعني: ثواب صلاة الجمعة للمساكين الذين

**ـــــــ الضوء في شرح الشهاب**

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . *إذا ردّ عافي القدر من يستعيرها*[٢]

العفوة: بقيّة المرق في القدر، والعافي لا يردّ المستعير إنما يردّه صاحب القدر بعلّة العافي ولكنّه لمّا كان الردّ بسببه أضاف الردّ إليه، وهذا من باب الإسناد المجازي في علم البيان، وهو إسناد الفعل غلى مسبّبه.

والتوبة ليست بمسقطة للعقاب؛ لأنّ ذلك إحباط، وهو باطل عندنا.

ومعنى هذا الحديث ومعنى قوله: ***الندم توبة***[٣] واحد.

**٦٠ـ الجُمُعَةُ حَجُّ المَسَاكِيْنِ.**

أي صلاة الجمعة وحضور الجامع لأداء صلاة الجمعة مع الإمام، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

يعني: ثواب صلاة الجمعة للمساكين الذين لا استطاعة لهم للحجّ.

والجمعة اسم لليوم الذي هو بعد الخميس وقبل السبت؛ وإنّما سمّيت جمعة لاجتماع الناس فيها الصلاة الجماعة.

أمّا الأخبار في فضل يوم الجمعة والحضور للجماعة في مسجد الجامع أكثر

---

(١) كنز العمال ٧: ٧٠٧ / ٢١٠٣١، ميزان الاعتدال ٣: ٣٠٩، الدعوات: ٣٨ / ٩١، دعائم الإسلام ١: ١٨١، وفيه: التهجير إلىٰ الجمعة حجّ فقراء أُمّتي.

(٢) الصحاح ٦: ٢٤٣٢، مادة (عفا)، والبيت لعوف بن الأحوص، وتمامه:

فلا تسأليني واسألي عن خليقتي ... إذا ردّ عافي القدر من يستعيرها

(٣) تقدّم برقم: ٧ من الضياء والضوء.

لا استطاعة لهم بالحجّ كثواب الحجّ؛ وقال عليه‌السلام: ***من اغتسل يوم الجمعة، ولبس أطهر ثيابه، وتطيّب بطيب كان عنده، وحضر الجامع، واستمع إلىٰ خطبة الإمام، وصلّىٰ صلاة الجمعة، غفر الله له ما بين الجمعتين***[1].

وقال: ***هممت أن اُحرق علىٰ قوم منازلهم؛ تركوا الجمعة بغير عذر***[2].

وسمّي هذا اليوم الجمعة لاجتماع الناس لصلاة الجماعة. وقيل: إنّ الله نسب الحجّ إلىٰ الأغنياء في الأصل فيدخل فيه الفقراء، ونسب رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله الجمعة إلى المساكين ليدخل الأغنياء فيها تبعاً.

---

من أن تحصى، منها:

ما رواه أبو هريرة: أنّ النبي عليه‌السلام قال: ***يوم الجمعة خير يوم طلعت فيه الشمس، وخلق الله آدم يوم الجمعة، وأهبطه إلى الأرض يوم الجمعة، وتوفّي يوم الجمعة، ويوم القيامة يكون يوم [الجمعة] وما من دآبة إلّا تسبّح لله يوم الجمعة من خوف القيامة غير الثقلين، وفي هذا اليوم ساعة لا يردّ فيها الدعاء***[3].

وروي عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: ***رأيت جبرئيل ذات يوم على صورة لم أرَ مثلها حسناً وجمالاً، على وجهه خال أسود لم يرَ مثله حسناً وملاحة، قلت: يا أخي جبرئيل، لم أرك على هذه الصورة قط، قال: هذه صورة يوم الجمعة، قلت: فما هذا الخال؟ قال: هو ساعة الإجابة، ما من مؤمن يدعو الله في هذه الساعة ويسأله حاجة إلّا أعطاه سؤله، ويذّخر له خيراً منها يوم القيامة،***

---

(١) المعجم الأوسط ٧: ٢٤٥، كنز العمال ٧: ٧٦١ / ٢١٢٩٠.

(٢) السنن الكبرىٰ ٣: ٥٦، المصنّف لعبد الرزاق ٣: ١٦٦ / ٥١٧٠، باختلاف.

(٣) مسند أحمد ٢: ٤٨٦، سنن أبي داود ١: ٢٣٦، المستدرك على الصحيحين ١: ٢٧٨، باختلاف في جميع المصادر.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***ويصرف عنه المكاره، وهو خير الأيّام عند الله، ثمّ قال: يوم الجمعة وليلته أربع وعشرون ساعة في كلّ ساعة من ساعتهما ستمائة عتيق من النار***[(١)].

وروى عبدالله بن مسعود: أنّ النّبي عليه السلام قال: ***هممت أن أحرق على قوم منازلهم تركوا الجمعة بغير عذر.***

وروى جابر بن عبدالله الأنصاري: أنّ النبي عليه السلام قال: ***من ترك حضور الجماعة ثلاث جمعات متواليات طبع الله على قلبه***[(٢)].

وروى سلمان الفارسي رضي الله عنه: أنّ النبي عليه السلام قال: ***من اغتسل يوم الجمعة، ولبس أطهر ثيابه، وتطيّب بطيب كان عنده، وحضر الجامع واستمع إلى خطبة الإمام وصلّى صلاة الجمعة غفر الله له ما بين الجمعتين***[(٣)].

وقال عليه السلام: ***رأيت ليلة أُسري بي تحت العرش سبعين مدينة مملوءة من الملائكة يسبّحون الله ويقدّسونه، ويقولون [في] تسبيحه: اللّهمّ اغفر لمن شهد الجمعة، اللّهمّ اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة***[(٤)].

وقيل: يوم الجمعة في الأيام كالعروس، وجاء في الحديث أنّه عليه السلام سمّى الجمعة عروساً[(٥)].

وقد صنّف في فضل يوم الجمعة تصانيف وهذا القدر كافٍ ها هنا.

---

(١) مستدرك الوسائل ٦: ٦٢ / ١٢، باختلاف.

(٢) المعجم الكبير ١: ١٧٠ / ٤٢٢، مجمع الزوائد ٢: ١٩٣، باختلاف فيهما.

(٣) سنن الدارمي ١: ٣٦٢، صحيح البخاري ١: ٢١٨.

(٤) تفسير الثعلبي ٩: ٣١٥، تفسير القرطبي ١٨: ١١٩، باختلاف.

(٥) أمالي الصدوق: ٤٨٠ / ٧، روضة الواعظين: ٣٣٢، أمالي الطوسي: ٤٣٧ / ٣٤، وفي جميع المصادر عن الإمام الباقر عليه السلام.

**٦١ـ الحَجُّ جِهَادُ كلِّ ضَعِيْفٍ، وجِهَادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ**[١].

أظهر عليه السلام هاهنا وفي الخبر الأول عذر من كان ضعيفاً عن بعض العبادة الشاقّة بما هو أسهل فيها، فقال أولاً: إنّ المسكين لمّا لم يمكنه الحجّ فإذا تمنّىٰ ثواب الحاجّ جعل له عبادة يقوم مقام الحجّ في حصول الثواب لا في سقوطه عنه إذا وجد الاستطاعة، وهو صلاة الجمعة مع الإمام العدل ومن يقوم مقامه في الجامع. وكذلك من كان عاجزاً عن الجهاد لعجزه لضعفه وأراد أن يدرك ثواب

---

**٦١ـ الحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيْفٍ، وجِهَادُ المَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ.**

الحجّ في اللغة: القصد[٢].

وفي الشرع: القصد إلى بيت الله الحرام لأداء مناسك مخصوصة هناك[٣]. وهو من الأسماء المخصوصة.

والجهاد في اللغة: المجاهدة[٤]؛ لأنّ الفِعَال في مصدر فَاعَلَ قياس مطّرد.

وفي الشرع: قتال من يجب قتاله في شرع الإسلام[٥]، وهو أيضاً من الأسماء المخصوصة.

والضعيف في اللغة ضدّ القوي، ومرجعه إلى انتفاء القدرة أو نقصانها.

**والمعنى:** من لم يقوَ على جهاد الكفّار وكان مستطيعاً للحجّ فليحجّ؛ فإنّ

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٦ / ٥٩٠٤، مستدرك الوسائل ٨: ٨ / ٥، مسند أحمد ٦: ٢٩٤، كنز العمال ١٥: ٩٠٧ / ٤٣٥٦٦، وفي الكافي ٤: ٢٥٩ / ٢٨ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحج جهاد الضعيف، ثمّ وضع أبو عبد الله يده في صدر نفسه، وقال: نحن الضعفاء ونحن الضعفاء.

(٢) الصحاح ١: ٣٠٣، مادة (حجج).

(٣) المبسوط ١: ٢٩٦، تذكرة الفقهاء ٧: ٧، الدروس ١: ٣٠٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث ١: ٣١٩، مجمع البحرين ١: ٤١٧ مادة (جهد).

(٥) شرح اللمعة ٢: ٣٧٩، جواهر الكلام ٢١: ٣.

المجاهدين، فأمره بالحجّ وبيّن أنّ له في حجّه ثواب من جاهد في سبيل الله إذا كان معذوراً في قعوده عن الجهاد، وكذلك المرأة إذا سمعت ثواب المجاهدين فكأنّها تمنّت ذلك، فقيل لها: جهادك حسن خدمتك لبعلك، وحسن معاشرته، وترك الغيرة على ضرائرك.

وروي أنّ امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: أنت رسول الله الىٰ الرجال والنساء، كتب الله الجهاد علىٰ الرجال، فإن استشهدوا كانوا أحياء مرزوقين، ونحن نساء نقوم علىٰ المرضىٰ ونداوي الجرحىٰ، فما لنا من الآخرة؟ فقال: ***يا وافدة النساء إنّ طاعة الزوج والاعتراف بحقّه يعدل ذلك كلّه***(١).

وقال: ***المرأة إذا صلّت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها،***

الضوء في شرح الشهاب

الحجّ منه كالجهاد في ثواب المجاهدين.

والمرأة وجمعها النساء على غير لفظها.

والتبعّل تفعّل من البعولة، وفسّره القاضي بملاعبة المرأة بعلها وحسن عشرتها معه(٢).

والأحاديث الثلاثة متقاربة المعنى في أنّ النبيّ ﷺ أظهر عذر من كان ضعيفاً عن بعض العبادة الشاقة بما هو أسهل منها، فقال: ***الجمعة حجّ المساكين***؛ لأنّ المسكين لا يمكنه الحجّ مع المسكنة، فإذا تمنّى ثواب الحاج جعل ﷺ له عبادة تقوم مقام الحجّ في حصول الثواب لا في سقوطه عنه إذا وجد الاستطاعة، وهو صلاة الجمعة مع الإمام في الجامع.

وكذلك من كان عاجزاً عن الجهاد لضعفه، وأراد أن يدرك ثواب المجاهدين

---

(١) كنز العمال ١٦: ٦١٠ / ٤٦٠٤٢، مجمع الزوائد ٤: ٣٠٥، بحار الأنوار ١٠١: ٣٠٦.

(٢) النهاية في غريب الحديث ١: ١٤١، لسان العرب ١١: ٥٨، مادة (بعل).

***وأطاعت بعلها، فلتدخل من أي أبواب الجنّة شاءت***[١].

وعن الصادق عليه السلام: ***الضعفاء شيعتنا والحجّ جهادهم***[٢] وهذا إشارة إلى أنّ الجهاد من شرطه حضور الإمام، فإذا لم يمكنهم مجاهدة العدو في حال الغيبة فالحجّ هو الجهاد.

والحجّ: القصد إلىٰ بيت الله شرعاً. والجهاد: قتال مَنْ يجب قتاله، وهما من الأسماء المخصوصة. والضعيف في اللغة: ضدّ القوي، ومرجعه إلىٰ انتفاء

---

فأمره بالحجّ، وبيّن أنّ له في حجّه ثواب من جاهد في سبيل الله إذا كان معذوراً في قعوده عن الجهاد.

وكذلك المرأة إذا سمعت ثواب المجاهدين وكأنّها تمنّت ذلك، فقيل لها: جهادك حسن خدمتك لبعلك، وحسن معاشرته، وترك الغيرة على ضرائرك.

روى سعيد بن كريب أنّ امرأة أتت النبي عليه السلام وقالت: يا رسول الله، أنّا وافدة النساء إليك، ما من امرأة تسمع مقالتي إلى يوم القيامة إلّا سرّتها، الله ربّ الرجال والنساء، وأنت رسول الله إلى الرجال والنساء، كتب الله الجهاد على الرجال فإن استشهدوا كانوا أحياء مرزوقين، وإن ماتوا وقع اُجورهم على الله، وإن رجعوا آجرهم الله، ونحن نساء نقوم على المرضى ونداوي الجرحى فما لنا من الأجر؟

فقال عليه السلام: ***يا وافدة النساء، إنّ طاعة الزوج والاعتراف بحقّه يعدل ذلك كلّه.***

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٠١، مجمع الزوائد ٤: ٣٠٦، صحيح ابن حبّان ٩: ٤٧١، وروي هذا الحديث في الكافي ٥: ٥٥٥ / ٣ ومن لا يحضره الفقيه ٣: ٤٤١ / ٤٥٣١: عن الإمام أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) في ثواب الأعمال: ٤٩ عن الإمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام قال: الحجُّ جهاد الضعفاء وهم شيعتنا.

القدر[ة] أو نقصانها، أي من لم يقوَ علىٰ جهاد الكفّار مستطيعاً للحجّ فإنّه منه كالجهاد.

وفُسّر التبعّل القاضي بملاعبة[١] المرأة بعلها ـ زوجها ـ وحسن عشرتها معه[٢].

والمرأة إذا جاهدت نفسها في خدمة الزوج فهو الجهاد الأكبر.

**٦٢ـ طَلَبُ الحَلاَلِ جِهَادٌ[٣].**

**يقول:** اطلب الحلال، وجاهد نفسك والشيطان في طلبه واجتناب الحرام؛

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وقال عليه السلام: ***لا تؤذي امرأة زوجها إلّا قالت امرأة من الحور العين لا تؤذيه، قاتلك الله، فإنّه عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا***[٤].

وقال عليه السلام: ***أي امرأة دعاها زوجها إلى فراشه فأبت خرجت من حسناتها كما تخرج الحيّة من جلدها***[٥].

وقال عليه السلام: ***المرأة إذا صلّت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أيّ أبواب الجنّة شاءت.***

وقال عليه السلام: ***نظر المرأة إلى وجه زوجها عبادة وتكفير للذنوب***[٦].

**٦٢ـ طَلَبُ الحَلاَلِ جِهَادٌ.**

ويروى: ***كسب الحلال.***

---

(١) في النسخة: بملاعنة وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) تاج العروس ١٤ : ٥٧ ـ ٥٨.

(٣) كنز العمال ٤ : ٦ / ٩٢٠٥، ميزان الاعتدال ٤ : ٣٣.

(٤) مسند أحمد ٥ : ٢٤٢، سنن ابن ماجة ١ : ٦٤٩، سنن الترمذي ٢ : ٣٢٠، وفيها: (زوجته من الحور) بدل (امرأة من الحور).

(٥) روضة الواعظين: ٣٧٥، مسند أحمد ٢ : ٤٣٩، صحيح البخاري ٤ : ٨٤، وفي الجميع: (لعنتها الملائكة حتّىٰ تصبح) بدل (خرجت من حسناتها كما تخرج الحيّة من جلدها).

(٦) لم نعثر عليه في المصادر.

وإنّما قال ذلك لأنّ نفس بني آدم تميل إلى الحرام، فإذا خالفها لرضا الله يكون ذلك من أكبر الجهاد، ولذلك سمّاه رسول الله: ***الجهاد الأكبر***. حين رجع عن بعض الغزوات فقال: ***رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر***، قيل: ما الجهاد الأكبر؟ قال: ***طلب الحلال***[١]. وروي: ***طلب كسب الحلال***[٢]. والكسب: فعل يجرّ به المنفعة.

---

الطلب معروف. والكسب: فعل يجر المنفعة، ومنه قيل لجوارح الطير: كواسب، قال لبيد:

*لمعفر قهد تنازع شلوه غبس كواسب ما يمنّ طعامها*[٣]

يعني الذئاب، وما سوى ذلك غيره معقول، ونقول لهم: فسّروا الكسب الذي ادّعيتم[٤]، فإن قالوا: الكسب ما يفعل بالقدرة المحدثة، [نقول:]إن عنيتم أنّها تحدث بالقدرة المحدثة فهو ما نقوله في الإحداث، وإن أردتم أنّه ما يكتسب، ثمّ يقال لهم[٥]: ما تقول لهم ما تقولون في كسبكم هذا قديم هو أم محدث؟ ولا تقولون: إنّه قديم وإذا كان محدثاً فمن يحدثه؟ إن قلتم: نحن نحدثه فسلّمتم لنا

---

(١) الكافي ٥: ١٢ / ٣، وفيه: (جهاد النفس) بدل (طلب الحلال)، تفسير الرازي ٢٣: ٧٢، وفيه: رجعنا من الجهاد الأصغر إلىٰ الجهاد الأكبر.

وقال الرازي: والأولىٰ أن يحمل ذلك علىٰ كلّ التكاليف، فكلّ ما أُمر به ونهي عنه فالمحافظة عليه جهاد.

(٢) الذي عثرنا عليه في المصادر بهذه الصورة: طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة. روضة الواعظين: ٤٥٧، السنن الكبرىٰ ٦: ١٢٨، وله صور أُخرى.

(٣) ديوان لبيد: ١٧١.

(٤) كذا وردت العبارة، ولعلّه يوجد سقط هنا يتضمن مسألة وقع الخلاف فيها وتحديداً في معنى الكسب، فيطلب المصنّف ﷺ هنا من الآخرين تفسير الكسب... إلى آخر المناقشة.

(٥) كذا في النسخة، عبارات هذا المطلب مشوشة.

**٦٣ـ العِلْمُ لَا يَحِلُّ مَنْعُهُ**[١].

**معناه:** إذا أتاك المتعلِّم ـ وأنت عالم ـ مقتبساً علم الدين مستفيداً فلا تبخل عليه؛ لأنّ من لم يعلّمه فقد ارتكب محظوراً بمنعه العلم عن طالبه، إلّا إذا كان الطالب غير أهل لذلك؛ وقد روي عن الصادق عليه السلام: ***من منع العلم أهله فقد ظلمه*** ـ يعني الطالب ـ ***ومن بذله لغير أهله فقد ظلمه***[٢] ـ يعني العلم ـ.

**ـــــ الضوء في شرح الشهاب**

الإحداث، وإن قلتم: القديم تعالى محدثه فجعلتموه تعالى مكتسباً ولا تقولون بذلك.

وبيّنا معنى الجهاد، وإنّما جعل عليه السلام طلب الحلال جهاداً؛ لأنّ المؤمن يجاهد نفسه وهواه والشيطان في طلب الحلال واجتناب الحرام؛ ومن ذلك سمّاه رسول الله الجهاد الأكبر حين رجع عن بعض الغزوات، فقال: ***رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر***، قيل: وما الجهاد الأكبر؟ قال: ***طلب الحلال***.

**٦٣ـ العِلْمُ لا يَحِلُّ مَنْعُهُ.**

قد بيّنا معنى العلم، وأنّه ما يقتضي سكون النفس. وأراد به علم الدين، فإنّ المتعلّم إذا أتى العالم مقتبساً مستفيداً فيبخل[٣] عليه ولم يعلّمه فقد ارتكب حراماً بمنعه العلّم عن طالبه، إلّا إذا كان الطالب غير أهل لذلك فتهدر.

روي عن بعض الأئمّة أنّه قال: ***من منع العلم أهله فقد ظلمه*** ـ يعني الطالب[٤] ـ ***ومن بذله لغير أهله فقد ظلمه*** ـ يعني العلم.

---

(١) كنز العمال ١٠: ١٣٤ / ٢٨٦٧٠.

(٢) لم نعثر على هذا الحديث، ولعله حديثان ففي عيون الحكم والمواعظ: ٥٠٤: واضع العلم عند غير أهله ظالم له.

(٣) في النسخة زيادة: فنجعل.

(٤) في النسخة: الطلب، ولعلّها تصحيف ما أثبتناه.

## ٦٤ـ مَوْتُ الغَرِيْبِ شَهَادَةٌ[١].

**يقول:** إذا فارق مؤمن بلده ومسقط رأسه في طاعة أو مباح أو ضرورة، ومات في غربته بعيداً عن الأموال والولد والأحبّاء والأقرباء، مشتاقاً إلىٰ لقائهم غير عالم بأحوالهم، يحصل له من الغمّ والحسرة ما لا يعلم كنهه إلّا الله، فهو مستحقّ من الأجر بالصبر علىٰ ذلك ومن الأعواض[٢] ما يقابل أو يقارب أجر شهيد.

---

وعلى هذا قول بعضهم:

*فمن حوى العلم ثمّ ضيّعه ... بجهله غير لأهله ظلمه*

*وكان كالمبتني البناء إذا ... أتمّ ما قد أراده هدمه*[٣]

ومن ها هنا قال علي عليه السلام في حقّ أبي ذرّ: **عالم شحيح على علمه**[٤]. يعني يبخل بعلمه علىٰ غير أهله.

## ٦٤ـ مَوْتُ الغَرِيبِ شَهَادَةٌ.

ذهب بعض الناس[٥] أنّ الموت معنى يضاد الحياة[٦]، والصحيح: أنّه ليس بمعنى، ومرجعه إلى انتفاء الحياة، بدلالة أنّ من علم انتفاء الحياة علم الموت، ومن لم يعلمه لم يعلم الموت من غير أن يحتاج إلى علم شيء آخر، ولو كان معنى لوجب أن يوجب صفة للميّت، وقد اتفقنا على أنّه ليس للميّت بكونه ميّتاً صفة.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ١ : ١٣٩، مجمع الزوائد ٢ : ٣١٧.

(٢) في النسخة: الإعراض، وما أثبتناه هو الأنسب.

(٣) طبقات الشافعية الكبرى ١ : ٣٠٠، ونسبت الأبيات فيه إلى الشافعي، وتمامها:

العلم من شرطه لمن خدمه ... أن يجعل الناس كلّهم خدمه

وواجب صونه عليه كما ... يصون في الناس عرضه ودمه

(٤) المعيار والموازنة: ٣٠٠.

(٥) في النسخة زيادة: التي.

(٦) التبيان ٣ : ٧، شرح مسلم للنووي ١٧ : ١٨٥.

وقيل: له معنىً آخر وهو أنّه عليه السلام أراد من مات في غربة الإسلام مات شهيداً، يعني: من مات في آخر الزمان مؤمناً ـ لأنّه أوان[1] غربة الإسلام ـ يحوز ثواب شهادة القتيل في سبيل الله.

وقيل: المراد بالغربة التي في الخبر في زمان النبي عليه السلام؛ لأنّ أكثرها في الهجرة والغزو ونحوها، والعموم يتناول جميع ذلك.

**٦٥ـ الشَّاهِدُ يَرَىٰ مَا لَا يَرَىٰ الغَائِبُ**[2].

***معنىٰ الخبر:*** مثل يضرب في موضع يريد الرجل أن يعمل على ظنّه، فيقال: فتّش عن هذا الأمر وتبيّن واشهد بنفسك أو برأيك؛ فإنّ الحاضر يرىٰ ما لا يراه

**الضوء في شرح الشهاب**

والغريب: من فارق بلده ومسقط رأسه. فمن مات في الغربة بعيداً عن الأهل والولد والأحبّاء والأقرباء مشتاقاً إلى لقائهم غير عالم بأحوالهم يحصل له من الغمّ والحسرة مالا يعلم كنهه إلّا الله، فهو يستحقّ من الأجر بالصبر على ذلك من الأعواض ما يقابل أو يقارب أجر شهيد.

ومثله قوله عليه السلام: ***من مات غريباً مات شهيداً***[3].

وقيل: في معنى هذا الخبر وجه لطيف وهو أنّه عليه السلام أراد من مات في غربة الإسلام، كقوله عليه السلام: ***الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ فطوبى للغرباء***[4].

**٦٥ـ الشَّاهِدُ يَرى مَا لَا يَرَىٰ الغَائِبُ.**

المراد بالشاهد هاهنا الحاضر، يقال: شهدت الأمر والقوم والقتال، أي

---

(١) في النسخة: وان.

(٢) دلائل الإمامة: ٣٨٦، أمالي المرتضىٰ ١: ٥٤، مجمع الزوائد ٤: ٣٢٩.

(٣) يأتي ضمن أحاديث الشهاب.

(٤) عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ١: ٢١٨ / ١، كمال الدين وتمام النعمة: ٦٦.

الغائب عنه؛ والسبب في ذلك ما روي: أنّ مارية القبطية كان لها ابن عمّ يُكثر الدخول عليها، فطعن بعض المنافقين في ذلك، فقال رسول الله لعلي: ***اذهب، فإن وجدته عندها فاقتله***، فقال علي: ***يا رسول الله، أكون [في] أمرك كالسّكة المحماة، أقتله، أم الشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب***؟ فقال: ***لا، بل الشاهد يرىٰ ما لا يرىٰ الغائب***؛ فخرج ودخل عليها فوجده عندها، فاخترط السيف وقصده، فهرب الغلام ورقىٰ نخلة كانت هناك وألقىٰ نفسه وكشف عن عورته فإذا هو أمسح أجبّ، فرجع علي إلىٰ رسول الله وأخبره بالحال، فقال: ***الحمد لله الذي يذب عنّا أهل البيت***(١).

وقيل: معناه: الشاهد في حضرة الله التي هي السماوات وما فوقها يرىٰ من فرط لفظه تعالىٰ ما لا يرىٰ الغائب عنها.

---

حضرتها، كما قال:

*ولقد شهدت الخيل يوم طرادها* ........................(٢)

وقال آخر:

شهدن مع *النبيّ* مسوّمات حنيناً وهي *دامية الحوامي*ّ(٣)

ويدلّ عليه قرينة قوله: ***ما لا يرى الغائب***، فإنّ الغائب نقيض الحاضر.

ويرى ها هنا من الرأي بهمز الرؤية(٤).

---

(١) دلائل الإمامة: ٣٨٦، أمالي المرتضىٰ ١: ٥٤، مجمع الزوائد ٤: ٣٢٩.

(٢) البيت لربيعة بن مقروم، وتمامه:

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها بسليم أو ضفة القوائم هيكل

أُنظر: الوافي بالوفيات ١٤: ٦٣، لسان العرب ١: ٧٣٣، مادة (لبب).

(٣) أُسد الغابة ١: ٢٧٣، الوافي بالوفيات ١٣: ٢١٧، والشاعر هو خفاف بن ندبة السلمي.

(٤) كذا في النسخة.

**٦٦ـ الدَّالُّ عَلىٰ الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**[1].

**يقول:** إن لم تقدر على فعل الإحسان إلىٰ غيرك وهو محتاج فدلّه علىٰ من يصطنع إليه معروفاً؛ فإنّ الدال علىٰ الخير شريك له في الأجر، وإن لم يكن له شريكاً في الفعل، وإنّ من دلّ إنساناً على خير فكأنّما فعل ذلك الخير بنفسه؛ لأنّه ربّما لم يوصَل إلىٰ ذلك الخير إلّا بدلالته، فكما أنّ فاعل الخير يستحقّ المدح

**الضوء في شرح الشهاب**

ويروى: أنّه كان لمارية القبطية ابن عمّ، وكان يكثر الدخول عليها فطعن بعض المنافقين في ذلك، فقال رسول الله عليه السلام لعليّ: ***اذهب فإن وجدته عندها فاقتله***، فقال علي: ***يا رسول الله، أكون في أمرك كالسكّة المحماة أقتله أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟*** فقال: ***بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب***، فخرج ودخل عليها فوجده عندها، فاخترط السيف وقصده، فهرب الغلام ورقى نخلة كانت هنالك وألقى نفسه وكشف عن عورته، فإذا هو أمسح أجبّ، فرجع إلى رسول الله وأخبره الحال، فقال عليه السلام: ***الحمد لله الذي يذبّ عنا أهل البيت***.

***ومعنى الخبر:*** مثل يضرب في موضع يريد الرجل أن يعمل على ظنّه، فيقال له: فتش عن هذا الأمر وتبيّن واشهده بنفسك أو برأيك؛ فإنّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

**٦٦ـ الدَّالُ عَلى الخَيْرِ كَفَاعِلِه.**

الدال: فاعل الدلالة، وكذلك الدليل، وفعيل أبلغ من فاعل، ويستعمل الدليل بمعنى الدلالة، والدال من يدلّل على أمر من الأُمور.

والخير نقيض الشرّ، وليس ها هنا بمعنى التفضيل.

---

(١) الكافي ٤ : ٢٧ / ٤، الخصال: ١٣٤ / ١٤٥، مسند أحمد ٥ : ٢٧٤.

والذمّ[١] وكذلك الدالّ عليه، فهذا حثّ لمن[٢] يقدر أن يدلّ إنساناً إلىٰ الخير علىٰ الدلالة، وحثّ للمدلول علىٰ شكر الدالّ كما يشكر فاعل الخير.

وقيل: الخبر ورد علىٰ سبب، وهو أنّ رجلاً جاء إلىٰ رسول الله فاستحمله، فقال له: ***لا أجد ما أحملك عليه، ولكن ائت فلاناً فلعلّه يحملك***، فأتاه فحمله، فقال عليه السلام: ***من دلّ علىٰ خير فله مثل أجر فاعله***[٣].

---

**ومعنى الخير**: أنّ من دلّ إنسان[٤] على خير فكأنّما فعل ذلك الخير بنفسه؛ لأنّه ربّما لم يصل[٥] إلى ذلك الخير إلّا بدلالته، فلمّا أنّ فاعل الخير يستحقّ المدح والثواب، فكذلك الدال عليه.

وقيل: الخبر ورد على سبب، وهو أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله فاستحمله، فقال له: ***لا أجد ما أحملك عليه، ولكن ائتِ فلاناً فلعلّه يحملك***، فأتاه فحمله، فقال عليه السلام: ***من دلّ على خير فله مثل أجر فاعله***.

وقال:

*وإذا امرؤ أسدى إليك صنيعة* … *من جاهه فكأنّها من ماله*[٦]

وقال آخر:

*وأدِّ زكاة الجاه واعلم بأنّها* … *كمثل زكاة المال تمّ نصابها*[٧]

---

(١) كذا في النسخة.

(٢) في النسخة: لم. ما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٣) المعجم الكبير ١٧ : ٢٢٥، مسند أحمد ٤ : ١٢٠.

(٤) في النسخة: لسان.

(٥) في النسخة: يوصل، وما أثبتناه هو المناسب.

(٦) ديوان أبي تمام: ٢١٢.

(٧) العهود المحمّدية للشعراني: ٣٦٠، والبيت من قصيدة انشدها الشافعي محمد بن إدريس. وفي النسخة: (بأنّه) بدل (بأنّها).

**٦٧ـ سَاقِي القَومِ آخِرُهُمْ شُرْبَاً**[١].

هذا الخبر من باب الأدب، واللفظ خبر ومعناه أمر، يقول: إذا كان جماعة في سفر وقلّة ماء وكان الماء في يد واحد يسقيهم جميعاً، فينبغي أن يكون شفقته عليهم كشفقته علىٰ نفسه، بل أعظم بأن يكون آخرهم شرباً؛ فلو لم يكن لأحد منهم شرب ونصيب لكان ذلك الساقي.

وقيل: لأنّه إذا نصب نفسه للسقي كان كخادم القوم، فيجب أن يكون آخرهم شرباً، ثمّ إنّه إن سقاهم من إناء واحد ربما يتغثّىٰ طبع من يسقيه بعد شربه[٢].

وروي أنّه عليه السلام قاله لمّا نزل بأُمّ معبد واستأذنها في حَلب شاة عجفاء لها فحلب لبناً كثيراً، وجعل يسقيهم واحداً واحداً، فقيل: يا رسول الله، ألا تشربه؟ فقال هذه الكلمة[٣]، وهي حثّ على حسن الآداب في المشرب كما في المطعم.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب**

والخبر من باب الحكمة.

**٦٧ـ سَاقِي القَومِ آخِرُهُم شُرْباً.**

هذا الخبر من باب الأدب، واللفظ خبر ومعناه أمر، أي فليكن آخرهم شرباً؛ لأنّه إذا نصب نفسه للسقي كان كخادم القوم فيجب أن يكون آخرهم شرباً، ثمّ إنّه إن يسقهم في إناء واحد ينبغي أن يكون آخرهم شرباً؛ لئلّا يتغثّىٰ طبع من يسقيه بعد شربه.

---

(١) المحاسن ٢: ٤٥٢ / ٣٦٨، الثاقب في المناقب: ٨٦، صحيح مسلم ٢: ١٤٠.
(٢) أُنظر: فيض القدير ٤: ١١٠ / ٤٦٢٩، ٤٦٣٠.
(٣) أُنظر: بحار الأنوار ٩: ٩٨، الفائق في غريب الحديث ١: ٨٥.

**٦٨ـ كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ**[١].

**معناه:** أنّ كلّ من أعطىٰ إنساناً شيئاً وقصد به وجه الله فهو صدقة يؤجر عليها، وما أعطاه وأخرجه في معصية لا يدخل في هذا الباب؛ لأنّه منكر والمنكر ضدّ المعروف، بيّن بهذا الحديث أنّ المعروف ليس هو الإعطاء فحسب وإنّما هو علىٰ الأنواع، والله تعالى ليس بغافل عن صغيرة وكبيرة.

وتمام الخبر أنّ: ***من المعروف أن تلقىٰ أخاك بوجه طلق.***

وقال عليه السلام: ***وإنّ من المعروف باب من أبواب الجنّة، وإنّه يمنع من مصارع السوء***[٢].

والمعروف: كلّ أمرٍ عرف في الشرع والعرف جوازه أو وجوبه، ويستعمل بمعنىٰ العطية، وكذلك العرف.

والصدقة: ما يُعطىٰ الفقير علىٰ وجه التطوّع والزكاة للواجب، ثمّ تتداخلان.

الضوء في شرح الشهاب

**٦٨ـ كُلُّ مُعْرُوْفٍ صَدَقَةٌ.**

المعروف نقيض المنكر، وهو كلّ أمر عرف بالشرع أو العرف جوازه أو وجوبه، ويستعمل بمعنى العطية، وكذلك العرف، قال أبو تمام:

........................ *فلجّته المعروف والجود ساحله*[٣]

والصدقة: ما يعطى الفقير على وجه التطوع، وقد جاء في التنزيل بمعنى

---

(١) مسند أحمد ٣: ٣٤٤، سنن الترمذي ٣: ٢٣٤ / ٢٠٣٧، الكافي ٤: ٢٦ / ١، الخصال: ١٢٤ / ١٤٥.

(٢) كنز العمال ٦: ٣٤٤ / ١٥٩٧١، الكامل في الضعفاء ٥ : ٢٦٢، وفيهما: المعروف باب... وهو يدفع مصارع السوء.

(٣) ديوان أبي تمام: ٢٠٥. وتمام البيت:

هو البحر من أي النواحي أتيته فلجّته المعروف والجود ساحله

**٦٩ـ مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ**[١].

**يقول:** دارِ الناس ولاطِفهم ولاينهم؛ فإنّ من يدارهم ويساهلهم في معاملاتهم ومبايعتهم ومشاراتهم فهو كالمصّدِّق، وثوابه ثواب المتصدِّقين.

---

الزكاة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾[٢] ويقال للساعي والآخذ للصدقات: مصدّق، وللمعطي متصدّق.

***ومعنى الحديث:*** أنّ كلّ من أعطى إنساناً شيئاً إذا قصد به وجه الله فهو صدقة يؤجر عليها، وما أعطاه وأخرجه في معصية لا يدخل في هذا[٣] الباب، لأنّه منكر والمنكر ضد المعروف[٤]، قال عليه السلام: ***إنّ المعروف باب من أبواب الجنّة، وإنّه يمنع من مصارع السوء.***

وقال ابن عبّاس: إنّ المعروف يجزى به ولد الولد، وقرأ ﴿**وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً**﴾[٥].[٦] وروي أنّ الصالح من آبائهما الجدّ الأربعون[٧].

**٦٩ـ مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ.**

المداراة: المدافعة من الدرء وهو الدفع، ومنه الحديث: ***ادرؤوا الحدود***

---

(١) روضة الواعظين: ٣٨، مجمع الزوائد ٨: ١٧، صحيح ابن حبّان ٢: ٢١٦ / ٤٧٠.

(٢) سورة التوبة ٩: ٦٠.

(٣) في النسخة: هذه. وما أثبتناه هو الصحيح.

(٤) في النسخة: المعروفة، وما أثبتناه هو المناسب.

(٥) سورة الكهف ١٨: ٨٢.

(٦) مجمع البيان ٦: ٣٧٧، زاد المسير: ١٢٧.

وروي في مجمع البيان عن الإمام الصادق أنّه كان بينهما وبين ذلك الأب الصالح سبعة آباء. وعن الرسول صلى الله عليه وآله: إنّ الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده، وولد ولده، وأهل دويرته، ودويرات حوله فلا يزالون في حفظ الله، لكرامته على الله.

(٧) في النسخة: الحدّ الأربعون. بل روي في علل الشرائع ١: ٦٢ / ١ أنّه كان بينهما وبين هذا الأب الصالح سبعون أباً، فحفظهما الله بصلاحه.

والمداراة: المدافعة، من الدرء، وهو الدفع، والمراد بها هاهنا الملاينة، وإذا سكت الإنسان عن طلب حقّه وسامح لسلامة دينه ودنياه فهو مداراة، يكتب له بها ثواب الصدقة وأجرها.

**٧٠ـ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**[١].

**يقول:** أحسن الكلام مع المؤمنين؛ فإنّه من أعظم الفضائل، وإنّه يقع موقع الصدقة، ومعناه: أنّ من ليس له عنده شيء يُعطي الفقير فينبغي أن يردّه ردّاً جميلاً،

---

***بالشبهات***[٢]. وقال:

فـنكب عـنهم درء *الأعـادي* . . . . . . . . [٣]

أي صولتهم؛ لأنّ في المصاولة مدافعهات.

والمراد بالمداراة هاهنا المدنية[٤]، ويستعمل هذه اللفظة في لغتنا بهذا المعنى.

**والمعنى:** أنّ من يداري الناس ويلاطفهم في معاملاتهم ومبايعتهم ومشاراتهم فهو كالمتصدّق، و[له] ثواب المتصّدقين.

**٧٠ـ الكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ.**

الكلمة لفظه تدل على معنىً بالوضع، وجمعها الكلمات والكلم، وقال

---

(١) مكارم الأخلاق: ٤٦٧، مسند أحمد ٢: ٢١٦، صحيح البخاري ٤: ١٥.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤: ٧٤ / ٥١٤٦، مشكاة الأنوار: ٣٦٧، كنز العمال ٥: ٣٠٥ / ١٢٩٥٧.

(٣) التبيان ١: ٣٠٣، تفسير السمعاني ١: ٩٤، خزانة الأدب ٦: ٣٩٤، والشاعر هو أبو الغول الطهوي وتمام البيت:

فنكب عـنهم درء الأعـادي وداووا بالجنون من الجنون

(٤) كذا في النسخة، والظاهر أنّها مصحفة: ملاينة، وهو الموافق لما في كتب اللغة. اُنظر: النهاية في غريب الحديث ٢: ١١٥، مادة (درىٰ).

ويكلّمه بكلمة يطيّب بها قلبه، مثل قوله: وسّع الله عليك، وأعطاك الله، وأغناك عن مسألة الناس، فإذا ردّه بمثل ذلك يُكتب له بكلّ كلمة صدقة، قال تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى**﴾[١] وقال: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾[٢].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

سيبويه: الكلم ليس بجمع الكلمة، إنّما هو لفظ وضع للجمع كالقوم والرهط والنفر[٣]، وقد عدل النحويون المتأخّرون في أوائل كتبهم عمّا ذكره المتقدّمون ـ أنّ الكلام كلّه ثلاثة أشياء: اسم وفعل وحرف ـ إلى قولهم: الكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف[٤]؛ لأجل أنّ الكلام عندهم ما كان مفيداً ولا يكون مفيداً حتّى يكون جملة من فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، فأمّا: «زيد» أو «خرج» أو «من» فهي كلمة وليست بكلام.

والصحيح عند المتكلّمين أنّ المهمل كلام إلّا أنّه لا معنى له ولا فائدة تحته؛ ولذلك قالوا: إنّ الكلام على ضر بين: مفيد ومهمل.

**ومعنى الخبر:** أنّ من ليس عنده شيء يعطيه الفقير فينبغي أن يردّه ردّاً جميلاً، وبكلمة يطيّب بها قلبه، مثل قوله: وسّع الله عليك، وأعطاك الله، وأغناك عن سؤال الناس، إلى أمثال ذلك، فأمّا ردّه بمثل هذه الكلمات يكتب له أجر متصدّق، قال الله تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾.

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٦٣.
(٢) سورة الضحى ٩٣: ١٠.
(٣) تقدّم قول الخليل وسيبويه في شرح المقدّمة صفحة: ١٥٥.
(٤) شرح ابن عقيل ١: ١.

**٧١ـ مَا وَقىٰ بِهِ المَرْءُ عِرْضَهُ كُتِبَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**[١].

**يقول:** إذا خفت شرّ ظالم وأذىٰ حاسد أو هجو شاعر، فكلّ ما أعطيته على سبيل الرشوة يُكتب لك به صدقة.

**يريد:** ما حفظ المرء به نفسه من أصحاب السوء بإعطاء هبة يكن بمنزلة الصدقة، وهذا على سبيل التسلية له؛ لئّلا يظنّ أنّ ما أنفق من ماله في أمثال هذا ضائع، بل هو بمنزلة ما تصدّق به، ووقاه الله الشرّ، أي حفظه منه ودفعه عنه. والعرض هاهنا[٢].

---

**٧١ـ مَا وَقَى بِهِ المَرْءُ عِرْضَهُ كتب لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ.**

يقال: وقيت فلاناً كذا، ووقاه الله الشرّ، أي حفظه منه ودفعه عنه، قال الله تعالى: ﴿**فَوَقَاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ**﴾[٣].

واختلف أهل اللغة في العرض، فقال بعضهم: عرض الرجل نفسه، وقيل: العرض مغابن الناس، وهي المواضع التي إذا تلاقت عرقت كالإبط وأصل الفخذ وغير ذلك.

واحتج من قال هذا بالحديث الذي روي عنه ﷺ أنّه قال: ***إنّ أهل الجنّة***

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢: ٥٠، مسند أبي يعلىٰ ٤: ٣٦، الدعوات: ١٠٧ / ٢٣٩.

(٢) كذا في النسخة لم يذكر تعريف العِرض.

وفي الصحاح ٣: ١٠٩٠ مادة (عرض): العِرض ـ بالكسر ـ رائحة الجسد وغيره طيبة كانت أو خبيثة، يقال: فلان طيب العرض ومنتن العرض... والعرض أيضاً النفس، يقال: أكرمت عنه عرضي، أي صنت عنه نفسي، وفلان نقي العرض، أي بريء من أن يشتم أو يعاب.

أُنظر: لسان العرب ٧: ١٧٢، مادة (عرض).

(٣) سورة الإنسان ٧٦: ١١.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



***لا يبولون ولا يتغوطون إنّما هو عرق يجري من أعراضهم مثل المسك***[١]. وقيل: ***من أبدانهم***.

واحتجّ أيضاً بحديث أبي الضمضم وأنّه ﷺ قال: ***أيعجز أحدكم أن يكون كأبي الضمضم، كان إذا خرج من داره يقول: اللّهمّ إنّي تصدّقت بعرضي على عبادك***. قال: معناه بنفسه[٢]. وقال حسّان بن ثابت:

*فإنّ أبي ووالده وعرضي ... لعرض محمّد منكم وقاء*[٣]

وأكثر العلماء على أنّ عرض الرجل ما يُحمد أو يذّم منه، ألا ترى إلى قول مسكين الدارمي:

*ربّ مهزول سمين عرضه ... وسمين الجسيم مهزول الحسب*[٤]

فلو كان العرض بدناً لكان هذا الكلام متناقضاً، وما ذكروه داخل في هذا المعنى من طريق التوسع.

وقال آخر:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . ... *وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي*[٥]

فعلى هذا يدخل فيه النفس والأسلاف والأخلاف وما يمدح أو يذّم.

والعَرض خلاف الطول، قال أوله:

---

(١) أمالي المرتضى ٣: ٨٤، الفائق في غريب الحديث ٢: ٢٤٥.

(٢) أمالي المرتضى ٣: ٨٤، عوالي اللئالي ١: ٢٦٣، سنن أبي داود ٢: ٤٥٣ / ٤٨٨٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٠٩، لسان العرب ٧: ١٧ مادة (عرض).

(٤) أمالي المرتضى ٣: ٨٥، تاريخ مدينة دمشق ١٨: ٥٦.

(٥) أمالي المرتضى ٣: ٨٧، تاريخ مدينة دمشق ١٥: ٣١، وتمام البيت:

وأعسر أحياناً فتشتد عسرتي ... وأدرك ميسور الغنى ومعي عرضي

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

*فضول بلا فَضْل وسنّ بلا سنا*      *وطُول بلا طَول وعَرض بلا عِرض*[(١)]

والعرض: الجانب، والعرضة اسم ما يجعل في معرض الشيء، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلُوا اللهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ**﴾[(٢)] قال:

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .      *فعرضة عضّ الحرب مثلك أو مثلي*[(٣)]

والعرض: ما يعرض من حطام الدنيا.

وفي اصطلاح أهل الكلام: ما يعرض في الوجود ولم يكن له لبث كلبث الأجسام والجواهر[(٤)].

والعرض مصدر عرض الشيء يعرض، والعرض مصدر عرضت الشيء

---

(١) البحر الرائق ٦: ٢٤٤، فيض القدير ٤: ٥٠٧.

(٢) سورة البقرة ٢: ٢٢٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ٥: ٣٧، تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٦.

ولهذا البيت واقعة ذكرت وهي أنّ عبد الملك كتب إلى الحجاج جواباً عن كتاب كتبه إليه يغلظ فيه أمر الخوارج، وشدة شوكتهم، فكتب إليه عبد الملك: أوصيك بما أوصى البكري زيداً، والسلام. فلم يفهم الحجاج ما أراد عبد الملك، فاستعلم ذلك من كثير من العلماء بأخبار العرب، فلم يعلموه، فقال: من جاءني بتفسيره فله عشر آلاف درهم، وورد رجل من أهل الحجاز يتظلم من بعض العمال، فقال له قائل: أتعلم ما أوصىٰ به البكري زيداً؟ قال: نعم أعلمه، فقيل له: فأت الأمير، فأخبره ولك عشرة آلاف درهم، فدخل عليه فسأله، فقال: نعم أيّها الأمير، إنّه يعني قوله:

أقول لزيد لا تترتّر فإنّهم      يرون المنايا دون قتلك أو قتلي

فإن وضعوا حرباً فضعها وإن أبوا      فعرضة نار الحرب مثلك أو مثلي

وإن رفعوا الحرب العوان التي ترى      فشب وقود النار بالحطب الجزلِ

فقال الحجاج: أصاب فيما أوصاني، وأصاب البكري فيما أوصى به زيداً، وأصبت أيّها الأعرابي، ودفع إليه الدراهم.

(٤) الرسائل العشر للطوسي: ٦٨، النكت في مقدمات الأُصول للمفيد: ٢٨.

**٧٢ـ الصَّدَقَةُ عَلىٰ القَرَابَةِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**[١].

**معناه:** إذا كان لك فضل مال تهبه للمسلمين فعليك أن تعطي قرابتك وتتصدّق به عليهم، فيجمع له به أجران: حيازة فضيلة الصدقة، وحيازة فضيلة الصلة مع الرحم.

وأراد بالقرابة ذا القرابة علىٰ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أي الصدقة علىٰ من كان بينك وبينه قرابة النسب لها وجهان وثوابان؛ فإنّها صدقة وَصِلَة رحم. الصدقة علىٰ ذوي القربىٰ علىٰ ضعف ما يكون على الأجانب؛ قال

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

على البيع، وأعرضت عن الشيء إذا عدلت عنه، وعرضته لكذا إذا جعلته في معرضه.

ما يقي به المرء عرضه هو أن يعطي ظالماً شيئاً على سبيل الرشوة أو شاعراً أو أحداً يخافه على نفسه أو ماله أو عرضه؛ لئلّا يقع فيه، فيكتب له بذلك صدقة، وهذا على سبيل التسلية له؛ لئلّا يظن أنّ ما أنفق من ماله في أمثال هذا ضائع، بل هو بمنزلة صدقة تصدّق بها.

**٧٢ـ الصَّدَقَةُ عَلى القَرابَةِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ.**

أراد بالقرابة على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، كقول الخنساء:

*تَرْتَعُ ما رَتَعَتْ حتّى إذا ادّكرت فإنّما هي إقبال وإدبار*[٢]

أي ذات إقبال وإدبار.

يعني: أُولي القربى ومن كان بينه وبينه قرابة نسب الصدقة عليهم لها وجهان وثوابان، من حيث إنّه صدقة وصلة رحم، فالصدقة على ذوي القربى على الضعف

(١) المعجم الكبير ٦: ٢٧٥، مسند أحمد ٤: ١٧، مستدرك الوسائل ٧: ١٩٥ / ٧.
(٢) ديوان الخنساء: ٣٨٣.

تعالىٰ: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى**﴾[1] فقدّمهم علىٰ من سواهم للمعنىٰ الذي أشار إليه ﷺ.

**٧٣ـ الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوءِ**[2].

**يعني:** تصدّق في كلّ حال بقليل كان أو كثير؛ فإنّها تمنع موت الفجأة، وسمّي ميتة السوء؛ لأنّه أسوأ الموت من حيث إنّ صاحبه لا يصل إلىٰ التوبة والوصية وإصلاح ما بينه وبين الناس.

والفِعْلَة بالكسر الهيئة، وبالفتح المرّة الواحدة. والسوء: ضدّ الحسن. والإساءة: ضدّ الإحسان.

---

منها على الأجانب، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى**﴾ الآية.

قدّم ذوي القربى على من سواهم للمعنى الذي أشار إليه ﷺ.

**٧٣ـ الصَّدَقَةُ تَمْنَعُ مِيْتَةَ السُّوء.**

الفِعْلَة ـ بالكسر ـ للهيئة، والفَعْلَة ـ بالفتح ـ للمرة الواحدة، يقال: جلست جَلسة، وضربت ضَربة أي مرّة واحدة، والجِلسة والقِعدة والرِكبة هيئة الفعل، يقال: جلست جِلْسة زيد وقِعْدته، وركبت رِكْبته.

والموتة الواحدة من الموت، قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى**﴾[3] والميتة: كيفيّة الموت.

والسوء ضدّ الحسن، والإساءة ضدّ الإحسان، والمراد بميتة السوء موت الفجأة؛ لأنّه أسوء الموتات، من حيث إنّ صاحبه لا يصل إلى التوبة والوصية

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٧٧.

(٢) ثواب الأعمال: ١٤٠، مكارم الأخلاق: ٣٨٧، مسند أحمد ٣: ٥٠٢، مجمع الزوائد ٨: ٣٢.

(٣) سورة الدخان ٤٤: ٥٦.

وروي: أنّ عيسى عليه السلام كان جبرئيل عليه السلام عنده يوماً فمرّ بهما رجل علىٰ ظهره حزمة حطب، وبيده رغيف يأكله وهو يلعب ويضحك، فقال جبرئيل: عجباً لهذا الرجل يفعل وما بقي من عمره ساعة أو ساعتان، فلما كان في اليوم الآنف مرّ الرجل وعلىٰ عاتقه[1] حبل يخرج للاحتطاب، فسأل الله عيسىٰ أن يبيّن تلك الحالة، فأتاه جبرئيل، وقال: قل لهذا الرجل ليأتي بالحزمة التي كانت معه أمس، فجاء بها ففتحها عيسىٰ فإذا في وسطها أفعىٰ، فقال جبرئيل: رأيت في اللوح أن هذا الرجل تقتله هذا الحيّة، ولكن سله: هل فعل خيراً مذ فارقنا؟ فسأل فقال: ما فعلت شيئاً إلّا أنّي كنت آكل رغيفاً وبقيت منه بقية، فسألني رجل فأعطيته إياه، فقال جبرئيل: إنّ الله قد دفع عنه ذلك البلاء بتلك الصدقة وزاد في عمره كذا سنة، وذلك قوله: ﴿**يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[2][3].

**الضوء في شرح الشهاب**

وإصلاح ما بينه وبين الله، وما بينه وبين الناس، أعاذنا الله منها برحمته.

وروي: أنّ عيسى بن مريم عليه السلام كان جالساً ذات يوم وعنده جبرئيل عليه السلام فمّر بهما رجل على ظهره حزمة حطب، وبيده رغيف يأكله، وكان يلعب ويضحك، فقال جبرئيل عليه السلام: عجباً لهذا الرجل يفعل ما ترى وما بقي من عمره إلّا ساعة أو ساعتان، فأنهى ذلك عيسى عليه السلام إلى من بحضرته، فلمّا كان في اليوم الآنف مرّ الرجل وعلى عاتقه حبل يخرج للاحتطاب[4]، فقال القوم: يا نبيّ الله، ألست قلت: ما بقي من عمر هذا الرجل إلّا ساعة أو ساعتان؟

قال: إنّما قلت ذلك من جبرئيل، فقالوا: يا رسول الله، اُدع لنا ربّك يبيّن لنا هذا

(١) في النسخة: عاتق، وما أثبتناه هو المناسب.
(٢) سورة الرعد ١٣: ٣٩.
(٣) عدّة الداعي: ٦٠، بحار الأنوار ٩٣: ١٣٥.
(٤) في النسخة: الاحتطاب، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

٧٤ـ صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ[١].

**يقول:** إذا تصدّقت بشيء على الفقراء فليكن ذلك سّراً خالصاً لوجه الله؛ فإنّ

---

الأمر، فسأل تعالى فأتاه جبرئيل وقال له: قل لهذا الرجل ليأتك بالحزمة التي ذهب بها أمس فخرج الرجل وجاء بالحزمة ففتحها عيسى عليه السلام فإذا في وسطها حيّة أفعى.

فقال جبرئيل: رأيت في اللّوح أنّ هذا الرجل تقتله هذه الحيّة، ولكن سله ما فعل من الخير منذ فارقنا.

فقال له عيسى: ما فعلت من الخير أمس؟

قال: ما فعلت شيئاً إلّا أنّي كنت آكل ذلك الرغيف فبقيت بقيّة فسأل عليّ[٢] رجل فأعطيته تلك البقيّة.

فقال جبرئيل: إنّ الله تعالى قد دفع عنه ذلك البلاء بتلك الصدقة وزاد في عمره كذا سنة، وذلك قوله تعالى: ﴿**يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾[٣].

وقال مالك بن دينار: اختلس السبع صبّياً من اُمّه، فتصدّقت اُمّه برغيف كان معها، فألقى السبع الصبي، ونُوديت: لقمة بلقمة[٤].

٧٤ـ صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ.

السرّ خلاف العلانية، وكذلك السريرة، وهما بمعنى المفعول، وأسرّ لشيء

---

(١) الكافي ٤: ٧ / ١، من لا يحضره الفقيه ٢: ٦٧ / ١٧٣٥، مجمع الزوائد ٣: ١١٥.

(٢) كذا في النسخة، والمناسب: فسألني.

(٣) سورة الرعد ١٣: ٣٩.

(٤) روي هذا الخبر بتفصيل أكثر في ثواب الأعمال: ١٤٠ وعوالي اللئالي ١: ٣٥٤ / ٢٣ عن الإمام الرضا عليه السلام، ولم نعثر عليه برواية مالك بن دينار.

الصدقة في السرّ تدفع عنك عقاب الله الذي يستحقّه.

والغضب من الله: عذابه، وفي الواحد منا تغيّر يقتضي تعذيباً للغير[١]، كما أنّ الرحمة فينا رقّة في القلب تقتضي الإحسان إلىٰ الغير، والرحمة من الله تعالىٰ هو الإحسان.

وقيل: الغضب: إرادة الشرّ والمضرّة بالغير، وغضب الله: إرادته العقاب لمستحقه. وروي: ***أنّه تعالىٰ لمّا خلق الجبال قالت الملائكة: إلهنا هل خلقت أشدّ من الحجر؟ قال: نعم، الحديد، فإنّه يغلب الحجر. فسألوه عمّا هو أشدّ من الحديد، فقال: النار. فسألوه عمّا هو أشدّ من النار، قال: الماء. فسألوه عن أشدّ من الماء، قال: التراب؛ فإنّه يغلب الماء. فسألوه عن أشدّ منه، فقال: الريح. فسألوه عن أشدّ منها، قال عبد يتصدّق بيمينه صدقة لا تشعر بها شماله، هو أشدّ عندي من هذه الأشياء***[٢].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

إذا كتمه في نفسه، وأسرّ إليه حديثاً إذا ألقى إليه حديثاً[٣]، وسرّه إذا أفرحه، وسُرّ بكذا إذا فرح به فهو مسرور، والسرّ والسرر ما تقطع القابلة من سرة[٤] الصبي، والسرّة: ما يبقى، وأصل الباب الكتمان.

وإطفاء لغضب عبارة عن تسكينه تشبيهاً للغضب بلهب النار، فإنّ الغضبان كالملتهب من شدّة غضبه، والغضب: إرادة[٥] الشرّ والمضرة بالغير، وغضب الله: إرادته العقاب بمستحقّه.

---

(١) في النسخة: لغير.

(٢) سنن الترمذي ٥: ١٢٤ / ٣٤٢٨، مسند أبي يعلىٰ ٧: ٢٨٦ / ٤٣١٠.

(٣) في النسخة زيادة مكررة: إذا ألقى إليه.

(٤) في النسخة: السرّة، وما أثبتناه هو المناسب.

(٥) في النسخة: رادة، وما أثبتناه هو المناسب.

**٧٥ـ صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيْدُ فِي العُمُرِ**[١].

**يقول:** إنّ الله يزيد في عمر من يصل رحمه، وصلة الرحم: أن يفعل بأقربائه وذوي أرحامه بما يقدر عليه من البرّ والمعروف والزيادة والقيام بأودهم وإعانتهم

---

وفي الخبر: ***أنّ الله تعالى لمّا خلق الجبال تعجبت الملائكة من صلابتها وشدّتها، قالوا: يا إلٰهنا، هل خلقت شيئاً أشدّ من الحجر؟ قال: نعم، الحديد؛ فإنّه يغلب الحجر ويكسره، قالوا: يا ربّنا، هل خلقت شيئاً أشدّ من الحديد؟ قال: نعم، النار فإنّها تذيب الحديد وتغلبه، قال: هل خلقت شيئاً يغلب النار؟ قال: نعم، الماء، فإنّه يغلب النار ويطفيها، قالوا: ربّنا، هل خلقت شيئاً يغلب الماء؟ قال: نعم، التراب، فإنّه يغلب الماء ويسدّه، قالوا: هل خلقت شيئاً يغلب التراب؟ قال: نعم، الريح، فإنّها تغلب التراب تفرّقه، قالوا: هل خلقت شيئاً أشدّ من الريح؟ قال: نعم، عبد يتصدّق بيمينه صدقة لا يشعر بها شماله، هو أشدّ عندي من هذه الأشياء.***

**٧٥ـ صِلَةُ الرَّحْمِ تَزِيْدُ في العُمُرِ.**

الصلة مصدر وصلت الشيء وصلاً وصلة، كقولك: وعدته وَعداً وعِدة، ومعنى صلة الرحم أن يصل أقرباءه وذوي أرحامه بما يقدر عليه من البرّ والمعروف والزيارة، والقيام بأودهم وإعانتهم على حوادث الدهر بما يمكنه، حتّىٰ لو لم يقدر على شيء من ذلك يتعهّدهم[٢] بالإلمام والسلام، كقوله عليه السلام: ***بلّوا أرحامكم ولو بالسلام***[٣].

---

(١) الدعوات: ١٢٥ / ٣٠٨، معاني الأخبار: ٢٦٤ / ١، مجمع الزوائد ٣: ١١٥.

(٢) في النسخة: لتعهّدهم. وما أثبتناه أنسب.

(٣) المجازات النبوية: ١٠١، فتح الباري ١٠: ٣٥٤، مسند أبي المبارك: ١٤٥.

علىٰ حوادث الدهر بما يمكنه، حتىٰ لو لم يقدر علىٰ شيء من ذلك لتعهدهم بالسلام والإلمام.

وعن علي عليه السلام: ***وجدت في قائم سيف رسول الله رقعة مكتوب فيها: صِل من قطعك، وأحسن إلىٰ من أساء إليك، وقل الحقّ وإن كان عليك***[1].

وقال النبي صلى الله عليه وآله: ***إنّ الرحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله***[2].

وقال: ***من سرّه أن يبسط الله في رزقه وينسأ في أثره*** ـ أي أجله ـ ***فليصل رحمه***[3].

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ***لمّا ضممت سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وجدت في سيف رسول الله رقعة مكتوب فيها: صل من قطعك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقل الحقّ وإن كان عليك.***

وروي: أنّ موسى بن جعفر بن محمّد كان يأنس بابن أخيه علي بن إسماعيل ابن جعفر ويحبّه ويبرّه ويصله، فخدعه بعض البرامكة واستدعاه إلى بغداد للسعاية[4] على عمّه موسى بن جعفر، فلمّا علم بذلك عمّه قال: ***يابن أخ، لِمَ تخرج إلى بغداد؟*** قال: أنا رجل مملق، وعليَّ دَين، قال: ***أنا أقضي دَينك، وأفعل بك وأصنع***، فقال: لا بدّ لي من الخروج، فقال: ***إن كنت خارجاً لا محالة فاتّقِ الله ولا تسع [في] دمي ولا تؤتم أولادي***، ثمّ وصله بمال جزيل، فلمّا خرج من عنده، قال أبو الحسن موسى: ***والله ليسعينّ في دمي ويؤتمن أولادي***، فقالوا له: جعلنا فداك أنت تعلم هذا منه وتبرّه وتصله، قال: ***نعم، حدّثني أبي، عن آبائه عليهم السلام عن***

---

(١) أمالي الصدوق: ١٣٠ / ٢، من لا يحضره الفقيه ٤ : ١٧٩ / ٥٤٠٣، كنز العمال ٣: ٣٥٩ / ٦٩٢٩.

(٢) روضة الواعظين: ٢١٨، الإرشاد ٢ : ٢٣٨.

(٣) الكافي ٢ : ١٥٢ / ١٦، الخصال: ٣٢ / ١١٢، مسند أحمد ٥ : ٢٧٩.

(٤) في النسخة: للشقياية، وما أثبتناه هو المناسب للعبارة.

**٧٦ـ صَنَائِعُ المَعْروفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ**[1].

**معناه:** من اعتاد فعل الخير واصطناع المعروف لا يموت على حال سيئة. والصنائع: جمع صنيعة ـ وهي النعمة المصنوعة المربوبة ـ فَعِيْلَة بمعنى مَفْعُوَلة، والمراد بالمعروف العطية وما يعرف في الشرع من الزكاة والصدقة، وإضافة الصنائع إلى المعروف كإضافة الحندس إلى الظلم في قوله: ولم أُقاسي الدجى في حندس الظلم[2]. وهما بمعنى، فأجازوا ذلك لاختلاف اللفظين.

---

***رسول الله ﷺ أنّ الرحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله، وإنّي أردت أن أصله بعد قطعه حتّى إذا قطعني قطعه الله.***

فخرج إلى بغداد وسعى في دمه بأكاذيب افتراها عليه فلما تمّ للبرمكي ما أراد أمر له بمائتي ألف درهم، فلمّا وصل المال إليه نظر إليه وهو في النزع فتزحّر به فقُطّع أمعاؤه وأحشاؤه، وهو يقول: هذا ممّا فعلت بعمّي.

وخرج الرشيد في تلك السنة إلى الحجّ وقبض على موسى بن جعفر، وأعطاه إلى السندي بن شاهك فسقاه السم وقتله[3].

**٧٦ـ صَنائِعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ.**

الصنائع جمع صنيعة، وهي النعمة المصنوعة المربوبة، فَعِيلَة بمعنى مفعولة.

والمعروف المراد به العطية في ذات الله وما يعرف في الشرع من الزكوات ـ الزكاة والصدقة ـ.

وإضافة الصنائع إلى المعروف كإضافة الحندس إلى الظلم في قوله:

---

(١) الكافي ٤: ٢٩ / ١، تحف العقول: ٥٦، مجمع الزوائد ٣: ١١٥.

(٢) ديوان الحماسة: ٨٨، ويأتي تمامه في الضوء.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٣٧، الغيبة للطوسي: ٢٧، الخرائج والجرائح ٢: ٩٤.

والمصرع: موضع الصرع، يقول: إنّ اتخاذ المعروف صنعة وبذل الأموال علىٰ مقتضى الشرع تحفظ صاحبها من أن يقع في مصرع. وروي: ***اصطناع ... يقي***[١]. و: ***فعل المعروف***[٢]. وكلاهما واحد، يقال: صنع معروفاً واصطنعه.

***والمعنىٰ:*** أنّ فعل المعروف في أهله يقي فاعله الوقوع في الأسواء.

وروي: ***إنّ الصدقة الواحدة تدفع سبعين باباً من البلاء***[٣]***. وإنّها تفكّ لحيي الشيطان***[٤].

**الضوء في شرح الشهاب**

........................... *ولم أُقاسِ الدجى في حندس الظلم*[٥]

وهما بمعنىً، فأجازوا إضافة أحدهما إلى الآخر لاختلاف اللفظين.

والمصارع جمع مصرع وهو موضع الصرع.

**ومعنى الحديث:** إنّ اتخاذ المعروف صنيعة، واعتيادها، وبذل الأموال في المعالم الشرعية تحفظ صاحبها من أن يقع في مصرع سوء.

ويروى: ***أنّ الأعمال تباهي، فتقول الصدّقة [أنا ]أفضلكنّ***[٦].

وروي: ***أنّ الصدقة الواحدة تدفع سبعين باباً من البلاء، وأنّها تفكّ لحيي الشيطان.***

---

(١) روي في دعائم الإسلام ٢ : ٣٢١ عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: ١٣ / ٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٦٦ / ١٧٣١، تفسير الثعلبي ٢ : ٢٧٣.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٦٦ / ١٧٣١، مسند أحمد ٥ : ٣٥٠، المستدرك علىٰ الصحيحين ١ : ٤١٧، باختلاف، وفيها: سبعين شيطاناً.

(٥) ديوان الحماسة: ٨٨، وتمام البيت:

لولا أُميمة لم أجزع من العدم ... ولم أُقاسِ الدجى في حندس الظلم

(٦) صحيح ابن خزيمة ٤ : ٩٥، امتاع الأسماع للمقريزي ١١ : ٥٦، المستدرك على الصحيحين ١ : ٤١٦.

**٧٧ـ الرَّجُلُ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ**[(١)].

**المعنىٰ**: أنّ المؤمن إذا كان مؤدّياً للزكاة متبرّعاً بالصدقات جعل الله له يوم القيامة بجزاء ذلك ما يقيه من المكاره [و] حرّ ذلك اليوم، وجعل نفس الصدقة ظلّاً، والمراد جزاؤها علىٰ طريق المبالغة من حيث إنّه كان بسببها، ولا يمتنع أن يقال: إنّ الله جعل ما تصدّق به المؤمن جسماً كثيفاً ساتراً مظلّاً علىٰ صاحبه كما

---

وقيل: سئل إبليس أيّ أعمال بني آدم أشقّ عليك؟ قال: الصدقة فإنّه إذا تصدّق بصدقة كدت أن انشقّ لها بنصفين[(٢)].

ويروى: ***فعل المعروف يقي مصارع السوء***[(٣)].

**٧٧ـ الرَّجُلُ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ.**

الظلّ: ما يسترك عن الشمس، ثمّ يستعمل في كلّ ما يظلّك وإن لم يكن هناك شمس، وقال عليه‌السلام في خطبة خطبها في آخر جمعة من شعبان: ***أيّها الناس، قد أظلّكم شهر عظيم***[(٤)].

ويقول الرجل إذا لم يدر حول أمر من الأُمور: أنا لا أظل عليه، ويستعمل في الفزع إلى جوار من يحمل ويمنعك من الغارة، فتقول: أنا في ظلّه الظّليل، وجنابه المنيع، وحماه المريع.

**والمعنى**: المؤمن إذا كان مؤدياً للزكاة، متبرّعاً بالصدقات، جعل الله له يوم القيامة بجزاء ذلك ما يقيه من حرّ ذلك اليوم، حتّى يكون كمن كان في ظلّ من حرّ الشمس.

---

(١) مستدرك الوسائل ٧: ١٦٠ / ٢٥، مسند أحمد ٤: ١٤٧، السنن الكبرىٰ ٤: ١٧٧.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا: ١٣، الجامع الصغير ٢: ٢١٩.

(٤) الكافي ٤: ٦٦ / ٤، دعائم الإسلام ١: ٢٦٨، كنز العمّال ٨: ٤٧٧ / ٢٣٧١٤.

جاء في نفسه ﴿**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾[١] إنّ الله يربي الصدقة حتىٰ يجعلها كأعظم جبل في الأرض، فهو هاهنا يجعل الشيء المتصدّق به ظلّاً علىٰ صاحبه حتّىٰ يحكم الله بين الناس، يعني: طول يوم القيامة، فيكون هو في راحة حيث كان غيره في حرّ يوم القيامة، يقول: إنّ الله يجعل ثواب صدقته وقاية عن حرّ يوم القيامة، وإنّما قال: حتّىٰ يُقضىٰ بين الناس؛ لأنّ الخوف في القيامة أكثره قبل الحكم، فأما بعده فقد تبيّن الرشد مِن الغيّ.

**٧٨ـ الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ**[٢].

**مفهومه:** كما لا بقاء للنار مع الماء فكذلك لا بقاء للخطيئة مع بذل الصدقة للمؤمن، يعني: أنّ الله بفضله يتجاوز عنها عند بذله لها لبركتها، وإطفاء الصدقة

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

وجعل نفس الصدقة ظلّاً، والمراد جزاؤها على طريق المبالغة من حيث إنّه كان لسببها، ولا يمتنع أن يقال: إنّ الله تعالى يجعل ما تصدّق به المؤمن جسماً كثيفاً ساتراً مظلّلاً على صاحبه، كما جاء في تفسير قوله: ﴿**يَمْحَقُ اللهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ**﴾ أنّ الله تعالى يربى الصدقة حتّى يجعلها كأعظم جبل في الأرض[٣]. فهو هاهنا يجعل الشيء المتصدّق به ظلّاً على صاحبه حتّى يحكم الله بين الناس، يعني طول يوم القيامة، فيكون هو في راحة حيث كان غيره في حرّ يوم القيامة.

**٧٨ـ الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيْئَةَ كَمَا يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ.**

إطفاء الصدقة الخطيئة تشبيه لهما بالماء والنار، فجعل الخطيئة بمنزلة النار،

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢٧٦.

(٢) المصنّف لعبد الرزاق ١١: ٤٦٣ / ٢١٠١٧، الكامل في الضعفاء ٧: ٩٨.

(٣) التبيان ٢: ٣٦٣، مجمع البيان ٢: ٢٠٨، تفسير الثعلبي ٢: ٢٨٤.

الخطيئة تشبيه لها بالماء والنار، وإنّما جعل الخطيئة بمنزلة النار من حيث إنّها تؤدّي إلىٰ النار، ومثله قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً**﴾[1] فجعل ما يأكلونه ناراً من حيث يؤدي إلىٰ النار، وجعل الصدقة التي تدفع حرّها بمنزلة الماء المطفئ للنار، والمُطفئ في الحقيقة هو الله تعالىٰ، ولكنّه لمّا كان بسببها أضاف الفعل إلىٰ مسبّبه، ثمّ شبّه ذلك تشبيهاً حقيقياً كما يطفئ الماء النار؛ يتحقق ما ذكره من إطفاء الصدقة الخطيئة. والكاف للتشبيه، ومحلّه النصب؛ لكونه صفة لمصدر منصوب، والتقدير إطفاء مثل إطفاء الماء النار.

---

من حيث إنّها تودّي إلى النار، ومثله قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً**﴾ فجعل ما يأكلونه ناراً من حيث إنّه يؤدي إلى النار، وجعل الصدقة التي تدفع أذاها وحرّها بمنزلة الماء المطفئ للنار، والمطفئ في الحقيقة هو الله عزّوجلّ ولكنّه لمّا كان بسببها أضاف الفعل إلى مسبّبه، كما ذكرنا في:

........................... ردّ عـافي *القدر* من يستعيرها[2]

ثمّ شبّه عليه‌السلام بذلك تشبيهاً حقيقياً، فقال: كما يطفئ الماء النار؛ ليتحقّق ما ذكره من إطفاء الصدقة الخطيئة.

والكاف للتشبيه ومحلّه النصف؛ لكونه صفة لمصدر محذوف، والتقّدير: إطفاء مثل إطفاء الماء النار.

---

(١) سورة النساء ٤: ١٠.

(٢) تقدّم في شواهد الحديث رقم: (٥٩).

**٧٩ـ المُعْتَدِي فِي الصَّدَقِةِ كَمَانِعِهَا**[١].

له ثلاثة معانٍ:

**أحدها:** أنّ من أسرف في الصدقة حتىٰ جعل نفسه فقيراً وعياله محتاجاً فهو كمانع الصدقة، ووجه التشبيه أنّهما جميعاً ـ أعني الإسراف والتقصير ـ ممنوعان محرّمان عقلاً وشرعاً، والمحمود المرضّي القصد الذي هو واسطة الأُمور.

**والثاني:** أنّ من تعدّىٰ بهذه الصدقة إلىٰ غير مستحقها وَوَضَعها في غير موضعها كالمانع.

**والثالث:** معناه: من تعدّىٰ في أخذ الصدقة بأن يأخذ خيارها المنهيّ عن أخذها، فإذا فعل ذلك أدّىٰ إلى أن يمنع صاحبُ المال الصدقة في العام القابل، فهو كالمانع من حيث إنّه سبب المنع، وفي هذا تعسّف.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب

**٧٩ـ المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا.**

ويروى: المعتدى[٢]. والمعتدي: المسرف المتجاوز للحدّ، اعتدىٰ وتعدّىٰ إذا تجاوز الحدّ، والمعتدي: الظالم من حيث إنّه متعّدٍ حدّ العدل إلى ارتكاب الظلم.

**والمعنى:** أنّ من أسرف في الصدقة حتّى جعل نفسه فقيراً وعياله محتاجاً فهو كمانع الصدقة، ووجه التشبيه أنهما جميعاً ـ أعني الإسراف والتقصير ـ ممنوعان محرّمان عقلاً وشرعاً، والمحمود المرضي القصد الذي هو واسطة الأُمور، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾[٣] وقيل: إنّ سبب نزول الآية أنّ امرأة من فقراء المدينة أرسلت إلى رسول الله تسأله قميصاً

---

(١) سنن ابن ماجة ١ : ٥٧٨ / ١٨٠٨، سنن أبي داود ١ : ٣٥٧، السنن الكبرىٰ ٤ : ٩٧.

(٢) كذا في النسخة، ولعلها: المتعدي كما في سنن الترمذي ٢ : ٧٩ / ٦٤١. وإلّا لاتّحد اللفظان في الروايتين.

(٣) سورة الإسراء ١٧ : ٢٩.

**٨٠ـ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ**[١].

**يقول:** من قام بشرائط التوبة على الحقيقة فالله تعالىٰ يقبل توبته ويطهّره من

---

تصلّي فيه، ولم يكن لرسول الله إلّا قميص واحد فنزعه وأرسله إليها واستحيى أن يرّد السائل، ولم يكن من عادته ردّ السائل، حتّى قال عبد الله بن رواحة في مدحه عليه السلام:

*ما قال لا قطّ إلّا في تشهّده ... لم يسمع له لا لولا التشهّدُ*[٢]

فلمّا كان وقت الصلاة وآذنه المؤذّن بالصلاة لم يمكنه الخروج؛ لأنّه لم يكن عليه إلّا إزار واحد، فنزلت الآية ونهي عن الإسراف في الصدقة[٣].

والمتعدّي في الصدقة معناه من تعدّى بها إلى غير مستحقّها ووضعها في غير موضعها.

وقيل: معناه من تعدّى في أخذ الصدقة بأن يأخذ خيارها المنهي[٤] عن أخذها، فإنّه إذا فعل ذلك أدّى إلى أن يمنع صاحب[٥] المال الصدقة في العام القابل، فهو كالمانع لها من حيث إنّه سبب المنع على الإسناد المجازي. وفي هذا الوجه تعسّف.

**٨٠ـ التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمن لا ذَنْبَ لَه.**

قد بيّنا حدّ التوبة، وأنّها الندم على ما مضى والعزم على أن لا يعود إلى مثله

---

(١) عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ١: ٧٩ / ٣٤٧، سنن ابن ماجة ٢: ١٤٢٠، السنن الكبرىٰ ١٠: ١٥٤.

(٢) الحاشية على الكشاف للشريف الجرجاني: ٨٢، ولم ينسبه لقائل، تفسير أبي السعود ١: ٢١، ونسبه لحسان بن ثابت، وروي البيت بهذا اللفظ:

ما قال لا قط إلّا في تشهّده ... لولا التشهّد لم تسمع له لاء

(٣) أسباب نزول الآيات: ١٩٤، مجمع البيان ٦: ٢٤٤.

(٤) في النسخة: المعنى، والمناسب ما أثبتناه وهو المذكور أيضاً في الضياء.

(٥) في النسخة: صاحبها، والمناسب ما أثبتناه.

الذنوب، فيصير كمن لم يذنب قطّ.

والتوبة: هي الندم علىٰ ما مضىٰ والعزم علىٰ أن لا يعود إلىٰ مثله في المستقبل لقبحه، وهذا توبة أجمعت الأُمة علىٰ إسقاط العقاب عندها، فالمعتزلة تقول: التوبة تسقطه(١). ونحن نقول: إنّ الله متفضّل بإسقاط العقاب عند التوبة، ولا يجب عليه تعالىٰ ذلك إلّا من من حيث وعد لقبول التوبة به في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾(٢) وخلف الوعد لا يجوز عليه تعالىٰ(٣).

**الضوء في شرح الشهاب**

في المستقبل لقبحه، وهذه توبة أجمعت الأُمة على إسقاط العقاب عندها.

والخلاف بيننا وبين المعتزلة أنّهم يقولون: إنّ التوبة تُسقط العقاب بطريقة الإحباط.

ونحن نقول: إنّ الله هو المسقط لعقاب التائب.

وذهبوا إلى أنّ إسقاط العقاب واجب على الله تعالى، حملاً على وجوب قبول الاعتذار.

وذهبنا إلى أنّ الله تعالى متفضّل بإسقاط العقاب عند التوبة، وكذلك المعتذَر إليه متفضّل بقبول الاعتذار.

وذهبوا إلى أنّ ذلك واجب على الله عقلاً، وذهبنا إلى أنّه لا طريق للعقل إلى وجوب ذلك، بل عرف ذلك بالسمع والإجماع، ولا يجب عليه تعالى إلّا من حيث إنّه وعد بقبول التوبة في قوله: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**﴾ وخلف الوعد لا يجوز عليه تعالى، على أنّ معنى قبول التوبة عندنا هو ضمان الثواب عليها؛ لأنّه

(١) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ٥٧٣. وفي النسخة: تسقطها.
(٢) سورة الشورىٰ ٤٢: ٢٥.
(٣) الكافي للحلبي: ٤٦٧، ٤٦٩، التبيان ٢: ٣٦٥، مجمع البيان ١: ١٧٦.

**٨١ـ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ**[١].

**معناه:** أنّ الظالم يكون يوم القيامة في ظلمة تحيّره، كما يقال للمتحيّر: هو في ظلمة من أمره، وبالظلمة يعاقب الظلمة يوم القيامة، وهو قوله: ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**﴾[٢].

**وتحقيقه:** أنّ جزاء الظلم يكون ظلمات يوم القيامة، وإنّما جمع الظلمات؛ لأن الظُلمة يكون مشتملة عليه في الموقف وعلىٰ الصراط [و] في دركات النار، فقد جاء في الأخبار أنّ نار جهنّم سوداء[٣]، وقد طابق في اللفظ بين الظلمة والظلم،

---

طاعة من الطاعات، ومعنى قبول الطاعة ضمان الثواب عليها؛ والدليل على ذلك قوله في هذه الآية: ﴿**وَيَعْفُواْ عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾[٤] على سبيل المنّة علينا بالعفو عنّا، ومن فعل واجباً لا يكون له أن يَمنّ على من فعله به، ولفظ العفو لا يطلق إلّا على المتفضّل به.

وقوله: كمن لا ذنب له، مبالغة في إسقاط عقاب التائب حتّى كانّه لم يكن له ذنب، ومن لا ذنب له لا يستحقّ شيئاً من العقاب، فهذا وجه التشبيه.

**٨١ـ الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ.**

قد بيّنا حقيقة الظلم فلا وجه لإعادته. والظلمات جمع ظلمة، وهي ضدّ الضياء.

---

(١) الكافي ٢: ١٠/٣٣٢، ١١، عوالي اللئالي ١: ٩٩/١٤٩، مسند أحمد ٢: ١٠٦، صحيح البخاري ٣: ٩٩.

(٢) سورة الحديد ٥٧: ١٣.

(٣) التوحيد: ٣٩١، مجمع البيان ٦: ٣٣٩، مجمع الزوائد ١٠: ٣٨٨. وفي النسخة: أسود، والصحيح ما أثبتناه.

(٤) سورة الشورى ٤٢: ٢٥.

وقيل: أقل الظلم في اُمّة محمّد قول أحدهم للآخر: تنحَّ عن الطريق[١].

**ـــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

ومعنى الحديث: أنّ جزاء الظلم يكون ظلمات يوم القيامة في الموقف وعلى الصراط وفي دركات النار، فقد جاء في الأخبار أنّ نار جهنّم سوداء، وقد طابق عليه السلام في اللفّظ بين الظلم والظلمة، وقال عليه السلام: ***يا أيها النّاس اتقوا الظلم فإنّ الظلم ظلمات يوم القيامة***[٢]، وهي ما ذكره الله في قوله: ﴿**قِيْلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**﴾[٣]، وقال الشاعر:

*بشّر أُولي العدل والإنصاف بالنّعم ... والجائرين بعقبى السوء والنقمِ*

*فالعادلون غداً في نور عدلهم ... والجائرون غداة الحشر في الظلمِ*[٤]

وقيل: مرّ رجل من العلماء [على] دار خربت فكتب عليها:

هذه دار من ظلم وتعدّى علىٰ الأُمم، ودّ في القبر أنّه لم يكن يعرف الظلم[٥].

وقال عليه السلام: ***المظلومون هم المفلحون يوم القيامة***[٦]. وقال بعضهم:

*لا تظلمنّ إذا كانت مقتدراً ... فالظلم آخره يفضي إلى الندمِ*

*نامت جفونك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنمِ*

*جلّت مصائب أقوام بمظلمة ... إنّ الظلوم على بال من النقمِ*

*فاحذر أخي من المظلوم دعوته ... كيلا يصيبك سهم الليل في الظلمِ*[٧]

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٦ : ٢٩، وفيها: أول بدل أقلّ، وفي النسخة: (الظلمة) بدل (الظلم).

(٢) مسند أحمد ٢ : ٩٢، ١٣٦، منتخب مسند عبد بن حميد: ٢٥٩ / ٧١٤، واُنظر مصادر الحديث في الضياء.

(٣) سورة الحديد ٥٧ : ١٣.

(٤) و (٥) لم نعثر عليها في المصادر.

(٦) الجامع الصغير ١ : ٣٢٤، الإصابة ٤ : ٢٩٧ ضمن ترجمة عبد الرحمن بن قيس.

(٧) ديوان الإمام علي: ١٣٦. ولم يذكر فيه البيتان الأخيران.

**٨٢ـ كَثْرَةُ الضِّحْكِ تُمِيتُ القَلْبِ**[١].

**معناه:** لا تفعلوا الأفعال المضحكة، ولا تضحكوا في غير أُعجوبة ساهين لاهين فتكونوا كأن لا قلوب لكم، ومن كان ضحكه كثيراً يغفل عن الحقّ، وعلامة موت القلب غفلته، وعلامة حياته شهوده.

---

وقيل: أقل ظلم أُمّة محمّد قولهم للآخر[٢]: تنحّ عن الطريق.

وقال فارس لأبي العيناء: الطريق، قال: عن الطريق تعدل بي[٣].

وقال الحسن: ظلمك لأخيك أن تكتم خير ما تعلم فيه وتذكر شرّه[٤].

**٨٢ـ كَثْرَةُ الضِّحْكِ تُمِيْتُ القَلْبَ.**

الضحك: تفتّح يظهر في الوجه لمسرّة في القلب أو حدوث أُعجوبة، وهو على الحقيقة لا يكون من فعلنا، وكذلك البكاء؛ وذلك لأنّهما لا يحصلان عند قصورنا ودواعينا، ولا يتّقيان عند كراهتنا وصوارفنا، وهي هنا من فعل الله على سبيل العادة عند أحوال تقتضيهما، ولذلك تختلف الحال فيه باختلاف الأحوال والأسباب، وقوله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً**﴾[٥] نهي في صورة الأمر، ومعناه: لا تفعلوا الأفعال المضحكة التي هي أسباب الضحك، وقيل: القلّة في الآية عبارة عن النفي، كقولهم: قلّ ما رأيت مثله، والمعنى: ما رأيت مثله لا قليلاً ولا كثيراً.

﴿**وَلْيَبْكُوا كَثِيراً**﴾[٦] أمر بأسباب البكاء وما يحصل البكاء عنده، من تذكّر وعيد الله وعقابه.

---

(١) مسند أحمد ٢: ٣١٠، سنن ابن ماجة ٢: ١٤٠٣، وروي في قرب الإسناد: ٦٩ عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام.

(٢) في النسخة: الآخرة، وما أثبتناه هو المناسب.

(٣)و(٤) لم نعثر عليها في المصادر.

(٥)و(٦) سورة التوبة ٩: ٨٢.

والضحك: تفتّح يظهر في الوجه لمسرّة في القلب ولحدوث عجب، وهو في الحقيقة لا يكون من فعلنا، وكذلك البكاء، وكذلك من فعل الله فينا علىٰ سبيل المثال العادة عند أسباب يفعلها وأحوال منا يقتضيها في أكثر الأحوال، وربّما يحصلان من غير دواعينا.

وموت القلب إنّه يحصل غافلاً ساهياً عمّا يجب عليه التفكّر فيه، فإذا صار القلب بحيث لا ينتفع به فهو كالميت، ومثله قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾[1].

**٨٣ـ فِي كُلِّ كَبِدٍ حَرَّىٰ أَجْرٌ**[2].

للخبر معنيان:

**أحدهما:** أنّ في كلّ قلب حزين بالمصيبة والمساءة أجراً وعوضاً مستحقّاً علىٰ الآلام التي أصابته والمصيبات، وسمّي العوض أجراً علىٰ سبيل التوسّع.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

قوله: تميت القلب، معناه: يجعل القلب ساهياً لاهياً عمّا يجب عليه التفكّر فيه، فإذا صار القلب بحيث لا ينتفع به فهو كالميّت، ومثله قوله: ﴿**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى**﴾، وقال الشاعر في معناه:

*لقد أسمعت لو ناديت حيّاً* ولكن لا حياة لمن تنادي[3]

**٨٣ـ في كُلِّ كَبِدٍ حَرَّى أَجْرٌ.**

قيل: المراد بالكبد القلب، والعرب تعبّر بالكبد عن القلب، وعلى هذا قول الشاعر:

---

(١) سورة النمل ٢٧: ٨٠.

(٢) عوالي اللئالي ١: ٩٥ / ٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٢١٥، مجمع الزوائد ٣: ١٣١.

(٣) معجم البلدان ٥: ٤٢٩. والشاعر كثير يرثي صديقه خندقاً الأسدي.

**والثاني:** أنّه أراد في إشباع كلّ كبد جائعة وإرواء كلّ كبد عطشىٰ أجر، علىٰ حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

والمراد بالأجر في هذا الوجه: الثواب، وهو حقيقة في الثواب، وإنّما قال: حرّىٰ على فَعلىٰ التي هي للمؤنث؛ لأنّ الكبد مؤنث، يقال: رجل غرثان وعطشان، وامرأة غرثىٰ وعطشىٰ، والعرب تعبّر بالكبد عن القلب.

ومفهوم الخبر: من أتىٰ معروفاً مع كلّ مَنْ كان ينلْ[1] أجراً جزيلاً من الله.

وكان في بني إسرائيل رجل عاصٍ، فمرّ علىٰ بئر، وإذا كلب قد لهث من العطش فأخذ عمامته وشدّ علىٰ خفّه وأسقى به الماء وأرواه، فأوحىٰ الله إلىٰ نبي ذلك الزمان أنّي شكرت سعي فلان لشفقته علىٰ خلق من خلقي، فسمع الرجل ذلك وتاب من المعاصي، وصار ذلك سبباً لتوبته[2]. ومن أبين علامات الإيمان الشفقة علىٰ خلق الله.

---

*وأذكر أيّام الحمى ثمّ أنثني* *على كبد من خشية أن تصدعا*[3]

وقال الحسين بن مطير:

*لقد كنت جلداً قبل أن يوقد الهوى* *على كبدي ناراً بطيئاً خمودها*[4]

وقال جميل:

*أُحبّكم ما دمت حيّاً فإن أمت* *فواكبدي ممّن يحبّكم بعدي*[5]

ومثله كثير، وإنّما قلنا ذلك لأنّ محلّ الحبّ والبغض والإرادة والكراهة والمساءة والمسرّة والشهوة والنفرة القلب.

---

(١) في النسخة: ينال، والمناسب ما أثبتناه لأنّه جواب الشرط.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) أحكام القرآن للجصّاص ١: ٤١٣، وفيات الأعيان ٦: ٣٧١، الإصابة ٥: ٣٣٥.

(٤) فوات الوفيات ١: ٣٦٧، خزانة الأدب ٥: ٤٥٠.

(٥) التذكرة السعدية في الأشعار العربية: ١٩١.

**٨٤ـ العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ**[١].

**يقول:** إنّ الله ائتمن العالمين على أمانته التي هي الحلال والحرام والفرائض

**الضوء في شرح الشهاب**

وللخبر معنيان:

**أحدهما:** في كلِّ كبد حرى بالمصيبة والمساءة أجر، أراد به العوض المستحق على الآلآم والآحزان بالمصيبات، وسمّى العوض أجراً على سبيل التوسّع.

**والثاني:** أنّه أراد في إشباع كلّ كبد أو إرواء كلّ كبد أجر، على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، والمراد بالأجر الثواب على هذا الوجه، وهو حقيقة في الثواب.

وإنّما قال: حرّى؛ لأنّ الكبد مؤنت، وفعلى صفة المؤنت كالغرثى والعطشى في تأنيث غرثان وعطشان.

وروي: أنّ رجلاً كان في بني إسرائيل وكان منهمكاً في المعاصي سادراً في الغي والجهالة، أتى في بعض أسفاره على بئر فإذا كلب قد لهث من العطش، فرقّ له ورثىٰ له، وأخذ العمامة من رأسه وشدّ نجفه واستقى الماء وأروى الكلب، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أنّي قد شكرت له سعيه وغفرت له ذنبه، لشفقته على خلق من خلقي، فسمع ذلك فتاب من المعاصي، وصار ذلك سبباً لتوبته وخلاصه من العقاب.

ومن علامات الإيمان الشفقة على خلق الله[٢].

**٨٤ـ العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ.**

العلماء جمع عليم كظريف وظرفاء وكريم وكرماء، وجمع العالم عالمون،

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ١: ١٨٥، كنز العمال ١٠: ١٨٣ / ٢٨٩٥٢.

(٢) الفتوحات المكية ٤: ٤٨١، كشف الخفاء ٢: ١١ / ١٥٥٨، تفسير البحر المحيط ٧: ١٦٩.

والأحكام؛ ليفتوا للخلق بالأمانة والحقّ فيما بينهم وبين الله بما علموه وتحقّقوه بآية محكمة أو سنة مقطوع بها.

ومعنى الخبر في تمامه وهو: ***ما لم يخالطوا السلطان***[1]. يعني: إذا خالطوا السلطان فقد خرجوا من الأمانة إلىٰ الخيانة.

وقيل: هذه الأمانة عبارة عن الشرائع والأحكام دون المعقولات والعلوم العقلية.

وأمانة العالِم في شيئين:

**أحدهما:** أن لا يفتي بما لا يعلم.

**والثاني:** أن لا يكتم الحقّ فيما يعلم، فإذا كان كذلك كان أميناً عند الله، وأعظم الخيانات الخيانة في الدين.

---

والعليم أبلغ من العالم، ولذلك وصف الله نفسه بالعليم، لأنّه تعالى عالم بجميع المعلومات على كلّ وجه يصحّ أن يعلم عليه.

والمراد بالعلماء في الخبر الأئمة الذين بلغوا درجة الفتوى فيفتون في الدين، ويعتمد الناس عليهم في الحلال والحرام والقضايا والأحكام، فهم أُمناء الله على خلقه، وهي جمع (أمين) ائتمنهم الله على أمانته[2]. ليفتوا لهم بالأمانة والحقّ فيما بينهم وبين الله بما علموه وتحققوه إمّا بآية محكمة أو سنّة مقطوع عليها.

وأمانة العالم في شيئين:

**أحدهما:** أن لا يُفتي بما لا يعلم.

---

(١) في النسخة: الشيطان، وكذلك في المورد الآتي، وما أثبتناه من المصادر وهي كثيرة، وهو المناسب، ولم نعثر علىٰ مصدر فيه: الشيطان.

(٢) في النسخة: أمانتي، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

**٨٥ـ رَأسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ**[١].

أي أصل كلّ علم معرفة الله، والخشية والحكمة نوعان من العلم، والظاهر في معناه: أنّ الرجل إنّما يكون حكيماً كلّ الحكيم إذا خاف الله بأن لم يخف عقاب الله وتسمّى بالحكمة [وإلّا] كان ذلك الاسم زوراً عليه، فإنّ الحكيم من في فيه حَكَمَة كحَكَمَة اللجام، تمنعه من المقبّحات، ومثله: التقيّ لُجِمَ كالمحرم في الحرم[٢]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[٣].

**الضوء في شرح الشهاب**

**والثاني:** أن لا يكتم الحقّ فيما يعلم. فإذا كان كذلك كان أميناً عند الله، وأعظم الخيانة الخيانة في الدين، وهي أن [لا][٤] يعمل العالم بهاتين الخصلتين حتّىٰ لا يكون علمه شفيعاً له، بل يكون وبالاً عليه.

أعاذنا الله من ذلك برحمته، ووفّقنا لما فيه المحبة والرضا.

**٨٥ـ رَأسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ.**

بيّنا معنى الحكمة وأنّ أصلها المنع، ولأنّها تمنع صاحبها عن كثير من القبائح.

والمخافة: الخوف، وألفها منقلبة عن الواو بدلالة الخوف، وأصل خاف يخاف خَوَفَ يَخْوَفُ، وحقيقة الظنّ الذي يتعلّق بوقوع مضرّة أو فوت منفعة.

ومعنى الخبر: أنّ الرجل إنّما يكون حكيماً كلّ الحكيم إذا خاف الله، فإنّه إذا لم يخف الله وتسمّى بالحكمة كان ذلك الاسم عليه زوراً، فإنّ الحكيم من كان فيه

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٦ / ٥٧٦٦، الخصال: ٣٤٣، وفي المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ١٦٢ / ٣٧، وكنز العمال ٣: ١٤١ / ٥٨٧٣ جعل هذا الحديث من كلام لابن مسعود.

(٢) في مجمع البيان ١: ٨٣ نسب هذا القول إلىٰ عمر بن عبد العزيز، ولفظه: التقي ملجم كالمجرم [كذا] في الحرم.

(٣) سورة فاطر ٣٥: ٢٨.

(٤) أثبتنا ما بين المعقوفين لمقتضى السياق.

**٨٦ـ الجَنَّةُ دَارُ الأَسْخِيَاءِ**[١].

جعل الجنّة بأجمعها دار من يجود بماله ولا يبخل بما يجب عليه من الحقوق على سبيل المبالغة.

وتمام الخبر: ***فعلى هذا ينبغي للعبد أن لا يخلو عن السخاء في حالتي الشدّة والرخاء مع الأعداء وذوي الإخاء.***

والسخي: الذي يبذل ماله في الواجبات والمندوبات، والمدح يستحقّ بفعلها، ونقيضه البخيل وحقيقته [من] يمنع الواجبات؛ لأنّ الذم يُستحقّ بتركها. وفي الشرع: هو من يمنع الزكاة.

---

حكمة كحَكَمَة اللجام يكبحه ويمنعه عن كثير من المقبّحات، ومثله التقي ملجم كالمحرم في الحرم.

**٨٦ـ الجَنَّةُ دَارُ الأَسْخِيَاءِ.**

الجنّة: البستان كثير الشجر الذي يجنّ أشجاره الأرض، وأصل الكلمة الستر.

وألف الدار منقلبة عن الواو بدلالة دور ودويرة ودار، يدور دوراً ودوراناً، والأسخياء جمع سخي كنبيّ وأنبياء، ووصيّ وأوصياء.

وهو[٢] الذي يبذل ماله في الواجبات والمندوبات من الصدقات وقضاء الحقوق الواجبة عليه والإحسان وسائر المبرّات؛ لأنّه اسم مدح في الشرع والعرف، والمدح لا يُستّحق إلّا بفعل الواجب والمندوب إليه.

ونقيضه البخيل، وهو اسم الذمّ، وحقيقته من يمنع الواجب؛ لأنّ الذمّ إنّما يُستحقّ بترك الواجب، ويستعمل في مانع ما لا يجب عليه على سبيل المجار.

---

(١) مشكاه الأنوار: ٤٠٥، كنز العمال ٦: ٣٤٦ / ١٥٩٨٥.

(٢) أي السخي.

**٨٧ـ الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ**[١].

هذا حثٌّ علىٰ الجهاد، فكأنّه قال: جاهدوا في سبيل الله؛ فمن طلب الجنّة فإنّها توجد تحت ظلال السيوف.

**والمعنىٰ**: أنّ من صبر وثبت ولم يفرّ حيث تعلو بالسيوف[٢] علىٰ راسه، وتظلّ علىٰ شخصه، وتيقّن بالقتل والشهادة، فهو ممّن ظفر بمطلوبه، وأدرك طلبته، وفاز بمراده، وقال الصادق عليه السلام: ***السيف مفتاح الجنّة والنار***[٣].

***ومفهوم الخبر:*** أنّ الجنّة تنال بالدين، ودرجات الجنّة تدرك بالطاعات، ومن أعظمها الجهاد؛ فإنّه يؤدّي إلىٰ الدرجة العظيمة في الجنّة، فكأنّ الجنّة تحته وتحت آلاته التي منها السيوف.

ومعنىٰ الظلال: الدنو من القرن حتىٰ يعلوه ظلّ سيفه لا يفرّ منه، وكلّ شيء دنا منك يقال: إنّه أظلّك.

**الضوء في شرح الشهاب**

وفي الشرع عبارة عن مانع الزكاة، كأنّه عليه السلام جعل الجنّة بأجمعها دار من يجود بماله ولا يبخل به عن الحقوق على سبيل المبالغة.

**٨٧ـ الجَنَّةُ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ.**

أراد عليه السلام بهذا الخبر الحث على الجهاد، فكأنّه قال: من طلب الجنّة فإنّها توجد تحت ظلال السيوف.

**والمعنى**: أنّ من صبر وثبت ولم يفرّ حيث تعلو السيوف على رأسه، وتظلّ

---

(١) مسند أحمد ٤ : ٣٩٦، صحيح البخاري ٣ : ٢٠٨، صحيح مسلم ٥ : ١٤٣، بحار الأنوار ٣٣ : ٤٥٧.

(٢) في النسخة: تعلىٰ بالسيوف.

(٣) الكافي ٥ : ٢ / ١، أمالي الصدوق: ٦٧٤ / ١١، تهذيب الأحكام ٦ : ١٢٢ / ٦.
وصورة الحديث هكذا: والسيوف مقاليد الجنّة والنار.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

على شخصه، وتيقنّ بالقتل والشهادة فهو ممّن ظفر بمطلوبه، وفاز بمراده، وأدرك طلبته.

وقيل لعلي عليه السلام: ما بال درعك لا ظهر لها؟ قال: ***إذا ولّيت فلا وألت***[١].

وقال الصّادق عليه السلام: ***السيف مفتاح الجنّة والنار***.

وقال بعض الحكماء: السيف حرز إذا جرّد، وهيبة إذا أُغمد[٢].

ووصفه رجل فقال: هو ملك رئيس، وضحّاك عبوس، لهوه قطف الرؤوس، وهزله خطف النفوس[٣]. وقال أبو الطيب:

*ومن طلب الفتح الجليل فإنّما* ... *مفاتيحه البيض الخفاف الصوارمُ*[٤]

وله:

*والمشرفيّة لا زالت مشرَّفة* ... *دواء كلّ كريم أو هي الوجعُ*[٥]

ولآخر:

*حسام غداة الروع ماضٍ كأنّه* ... *من الموت في قبض النفوس رسولُ*[٦]

ولآخر:

*لو قيل للموت انتسب لم ينتسب* ... *يوم الوغى إلّا إلى صمصامهِ*[٧]

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٥ : ١٣٤، لسان العرب ١١ : ٧١٥ مادة (وأل). وفيهما: إنّ درعه كانت صدراً بلا ظهر، فقيل له: لو احترزت من ظهرك، فقال: إذا أمكنت ظهري فلا وألت. أي لا نجوت.

(٢) محاضرات الأُدباء ٣: ٢٩٧.

(٣) محاضرات الأُدباء ٣: ٢٩٧.

(٤) ديوان المتنبّي: ٣٠٩.

(٥) ديوان المتنبّي: ٢٥٥.

(٦)و (٧) محاضرات الأُدباء ٣: ٢٩٨.

**٨٨ـ الجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ**[١].

**معناه:** أنّ البرّ مع الأُمّهات ثوابه الجنّة، فمن اشتاق إلى الجنّة وطلبها فإنّها توجد تحت أقدام الأُمّهات، وهذا عبارة عن التواضع والخشوع لهنّ، والانقياد لأوامرهنّ على جميع الأحوال، وتقبيل أرجلهنّ، وروي أنّ النبي عليه السلام أتته خالة له من الرضاع فبسط رداءه لها، وقال: **مرحباً بأُمّي**[٢].

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

ولأبي تمام:

| | |
|---|---|
| *السيف أصدق أنباء من الكتب في* | *حدّه الحدّ بين الجدّ واللّعبِ* |
| *بيض الصفائح لا سود الصحائف* | *في متونهنّ جلاء الشك والريبِ*[٣] |

ولأبي الطيب:

| | |
|---|---|
| *حتّىٰ رجعت وأقلامي قوائل لي* | *المجد للسيف ليس المجد للقلمِ* |
| *أُكتب بنا أبداً بعد الكتاب به* | *فإنّما نحن للأسياف كالخدمِ*[٤] |

**٨٨ـ الجَنَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الأُمَّهَاتِ.**

الأُمّهات جمع اُمّهة، وهي الأُمّ، وجمع الأُمّ اُمّات، وقيل: هي جمع أمة وهي الأُمّ أيضاً.

قال أبو الطيب:

| | |
|---|---|
| ......................... | ***والراكبين جدودهم اُمّاتها***[٥] |

---

(١) الجامع الصغير ١ : ٥٦٣ / ٣٦٤٢، كنز العمال ١٦ : ٤٦١ / ٤٥٤٣٩، تفسير الثعلبي ٧: ٢٧٢، مجمع البيان ٨: ١١.

(٢) مسند ابن المبارك: ١٣٦ / ٨١، وفيه: جاءت إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله ظئره التي أرضعته...، الإصابة ٨: ١٨٤ / ١١٣١٨.

(٣) ديوان أبي تمام: ١٤.

(٤) ديوان المتنبّي: ٤٠٣.

(٥) ديوان المتنبّي: ١٦٣، وتمام البيت:

←

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

والتاء في الأُمة للمبالغة لا للتأنيث؛ لأنّ هذا الاسم لا يقع على الذكور بوجه حتّى يؤتى بتاء التأنيث فرقاً بينهما.

ومعنى الخبر كمعنى الخبر الأوّل، كأنّه قال: من اشتاق إلى الجنّة وطلبها فإنّها توجد تحت أقدام الأُمّهات، يعني: يطلب رضاء الأُمّهات، وإنّما جعلها تحت أقدام الأُمّهات عبارة عن أنّها لا توجد إلّا بالخشوع لهنّ والتقبيل لأرجلهنّ ومسحها بالوجوه والمحاسن.

والأخبار في برّ الوالدين أكثر من أن يحاط بها، منها قوله عليه السلام: ***من أدرك والديه أو أحدهما ولم يغفر له أبعده الله***[1].

وروى أبو هريرة أنّه عليه السلام قال: ***دعاء الوالدة أسرع إجابة من دعاء الوالد***. قيل: لِمَ يا رسول الله؟

قال: ***لأنّها أرحم من الأب ودعوة الرّحيم لا تُردّ***[2].

وقال عليه السلام: ***البارّ بوالديه لا يموت ميتة سوء***[3].

وروى بهز بن حكيم عن جدّه، قال: قلت: يا رسول الله مَن أبرّ؟ قال: ***أُمّك***، قلت: ثمّ مَن؟ قال: ***أُمّك***، قلت: ثمّ مَن؟ قال: ***أُمّك***، قلت: ثمّ مَن؟ قال: ***ثمّ أباك، ثمّ الأقرب فالأقرب***.

---

← العارفين بها كما عرفتهم والراكبين جدودهم أُمّهاتها

وفي النسخة: أُمّهاتها، وما أثبتناه من المصدر، وهو المناسب لسياق الكلام.

(١) المعجم الكبير ١١: ٦٨، مسند أحمد ٤: ٣٤٤، باختلاف يسير.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) في مستدرك الوسائل ١٥: ١٧٥ / ٥ عن كتاب الأخلاق لأبي القاسم الكوفي: لن يدخل النار البار بوالديه.

**٨٩ـ الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ والإقَامَةِ لا يُرَدُّ**[١].

يـعني: أنّ الدعـاء فـي هـذه السـاعة يـقرن بـالإجابة، فـادعوا فـيها: فـإنّها مـظنّة لاسـتجابة الدعـوات مـن المـؤمنين لأنـفسهم ولإخـوانـهم عـلى مـن يظلمهم ويؤذيهم، وشرّف هذا الوقت لأنّه بين فصول من التكبيرات والتهليلات ونحوها.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

وقـال عليه السلام: ***يقال للعاقّ: افعل ما شئت فـلا أغـفر لك، ويـقال للـبارّ اعـمل ما شئت فإنّي لأغفر لك***[٢].

وروي أنّه جاء رجل إلى رسول الله، وقال: يا رسول الله، دلنّـي عـلى عـمل يدخلني الجنّة، قال: ***ألك والدان***؟ قال: نعم. قال: ***فإنّما يكفي مـع بـرّ الوالديـن العمل اليسير***[٣].

وجاء رجل إلى رسول الله وقد ألمّ بذنب، فقال له رسول الله: ***ألك أُمّ***؟ قال: لا، فسكت ساعة ثمّ قال: ***ألك خالة؟*** قال: نعم، قال: ***فبرّها***[٤].

وروي أنّ النبي عليه السلام أتته خالة له من جهة الرّضاع فنزع رداءه عن ظهره وبسطه لها، وقال: ***مرحباً بأُمّي***.

**٨٩ـ الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ لا يُرَدُّ.**

يعني: دعاء الرجل بالخير لنفسه ولأولاده ولإخوانه المؤمنين أو عـلى مـن يظلمه ويؤذيه ممّن يستحّق الدعاء عليه، أو يعني: دعاء الرجل لغيره أو عليه بين

---

(١) سنن أبي داود ١ : ١٢٨ / ٥٢١، السنن الكبرىٰ للـبيهقي ١ : ٤١٠، مـجمع الزوائـد ١ : ٣٣٣، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٨٢.

(٢) مسند أحمد ٥ : ٣، سنن أبي داود ٢ : ٥٠٦ / ٥١٣٩.

(٣) اُنظر: الاستيعاب ٤ : ١٧٥٧ / ٣١٧٤.

(٤) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ : ١٥٥، موارد الظمآن ٦ : ٣٣٩ / ٢٠٢٢.

والأذان: التأذين بالصلاة مختص بها شرعاً. والإيذان: الإعلام بإيقاع في أُذن المخاطب.

والإقامة: نصب الشيء قائماً، ويكون بمعنى الإظهار، ومنه قولهم: قامت الحرب على ساقٍ. ويقوم القيامة. وأقمت الحجّة؛ فكأنّه إقامة المأمومين للصلاة؛ لأنّ عند قول الإمام: قد قامت الصلاة يجب القيام للصلاة على المأمومين، وهو من باب: «ليلهُ قائم ونهاره صائم» على الإسناد المجازي.

والرّد ضدّ القبول، وهاهنا ضد الإجابة.

---

الأذان والإقامة حقيق بالإجابة؛ فإنّ تلك الساعة مظنّة إجابة الدّعاء؛ لأنّه بين فصول من التكبير والتهلّيل والشّهادتين والدّعاء إلى الصلاة والفلاح وهو الظفر والبقاء.

وأصل الأذان من الإيذان وهو الإعلام، يقال: أذنته بكذا إذا [أ]وقعته في أُذنه بالصّلاة، والأذان اسم للتأذين بالصّلاة مختص به شرعاً. والإقامة نصب الشيء قائماً، ويكون بمعنى الإظهار، كقول الشاعر:

*أقامت غزالة سوق الضراب ... لأهل العراقين حولاً قميطا*[1]

ومنه قولهم: قامت الحرب على ساق. قال: وقامت الحرب بنا على ساق، وقامت القيامة، وقامت عليه الحجّة وأقمتها أنا، فكأنّها إقامة المأمومين للصلاة؛ لأنّ عند قول الإمام قد قامت الصلاة وجب القيام على المأمومين للصلاة، وهو من باب: ليله قائم ونهاره صائم، على الإسناد المجازي.

والردّ ضدّ القبول، وهاهنا ضدّ الإجابة.

---

(١) لسان العرب ٧: ٣٨٥، مادة (قمط)، والبيت لأيمن بن خريم.

**٩٠ـ طَلَبُ الحَلَالِ فَرِيْضَةٌ بَعْدَ الفَرِيْضَةِ**[١].

أيّ اطلبوا الرزق من الوجه المأذون في طلبه شرعاً فريضة بعد فرائض الله تعالى أدّاها نحو الصلاة بالغداة والظهيرة؛ فإنّه يجب عليه طلب الرزق الحلال لقوت نفسه ومصلحة العيال، وهذا أولى من أداء التطوع؛ لأنّ العقل والشرع يوجبان عليه ذلك، كأنّه يقول: إذا فرغت من الصلاة المفروضة فليس شيء آكد عليك فرضاً ووجوباً من طلب الأرزاق لخاصّك ولعيالك.

وجعله في الخبر المتقدّم بمنزلة الجهاد[٢].

وسأل سدير الصيرفي الصادق عليه السلام ما حدّ طلب الرزق؟ قال: ***عليك أن تفتح***

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

**٩٠ـ طَلَبُ الحَلَالِ فَرِيْضَةٌ بَعْدَ الفَرِيْضَةِ.**

يعني: أنّ طلب الرزق الحلال من الوجه المأذون في طلبه شرعاً فريضة بعد الصّلاة الفريضة؛ لأنّ العقل والشرع أوجبا عليه طلب الرزق الحلال، كأنّه يقول: إذا فرغت من الصلاة المفروضة فليس شيء آكد عليك فرضاً ووجوباً من طلب الرزق الحلال، وجعله في الحديث الآخر بمنزلة الجهاد.

روي عنهم عليهم السلام: ***الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك***. يصل إليك لا محالة والذي تطلبه ربّما تصل إليه وربّما لا تصل إليه بحسب المصلحة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ**﴾[٣].

وسأل سدير الصيرفي الصادق عليه السلام ما حدّ طلب الرزق؟ قال: ***عليك أن تفتح باب حانوتك، وتفرش بساطك، وتجلس هناك والباقي على الله.***

---

(١) السنن الكبرىٰ للبيهقي ٦: ١٢٨، مجمع الزوائد ١٠: ٢٩١، المعجم الكبير ١٠: ٧٤/ ٩٩٩٣.

(٢) تقدّم برقم: ٦٢.

(٣) سورة الشورى ٤٢: ٢٧.

***باب حانوتك، وتفرش بساطك، وتجلس هناك والباقي على الله***[١].

وقال علي ﷺ: الرزق رزقان: طالب ومطلوب[٢]. فالذي يطلبك يصل إليك وإن لم تطلبه، والذي تطلبه ربّما تصل إليه وربّما لا تصل إليه بحسب المصلحة.

يقول: طلب كسب الحلال فريضة بعد كلّ فريضة وبعد أدائها.

---

وقيل: بالجدّ لا بالكدّ[٣]، وقال:

*وعليّ أن أسعىٰ وليـ — ـس عليّ إدراك النجاح*[٤]

وقال:

*لو أنّ بالعقل يُعطىٰ ما تعيش به — لما ظفرت من الدّنيا بثفروقِ*

وهو ما يلتزق به القمع من التمرة.

*ولاكسبت بهذا العقل خردلة — ممّا ترىٰ نهبة في هذه السوقِ*

*لكنّ ربّي وقد عمّت فواضله — مثمر لرجال النوك والموقِ*

*رزقت مالاً فعش فيه على حمق — فلست وحدك في الحمقى بمرزوقِ*[٥]

---

(١) اُنظر: تهذيب الأحكام ٣: ٤ / ١٣، الكافي ٣: ٤٧٤ / ٣، ٥: ٣٠٩ / ٢٥.

(٢) نقل الشارح قول أمير المؤمنين بالمعنىٰ، والمروي عن سيد البلغاء والمتكلمين هكذا في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: يا بني، الرزق رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك، فلا تحمل هم سنتك علىٰ هم يومك، وكفاك كلّ يوم ما هو فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإنّ الله عزّوجلّ سيأتيك في كلّ غدٍ بجديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بغم وهم ما ليس لك، واعلم أنّه لن يسبقك إلىٰ رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يحتجب عنك ما قدر لك... من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٦، كنز الفوائد: ٢٩٠.

(٣) أمالي المرتضىٰ ١: ١٧٢.

(٤) الوافي بالوفيات ٢: ٧٧، الأنساب ٣: ٣٢١، والشاعر هو كشاجم.

(٥) لم نعثر عليه في المصادر.

**٩١ـ أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مَؤُونَةً[١].**

هذا أمر للناس أن يرضوا من الأزواج باللواتي لا يطلبن المهور الغالية والنفقات الكثيرة الغالية، وليتزوج كلّ مؤمن امرأة خفيفة المهر والنفقة والكسوة؛ فإنّها هي المباركة الميمونة تُحسِن معاشرة زوجها في الشدّة والرخاء، وإلّا فظاهر الخبر يعلم ضرورة؛ فإنّ المرأة إذا كانت قليلة المؤونة كانت عظيمة البركة، وكلّما كانت أقل مؤونة كانت أعظم بركة.

والبركة: ثبات الشيء، والمؤونة: ما يلزم الرجل من القيام بحمله.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

ولآخر:

| | |
|---|---|
| *لو كان [في صخرة] في البحر راسية* | *صمّاء ملموسة ملس نواحيها* |
| رزق *لعبد يراه الله لانصدعت* | *منه إليه فأدّت كلّ ما فيها* |
| *أو كان تحت طباق الأرض مطلبه* | *لسهّل الله في المرقى مراقيها* |
| حتّىٰ ينال *الذي في اللوح خط له* | *إن هي أتته وإلّا فهو يأتيها*[٢] |

وهذا من الرزق الذي يطلب الجالس.

**٩١ـ أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَقَلُّهُنَّ مُؤْنَةً.**

هذا ممّا يعلم ضرورة أنّ المرأة إذا كانت قليلة المؤنة كانت عظيمة البركة، وكلّما كانت أقل مؤنة كانت أعظم بركة. والبركة بقاء الشّيء وثباته، من بروك البعير، وبركة الماء. والمؤنة ما يلزم الرّجل من القيام بحمله.

ومعنى الخبر: الحثّ على طلب امرأة قانعة بما يكون لزوجها غير متحكّمة

---

(١) مسند أحمد ٦: ١٤٥، مجمع الزوائد ٤: ٢٥٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٣: ٣١٩ / ١٤، السنن الكبرىٰ ٥: ٤٠٢ / ٩٢٧٤.

(٢) التوحيد: ٣٧٢، أعلام الدين في صفات المؤمنين: ١٦٣.

حثّ ﷺ اُمّته على طلب امرأة قانعة بما يكون لزوجها، غير متحكّمة عليه بما يثقله، وروي: ***أعظم النساء بركة أصبحهن وجهاً وأقلّهنّ مهراً***[(١)].

***تزوّجوا الزُّرْق فإنّ في أعينهن يمناً، ولا تزوّجوا عجوزاً ولا عاقراً؛ فإنّي مكاثر بكم حتّىٰ بالسقط***[(٢)].

وقال: ***إنّ من يمن المرأة بكرها بالأنثىٰ قبل الذكر، قال الله تعالى:*** ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[(٣)].[(٤)]

وقال: ***التمسوا الرزق بالنكاح، قال تعالى:*** ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[(٥)].[(٦)]

---

عليه بما يمونه ويثقله.

روي أنّ امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فشكت إليه الإعسار فقال ﷺ لأحد من أصحابه: ***تزوّج هذه***، فقال: يا رسول الله، ليس معي صداقها ـ وكان في يده خاتم من حديد ـ قال له: ***فتزوّجها على هذا الخاتم***، فتزوّجها.

وسأل رجلاً من أصحابه، ***هل لك زوجة***؟ فقال: لا، فقال له: ***تزوّج فلانة***، فقال: ليس معي صداقها، فقال له: ***أمعك شيء من القرآن***؟ قال: نعم، قال: ***زوّجتكها على ما معك من القرآن***. فعلّمها فتزوجها على ذلك. وهذا دليل على أنّ

---

(١) الكافي ٥: ٣٢٤ / ٤، من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٨٦ / ٤٣٥٦، تهذيب الأحكام ٧: ٤٠٤ / ٢٤.

(٢) الظاهر أن هذا الحديث حصيلة مجموعة أحاديث، اُنظر: المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٩٠، مجمع الزوائد ٤: ٢٥٨.

(٣) سورة الشورىٰ ٤٢: ٤٩.

(٤) دعائم الإسلام ٢: ١٩٦ / ٧٢٠، كنز العمال ١٦: ٤٨٣ / ٤٥٥٦٧، تفسير الثعلبي ٨: ٣٢٤، تفسير البغوي ٤: ١٣١.

(٥) سورة النور ٢٤: ٣٢.

(٦) مكارم الأخلاق: ١٩٦، تخريج الأحاديث والآثار ٢: ٤٤٣ / ٢٩.

وجاءت امرأة إلى النبي عليه السلام فشكت الإعسار، فقال لمن بحضرته: ***تزوّج بهذه***، فقال: يا رسول الله، ليس معي صداقها ـ وكان في يده خاتم من حديد ـ قال: ***فتزوّجها على هذا الخاتم***، فتزوّجها[(١)].

ودخلت امرأة أُخرى ليزوّجها، فقال لرجل من أصحابه: ***ألك زوجة؟*** قال: لا، فقال: ***تزوّجها***، فقال: ليس معي صداقها، قال: ***هل معك شيء من القرآن***، قال: نعم، قال: ***زوّجتكها على ما معك من القرآن فعلّمها***، فتزوّجها على ذلك[(٢)]. وهذا يدل على أنّ المهر ما تراضى به الزوجان ممّا يحل في الشرع.

**الضوء في شرح الشهاب**

المهر ما تراضى به الزوجان.

ويروى: ***أعظم النّساء بركة أصبحهنّ وجهاً وأقلهنّ مهراً.***

وقال عليه السلام: ***تزوّجوا الزرق فإنّ في أعينهنّ يمناً، ولا تزوجوا عجوزاً ولا عاقراً؛ فإنّي مكاثر بكم [حتّىٰ بـ ]السّقط.*** وقال: ***إنّ من يمن المرأة تبكيرها بالأُنثى قبل الذّكر؛ وذلك إنّ الله تعالى قال:*** ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾[(٣)].

وقال عليه السلام: ***التمسوا الزرق بالنكاح؛ قال الله تعالى:*** ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[(٤)].

وبعث عليه السلام أُمّ سليم إلى امرأة أراد أن يتزوّجها، فقال لها: شمّي عوارضها وانظري عرقوبيها[(٥)].

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.
(٢) أُنظر: السرائر ٢ : ٥٧٩، عوالي اللئالي ٢ : ٢٦٣، مختصر المزني: ١٧٩، مسند أحمد ٥ : ٣٣٠.
(٣) سورة الشورىٰ ٤٢ : ٤٩.
(٤) سورة النور ٢٤ : ٣٢.
(٥) المستدرك علىٰ الصحيحين ٢ : ١٦٦.

**٩٢ـ المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ**[١].

له معنيان:

**أحدهما:** أنّه إذا نظر إلى أخيه المؤمن يرىٰ منه نفسه؛ يفرح بفرحه ويحزن بحزنه، كمن ينظر في المرآة يرى نفسه فيظنّ به من الخير ما يظنّ بنفسه، ويريد به الخير والنفع ما يريد بنفسه، ويكون مشفقاً عليه يكفّه أن تقع في هلكة، وهذا معنىً لطيف.

---

وقيل: ألذّ النكاح أفحشه[٢].

وقال عبدالملك بن مروان: مَنْ أراد النجابة فبنات فارس، ومن أراد البأس فبنات بربر، ومن أراد الخدمة فبنات الرّوم[٣].

**٩٢ـ المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ.**

المرآة مِفْعَلة من الرؤية، وأصلها مرأية، فقلبت الياء ألفاً؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها، فصارت مرآة، وتجمع على مراء، وهي آلة للرؤية، وبناء المفعلة في الآلة يكثر كالملعقة والمجرفة والمحجمة وغيرها.

والمؤمن: المصدّق في اللغة والشرع؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾[٤] أي بمصدّق.

وفي معنى الخبر وجهان:

**أحدهما:** أنّه إن نظر[٥] إلى أخيه المؤمن يرى منه نفسه، كمن ينظر في المرآة

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٤٦٠ /٤٩١٨، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٨: ١٦٧، المعجم الأوسط ٢: ٣٢٥.

(٢) محاضرات الأُدباء ٣: ٥١٩.

(٣) بهجة المجالس وأُنس المجالس: ٦٣١.

(٤) سورة يوسف ١٢: ١٧.

(٥) في النسخة: أنظر، وما أثبتناه هو المناسب.

**والوجه الآخر:** أنّ الرجل إذا نظر إلى أخيه المؤمن فرأى عليه شيئاً يعاب به يعلمه ذلك ليغيره ويزيله، كما أنه إذا رأى نقطة سواد وتشويش عمامة في المرآة أصلحه، ويعينه على ما فيه حظّه من أمر آخرته ودنياه.

**٩٣ـ المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ**[1].

يريد من حقّ المؤمن أن يرضى لأخيه المؤمن ما يرضى لنفسه ويكره لنفسه، يعينه على ما فيه حظ آخرته ودنياه.

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

يرى نفسه فيظنّ به من الخير ما يظنّ بنفسه، ويريد به من الخير والنفع ما يريد بنفسه، وهذا معنى لطيف.

**والوجه الآخر:** أنّ الرجل إذا نظر إلى أخيه المؤمن فرأى عليه شيئاً يعاب به من نقطة سواد على وجهه وتشويش عمامة أو غير ذلك فيعلمه ذلك ليغيره[2] أو يزيله، كما إنّه إذا نظر إلى المرآة فرأى ذلك غيّره أو أصلحه.

**٩٣ـ المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ.**

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾[3] وقال عليه السلام: ***المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأُمّه إن جاع أطعمه، وإن عرى كساه، وإن خاف آمنه، وإن مرض عاده، وإن مات شيّع جنازته وأُخوة الدين آكد من أُخوة النسب.***

وروى: أنّه لمّا أُسّر العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب فدى العباس نفسه، وخرج إلى مكة، وأمّا عقيل فلم يكن له شيء يفدي به نفسه، فدفعه رسول الله إلى عليّ، وقال له: ***شأنك بأخيك***، فأخذ علي بيده وعرض عليه السلام عليه

(١) صحيح مسلم ٤: ١٣٩، سنن أبي داود ٢: ٤٦٠ / ٤٩١٨، وروى عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في الكافي ٢: ١١٦ / ٢، ٣، فضائل الشيعة: ٢٦.

(٢) في النسخة: لغيّره، وما أثبتناه هو المناسب.

(٣) سورة الحجرات ٤٩: ١٠.

وفي خبر آخر: ***المؤمن أخ***[١] ***المؤمن من أبيه وأمه، إن جاع أطعمه، وإن عرى كساه، وإن خاف آمنه، وإن مرض عاده، وإن مات شيع جنازته، واُخوته في الدين آكد من أخوة النسب***[٢].

وكان علي عليه السلام يحبّ عقيلاً في حال صغره أشدّ حبّ، فلمّا عرض عليه الإسلام وأبىٰ جرّد عليّ سيفه، فقال عقيل: إنّك لقاتلي؟ قال: ***نعم، إن لم تؤمن.*** فأسلم عقيل، وقال: تأملت في جدّك في قتلي لامتناعي من الإسلام مع فرط محبّتك لي، فعلمت أنه لو لم يكن هذا الدين حقّاً لما قتل مثلك أخاً مثلي، فصار هذا سبب إسلامي، فاعتنقه عليّ وقال: ***أنت الآن أخي؛ لأن الأخوة أخوة الدين لا أخوة النسب***[٣].

---

الإسلام ودعاه إليه، فأبى فخلى عن يده، وأخذ بشعر رأسه وجاء به إلى السوق وأجلسه وجرّد السيّف، وكان يحبّه حبّاً شديداً، فقال له عقيل: ياأخي، بحقّ الذي تحلف به إنّك لقاتلي؟ فقال علي: ***أي، والذي لاإله إلّا هو إن لم تؤمن.*** فقال عقيل: أشهد أن لاإله إلّاالله، وأنّ محمداً رسول‌الله، وأنّ هذا الدين الذي هو دين الإسلام حقّ.

فقال له علي: ***دعوتك إلى الإسلام بالترغيب والترهيب فما أحببت، فما بدا لك؟***

---

(١) (أخ) من الأسماء الخمسة تعرب بالحروف إذا اُضيفت إلىٰ غير ياء المتكلم، وهذا هو المشهور في إعرابها، وهناك لغة اُخرىٰ في (أب) و (حم) و (أخ) وهي الإعراب بالحركات علىٰ آخرها. وذكر هاتين اللغتين ابن مالك في ألفيته حيث قال:

أب أخ حم كذاك وهن ... والنقص في هذا الأخير أحسنُ

وفي أب وتاليبه يندر ... وقصرها من نقصهنّ أشهرُ

اُنظر: شرح ابن عقيل ١: ٤٨.

(٢) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ٣: ١١٨.

(٣) لم نعثر عليه في المصادر.

**٩٤ـ المُؤْمِنُ يَسِيْرُ المَؤُونَةِ**[١].

هذا أمر بأن يزجي كلّ مؤمن أيامه بالقناعة، فإنما يكفيه بلغة من العيش، وإن المؤمن الحقيقي إذا علم أنّ ما آتاه الله من الرزق هو أصلح له في الدين قنع بذلك، ورضي به، ولا يتكلّف طلب ما يكون وبالاً عليه في الآخرة ومشقّة في الدنيا، ألا ترى إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقول: ***وإن إمامكم قد اكتفى من الدنيا بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ولو شئت للبست العبقريّ من ديباجكم، ولأكلت لباب البُرّ بصدور دجاجكم، وما لعلي وللدنيا وقد سمع الله يقول:*** ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].[٣]

**الضوء في شرح الشهاب**

قال: تأمّلت في جدّك في قتلي لامتناعي عن الإسلام مع فرط محبّتك لي، فعلمت أنّه لو لم يكن هذا الدين حقّاً لما قتل مثلك أخاً مثلي، فصار هذا سبب إسلامي، فاعتنقه علي عليه السلام، وقال: ***أنت الآن أخي؛ لأنّ الأخوة أخوة الدين لا أخوة النسب***.

**٩٤ـ المُؤْمِنُ يَسِيْرُ المَؤُونَةِ.**

لأنّ المؤمن الحقيقي إذا علم أنّ ما آتاه الله من الرزق هو أصلح له في الدين قنع بذلك ورضي، ولا يتكلّف طلب ما يكون وبالاً عليه في الآخرة ومشقّة في الدنيا، ألا ترى إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كيف يقول: ***وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، والله لو شئت للبست العبقري من ديباجكم، ولأكلت لُباب البرّ بصدور دجاجكم، ولشربت الماء برقيق زجاجكم، وما لعليّ***

(١) الجامع الصغير ٢: ٦٦٢ / ٩١٥٣، كنز العمال ١: ١٤٢ / ٦٠١٥، وفي الكافي ٢: ٢٤١ / ٣٨ عن الإمام الصادق عليه السلام: خفيف المؤونة.

(٢) سورة القصص ٢٨: ٨٣.

(٣) المقطع الأول والثاني في نهج البلاغة: ٤١٧ / ٤٥، والباقي في أمالي الصدوق: ٧١٩.

وكان يصوم معظم نهاره ويفطر على قدر من سويق، ويقول: ***حسبي من الطعام ما يقيم ظهري، ولا يمنعني من عبادة ربّي***[١].

**٩٥ـ المُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ**[٢].

يأمر بهذه الخصال الثلاث؛ فإنّ حلية المؤمن أن يكون حاذقاً في اُمور الدنيا، عالماً بموجبات الفرائض، حذراً عن آفات الدنيا والآخرة.

---

***وللدنيا، وقد سمع الله يقول:*** **﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[٣].

وكان عليه السلام يصوم معظم نهاره ويفطر على قدر سويق، فقيل له في ذلك، فقال: ***حسبي من الطعام ما يقيم ظهري، ولا يمنعني من عبادة ربي.***

وكان عليه السلام في السنة التي قتل فيها يفطر ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة [عند] عبدالله بن جعفر، فما كان يزيد على ثلاث لقم، فقيل له في ذلك، قال: ***لألقى الله وأنا خميص البطن، إنّما هي ليلة أو ليلتان.*** فاُصيب في آخر الليل[٤].

وسيرته في الزهد أكثر من أن يحاط به.

**٩٥ـ المُؤْمِنُ كَيِّسٌ فَطِنٌ حَذِرٌ.**

الكياسة والفطنة متقاربة المعنى، وهما من باب العلم، إلّا أنهما أبلغ منه، فإنّه ربّما يكون الرجّل عالماً عارفاً ولم يك كيساً فطناً، فالكياسة: علم مستخرج

---

(١) روض الجنان في تفسير القرآن ٢: ٢٤٨.

(٢) الجامع الصغير ٢: ٦٢٢، كنز العمال ١: ١٤٣ / ٦٨٩، الدعوات: ٣٩ / ٩٤، بحار الأنوار ٦٤: ٣٠٧ / ٤٠.

(٣) سورة القصص ٢٨: ٨٣.

(٤) الإرشاد ١: ١٤، ٣٢٠، روضة الواعظين: ١٣٥.

والكياسة: علم مستخرج بالفكر، ويستعمل أيضاً في علوم يخلقها الله عند الممارسة والمدارسة، كالعلم بالصنائع والحفظ.

وأما الفطنة: فهي أيضاً علم واقع على وجه، يقال: فطن لكذا إذا أدركه وعلمه، فهما علمان مستطرفان، ولذلك لا تجريان على الله.

والحَذِرُ من كان الحَذَر عادته وخلقه، والحاذر: من أحدث حذراً وإن لم يكن من أخلاقه، ومثله فَاكِهٌ وفَكِهٌ وجازِع وجَزِعٌ وقانع وقَنِع.

أي المؤمن يتفكّر ويعلم ما يحتاج إليه في دينه ودنياه، ويحذر ممّا يوبقه، وسئل عن معنى الكيّس الفطن الحذر، يقال[١]: من يهدم دنياه فيبني بها آخرته، ولا يهدم آخرته فيبني بها دنياه[٢].

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

بالفكر، ويستعمل أيضاً في علوم يخلقها الله تعالى عند الممارسة بالعادة كالعلم بالصنائع والحرف.

وكذلك الفطنة، يقال: فطن لكذا إذا أدركه وعلمه فهما علمان مستطرفان، ولذلك لا يجريان على الله تعالى.

والحَذِر من كان الحذر خلقه وعادته، والحاذر من أحدث حذراً وإن لم يكن من خلقه وعادته، ومثله فَاكِه وفَكِه وجَازِع وجَزِع وقَانِع وقَنِع، أي يتفكّر ويعلم ما يحتاج إليه في دينه، ويحذر ما يوبقه، ويعمل بعلمه.

وقيل لبعض العلماء: من الكيّس الفطن الحذر من الناس؟ قال: من يهدم دنياه فيبني بها آخرته، ولا يهدم آخرته فيبني بها دنياه.

(١) كذا في النسخة.

(٢) محاسبة النفس: ١٨٤.

**٩٦ـ المُؤْمِنُ أَلِفٌ مَأْلُوفٌ**[١].

هذا حثٌّ على حسن الخلق؛ فإنّ المؤمن يحبّ الناس في الله ويحبّونه، يعني أنّ المؤمن من أخلاقه الكريمة أن يألف كلّ أحد ويستأنس به، ويـؤلف النـاس ولا ينفّرهم بغلظة طبعه وفظاظة خلقه، كما كان ﷺ وهذه من نعم الله على عـبد يكون بهذه الصفة، ومن كان كذلك كان محبوباً إلى الناس.

**٩٧ـ المُؤْمِنُ مَن أَمِنَهُ النَّاسُ عَلىٰ أَنفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**[٢].

يعني: أنّ المؤمن مؤتمن يأمنه الناس، يعلمون أنّه لا يقصدهم بسوء ولا غائلة

---

**٩٦ـ المُؤْمِنُ أَلِفٌ مَأْلُوفٌ.**

يعني: أنّ المؤمن من خلقه الكريم وسجيّته السمحة يألف كلّ أحد ويستأنس به، ويؤنس الناس ويؤنسون به، ولا ينفّرهم بغلظة طبعه وفظاظة خلقه كما كـان النبي ﷺ، فروي أنّ العبد الأسود الوحش الكريه الرائحة أقامه على قارعة الطريق، ويأخذ يده بيده، فلم يكن ﷺ ينزع يده من يده حتّىٰ كان هو الذي يبتدئ به، قال الله تعالى: ﴿**فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْـفَضُّوا مِـنْ حَوْلِكَ**﴾[٣] وهذه نعمة من نعم الله تعالى على عبد يكون بهذه الصفة، فإنّه إذا كان كذلك كان محبوباً إلى النّاس.

**٩٧ـ المُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.**

يعني: أنّ المؤمن مؤتمن يأمنه الناس على أنفسهم؛ لأنّه لا يقصدهم بسوء

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ٨: ٤٠٤، ميزان الاعتدال ٣: ٢٤٨.

(٢) مسند أحمد ٦: ٢١، سنن ابن ماجة ٢: ١٢٩٨ / ٣٩٣٤، وفيهما: علىٰ أمـوالهـم وأنـفسهم، المستدرك علىٰ الصحيحين ١: ١١.

(٣) سورة آل عمران ٣: ١٥٩.

في أنفسهم فلا يستحلّ أموالهم ولا يأخذها إلّا بحقّها، فهو مأمون الجانب، ودعا علي عليه السلام غلامه فأبطأ عليه، فقام إليه وقال: ***أما سمعت ندائي؟*** قال: نعم، إلّا أنّي أمنتك في الكسالة عن أجابتك، فقال: ***أعتقتك، شكراً لله لأمان عباده مني***(١) وهذه الخصلة من كمال زينة الإيمان.

**٩٨ـ المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ، والفِاجِرُ خَبٌّ لَئِيمٌ**(٢).

هذا الخبر أمر بخصلتين ونهىٰ عن خصلتين، أي كن كريماً جامعاً لمحامد الأخلاق، قليل المعرفة بالشر، غافلاً عن الفعال القبيح، فإنّ الكافر يكون عادته الوغول في الشرّ والاحتيال.

**الضوء في شرح الشهاب**

ولا غائلة، وعلى أموالهم إنّه لا يستحلها ولا يأخذها إلّا بحقها، فهو مأمون الجانب عليهما.

وروي أنّه كان لأمير المؤمنين علي عليه السلام غلام وكان جالساً بقربه فناداه مرّة ومرتين ومرّات فلم يجبه، فقام إليه وقال: ***يا غلام، أما سمعت ندائي لك***؟ قال: بلى، قال: ***لِمَ لم تجبني***؟ قال: لأنّي أمنتك، قال: ***أعتقتك شكراً لله على أمان عباده.***

**٩٨ـ المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيْمٌ، وَالفَاجِرُ خَبٌّ لَئِيْمٌ.**

الغرّ: الذي لم يجرّب الأُمور ولم تحنّكه التجارب غير ساحر ولا محتال ومصدره الغرارة، وأصله: السير، ومنه الغِرارة لظرف التين، وغرّه يغره غروراً إذا خدعه، والغرور: الشيطان في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾(٣) لكثرة غروره للناس، وغرّ الطائر فرخه إذا زقّه غرّاً.

---

(١) الإرشاد ٢: ١٤٧، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٩٦، باختلاف، والإمام هو علي بن الحسين عليهما السلام.

(٢) مسند أحمد ٢: ٣٩٤، سنن أبي داود ٢: ٣٤٥، سنن الترمذي ٣: ٢٣٢ / ٢٠٣٠.

(٣) سورة لقمان ٣١: ٣٣، سورة فاطر ٣٥: ٥.

بيّن ﷺ أنّ المؤمن كما كان مخالفاً مضاداً للكافر، فكذلك أخلاقهما وصفاتهما متناقضة.

والغِرّ ـ في اللغة ـ: الذي لم يجرب الأمور[١]، والمراد بالفاجر الكافر؛ لوقوعه في مقابلة المؤمن.

والخبّ: الجربز المكّار[٢]، وهو نقيض الغرّ. واللئيم خلاف الكريم، واللؤم: اسم جامع لمساوئ الأخلاق.

**٩٩ـ المُؤْمِنُونَ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضاً**[٣].

ظاهره الخبر ومعناه الأمر، أي ليكن المؤمنون كذلك، تشبيه[٤] المؤمنين في

---

وهو مع ذلك كريم جامع لمحامد الأخلاق.

والفاجر يعني الكافر؛ لوقوعه في مقابله المؤمن.

خبّ أي جربز مكّار، ومصدره الخِبّ والنعت منه بالفتح، كالبِرّ والبَرّ والطِبّ والطَبّ وهو خلاف الغرّ ونقيضه.

واللئيم: نقيض الكريم، واللؤم ضدّ الكرم وهو الدناءة، يقال: لؤم الرّجل يلؤم لؤماً، وهو اسم جامع لمساوئ الأخلاق، فبيّن ﷺ أنّ المؤمن كما كان مخالفاً مضادّاً للكافر فكذلك أخلاقهما وصفاتهما متناقضة متنافية.

**٩٩ـ المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضَاً.**

البنيان: البناء، وهذا البناء في أبنية المصادر غير عزيز كالسبحان والقربان

---

(١) الصحاح ٢ : ٧٦٨، مادة (غرر).

(٢) الصحاح ١ : ١١٧، مادة (خبب).

(٣) مسند أحمد ٤ : ٤٠٤، صحيح البخاري ٣ : ٩٨، صحيح مسلم ٨ : ٢٠، المجازات النبويّة: ٢٨٢. وفي الثلاثة الأُولى: (المؤمن للمؤمن) بدل (المؤمنون).

(٤) في النسخة: تنبيه.

تناصرهم وتوازرهم بالبناء المبني بالجصّ والآجر والحجر في استحكام بعضه بالبعض، والتأليف الذي فيه.

وقيل: معناه: ينبغي أن يعتمد بعضهم على بعض؛ فإنّ أحوال المؤمن لا ينتظم إلّا بعناية بعضهم لبعض ظاهراً وباطناً، كما أنّ بالبنيان لا يقوم بعضها إلّا ببعض.

والبنيان: البناء. والشدّ: العقد والإحكام. وفي الخبر دلالة أنّ من شعار المؤمن أن يستر أخاه، ويعينه على النوائب، ويقضي حوائجه.

**١٠٠ـ المُؤْمِنُ مِنْ أَهْلِ الإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ**[1].

له ثلاثة معانٍ:

**أحدها:** أنّ المؤمن ـ الذي يعلم كونه مؤمناً وهو المعصوم ـ أهل الإيمان، هو

**ـــــ الضوء في شرح الشهاب**

والتكلان ويستعمل في المبنى.

شبّه المؤمنين في تناصرهم وتوازرهم بالبناء المبني بالجصّ والآجر أو الأحجار في استحكام بعضه بالبعض، واعتماد بعضه على بعض، والتأليف الذي فيه على وجه الالتزاق. والشدّ: العقد والإحكام، ويجوز أن يكون ظاهره الخبر ومعناه الأمر، أي ليكن المؤمنون كذلك.

**١٠٠ـ المُؤْمِنُ مِنْ أَهْلِ الإِيْمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ.**

يعني: أنّ المؤمن ليس بغريب ولا أجنبي من مثله فهو من أهل ملّته من المؤمنين بمنزلة الرأس من الجسد، كما أنّ الجسد لا يقوم إلّا بالرأس والرأس لا يقوم إلّا بالجسد، فكذلك المؤمنون لا يستغني بعضهم عن بعض.

ومعناه يقرب من معنى الحديث الأوّل، وقول من قال: إنّ المراد بالمؤمن الإمام يفضل الرأس على الجسد بعيد، وذلك لأنّه لو كان كذلك لكان اللّام في

---

(١) مسند أحمد ٥: ٣٤٠، المعجم الكبير ٦: ١٣١، الجامع الصغير ٢: ٦٦١ / ٩٩٥١.

لهم كالرأس للجسد، وله فضل عليهم، ومدافعهم به ومصالحهم من جهته، واللام على هذا التعريف للعهد، وعلى الوجهين الآخرين للجنس كما في سائر هذه الأحاديث المتصلة به.

**والثاني:** أنّ كلّ مؤمن لا يكون غريباً ولا أجنبياً من مثله، فهو من أهل ملته من المؤمنين بمنزلة الرأس من الجسد، فكما أنّ أحدهما لا يقوم إلّا بالآخر، فكذلك المؤمنون لا يستغني بعضهم عن بعض.

**والثالث:** أنّ كلّ مؤمن ينبغي أن لا يتكلّم في أهل[١] الإيمان إلّا بالخير، ولا ينظر إلى مصالحهم ولا يسمع غيبتهم، ويجعل نفسه لهم زينة في الأحوال يتقدّمهم في حوائجهم والدفع لهم.

**١٠١ـ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ**[٢].

أي كونوا مشفقين بإعطاء الصدقة للفقراء والمساكين؛ لتكونوا في ظلّها يوم

---

المؤمن لتعريف العهد ولا عهد هاهنا بين المخاطِب والمخاطَب، وإذا كان كذلك كان اللام للجنس كما هو في سائر الأحاديث من أمثالها، وإذا كان الأمر على هذا فلا يتصوّر التمييز والتفضيل. فالمعنى أنّ كلّ مؤمن لمؤمن كالرأس مع الجسد في استحالة استقلال كلّ واحد منهما بنفسه دون صاحبه. فهو كقوله عليه السلام: ***المؤمنون كنفس واحدة***[٣].

**١٠١ـ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ.**

قد مرّ تفسير هذا الخبر في قوله عليه السلام: ***الرّجل في ظلّ صدقته حتّىٰ يُقضىٰ بين***

---

(١) في النسخة: هذا.

(٢) مسند أحمد ٤: ١٤٨، مسند ابن المبارك: ١٩٥، المستدرك على الصحيحين ١: ٤١٦، وفيها: كلّ امرئ.

(٣) تفسير السمعاني ٥: ٢٢٠، تفسير الرازي ١٠: ٧٢.

القيامة، فإنّ الصدقة راحة لمن دفعها يوم القيامة يستظلّ بها.

**١٠٢ـ المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعَاءٍ وَاحِدٍ، والكَافِرُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ**[١].

والمراد أنّ المؤمن يقنع من مطعمه بالبلغ التي تمسك الرمق ويقيم الأوَدَ، دون المآكل التي يقصدها وجه اللذة، فكأنّه يأكل في معاء واحد، وأما الكافر فهو يطلب عاجل الدنيا، عبد فيها للذّته، وكادح فيها لطاعة شهوته، فكأنّه يأكل في سبعة أمعاء؛ ولهذا الخبر ثلاثة معانٍ أُخر:

**أحدها:** أن يكون مخصوصاً بعمرو بن معدي كرب، فإنّه كان أكولاً في حال كفره يأكل حُواراً مشوياً مع كثير وزق من اللبن، فلمّا سرّه[٢] علي عليه السلام وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قدّم إليه قليلاً من الطعام، فلمّا أكل بعضه شبع وصار سبب إسلامه، فكان بعد ذلك يقلّ أكله[٣].

الضوء في شرح الشهاب

***النّاس***[٤]. فلا وجه لإعادته.

**١٠٢ـ المُؤْمِنُ يَأْكُلُ فِي مِعَاءٍ وَاحِدٍ، وَالكَافِرُ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ.**

قيل: هذا الخبر مخصوص برجل كان يكثر الأكل حين كان كافراً فلمّا أسلم قلّ. وقيل: كان معاوية معروفاً بالنهم وكثرة الأكل حتّىٰ قيل:

*وصاحب لي بطنه كالهاوية كأنّ في أمعائه معاوية*[٥]

وقيل: دخل الحسن بن علي عليهما السلام ذات يوم على معاوية وهو يأكل، فجلس

---

(١) مسند أحمد ٢: ٢١، ٢٥٧، سنن الدارمي ٢: ٩٩، صحيح مسلم ٦: ١٣٣، الكافي ٦: ٢٦٨ / ١، الخصال ٢: ٣٥١ / ٢٩.

(٢) كذا في النسخة، والمناسب: أسّره.

(٣) أُنظر: شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٩٩، الإرشاد ١: ١٦٠.

(٤) تقدّم برقم: ٧٧.

(٥) يتيمة الدهر ٣: ٣٦٥.

**والثاني**: أنّه حثّ إلى قلّة الأكل؛ لأن الخبر وارد مورد الذم لمكثر الأكل؛ فإنّ كثرة الأكل تُولد كثيراً من الأسقام والآلام، قال: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾[١].

**والثالث**: أن يكون حقيقة ومجازاً معاً. والمعنى: أنّ المؤمن لا يتناول إلّا دون سبعه[٢] لنفسه، ويترك أكثر زاده لغيره إبقاء عليه وشفقة، وأنّه يرضى من الدنيا بالقليل من اللباس والمعاش والطرح والفرش، لا[٣] يبالغ في زينة الدنيا كأنّه يأكل في معىً واحد، وفي طعام المؤمن بركة، وفي الكافر على خلافه لا يشبعه إلّا الكثير؛ فإنّه يكون طويل[٤] الأمل لا يشبع من الدنيا، ولا يكفيه ما يسدّ به بطنه ويستر به عورته، ولا يتنزه عمّا ليس له، فهو أبداً في همّة الأكل واللذة كالذي يأكل في سبعة أمعاء.

والوجهان الأخيران على العموم.

---

يأكل[٥] على عادته ومعاوية على عادته، فاستحيى وقال: يابن رسول الله، ما هذا الأكل كأكل النساء؟! قال: ***أكلنا أكل النساء وضربنا ضرب الرجال***[٦].

**ومعنى الخبر**: الحثّ على قلة [الأكل]؛ لأنّ الخبر وارد مورد الذّم لكثر الأكل؛ فإنّ كثرة الأكل يولّد كثيراً من الأسقام والآلام، قال الله تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا**﴾ فإنّه لا يحبّ المسرفين.

---

(١) سورة الأعراف ٧: ٣١.
(٢) كذا في النسخة.
(٣) في النسخة: إلّا.
(٤) في النسخة: طول.
(٥) في النسخة: ويأكل.
(٦) لم نعثر عليه في المصادر.

**١٠٣ـ المُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ**[١].

**المعنى:** أنّهم يكونون كذلك مع إخوانهم المؤمنين، فأمّا مع الكفّار فيكونون أشدّ من الحديد والحجر، قال تعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[٢] ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[٣] والتخفيف والتثقيل في الهيِّن واللّيِّن لغتان كالميِّت والمَيْت، وقال ابن الإعرابي: التخفيف في المدح والتثقيل في الذمّ[٤].

يعني: أنّ المؤمن ليّن المطلب غير شديد فيه، هيّن الأمر لا يستصعب بصفح عن الزلل، ويقبل العذر، فقوله ليّن، وفعله هيّن، والمحذوف من ياءي هين ولين الأولى، وقيل: الثانية.

**الضوء في شرح الشهاب**

**١٠٣ـ المُؤْمِنُونَ هَيِّنُونَ لَيِّنُوْنَ.**

الهين واللين ـ بالتخفيف والتثقيل ـ لغتان، وقال ابن الأعرابي: التخفيف في المدح والتثقيل في الذم. والصحيح: أنّهما لغتان كالمَيْت والمَيّت، والسيْد والسيّد، قال الشاعر:

*هيّنون ليّنون أيسار ذوو كرم     سوّاس مكرمة أبناء أيسارِ*[٥]

**والمعنى:** أنّهم يكونون كذلك مع إخوانهم المؤمنين، فأمّا مع الكفّار فيكونون أحدّ من الحديد وأصلب من الحجر، كقوله تعالى: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾[٦] وقوله: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾. وقال بعض العلماء: يعجبني من القرّآء كلّ سهل طلق متهلّل الوجه فأمّا من تلقاه ببشر ويلقاك

---

(١) الفائق في غريب الحديث ١: ٥٦، كنز العمال ١: ١٤٣.

(٢) سورة المائدة ٥: ٥٤.

(٣) سورة الفتح ٤٨: ٢٩.

(٤) لسان العرب ١٣: ٤٤٠، مادة (هين).

(٥) معجم ما استعجم ٣: ٨٦٣، والشاعر هو عقيل بن العرندس.

(٦) سورة الفتح ٤٨: ٢٩.

وتمام الخبر: ***كالجمل الأنف*** ـ أي المذلول ـ ***إن قيد انقاد، وإن انيخ على صخرة استناخ***. والكاف محله رفع أو نصب، فالرفع على أنّه خبر ثالث.

**والمعنى**: أنّ كلّ واحد منهم مثل الجمل. والنصب على أنّها صفة مصدر محذوف: ليّنون ليناً مثل لين الأنف.

**١٠٤ـ الشِّتَاءُ رَبِيعُ المُؤْمِنِ**[١].

بيان الخبر في تمامه، وهو: ***طال ليله [فقام ]وقصر نهاره فصام***[٢]. وإنّما خصّ الربيع أحد الفصول عند العرب، والربيع وقت الخصب والخير والسعة والدعة، وبخلافه الشتاء فهو وقت الجَدب والقحط وقلّة الخير، خصوصاً للعرب في بواديهم.

---

بعبوسة فلا أكثر الله في الناس مثله[٣].

وقال عليه السلام: ***إنّ من الصدقة أن تسلّم على الناس بوجه طلق***[٤].

**١٠٤ـ الشِّتَاءُ رَبِيْعُ المُؤْمِنِ.**

الربيع: وقت الخصب والخير والسعة والدّعة. والشتاء بخلافه وقت الجدب والقحط وقلّة الخير، خصوصاً للعرب في بواديهم، وقد أكثروا فيها، قال بعضهم:

دعوت *إليها* فتية بأكفهم — *من الجزر في برد الشتاء كلوم*[٥]

---

(١) مسند أحمد ٣: ٧٥، السنن الكبرىٰ ٤: ٢٩٧، مسند أبي يعلىٰ ٢: ٣٢٤ / ١٠٦١.
وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في أمالي الصدوق: ٣٠٨، ومعاني الأخبار: ٢٢٨ / ١.

(٢) لم نعثر على النصّ، وإنّما نقله بالمعنىٰ، راجع مصادر الحديث.

(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا: ١٩٦، الثقات ٨: ٢٦١، والقائل هو سعيد بن عبد الرحمن بن عبد الله الزبيري (الزبيدي).

(٤) الجامع الصغير ٢: ٥٤١ / ١٢١٨، كنز العمّال ٩: ١١٧ / ٢٥٢٦٢.

(٥) شرح الحماسة للمرزوقي ٢: ١٦٩١، والشاعر هو عبد العزيز بن زرارة الكلابي.

وللخبر معنيان:

**أحدهما :** أنّ المؤمن يقوم بالليل ويصوم بالنهار، فإذا كان الشتاء طال الليل وقصر النهار فيحصل مقصوده من الصيام والقيام على رفاهية؛ ينام بعض الليل ويقوم بعضه فلا يشقّ عليه لغلبة النوم، وكذلك يصوم في اليوم القصير فيسهل عليه الصوم.

**والمعنى الآخر:** أنّ البرد مانع من القيام بالليل فيشقّ على المصلي مجانبة الفراش والوضوء بالماء البارد، فيكون أعظم لثوابه وأكثر، كالربيع له؛ فإنّه أيام الخِصب والسعة، وعلى هذا قوله: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً**﴾[1].

**الضوء في شرح الشهاب**

وقال آخر:

| | |
|---|---|
| ......................... | *إذا ما الكلب أحجره الشتاءُ*[2] |

وقال الفرزدق:

| | |
|---|---|
| *وركب كأنّ الرّيح تطلب عندهم* | *لها ترة من جذبها بالعصائبِ* |
| *سروا يخبطون الليل وهي تلفهم* | *إلى شعب الأكوار من كلّ جانبِ* |
| *إذا أبصروا ناراً يقولون ليتها* | *وقد خصرت أيديهم نار غالبِ*[3] |

وللخبر معنيان:

**أحدهما:** أنّ المؤمن يقوم باللّيل ويصوم النهار، فإذا كان الشتاء طال الليل وقصر النهار فيحصل مقصوده من الصيام والقيام على رفاهية، ينام بعض الليل

---

(١) سورة المزمل ٧٣: ٦.

(٢) البداية والنهاية ٢: ٢٨٨، والشاعر أُمية بن أبي الصلت، وتمام البيت:

| | |
|---|---|
| يباري الريح مكرمة وجوداً | إذا ما الكلب أحجره الشتاء |

(٣) ديوان الفرزدق ١: ٢٩.

**١٠٥ـ الدُّعَاءُ سِلَاحُ المُؤْمِنِ**[١].

يقول: إذا لم يمكنكم مقاومة عدوّ فعليكم أن ترموه في الليلة الظلماء بسهام الدعاء عن قول[٢] الإخلاص بلا رياء؛ فإنّ المؤمن إذا عجز من العدو دعا عليه

---

ويقوم بعضه ولا يشقّ عليه لغلبة النوم، وكذلك يصوم في اليوم القصير فيسهل عليه الصوم وثوابه على[٣] ما للصائمين.

**والمعنى الآخر:** أنّ البرد مانع من القيام بالليل فيشقّ على المصلّي مجانبة الفراش والوضوء بالماء البارد، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً**﴾[٤] على أحد القولين فيكون أكثر لثوابه فهو كالربيع له، فإنّه أيام الخصب والخير والسعة.

**١٠٥ـ الدُّعَاءُ سِلَاحُ المُؤْمِنِ.**

لأنّ المؤمن إذا ضعف مقاومة عدوّه دعا عليه وحاربه ورماه في جوف الليل بسهام الدّعاء عن قوس الإخلاص، يروى: أنّ ليلة غزاة بدر نام الناس كلّهم ورسول الله قائم في أصل شجرة يصلّي ويدعو حتّىٰ الصّباح، فلمّا أصبح وعبّأ الصفوف أمدّه الله بخمسة الآلاف من الملائكة مسوّمين.

وروي: أنّ المتوكّل حلف أن يقتل محمد بن علي النقي، كما روى أبو روح محمّد بن الحسن، قال: كان المتوكّل بعث إلى قبر أبي عبد الله الحسين بن

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ١: ٤٩٢، مسند أبي يعلىٰ ١: ٣٤٤، الكافي ٢: ٤٦٨ / ١، وفيه عن الإمام علي عليه السلام.

(٢) كذا في النسخة، ولعلّها تصحيف: قوس.

(٣) كذا في النسخة.

(٤) سورة المزّمّل: ٧٣ / ٦.

وحاربه بالدعاء؛ فإنّه سلاح عند الحوادث والنوازل وعلى الشيطان وجميع أهل العدوان، وكان الناس ليلة بدر قد ناموا كلّهم، ورسول الله قائم في أصل شجرة يصلّي ويدعو إلى الصباح، فأمدّه الله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين لما عيت الصفوف[1].

وكتب علي عليه السلام إلى معاوية:

*أتلعب بالدعاء وتزدريه* وما يدريك ما فعل *الدعاءُ*

*سهام الليل لا تخطي ولكن* *لها أجل والأجل القضاءُ*[2]

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

علي عليهما السلام من يكربه ويجرى عليه الماء ويذهب أثره، وعبّأ رجالاً يهجمون على محمّد بن علي النقي عليهما السلام ليلاً فيقتلونه، فشعر بذلك، فقام في الليل وتوضّأ وضوء الصلاة، وقال لابنه علي: ***يا بني قف خلفي لأدعو وتؤمّن على دعائي***، ثمّ قام وصلّى ركعتين ودعا بالدعاء المعروف عنه عليه السلام وهو: ***اللّهمّ إنّي وجعفراً***[3] ***عبدان من عبيدك نواصينا بيدك***... وهو دعا عجيب، فجعل يدعو وابنه يؤمّن على دعائه، قال أبو روح: فما كان بأسرع من أن أتمّ الدعاء حتّى ارتفع الصياح والضجيج من دار المتوكّل بالويل والثّبور، فسألنا عن ذلك، فقالوا: هجم عليه قوم وهو سكران فقتلوه، فقطع على نفسه ما قدر في أبي الحسين.[4]

---

(١) الإرشاد ١: ٧٣، تفسير القرطبي ٧: ٣٧٢، مجمع البيان ٢: ٣٨٢.

(٢) لم نعثر علىٰ رسالة الإمام علي عليه السلام إلىٰ معاوية بهذين البيتين، إلّا أنّ هذين البيتين ذكرا في عدّة مصادر منها: المجتنىٰ من دعاء المجتبىٰ: ٧٧، فيض القدير: ٧٠٣.

(٣) هو جعفر بن محمد المتوكّل علىٰ الله بن المعتصم بن الرشيد. فوات الوفيات ١: ٢٨٩ / ١٠٣.

(٤) المصباح للكفعمي: ٢٠٩، بحار الأنوار ٥٠: ١٩٢ /٦، وهذا الدعاء المعروف بدعاء السيف أو دعاء اليماني.

**١٠٦ـ الصَّلَاةُ نُورُ المُؤْمِنِ**[١].

**معناه:** أنّ الصلاة تنوّر المؤمن ظاهره وباطنه، تنوّر قلبه، ويكون نوراً على جبينه يُعرف به، وكذا يكون نوراً له يوم القيامة، فهذا على العموم.

وقيل: إنّ اللام لتعريف العهد على ما روي: ***أنّ المصلّي صلاة الليل يجيء يوم القيامة ونوره يمشي بين يديه مسيرة غلوة***[٢]؛ قال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾[٣]. ***ومن سبّح تسبيح الزهراء وعدّها بأصابعه جاء يوم القيامة ويضيء من كلّ إصبع [من] أصابعه نور مثل مشعلة***[٤].

---

وقيل: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كتب الي معاوية فيما كتبت إليه:

أتلعب بالدعاء وتزدريه ... وما يدريك ما فعل الدعاءُ

سهام الليل لا تخطئ ولكن ... لها أجل وللأجل انقضاءُ

وقال آخر:

بغى وللبغي سهام تنتظر ... سهام ليل تتقي وتحتذر

أصابع المظلوم في وقت السحر ... أنفذ في الأضلاع من وخز الأُبر[٥]

**١٠٦ـ الصَّلَاةُ نُوْرُ المُؤْمِنِ.**

روي: أنّ المصلي صلاة الليل يجيء يوم القيامة ونوره يمشي بين يديه مسيرة غلوة، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ**

---

(١) مسند أبي يعلى ٦: ٣٣٠ / ٣٦٥٥، تاريخ مدينة دمشق ٣٦: ١٩٨، كنز العمال ٧: ٢٨٨ / ١٨٩١٥.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) سورة الحديد ٥٧: ١٢.

(٤) لم نعثر عليها في المصادر.

(٥) لم نعثر عليه في المصادر.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .



**وَبِأَيْمَانِهِمْ**﴾ يمشون في القيامة ونورهم يقدمهم، فلمّا رآهم المنافقون قالوا لهم: ﴿**انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾ أي انتظرونا وقفوا لنا ساعة نقتبس من نوركم، فأجابهم المؤمنون على سبيل التحكّم[١]: ﴿**ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً**﴾ إنّما جئنا بهذا النور من الدنيا، هذا نور صلاتنا بالليل ومشينا في الظلم إلى المساجد لصلاة الليل، فهم في ذلك إذ ضرب الله ﴿**بَيْنَهُمْ بِسُورٍ**﴾ أي حائل ﴿**لَهُ بَابٌ**﴾ أي لذلك[٢] السور باب ﴿**بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ**﴾ ـ وهو موضع المؤمنين ـ ﴿**وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ**﴾ حيث يكون المنافقون ﴿**يُنَادُونَهُمْ**﴾ يعني: أنّ المنافقين ينادون المؤمنين بأعلى صوتهم: ﴿**أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى**﴾، ولكن بألسنتكم لا بقلوبكم، وبقولكم لا باعتقادكم ﴿**فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾[٣] ألقيتموها في الفتنة وهي الكفر والنفاق، كما في قوله تعالى: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ**﴾[٤] يعني: أنّ الكفر أعظم من القتل في الشهر الحرام.

وقال بعضهم في قوله تعالى: ﴿**انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**﴾[٥]:

*أثّرت أيدي البلى في دوركم* ... مذ أقوت دوركم عن حوركم
*قد ضللنا في دجىٰ ليل النوى* ... فانظرونا نقتبس من نوركم[٦]

وروي عن بعض الأئمة: ***أنّ الرجل إذا سبّح تسبيح الزّهراء عليها السلام وعدّها بأصابعه جاء يوم القيامة ويضيء من كلّ أصبع من أصابعه نور مثل مشعلة.***

---

(١) كذا في النسخة، والمناسب: التهكّم.
(٢) في النسخة: كذلك، وما أثبتناه أنسب.
(٣) سورة الحديد: ٥٧ / ١٢ ـ ١٤.
(٤) سورة البقرة: ٢ / ٢١٧.
(٥) سورة الحديد: ٥٧ / ١٣.
(٦) روض الجنان في تفسيرالقرآن ١٩ : ٢١، وفي النسخة: قد ظللنا في دعىٰ ليل النوىٰ.

**١٠٧ـ الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ**[١].

**معناه:** أنّ المؤمن في الدنيا بمنزلة المسجون في السجن، كلّ ساعة يرجو وينتظر خلاصه منها وخروجه إلى رحمة الله، فهو مستعجل لفراق الدنيا، والكافر بالعكس من ذلك يثقل عليه ذكر الموت، فإذا دنا أجله كان كمن ينقل من بستان إلى أوحش مكان.

وقيل: معناه الأمر والنهي وإن كان بصورة الخبر، يعني: كونوا في الدنيا

---

**١٠٧ـ الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الكَافِرِ.**

قيل: معنى الحديث الأمر والنهي وإن كان بصورة الخبر[٢]، يعني: كونوا في الدنيا كالمسجونين في السجن المقيّدين بقيد التكليف، ولا تكونوا كمن هو في الجنّة منعّمين مرفّهين بطرين.

وقيل: معناه: أنّ المؤمن في الدنيا بمنزلة المسجون في السجن كلّ ساعة يرجو أو ينتظر خلاصة منها وخروجه إلى رحمة الله، فهو مستعجل لفراق الدنيا، والكافر بالعكس من ذلك يثقل عليه ذكر الموت فإذ دنا أجله كان كمن ينقل من بستان إلى أوحش مكان.

ويروى: أنّ بعض الزنادقة لمّا وقع في النزع كان يُحرك شفتيه ويتكلّم بكلام ضعيف، فأدنى بعضهم أُذنه من فيه، فإذا هو يقول:

*لهف نفسي على الزّمان وفي* *أي زمان [هتني الأزمانُ]*

*حين جاء الربيع واستقبل الصيـ* *ـف وطاب الطلاء والرّيحانُ*

---

(١) كتاب التمحيص: ٤٨ / ٧٦، معاني الأخبار: ٢٨٩ / ٣، مسند أحمد ٢: ٣٢٣، ٣٨٩، صحيح مسلم ٨: ٢١٠، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٧٨ / ٤١١٣.

(٢) في النسخة: الجنّة.

كالمسجونين في السجن المقيَّدين بقيد التكليف، ولا تكونوا كمن هو في الجنّة متنعّمين مرفّهين بطرين.

ورأى يهودي الحسن بن علي عليه السلام في أبهى زيّ، فقال: أليس قال رسولكم: ***الدنيا سجن المؤمن***؟! فقال: ***نعم***. قال: هذا حالي ـ وكان في أسوء حال ـ وهذا حالك. فقال عليه السلام: ***غَلِطتَ يا أخا اليهود، لو رأيت ما وعدني الله من الثواب، وما وعدك من العقاب، لعلمت أنّك في الجنّة وأنّي في السجن***[1].

**الضوء في شرح الشهاب**

كلّما قيل له: قل: لا إله إلّا الله أعاد البيتين[2].

ويروىٰ: أنّ الحسن بن عليّ عليهما السلام مرّ بيهودي في أبهىٰ حال، وأحسن زي من اللباس راكباً بغلة، واليهودي في أسوء حال فأخذ بلجام بغلته وقال له: أليس قال نبيّكم: ***الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر***؟! قال: ***بلى***، قال: فهذه حالي وحالك على ما ترى، فقال: ***غلطت يا أخا اليهود، ما أنا فيه من الحال حال المسجونين بالإضافة إلى ما وعدني الله في الجنّة من أنواع النعيم والحور والقصور وما لا يدرك بالوصف، وأنت على هذه الحالة في النار***[3] ***إلىٰ ما أوعدك الله به من أنواع العذاب فالدّنيا على هذا سجني وجنتّك***. فأفهم[4] الرجل.

وقال بعضهم: جنّة الكافر دنياه، كما قال الرسول، وهي للمؤمن سجن حزنه فيها طويل[5].

---

(١) أُنظر: كشكول البهائي: ٢٩٥.

(٢) أمالي المرتضىٰ ١: ٩٨، والأبيات لمطيع بن إياس وكان يُرمىٰ بالزندقة.

(٣) كذا في النسخة، والمناسب: الجنّة.

(٤) كذا في النسخة. والمناسب: فافحم.

(٥) أُنظر: كشف الخفاء ١: ٤١٠.

**١٠٨ـ الحِكْمَةُ ضَالَةُ المُؤْمِنِ**[١].

وتمام الخبر بيانه، وهو: ***حيث وجدها قيّدها***. أي كتبها؛ فالمؤمن يطلب الحكمة أبداً، فهو بمنزلة المضلّ ناقته فطلبها.

وفي رواية أُخرى: ***الكلمة الحكمة ضالة الحكيم، حيثما وجدها فهو أحقّ بها***[٢]. جعل الحكمة للحكيم بمنزلة الضالّة التي ناشدها، وساعٍ في طلبها؛ لأنّه أشبه بحكمته، فحيث سمعها من غير حكيم فهو أحقّ بالحيازة لها، ونحوه الخبر الآخر أنّ ***الكلمة الحكيمة تكون في قلب المنافق، فلا تزال تنزع حتّىٰ تلحق بصواحباتها في قلب المؤمن***[٣].

**١٠٩ـ نِيَّةُ المُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ**[٤].

**معناه:** نية المؤمن ـ منفردة عن العمل ـ خير له من عمل خالٍ من النية.

---

**١٠٨ـ الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ.**

قد مرّ تفسيره في قوله عليه السلام: ***كلمة الحكمة ضالة كلّ حكيم***[٥]. فلا وجه لإعادته.

**١٠٩ـ نِيَّةُ المُؤْمِنِ أَبْلَغُ مِنْ عَمَلِهِ.**

ويروى: ***نيّة المؤمن خير من عمله***. ذاكرني بعض العلماء في هذا الخبر،

---

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٩٥ / ٤١٦٩، سنن الترمذي ٤: ١٥٥ / ٢٨٢٨، السنن الكبرىٰ ٦: ١٩، وفي الكافي ٨: ١٦٧ / ١٨٦ عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) المجازات النبوية: ١٩٧ / ١٥٤، ضعفاء العقيلي ١: ٦١. وفيها: الكلمة الحكيمة....

(٣) المجازات النبوية: ١٩٨ / ١٥٤.

(٤) الفائق في غريب الحديث: ٣٧٧، كنز العمال ٣: ٤٢٤، أمالي الطوسي: ٤٥٤ / ١٩.

(٥) تقدّم برقم: ٣٨.

بيّن ﷺ عظم شأن النيّة، وأنّها أبلغ من الأعمال من حيث إن الأعمال لا تُقبل بدونها ولا تقع موقع القبول إلّا بها، والنية عبادة مستقلّة بنفسها وإن لم تكن معها عمل، فالعمل يحتاج إلى النية ولا تحتاج النيّة إلى العمل.

وروى النواس بن سمعان الكلابي: ***نيّة المؤمن خير من عمله***(١). وقد فسّر الخير فعله(٢)، على أنّه ليس التفضيل.

**الضوء في شرح الشهاب**

وقال: الخير هاهنا ليس بمعنى التفضيل، بل المراد به: نية المؤمن خير من خيرات عمله، أي من جملة عمله، ومن للتبعيض.

ولو حمل على التفضيل [لحصل] الجزم أنّ نيّة الصلاة خير من الصلاة، ونيّة الحجّ خير الحجّ، وكذلك سائر العبادات.

قلت له: هب أنّك أوّلت هذا الحديث على ما ذكرت، فما تصنع بالرواية المشهورة لأبي شهاب القضاعي من قوله ﷺ: ***نيّة المؤمن أبلغ من عمله***. ولفظة «أبلغ» لا يمكن حملها إلّا على التفضيل؟

فأطرق ساعة، وقال: فما معنى الخبر، وما الجواب عن هذا السؤال؟

قلت: أمّا معنى الخبر فهو أنّه ﷺ بيّن في هذا الحديث عظم شأن النيّة، وأنّها خير من الأعمال من حيث إنّ الأعمال لا تقبل بدونها ولا تقع موقع القبول إلّا بها، والنيّة عبادة مستقلة بنفسها وإن لم يكن معها عمل، فالعمل يحتاج إلى النيّة

(١) مسند الشهاب ١: ١٢٠ / ١٤٨، كنز العمال ٣: ٤٢٤ / ٧٢٧١.

(٢) أي أنّ الخير في هذا الحديث بمعنىٰ المصدر الذي هو عبارة عن معنىٰ الفعل، لا بمعنىٰ اسم التفضيل.

بعبارة أُخرىٰ: أنّ «خير» و «شر» لها استعمالان:

الأوّل: بمعنىٰ الحدث والمصدر والفعل، كما تقول: مساعدة الفقراء خير.

الثاني: بمعنىٰ التفضيل، كما تقول: زيد خير من عمرو.

والمراد: نيّة المؤمن خير من خيرات عمله، أي من جملة عمله، ومن للتبعيض، وإذا حمل (خير) على التفضيل كان المعنى على ما ذكرناه في الرواية الأُخرى، ولا يلزم أن يكون نيّة الصلاة خيراً من الصلاة، ولا نيّة الحجّ خيراً من الحجّ، وكذا في سائر العبادات؛ لأنّ نية الصلاة والحجّ وكلّ عبادة إنّما تكون خيراً من عملها إذا كان العمل خالياً عن النية؛ لأنّ صورة الصلاة ونحوها لا يكون شيئاً بدون النية.

وروي سبب في هذا الخبر، وهو أنّ النبي ﷺ مرّ بماء وعليه جسر قد خرب، فقال: ***من عمره فله من الأجر كذا***، فقال صحابي: أنا أعمره، فتبادر إليه يهودي فعمره، فقيل ذلك للنبي، فقال: ***نيّة المؤمن*** ـ أي هذا المؤمن ـ ***خير من عمل ذلك اليهودي***[1].

---

ولا تحتاج النيّة إلى العمل.

وأمّا الجواب عن السؤال فهو أنّ الصلاة والحجّ وكلّ عبادة خير من عملها إذا كانت خالية عن النيّة؛ وذلك لأنّها لا تكون شيئاً بدون النية.

وقيل: إنّ الخبر ورد على سبب، وذلك أنّ النبيّ ﷺ مرّ بماء وعليه جسر قد خرب، فقال: ***من يعمّر هذا الجسر فله من الأجر كذا***، فقال بعض الصحابة: أنا أعمّره، فتبادر إليه يهودي فعمّره، فسمع المسلم بذلك فشّق عليه، فشكا ذلك إلى رسول الله، فقال ﷺ: ***نيّة المؤمن خير من عمله***. أي من عمل اليهودي، وفي هذا تعسّف من حيث إنّ ردّ الضمير إلى من لم يجر له ذكر لا وجه له، ولا يفهم معنى الخبر إلّا بهذه القصّة.

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.

**١١٠ـ هَدِيَّةُ اللهِ إلىٰ المُؤْمِنِ السَّائلُ عَلىٰ بَابِهِ**[١].

يقول: اغتنموا سائلاً يقوم على باب داركم؛ فإنّه هدية من الله فـاقبلوها ولا تردوها؛ فإنّ ردّ هدية الكرام لؤم.

ورأى علي عليه‌السلام سائلاً يسأل، فقال لأصحابه: ***هل تدرون ما يقول؟*** قـالوا: لا، قال: ***يقول: هل من أحد يحمّلني شيئاً أحمله عنه إلى القـيامة، وأرده إليـه فـي موقف الحساب، وأكفيه مؤونة حمله؟ وإنّ الله يـقول: يـابن آدم، أنت عـبدي، والمال مالي، وقد اعطيتك جملة منه، فاشترِ نفسك مني ببعضها***[٢].

وقال رجل للنبي صلى‌الله‌عليه‌وآله: ما لنا نكره الموت؟ قال له: ***قدّم مالك؛ فإنّ قلب كلّ امرئ عند ماله***[٣].

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**١١٠ـ هَدِيَّةُ اللهِ إلَىٰ المُؤْمِنِ السَّائِلُ عَلَىٰ بَابِهِ.**

الهدية: ما تهدىٰ وترسل إلى الغير، فعيلة بـمعنى مُـفْعَلة أي مـهداة، يـقال: أهديت الهدية إذا أرسلتها إهداء، وأهديت إلى بيت الله هدياً، وهديت العروس إلى زوجها هِداء، وهديت القوم الطريق هداية، وفي الدين هدى.

والسائل هاهنا: المستطعم، بقرينة قوله: على بابه، كأنّه عليه‌السلام قال: اغتنموا السائل على باب داركم؛ فإنّه هدية من الله فاقبلوها ولا تـردّوها؛ فـإنّ ردّ هـدية الكـرام لـؤم.

وروي: أنّ أمير المؤمنين عليه‌السلام رأى سائلاً يسأل، فقال لأصحابه: ***هل تدرون ما يقول؟*** قالوا: لا قال: ***يقول: هل من أحد يحمّلني شيئاً أحمله عـنه إلى القـيامة،***

(١) التمهيد ٥ : ٢٩٨، كنز العمال ٦ : ٣٦٣ / ١٦٠٧٨.

(٢) اُنظر: إرشاد القلوب ١ : ٥٠.

(٣) أمالي المرتضىٰ ١ : ١٩٨، مشكاة الأنوار: ٥٢٤.

والهديّة: فعيلة بمعنى مفعولة. أي مهداة، والسائل هنا: المستطعم، وإنّما كان السائل هدية لأنّه إذا أخذ الصدقة يستحقّ معطيها الثواب، فكان هو سبباً لثوابه فنعمت الهدية[1] ما تجلب الثواب والأجر العظيم.

---

***وأردّه إليه في موقف الحساب، وأكفيه مؤنة حمله.***

وروي: أنّ رجلاً جاء إلى رسول الله، وقال: يا رسول الله، ما لنا نكره الموت؟ قال له: ***قدّم مالك، فإنّ قلب كلّ امرئ عند ماله***. وقال الشاعر:

*قدّم جميلاً إذا ما شئت تفعله* ... *ولا تؤخّر ففي التأخير آفاتُ*

*ألست تعلم أنّ الدهر ذو غير* ... *وللمكارم والإحسان أوقاتُ*[2]

وقال آخر:

*قدّم لنفسك شيئاً وأنت مالكُ مالِكَ* ... *من قبل أن تتلاشى ولون حالك حالك*

*فأنت لو كنت شمساً عند اعتدالك ذلك* ... *أرأيت لابدّ يوماً عند اكتهالك هالكُ*[3]

وقال:

*افعل الخير ما بدا وتهيّأ* ... *علم الخير لائج في الثريا*

*إنّما أنت أنت ما دمت حيّاً* ... *فإذا مت صرت تأويل رؤيا*[4]

وفي بعض الكتب: إنّ الله تعالى قال: يابن آدم أنت عبدي، والمال مالي، وقد أعطيتك جملة منه فاشتر نفسك مني ببعضها.

---

(١) في النسخة: فنعمة الهداية، وما أثبتناه هو المناسب.

(٢) ـ (٣) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ٢: ١١٤، إلّا البيت الثاني (فأنت لو كنت...) لم يرد فيه.

(٤) المصدر نفسه.

**١١١ـ تُحْفَةُ المُؤْمِنِ المَوْتُ**[١].

إنّما يكون الموت تحفة للمؤمن لأنّه يصير كفّارة لذنوبه، وينجو من الشدائد والتكليفات ووساوس الشيطان وصحبة الأشرار والبليات، ويصل إلى الرضوان والغفران، كما قال علي عليه السلام عند الوفاة: ***فزت وربّ الكعبة***[٢]. وكان يقول: ***لا اُبالي أَوقعَ الموت عليّ أم وقعت على الموت***[٣]. وكيف لا يكون الموت تحفة للمؤمن[٤] وهو الذي يوصله إلى جوار الله ودار ثوابه؟ والحكمة اقتضت أن يكون

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

**١١١ـ تُحْفَةُ المُؤْمِنِ المَوْتُ.**

التحفة: فُعْلَة بمعنى مُفْعَلَة، يقال: أتحفته بكذا إذا أهديته إليه، وإنّما جعل الموت تحفه وهدية للمؤمن لأنّه الذي يوصله إلى جوار الله ودار ثوابه؛ لأنّ الحكمة اقتضت أن يكون بين زمان التكليف وزمان الجزاء مدّة متراخية لئلّا يؤدّي إلى الإلجاء؛ لأنّ النفع العظيم إذا كان مقارناً للفعل ألجأ الفاعل إلى ما أمر به، وكذلك المضرّة العظيمة لو كانت عاجلة لأدّت إلى الإلجاء، ومثله أن يقال لرجل: قل كلمة واحدة لا تضرّك وخذ عينها عشرة آلاف دينار فيصير ملجأ إلى قولها، وكذلك لو أجّج ناراً عظيمة وقيل: قل كلمة وإلّا ألقيناك فيها صار ملجأ إلى قولها، فالله تعالى بعدله وحكمته فصل دار التكليف ودار الجزاء بزمان طويل وتخلّل الموت؛ لئلّا يؤدّي إلى ما ذكرنا فينافي التكليف؛ لأنّ المكلّف يجب أن يكون

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ : ٣١٩، كنز العمال ١٥ : ٥٤٦ / ٤٢١١٠، الدعوات: ٢٣٥ / ٦٤٨، المجازات النبوية: ٣٢٧ / ٢٥٢.

(٢) خصائص الأئمة: ٦٤، شرح الأخبار ٢ : ٤٤٢، مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٨٥.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٢١، شرح نهج البلاغة ٦ : ١١٧، وفيهما: فوالله، ما اُبالي وقعت علىٰ الموت أو وقع الموت عليّ.

(٤) في النسخة: للموت. وهو تصحيف واضح.

بين زمان التكليف وزمان الجزاء مدة متراخية؛ لئلّا يؤدى إلى الإلجاء؛ لأنّ النفع العظيم إذا كان مقارناً للفعل الجأ الفاعل إلى ما اُمر به، وكذلك المضرّة العظيمة.

والمكلّف يجب أن يكون مخيّراً متردّد الدواعي؛ ليفعل ما يفعله باختياره فإخراج من في المشقّة إلى الراحة من أعظم التحف وأنفعها، وأصل التحف: طُرَفُ الفواكه التي يتهاداها الناس بينهم، فجعل الموت الوارد على المؤمن كالتحفة المهداة إليه؛ لأنّه يسرّ بتعجيل مماته.

---

مخيّراً متردّد الدواعي ليفعل ما يفعله باختياره، فإخراج من في المشقّة إلى الراحة والدعة تحفة من أعظم التحف وأنفعها، وجعلها الله الموت؛ ولأجل ذلك كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا ضاق قلبه من عصيان أصحابه وطغيان أعدائه يقبض على لحيته ويقول: ***ما ينتظر أشقاها أن يخضّبها من فوقها بدم***[1].

وكان إذا رأى ابن ملجم يقول:

***اشدد حيازيمك للموت  فإنّ الموت لاقيك***
***ولا تجزع من الموت  إذا حلّ بواديك***[2]

واستحمله ابن ملجم يوماً ـ وكان من الخوارج ـ في أصحابه، فقال: ***يا غزوان، أحمله على الأشقر***، فلمّا ركب وولى اتبعه بصره، وقال:

***اُريد حياته ويريد قتلي  عذيرك من خليلك من مراد***[3]

وإنّما علم ذلك بعهد عهده النبي عليه السلام إليه.

وقال بعض أصحابه لما رأى من تقشّفه وحمله المشاق على نفسه: اتّقِ الله

(١) الإرشاد ١: ١٣، أمالي الطوسي: ٢٦٧، كنز العمّال ١٣: ١٨٧ / ٣٦٥٥٧.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٩٤، المعجم الكبير ١: ١٠٥ / ١٦٩.
(٣) الإرشاد ١: ١٣، الخرائج والجرائح ١: ١٨٢.

**١١٢ـ شَرَفُ المُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيلِ، وعِزُّهُ استِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ**[1].

يقول: إذا أردت أن تكون شريفاً عزيزاً فاستغن عن الناس وصلّ بالليل؛ فإنّ من اعتاد صلاة الليل يحبّه الله ويشرِّفه على سائر خلقه الذين لا يقومون لصلاة الليل؛ فكأنّه عليه السلام قال: ليس الشرف ما تظنونه من شرف الحسب وكرم النسب وعزّ الجمال، بل شرف كلّ مؤمن يقوم بالليل صلاة الليل.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

يا أمير المؤمنين فإنّك ميّت، فقال له: ***تقول إنّك ميت لا والذي لا إله إلّا هو بل تخضّب هذه من هذا***. ووضع يده على لحيته ورأسه [وقال]: ***عهده إليّ النبي الأُمّي وقد خاب من افترى***[2].

ولمّا كان واثقاً بمرجعه ومآله كان يقول: ***والله لا أُبالي وقع الموت عليّ أم وقعت على الموت***[3].

**١١٢ـ شَرَفُ المُؤْمِنِ قِيَامُهُ بِاللَّيْلِ، وَعِزُّهُ استِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ.**

كأنّه عليه السلام قال: ليس الشرف ما تظنونه من شرف الحسب وكرم النسب والمال والجمال، وما تتفاخرون به وتتنافسون فيه، بل شرف المؤمن قيامه بالليل صلاة الليل.

وفي الخبر: ***إنّ الرجل إذا قام لصلاة الليل باهىٰ الله به ملائكته، وقال: ملائكتي ألا ترون إلى عبدي ترك مضجعة الوطيء، ونومه الشيء***[4]، ***وتوضأ بالماء البارد، وقام بين يدي يسألني المغفرة، اشهدوا أنّي قد***

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٢: ٩٢، أمالي الصدوق: ٥/٣٠٤، روضة الواعظين: ٣٢١.
(٢) الإرشاد ١: ٣٢١، الغارات ١: ١٠٨.
(٣) مقاتل الطالبيين: ٢١، شرح نهج البلاغة ٦: ١١٧. وفي النسخة: (وقاله) بدل (ومآله).
(٤) كذا في النسخة.

وفي الخبر: ***إنّ الرجل إذا قام لصلاة الليل باهى الله به ملائكته***[١]. وقال الصادق عليه السلام: ***من عمّر أول الليل خرّب آخره***[٢]. يعني: من عمّره بالسهر للسمر خرّب آخره بالنوم. وأما عزّه[٣] ففي القناعة، وأن يغني نفسه عن الناس، ويتنزّه عن السؤال؛ فإنّه مذلّة، وقال علي عليه السلام: ***من استغنيت عنه فأنت شريكه، ومن طمعت فيه فأنت أسيره***[٤].

---

***غفرت له.***

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيّته لعلي: ياعلي، عليك بصلاة الليل ـ يكرره ثلاث مرّات[٥] ـ، قال الله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾[٦].

وسأل رجل جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام عن صلاة الليل، فقرأ ﴿**إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ**﴾[٧].

وقال عليه السلام: ***المسافر يصلّي صلاة الليل بعد العشاء الآخر. ثمّ ينام إن شاء؛ فإنّ النوّم قوة النفس وراحة الجسد، فمن عمّر أول الليل خرب آخرها***[٨]. يعني

---

(١) أعلام الدين: ٢٦٢، روضة الواعظين: ٣٢٠.

(٢) اُنظر: السرائر ١: ٣٠٧.

(٣) في النسخة: عزّ.

(٤) مصباح الشريعة: ١٠٦، تفسير الثعالبي ١: ٥٣٣، تاريخ مدينة دمشق ٦٧: ١٨٤. ونصّ الحديث ورد هكذا: استغن عمّن شئت فأنت نظيره، وتفضل على من شئت فأنت أميره، واضرع إلىٰ من شئت فأنت أسيره.

(٥) من لا يحضره الفقيه ١: ٤٨٥، طبقات المحدّثين بإصبهان ٣: ٩٣.

(٦) سورة السجدة: ٣٢ / ١٦.

(٧) سورة المزّمّل: ٧٣ / ٢٠.

(٨) هذا الكلام بحسب الظاهر مأخوذ من الأخبار، ولم نعثر علىٰ رواية بهذه الصورة. ←

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

عمّرها بالسهر للسمر خرب آخرها بالنوم.

قيل[1]: وكانت العرب تسمر في الجاهلية بالليل إلى أن تصيح الديكة، وكانوا يؤثرون[2] السمر على النوم، فلمّا صاح الديك ثقل عليهم ذلك، ولذلك قالوا: أثقل من الزواقي، يعنون الدّيكة[3].

وعزّ المؤمن في القناعة، وأن يغني نفسه عن الناس ويتنزّه عن السؤال، فإنّ السؤال أذل المذّلة، وينبغي أن يكون المرء في عزّة النفس والتقنع بالكفاف، كما قال القاضي أبو الحسن عليّ بن عبد العزيز الجرجاني في أبيات لم يسمع مثلها في هذا المعنى حسناً وسلاسة، وهي:

*ما زلت منحازاً بعرضي جانبا ... من الذلّ أعتدّ الصيّانة مغنما*

*إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ... ولكنّ نفس الحرّ تحتمل الظما*

*أُنزهها عن بعض ما لا يشينها ... مخافة أقوال العدى فيم أو لما*

*فأصبح عن عيب اللئيم مسلما ... وقد رحت في نفس الكريم مكرّما*

---

← والمروي كما في ذكرىٰ الشيعة ٢ : ٣٧١ فضل صلاة المسافر من أول الليل كفضل صلاة المقيم في الحضر من آخر الليل.

وكذلك في عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٢٠: فلِمَ جاز للمسافر والمريض أن يصلّيا صلاة الليل في أول الليل؟ قيل: لاشتغاله وضعفه ليحرز صلاته، فليستريح المريض في وقت راحته ويشتغل المسافر باشتغاله وارتحاله وسفره.

(١) في النسخة: قال: وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٢) في النسخة: ثرون، وما أثبتناه هو المناسب.

(٣) لسان العرب ١٤ : ٣٥٧، مادة (زقا)، ويروىٰ: أثقل من الزاووق، وإذا قالوا: أثقل من الزاووق فهو الزئبق.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

فأقسم ما عزّ امرؤٌ حسنت له ... مسامرة الأطماع إن بات معدما
يقولون لي فيك انقباض وإنّما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرىٰ النّاس من داناهم هان عندهم ... ومن أسلمته عزّة النفس أُكرما
ولم أقض حقّ العلم إن كان كلّما ... بدا طمع صيّرته لي سلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لاخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلّة ... إذا فاتّباع الجهل قد كان أحزما
ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظّما
ولكن أذلّوه فهان ودنّسوا ... محيّاه بالأطماع حتّى تجهّما
وإنّي إذا ما فاتني الأمر لم أبت ... أقلّب كفي أثره متندّما
ولكنّه إن جاء عفواً قبلته ... وإن مال لم أتبعه هلاوليتما
وأقبض خطوي عن حظوظ قريبة ... إذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وأُكرم نفسي أن أضاحك عابساً ... وأن أتلقّىٰ بالمديح مذمّما
وكم طالب رقي بنعماه لم يصل ... إليه وإن كان الرئيس المعظما
وما كلّ برق لاح لي يستفزني ... ولاكلّ أهل الأرض أرضاه منعما
ولكن إذا ما اضطرني الأمر لم أزل ... أقلّب فكري منجداً ثمّ متهما
إلى أن أرى من لا أغص بذكره ... إذا قلت قد أسدىٰ عليّ وأنعما
فكم نعمة كانت على الحرّ نقمة ... وكم مغنم يعتده الحرّ مغرماً[(١)]

---

(١) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ٤ : ٨٨، ونقل بعض هذه الأبيات الثعالبي في يتيمة الدهر ٤ : ٢٥، وكذلك الصفدي في الوافي بالوفيات ٢١ : ١٥٨.

**١١٣ـ العِلْمُ خَلِيْلُ المُؤْمِنِ، والحِلْمُ وزِيْرُهُ، والعَقْلُ دَلِيْلُهُ، والعَمَلُ قَـائِدُهُ، والرِّفْقُ والِدُهُ، والبِرُّ أَخُوْهُ، والصَّبْرُ أَمِيْرُ جُنُودِهِ**[١].

أي يأنس بالعلم من الوحشة كالخليل بالخليل، ويقوىٰ بالحلم على الأمور، وبالعقل يهتدي في ظلم المشكلات، فهو كالدليل، والعـمل يـقوّم زلـله كـالقائد والقيّم، والرفق يُقبل إليه بالقلوب فـهو كـالوالد الرؤوف، والبـرّ سـبب اجـتلاب الإخوان إليه. وروي: ***واللين أخوه***[٢]. وإنّما جعله أخاه لأنّه يفيده مؤاخاة الإخوان، والصبر ملاك أمره به يبلغ الآداب وهو متقدم عليها.

فهذا الخبر حثّ على سبع خـصال، وهـو أن يـتّخذ المـؤمن العـلمَ حـبيباً وصاحباً؛ فإنّه لا يخون بل يصون، والحلمَ وزيراً؛ فإنّه نِـعْمَ المـعاون والمـؤازر، والعقلَ دليلاً؛ فإنّه يدله على مصالحه ومفاسده ومنافعه ومضارّه، والعـملَ قـائداً

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**١١٣ـ العَمَلُ خَلِيْلُ المُؤْمِنِ، وَالحِلْمُ**[٣] **وَزِيْرُهُ، وَالعَقْلُ دَلِيْلُهُ، وَالعَمَلُ قَائِدُهُ، وَالرِّفْقُ وَالِدُهُ، وَالبِرُّ أَخُوْهُ، وَالصَّبْرُ أَمِيْرُ جُنُودِهِ.**

هذه الأحاديث السبعة قالها عليه السلام في كلام واحد في مـجلس[٤] واحـد لذلك جمعتها.

الخليل فعيل بمعنى مفعول كالحبيب بمعنى المحبوب، ويـجوز أن يكـون بمعنى فاعل كالأكيل والجليس والنديم بمعنى المواكل والمجالس والمنادم.

---

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٥/٦٤، شرح نهج البلاغة ٢٠٣:١١، تاريخ مدينة دمشق ٣٨٨:٦٣، باختلاف، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في الكافي ٢: ٤٧ / ١، وأمالي الصدوق: ٦٨٨ / ١٧.

(٢) تحف العقول: ٢٠٣، المجازات النبوية: ١٩٤ / ١٥٢، كنز العمال ١٠: ١٣٣ / ٢٨٦٦٣، ١٤٤ / ٢٨٧٣٢.

(٣) في النسخة: والحكم، وما أثبتناه من المصادر وشرح الحديث كما يأتي.

(٤) في النسخة: المجالس، وما أثبتناه أنسب للسياق.

يقوده إلى الجنّة، والرفقَ والداً؛ فإنّه يأمرك بصلاح دينك ودنـياك، والبـرَّ ـ وهـو الإحسان والمعروف ـ أخاً؛ لأنّه كالأخ الشقيق والمحبّ الشفيق، يزينه ويحبّبه[1] إلى العدوّ والصديق، والصبرَ أميراً على الكلّ، جعله أميراً على جنوده؛ لأنّه بمنزلة الأمير على الجند؛ لصعوبته ومشقّته على الصابر، فإذا كان صابراً على الطاعة وعن المعصية كان صبره أميراً على أعضائه وجوارحه، تطيعه على مصالحه ولا تعصيه في اجتناب مفاسده، فالمؤمن موفّق بقوّة الصبر، والبرّ يعاونه، وكما أنّ الولد يعيش برفق والده وعزّ المؤمن يعيش برفق نفسه.

---

**ومعنى الخبر**: الحثّ على طلب العلم، وأن يتّخذه المرء حبيباً وخليلاً وصـاحباً؛ لأنّه خليل لا يخونك بل يصونك ويأمرك بصلاح دينك ودنياك، وما في الدنـيا خصلة من خصال الخير توازيه، ولا منقبة من المناقب تعادله، وفيه شرف الدّنيا والآخرة وبه الخلاص من النار والوصول إلى دار القرار، يقيك في الدنيا من الآفات وفي الآخرة من الدركات، فنعم الخليل هو، إلّا أنّه عزيز الخلّة لا يخال كلّ أحد، ولا ينزل بكلّ منزل، يطلب قلباً تقياً، وبدناً نقيّاً، وصاحباً رضياً مرضياً، رزقنا الله العلم والعمل به.

والحلم: الرزانة والوقار، وضدّه السفه.

والوزير: المؤازر، وإنّما جعله وزيراً له لأنّه إذا كان حليماً ولم يكن طـائشاً طياراً خفيف الدماغ يتأمّل في العواقب، ويرتدع عن كثير من المفاسد ممّا يوقعه في آفات الدنيا وعذاب الآخرة. والوزير المؤازر أي المعاون، فعيل بمعنى مفاعل.

والعقل عبارة عن مجموع علوم إذا اجتمعت سميّت عقلاً، وهو مشتقّ من عقال الناقة؛ لأنّ العقل يمنع العاقل عن كثير من المفاسد كما أنّ العقال يمنع الناقة

---

(١) في النسخة: ويحبّه.

والقائد: الذي يهيئ أُمور الجيش، فعمل المؤمن يهيئ أُموره في القيامة، وإذا دله العقل على أمر يأتي به ولا يستنكف عنه.

والوقار والرزانة ملجأه الذي يعود إليه في أُموره، والوزير الذي يتحمل إليه أثقال الملك، وما في الدنيا خصلة من خصال الخير توازي العلم؛ ففيه شرف الدنيا والآخرة، وبه الخلاص من النار والوصول إلى دار القرار، وهو عزيز الخلّة لا يخالّ كلّ أحد، بل يطلب قلباً تقيّاً، وبدناً نقياً، وصاحباً رضياً مرضياً.

وإنّما جعل الحلم وزيراً له؛ لأنّه إذا كان حليماً لم يكن طائشاً طيّاراً، يتأمل في العواقب، ويرتدع عن كثير من المفاسد ممّا يوقعه في آفات الدنيا وعذاب الآخرة.

والوزير فعيل بمعنى مُفاعل. والعقل عبارة عن مجموع علوم إذا اجتمعت لإنسان كان عاقلاً مكلّفاً، وسمي به لأنّه يمنع صاحبه إذا استعمله عن كثير من المفاسد، كما أنّ العقال يمنع الناقة عن السير، ويعتقل به العلوم المكتسبة.

والدليل مايدلّك على مدلول، وجعل العقل دليله، لأنّه دال على مايجب عليه

الضوء في شرح الشهاب

عن السير.

وقيل: سميّت هذه العلوم عقلاً؛ لأنّ العلوم المنتسبة تنتقل بها[1]، وسميّت الدية عقلاً؛ لأنّها تعقل الدماء عن أن تسفك.

واختلف المتكلّمون في عددها، وترتّب بعضها على بعض، وفيه كلام طويل ليس هذا الكتاب موضعه، وهو مشروح في كتب الأُصول.

والدليل: ما يدلك على مدلول، جعل العقل دليله يدلّ على مصالحه ومفاسده وعلى وجوب ما يجب عليه وعلى منافعه ومضاره وصلاحه وفساده.

والعمل قائده؛ لأنّه يقوده إمّا إلى الجنّة أو إلى النار، العمل عملك ووقوعه بقصدك واختيارك، وهو قائدك إنّ كان خيراً يقودك إلى الجنّة، وإن كان شراً يقودك

(١) كذا في النسخة، ولعلّها مصحّفة عن: العلوم المكتسبة تعتقل به.

وعلى صلاحه وفساده.

والعمل عمل المؤمن ووقوعه بقصده واختياره، وهو قائد، إن كان خيراً يقوده إلى الجنّة، وإن كان شراً يقوده إلى النار. والصبر. وهو حبس النفس على ما تكرهه.

**١١٤ـ الغِيرَةُ مِنَ الإِيْمَانِ**[١].

**١١٥ـ الحَيَاءُ مِنَ الإِيْمَانِ]**[٢].

**١١٦ـ البَذَاذَةُ مِنَ الإِيْمَانِ**[٣].

جعل الغيرة وهي الحمية من الإيمان إيذاناً بأنّ من لا غيرة له كان إيمانه

---

إلى النّار.

والبرّ هو الإحسان والمعروف، جعله أخاه؛ لأنّه كالأخ الشقيق والصاحب الرفيق، والمحبّ الشفيق يزينه في أعين الناس ويحببه إليهم.

والصبر هو حبس النفس على ما تكرهه.

أمير جنوده، جعله أميراً لأنّه بمنزلة الأمير على الجسد؛ لصعوبته ومشقّته على الصابر، فإذا كان صابراً على الطاعة وعن المعصية كان صبره أميراً على أعضائه وجوارحه، يطيعه في مصالحه ولا يعصيه في اجتناب مفاسده.

**١١٤ـ الغِيرَةُ مِنَ الإِيْمَانِ.**

الغيرة: الحميّة، يقال: غار الرجل على أهله يغار غيرة، وأغار على الجند يغير

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠ : ٢٢٦، المصنّف لعبد الرزاق ١٠ : ٤٠٩، من لا يحضره الفقيه ٣ : ٤٤٤ / ٤٥٤١، دعائم الإسلام ٢ : ٢١٧ / ٨٠٤.

(٢) روضة الواعظين: ٤٦٠، المسترشد: ١٦ / ٣، الغيبة: ٣٩٠ / ٣٥٦، مسند أحمد ٢ : ٩، صحيح مسلم ١ :٤٦.

وقد سقط هذا الحديث سهواً، إلّا أنّ الشارح ذكره في الشرح.

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ٤١١٨/١٣٧٩، سنن أبي داود ٢: ٤١٦١/٢٨١، المستدرك على الصحيحين ١ : ٩.

ناقصاً، مبالغة في وصف الغيرة بأنّها بعض الإيمان، وجعل الحياء أيضاً بعض الإيمان؛ لمناسبته له في أنّه يمنع من المعاصي كما يمنع منها الإيمان؛ ولأنّ حظ الحياء من الإيمان حظ جليل، ومنزلته منزلة جليلة؛ فإن المرء إذا كان حييّاً امتنع من المنكرات والفواحش حياء من الناس إن لم يتركها خوفاً من الله، فهو معين للمؤمن على إيمانه.

والبذاذة أيضاً بعض الإيمان، وهي رثاثة الحال، ورجل بذّ الهيئة إذا كان خلق الثياب، وبثّه وبذّه إذا فرّقه، والبذاذة مصدر، فالفقير متفرق الأحوال غير ملتئم الأمور.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

إغارة، والغارة الأسم للإغارة، واغار الحبل إذا أحكم فتله، وأغار إذا أتى الغور[١] كأنجد وأعرق إذا أتىٰ نجداً والعراق.

جعل الغيرة من الإيمان إيذاناً بأنّ من لا غيرة له كان إيمانه ناقصاً مبالغة في وصف الغيرة بأنّها بعض الإيمان.

**١١٥ـ الحَيَاءُ مِنَ الإِيْمَانِ.**

معنى هذا الخبر كمعنى الخبر الأول، جعل الحياء بعض الإيمان للمعنى الذي ذكرناه؛ لأنّ حظّ الحياء من الإيمان حظّ جليل، ومنزلته منزلة جليلة، فإنّ الرجل إذا كان حيّياً امتنع من كثير من المقبحات حياء من الناس إن لم يتركها خوفاً من الله، فهو معين للمؤمن على إيمانه.

**١١٦ـ البَذَاذَةُ مِنَ الإِيْمَانِ.**

البذاذة: رثاثة الحال، ورجل بذّ الهيئة إذا كان خلق الثياب، وأصل الكلمة من

---

(١) في النسخة: العفور.
والغور: تهامة وما يلي اليمن. كتاب العين ٤ : ٤٤١، مادة (غور).

والمراد: الترثّي بذلك الزي، والتقنع به، والتصبّر عليه، وإن لا يبالي باختلال حاله استحقاراً للدنيا وإقبالاً على الآخرة بعض الإيمان، ومن في الأخبار الثلاثة للتبعيض.

وقيل: الغيرة أن لا يأتي المؤمن ما حرّم الله عليه[١]. والحياء: غريزة وطبع، والمستحيي ينقطع عن المعاصي. وخلق الثياب: ملابس أهل الزهد فيها استكانة.

وتمام الخبر: ***والمذاء من النفاق***. والمذاء أن يجمع بين الرجل والمرأة ليتماذي كلّ واحد منهما، والمماذي الذي يقود على أهله.

---

البذّ، يقال: بذّ الشيء يبذه، وبثّه يبثّه وبدّه يبدّه إذا فرّقه، والتبديد: التفريق، لتكثير الفعل.

والبذاذة مصدر كالسماحة والشجاعة، وإنّما قلنا ذلك لأنّ الفقير متفرّق الأحوال غير ملتئم الأُمور، والمراد أنّ التبذي بذلك الزيّ والتقنّع والتصبّر عليه؛ وأن لا يسعى في سدّ خلله، ولا يبالى باختلال حاله استحقاراً للدنيا ومتاعها، وإقبالاً على الآخرة وبقائها وتركاً لزينة الدنيا والاهتمام بجمالها [من الإيمان][٢] لما قيل في عكس هذه الحال:

........................ *فاقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي*[٣]

مهيرة المؤمنين[٤]، و«من» في الأخبار الثلاثة للتبعيض أي هذه الأشياء بعض الإيمان.

---

(١) فيض القدير: ٤ / ٣٠٤ / ١٧٥١.

(٢) ما أثبتناه بين المعقوفتين خبر (أنّ) في قوله: والمراد أنّ التبذي....

(٣) ديوان الحطيئة: ١٠٨، وتمامه:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها　　　واقعد فإنّك أنت الطاعم الكاسي

(٤) كذا في النسخة.

**١١٧ـ الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمَانِ، واليَقِيْنُ الإِيْمَانُ كُلُّهُ**[١].

كأنّه عليه السلام جعل الإيمان شعباً من الخصال الحميدة عقلاً وشرعاً، كما قال: ***إنّ الإسلام نيفاً وسبعين شعبةً، أعلاها شهادة أن لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق***[٢]. فجعل الصبر نصفه، واليقين الإيمان كلّه؛ لأنّ اليقين علم يحصل بعد الشك، ولهذا لا يجري على الله تعالى، وهذا الحديث موافق للأُصول؛ لأنّ الإيمان هو المعارف والعلوم، ومرجعه إلى اعتقادات علمية، والرجل إذا حصّل علوم الدين العقلية والشرعية فقد استكمل هو الإيمان، وإنّما تُسمّى هذه العلوم يقيناً لأنّه علم يحصل بعد الشك؛ لأنّ هذه العلوم لا تحصل إلّا بالنظر، وحالة الناظر حالة الشاك المجوّز المتردد بين إثبات الشيء ونفيه، ألا ترى أنّ الناظر في حدوث الأجسام يجوّز في حال النظر حدوثها وقِدَمها، فإذا نظر وعلم ما يؤدي إليه قِدَمها

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**١١٧ـ الصَّبْرُ نِصْفُ الإِيْمَانِ وَاليَقِيْنُ الإِيْمَانُ كُلُّهُ.**

جعل عليه السلام الصبر نصف الإيمان؛ لما بيّنا في الحديث المقدّم الذي جعل أميراً لجنوده فكأنّه عليه السلام جعل الإيمان شعباً من الخصال الحميدة عقلاً وشرعاً، كما قال: ***إنّ الإسلام نيفاً وسبعين شعبة أعلاها شهادة أن لا إله إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق***. فجعل الصبر نصفه وباقي الخصال والشرائط نصفه، وجعل اليقين الإيمان كلّه؛ وذلك لأنّ اليقين علم يحصل بعد الشّك، ولهذا لا يجري على الله تعالى، وهذا الحديث موافق الأُصول؛ لأنّ الإيمان هو المعارف والعلوم ومرجعه إلى اعتقادات علمية، والرجل إذا حصّل علوم الدين العقليّة والشرعية فقد

---

(١) المعجم الكبير ٩: ١٠٤، تاريخ بغداد ١٣: ٢٢٧، مجمع البيان ٨: ٩٤.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبه ٦: ٢١٨ / ١، ٧: ٢٢٥ / ٦٥، صحيح ابن حبّان ١: ٣٨٨، المعجم الأوسط ٩: ٢٠، وفي جميع المصادر: (الإيمان) بدل (الإسلام).

من البطلان والإحالة علم أنّها محدثة؛ لعدم الواسطة بين الحدوث والقدم، وأقلّ اليقين إذا وصل إلى القلب ملأه نوراً، وينفي عنه كلّ ريب، ويمتلئ به شكراً ومن الله خوفاً.

واليقين: هو رفع الشكّ عن الخاطر، وما يزيل الشكّ يكون كلّه إيماناً وتصديقاً.

وقيل: الصبر: هو الثبات على الكتاب والسنة. وهذا إشارة إلى العلوم الشرعية، وهي والعلوم العقلية توأمتان.

**١١٨ـ الإِيْمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ شُكْرٌ ونِصْفٌ صَبْرٌ**[١].

أي خصال الإيمان شكر أو صبر، أو حلية الإيمان وزينته ولباسه هذا، قسّم عليه السلام خصال الإيمان من وجه آخر وما يكون الإنسان به مستكمل الإيمان، فقال: الإيمان نصفان: وهما الشكر والصبر؛ لأنّ حال المكلّف لا يخلو من أمرين:

---

استكمل الإيمان، وإنّما سمّي هذه العلوم يقيناً؛ لأنّه علم يحصل بعد الشك؛ لأنّ هذه العلوم لا تحصل إلّا بالنظر، وحالة الناظر حالة الشاك المجوّز المتردد بين إثبات الشيء ونفيه ألا ترى أنّ الناظر في حدوث الأجسام يجوّز في حال النظر حدوثها وقدمها، فإذا نظر وعلم ما يؤدي إليه قدمها من البطلان والإحالة علم أنّها محدثة لعدم الواسطة بين الحدوث [و]القدم.

**١١٨ـ الإِيْمَانُ نِصْفَانِ: نِصْفٌ شُكْرٌ وَنِصْفٌ صَبْرٌ.**

ثمّ إنّه عليه السلام قسّم الإيمان من وجه آخر، أعني خصال الإيمان وما يكون المرء به مستكمل الإيمان، فقال: الإيمان نصفان وهما الصبر والشكر؛ لأنّ حال الإنسان لا يخلو من أمرين: إمّا أن تكون في النعمة أو في الشدّة، فإن كان في النعمة

---

(١) كنز العمال ١: ٣٦ / ٦١، جامع الأخبار: ٣٥، تحف العقول: ٤٨، باختلاف.

إمّا أن يكون في النعمة استعمل الشكر، وإمّا أن يكون في الشدّة استعمل الصبر، فإذا أخذ بطرفي الخصلتين فقد استكمل الإيمان وخصاله الحميدة، وقد بيّنا أنّ الشكر اعتراف بالنعم مع ضرب من التعظيم، والصبر حبس النفس [علىٰ] ما تكرهه.

**١١٩ـ الإِيْمَانُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمانِيّةٌ**[1].

يريد بذلك الثناء على أهل اليمن؛ لمبادرتهم إلى الدعوة عند أن وجدوا المعجز، وإسراعهم إلى الإيمان عند التنبيه.

وقيل: في معنى الخبر وجوه:

**أحدها:** أنّ المراد بنسبة الإيمان والحكمة إلى اليمن مدح أهلها، والمعنى: أنّ كلّ يمنيٍّ مؤمن حكيم على طريق المبالغة، حتّىٰ كأنّ الإيمان والحكمة خرجا من اليمن.

**والثاني:** أنّه أراد باليمن الحجاز؛ لأنّ الحجاز من جملة اليمن، والمراد:

**الضوء في شرح الشهاب**

استعمل الشكر، وإن كان في الشدّة استعمل الصبر، فإذا أخذ بطرفي الخصلتين فقد استكمل الإيمان وخصاله الحميدة، وقد بيّنا أنّ الصبر حبس النفس على ما تكرهه. والشكر اعتراف بالنعمة مع ضرب من التعظيم.

**١١٩ـ الإِيْمَانُ يَمَانٍ، وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَّةُ.**

قيل: في معنى الخبر وجهان:

**أحدهما:** أنّ المراد بنسبة الإيمان والحكمة إلى اليمن مدح أهل اليمن.

**والمعنىٰ:** أنّ كلّ يمني مؤمن حكيم على طريق المبالغة حتّىٰ كأنّ الإيمان

(١) الأم ١ : ١٨٩، مسند أحمد ٢ : ٢٣٥، ٢٥٢، سنن الدارمي ١ : ٣٧، الكافي ٨: ٧٠ / ٢٧، المجازات النبويّة: ٣٣٨ / ٢٦٣.

الإيمان حجازيّ، والحكمة حجازية؛ لأنّ النبي ﷺ ظهر بالحجاز وأظهر الإسلام والحكمة بها، ونبّه الناس على الإيمان فيها أولاً.

وقيل: قال النبي ﷺ هذا الحديث وهو بتبوك وهو بين مكّة والمدينة، فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكة والمدينة[١].

وقيل: لمّا كتب رسول الله إلى كسرى: ***من محمّد رسول الله إلى كسرى، أمّا بعدُ: فأسلم تسلم***. مزّق كتاب رسول الله، وبعث من يستنهض محمّداً إليه، فإن لم يجئ يخرج رسول كسرى إلى ملك غسّان في ناحية اليمن ليجئ بعسكره إلى المدينة ويزعج محمّداً، فلمّا دخل رسول كسرى على رسول الله قال ﷺ: ***قتل كسرى البارحة قتله ابنه وكان من قصته كيت وكيت***، فكتب رسوله ذلك، وخرج إلى ملك كسرى غسّان، وحكى عنده ما ذكره رسول الله من حال كسرى، فقال ملك غسّان: اصطبر مقدار ما يصل خبر كسرى إلينا، فإن لم يكن على ما قال محمّد بعثت من يزعجه، وإن كان على ما ذكر ـ فلا يكون إلّا بوحي من الله، وليس بيننا وبين الحقّ خصومة ـ نؤمن به.

---

والحكمة خرجا من اليمن.

**والثاني**: أنّه أراد باليمن[٢] الحجار؛ لأنّ الحجاز من جملة اليمن، يعني أنّ الإيمان حجازي، والحكمة حجازية؛ لأنّ النبي ﷺ ظهر بالحجاز وأظهر الإيمان والحكمة بها، وهذا أصحّ الوجهين.

وقيل: قال النبي ﷺ هذا الحديث بتبوك وهو بين مكّة والمدينة، يقال: رجل

---

(١) الأمّ ١ : ١٨٩، تاريخ مدينة دمشق ١ : ١٩٦، وفيهما: وقف رسول الله ﷺ على ثنيّة تبوك فقال: ماهاهنا شأم ـ وأشار بيده إلى جهة الشام ـ وما هنا يمن ـ وأشار بيده إلى جهة المدينة ـ.

(٢) في النسخة: باليمين، وما أثبتناه أنسب للسياق.

فلمّا وصل الخبر بهلاك كسرى في الليلة التي قال رسول الله على الهيئة التي ذكرها، أسلم ملك غسان ثمّ أهل اليمن كلّهم، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فقال: ***الإيمان يمانٍ والحكمة يمانيّة***[١].

ولا يستبعد أن يكون هذا أصح.

وروي أنّه لمّا نزلت ﴿**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ**﴾[٢] قال النبي ﷺ: ***الله أكبر جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن رقيقة قلوبهم، ليّنة طاعتهم، الإيمان يمانٍ والحكمة يمانية***[٣]. وتغيرات النسب كثيرة، منها أن يقال: الحكمة يمانيَة ـ بتخفيف ياء النسب ـ ورجل يمانٍ، والجمع يمانون.

**١٢٠ـ الإِيْمَانُ قَيَّدَ الفَتْكَ**[٤].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

يمان بتخفيف ياء النسبة، والجمع يمانون، وكذلك تهام والجمع تهامون، وهذا من تغييرات النسب، وكذلك دخول الألف في يمان، وأيمن الرجل إذا أتى اليمن كأعرق وأنجد إذا أتى العراق ونجداً.

**١٢٠ـ الإِيْمَانُ قَيَّدَ الفَتْكَ.**

ويروى: قَيْدُ الفتك، والمعنى واحد، والفتك: قتل الرجل غيره على غرّة وغفلة، منه يقال: فتك به يفتك فتكاً إذا قتله بغتة.

وكانوا في الجاهلية يفتك بعضهم ببعض فلمّا جاء الإسلام حرم الفتك، فقال ﷺ: لا فتك في الإسلام، وقيل: الفتك غدر والغدر أن تؤمنه

---

(١) الإصابة ١: ٤٦٣، تاريخ الطبري ٢: ٢٩٧، البداية والنهاية ٤: ٣٠٧.

(٢) سورة النصر ١١٠: ١.

(٣) السنن الكبرىٰ ٦: ٥٢٥، مسند أبي يعلىٰ ٤: ٣٨٤ / ٢٥٠٥، المعجم الكبير ١١: ٢٦٠.

(٤) مسند أحمد ١: ١٦٦، سنن أبي داود ١: ٦٣١ / ٢٧٦٩، وفي الكافي ٧: ٣٧٥ / ١٦، وتهذيب الأحكام ١٠: ٢١٤ / ٨٤٥: الإسلام قيد الفتك.

**١٢١ـ عَلَمُ الإِيْمَانِ الصَّلَاةُ**[١].

كانوا في الجاهلية يفتك بعضهم ببعض، فلمّا جاء الإسلام حرّم الله الفتك وأمر رسول الله ﷺ أن يدعو الكفّار أوّلاً إلى الإسلام، فإذا لم يجيبوا بعد إقامة الحجّة وإظهار المعجز جاهدهم، وقال عليه السلام: ***لا فتك في الإسلام***[٢].

والفتك: قتل الرجل غيره على غرّة وغفلة منه، يقال: فتك به فتكاً، إذا قتله بغتةً.

وروي: ***الإيمان قَيْد الفتك***. وقيل: هو فجأة قِبَل مَن له أمان، وقد حرّمه رسول الله على الحالات كلّها.

والعلم: العلامة؛ وذلك لأنّ الإيمان تصديق بالقلب ولا يطّلع عليه أحد إلّا الله، فكلّ واحد من المؤمنين يعلم يقيناً أنّه مؤمن، ويعلم أنّ من يظهر علىٰ يده معجز

---

ثمّ تقتله.

وروي: أنّ مسلم بن عقيل رحمة الله عليه لمّا أتى الكوفة لبيعة الحسين بن علي عليه السلام، وبايعه كثير من الناس، فلمّا قدم عبيد الله بن زياد الكوفة توارى مسلم في دار هاني بن عروة المرادي، وكان شريك بن أعور الحارثي في دار هاني ـ وكان من شيعة الحسين ـ فمرض وسمع ابن زياد بمرضه فأرسل إليه أنّي زائرك غداً لعيادتك، فقال شريك وهاني لمسلم: حصل المراد استخف في هذا البيت، فإذا دخل ابن زياد وجلس اخرج إليه واقتله؛ لتستريح أنت والمسلمون منه، فتواطؤوا على ذلك، فلمّا كان من الغد ودخل ابن زياد وجلس يعود المريض ويسأله عن حاله وعلّته، وشريك يحدّثه ويتوقّع خروج مسلم لما اتفقوا عليه، فلمّا

---

(١) الفائق في غريب الحديث ١: ٢٨٩، شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٠٦، ذكر أخبار إصبهان ٢: ٢٧١.
(٢) تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ٤٧٨.

من الأنبياء والأوصياء ومن يشير إلى كونه مؤمناً نبيٌّ أو وصيٌّ أنّه مؤمن، وكلّ من سواهم فإنّما نحكم نحن بإيمانه إذا رأيناه يتعاطى معالم الإيمان من القيام بأداء الواجبات الشرعية من الصلاة والزكاة والصوم والحجّ، ومن أكبر علاماته وأظهرها الصلاة، فنستدلّ بها على إيمان رجل حكماً؛ فإنّا متعبّدون بأن نحكم بإيمان كلّ من يُظهر التوحيد والعدل بحيث لا ينقضهما جملة ولا تفصيلاً، ولا يعلم ذلك منهم إلّا على الوجه الذي ذكرناه وإنّما يغلب ذلك في ظنوننا.

والخبر يدلّ على بطلان من يقول الصلاة من جملة الإيمان وكذلك أعمال الجوارح؛ لأنّ علامة الشيء غير ذلك الشيء، وقال عليه السلام: ***أفضل الفرائض الصلاة بعد المعرفة***[١].

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

أبطأ اتت[٢] شريك يقول:

*ما تنظرون بسلمى أن تحيوّها — حيّوا سليمىٰ وحيّوا من يحييها*

*هل شربة عذبة أُسقى على ظمأ — وإن تلفت وكانت ميتتي فيها*

فقال عبيد الله لهاني: ما يقول؟

قال هاني: إنّه يهذي طول النهار. فكأنّه أحسّ بشيء فقام وخرج، فلمّا خرج مسلم قالوا له: ما منعك ممّا عزمت عليه؟ فقال: ذكرت قول النبي عليه السلام: ***الايمان قيّد الفتك***، فمنعه حسن إسلامه أن يفتك بعدو الله[٣].

وما منع اللعين ابن اللعين أن يقتله صبراً جهرة بغير جرم. والله الحاكم بينهم فيما فعلوا بأولاد الرسول وأقاربه.

---

(١) تحف العقول: ٣٩١، بحار الأنوار ١: ١٤٣.

(٢) كذا في النسخة غير مقروءة.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٦٥، تاريخ الطبري ٤: ٢٧١.

وروي: ***عَلَمُ الإيمان الصلاة، فمن فرّغ لها قلبه وحاذ[١] عليها بحدودها فهو مؤمن***[٢].

---

**١٢١ـ عَلَمُ الإِيْمَانِ الصَّلَاةُ.**

العلم: العلامة، وذلك لأنّ الإيمان تصديق بالقلب ولا يطلع عليه أحد إلّا الله، وإنما نحكم بإيمان الرجل إذا رأيناه يتعاطى معالم الإيمان من القيام بأداء الواجبات الشرعيّة من الصلاة والزكاة والحجّ والجهاد، ومن أكبر علاماته وأظهر[ها] الصلاة، فنستدلّ بها على إيمان الرجل؛ ولهذا قال عليه السلام: ***إنّ أفضل الفرائض بعد المعرفة الصلاة، وأوّل ما يحاسب العبد عليه [الصلاة]، فإن قبلت قبل ما سواها وإنّ ردّت ردّ ما سواها***[٣].

ويروى: أنّ رجلاً قال لرسول الله: أخشى أن أكون منافقاً، فقال عليه السلام له: ***هل تصلّي إذا كنت وحدك***؟ قال: نعم، قال: ***لست بمنافق***[٤].

وقال رجل لعبد الله بن مسعود: أخشى أن أكون منافقاً، فقال له: لست بمنافق، قال له: وما يدريك؟ قال له: لأنّ المنافق لا يخشى[٥].

وهذا الحديث يدلّ على بطلان قول من قال: الصلاة من[٦] الإيمان. وذلك لأنّه عليه السلام قال: ***الصلاة عَلَم الإيمان***. وعلامة الشيء غير ذلك الشيء، وقد اتفقنا

---

(١) حاذ عليها أي حافظ عليها، من حاذ الإبل يحوذها حوذاً إذا حاذها وجمعها ليسوقها. النهاية في غريب الحديث ١: ٤٥٧.

(٢) الفائق في غريب الحديث ١: ٢٨٩، شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٠٦، النهاية في غريب الحديث ١: ٤٥٧.

(٣) الكافي ٣: ٢٦٨ / ٤، من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٨ / ٦٢٦، أمالي الصدوق: ٧٣٩ / ١.

(٤) معاني الأخبار: ١٤٢ / ١.

(٥) مجمع الزوائد ١: ١١٤، المعجم الكبير ٩: ١٨٠.

(٦) في النسخة: ومن، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

**١٢٢ـ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**[١].

**١٢٣ـ المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ**[٢].

أراد بالخبر الأول أنّ المسلم الممدو ح من كان ذلك صفته، وليس معناه أنّ

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

على أنّ الإيمان في اللغة التصديق؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا**﴾[٣] أي بمصدّق، فمن ادعى النقل فعليه الدّلالة.

**١٢٢ـ المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ.**

المسلم في اللغة: المستسلم المنقاد[٤]، وكذلك في الشرع إلّا أنّه استسلام لأُمور شرعيّة[٥]. وهو من الأسماء المخصوصة، وذلك لأنّه يمنعه إسلامه من إيذاء المسلمين والسعي في إتلاف أنفسهم واستحلال أموالهم، فكأنّه عليه السلام جعل المسلم من يسلم منه المسلمون من أن يقول فيهم ما يؤذيهم، أو يفعل بهم ما يضرّهم، حتّى كأنّه أخرج من الإسلام من لا يكون مأمون اليد واللسان على سبيل المبالغة دون الحقيقة، وإنّما قلت ذلك؛ لأنّ لام التعريف يدلّ على هذا المعنى، فكأنّه قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده فهو المسلم حقاً.

**١٢٣ـ المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ.**

هذا الحديث يجري مجرى قوله: المؤمن[٦] وقد مرّ تفسيره.

---

(١) مسند أحمد ٢: ١٦٣، سنن الدارمي ٢: ٣٠٠، وفي الكافي ٢: ١٩/٢٣٥ عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٢) مسند أحمد ٢: ٦٨، صحيح مسلم ٨: ١٨، سنن الترمذي ٢: ٤٤٠ / ١٤٥١، وفي الكافي ٤: ٥٠ / ١٦، عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) سورة يوسف: ١٢ / ١٧.

(٤) الصحاح ٥: ١٩٥٢، مادة (سلم)، تفسير جوامع الجامع ٣: ٦٤، شرح السير الكبير للسرخسي ١: ١٥٢.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الظاهر أنّ العبارة ناقصة، ولعلّ المراد الحديث المتقدّم برقم: ٩٣: المؤمن أخو المؤمن. أو الحديث الآخر: المؤمن من أمنه الناس علىٰ أنفسهم وأموالهم. المتقدّم برقم: ٩٧.

من لم يسلم الناس من لسانه ويده ممّن قد دخل في عقد الإسلام فليس بمسلم، ولكنّ معناه أنّ أفضل المسلمين من جمع إلى الإيمان إقامة الفرائض، وجمع إلى ذلك الكفّ عن أعراض الناس، لا يغتابهم ولا يشتمهم ولا يضربهم ولا يقتلهم. فكأنّه قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده فهو المسلم حقّاً، أخرج من الإسلام من لا يكون مأمون اليد واللسان عل سبيل المبالغة دون الحقيقة. ولام التعريف يدلّ على هذا المعنى.

وقيل: معنى الخبر الثاني ـ وإن كان خبراً ـ الأمر، يعني يجب أن يكون كذلك، والنهي، يعني لا يظلمْهُ ولا يسلمْهُ، والأخ لا يظلم أخاه ولا يجيز ظلمه عقلاً وشرعاً وطبعاً، ولا يسلمه ممّن يظلمه ولا يخلّي بينه وبين ظالمه، بل يحميه ويمنعه كما يحمي ويمنع أخاه من النسب.

يعني: لا يسلمه إلى السلطان، ولا يسعى بين الإخوان، والمسلم ـ في اللغة ـ المستسلم المنقاد، وكذلك في الشرع إلّا أنّه استسلام لأُمور شرعية، وهو من الأسماء المخصوصة؛ وذلك لأنّه يمنعه إسلامه من إيذاء المسلمين والسعي في إتلاف أنفسهم واستحلال أموالهم.

**١٢٤ـ المُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ**[1].

---

وقوله: لا يظلمه؛ لأنّ الأخ لا يظلم أخاه ولا يجيز ظلمه عقلاً وشرعاً وطبعاً، ولا يسلمه لمن يظلمه ولا يخلي بينه وبين ظالمه، بل يحميه ويمنعه كما يمنع ويحمي أخاه من النسب.

**ومعنى الحديث:** الأمر، يعني: يجب أن يكون كذلك، أو النهي، يعني: لا يظلمْهُ ولا يسلمْهُ.

**١٢٤ـ المُسْلِمُونَ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ.**

(١) الأُمّ ٧: ٣٧٠، الغارات ٢: ٨٢٨، مسند أحمد ٢: ٢١٥.

**١٢٥ـ المَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**[(١)].

يريد أنّ المسلمين ينبغي أن يكونوا متعاونين متظاهرين على أعدائهم، إذا استنفروا إلى مجاهدة العدو وجب عليهم النفر جميعاً، وإذا استنجدوا على دفع مضرّتهم اتحدوا كلّهم ولم يتخاذلوا ولم يخلب[(٢)] أحد منهم؛ لأنّ المسلمين في الملّة كالنفس الواحدة، والعقل يقتضي دفع المضرّة عن النفس.

وأراد بقوله: ***يد واحدة***. في التناصر والتعاون، فتكون أيديهم وإن كانت كثيرة في الصور تكون واحدة في هذا المعنى.

وأراد بـ: ***من سواهم***، من لم يكن على ملّتهم، وسائرأنواع الكفّار؛ لأنّ الكفر ملّة واحدة، كماأنّ الإسلام ملّة واحدة وإن اختلف المسلمون في الآراء والديانات.

واللفظ لفظ الخبر ومعناه الأمر، ينبغي ويجب أن يكونوا كذلك.

**الضوء في شرح الشهاب**

لأنّ المسلمين في الملّة كالنفس الواحدة، والعقل يقتضي دفع المضرّة عن النفس.

وأراد بقوله: يد واحدة، في التناصر والتعاون، فيكون أيديهم وإن كانت كثيرة في الصورة واحدة في هذا المعنى.

وأراد: بمن سواهم، من لم يكن على صلتهم من سائر أنواع الكفّار؛ لأنّ الكفر ملّة واحدة، كما إنّ الإسلام ملّة واحدة وإن اختلف المسلمون في الآراء أو الديانات، واللفظ لفظ الخبر ومعناه الأمر، يعني: ينبغي ويجب أن يكونوا كذلك.

**١٢٥ـ المَوْتُ كَفَّارَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ.**

وذلك أنّ المحتضر يصيبه من الآلام والأسقام والتأسّف والحسرة ما يصير كفّارة لذنوبه، وسأل رجل رسول الله عن العبد إذا حصل في سكرة الموت تدور

---

(١) تاريخ بغداد ١: ٣٦٤، تاريخ مدينة دمشق ٥١: ١٢٠، وفي من لا يحضره الفقيه ١: ١٣٤ / ٣٥٨عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٢) الخلابة: الخديعة باللسان، وفي المثل: إذا لم تغلب فاخلب. الصحاح ١: ١٢٢ مادة (خلب).

ومعنى الخبر الثاني: أنّ كلّ ما يصيب المحتضر المسلم من الآلام والأسقام والتأسّف والحسرة يكون كفّارة لذنوبه؛ وذلك من كرامة الله إيّاه؛ ولأنّ للموت شدائد وأهوالاً.

والتقدير: الموت كفّارة لذنوب كلّ مسلم، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.

والكفّارة: هي التكفير لمعاصي العباد والعفو عنهم بالرحمة والتفضّل، لا على طريقة الإحباط. وسئل النبي عليه السلام عن العبد إذا حصل في سكرة الموت تدور دمعة في عينه، أتلك الدمعة من فراق الدنيا أو من خوف الآخرة؟ قال: ***لا هذا ولا ذاك، وإنّما للحسرة والندامة يتحسّر***[1] ***على فوت عمره في غير طاعة الله، ويندم على تفريط منه في طاعة الله***[2].

**١٢٦ـ طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**[3].

---

دمعة في عينه، تلك الدمعة من فراق الدنيا أو من خوف الآخرة؟

قال: ***لا هذا ولا ذاك، إنّما هي للحسرة والندامة يتحسّر على فوت عمره في غير طاعة، ويندم على تفريط منه في طاعة الله.***

والكفارة من التكفير على معاصي العباد والعفو عنهم بالرحمة والتفضّل لا على طريق الإحباط كما ذهب إليه أصحاب الوعيد؛ لما دلّ على بطلانه أدلّة العقل والسمع.

**١٢٦ـ طَلَبُ العِلْمِ فَرِيْضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ.**

---

(١) في النسخة: يتحسّره.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) سنن ابن ماجة ١: ٨١ / ٢٢٤، مسند أبي يعلىٰ ٥: ٢٢٣ / ٢٨٣٧، وفي المحاسن ١: ٢٢٥ عن الإمام الصادق عليه السلام.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

وذلك لأنّ التكليف مشتمل على العلم والعمل، والعلم مقدّم على العمل، يحتاج إلى العلم بكيفيّته وشرائطه ومالا يصحّ إلّا به وما يبطله ليأتي المكلّف به على ما أُمر به، ويجتنب أن يأتي به على خلاف المأمور به، والعلم لا يوجد إلّا بالطلب فطلبه المؤدي إليه فريضة.

وقال عليه السلام: ***اطلبوا العلم ولو بالصين***، على طريق المبالغة، لا أنّ بالصين علماً يطلب ولكن على سبيل التقدير، حتّى لو فرض أنّ العلم لا يوجد إلّا بالصين لوجب الخروج إليه في طلبه وإن لا يستبعد الطريق إليه من مكة والمدينة.

والفريضة فعيلة بمعنى مفعولة من الفرض، وهو التقدير والقطع، فكأنّها مقدّرة مقطوعة على مقدار المصلحة، وهي [و]الواجب بمعنى واحد وهو ما يستحقّ بتركه الذم على بعض الوجوه إلّا أنّ الواجب يستعمل في العقليّات والفرض في الشرعيات.

وقال عليه السلام: ***من طلب العلم لله عزّوجلّ لم يصب منه باباً إلّا ازداد به في نفسه ذلاً، وللنّاس تواضعاً، ولله خوفاً، وفي الدين جهاداً، فذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يصب منه باباً إلّا ازداد في نفسه عظمة، وعلى الناس استطالة، وبالله اغتراراً، وفي الدين جفاء، فذاك الذي لا ينتفع بالعلم فليكف وليمسك عن الحجّة على نفسه، والندامة والخزي يوم القيامة.***

وقال علي عليه السلام: ***العلم وراثة كريمة، والآداب حلل حسان، والفكر مرآة صافية [و]الاعتبار منذر ناصح، وكفى بك أدباً لنفسك تركك ما كرهته من غيرك***[1].

---

(١) أمالي المفيد: ٣٣٦. وفي النسخة: (لغيرك ما كرهته لنفسك) بدل (ما كرهته من غيرك)، وما أثبتناه من المصدر، وهو المناسب لسياق الكلام.

**١٢٧ـ كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وعِرْضُهُ ومَالُهُ**[١].

**معنى الخبرين:** أنّ كلّ عمل فُرض عليك أداؤه فطلب علمه فرض عليك، فإن كان عملاً مندوباً فطلب علمه مندوب، وإن لم يكن مفروضاً ولا مندوباً فطلب علمه لا يكن مفروضاً ولا سنّة، كالعلم بالحِرَف.

وإنّ حرمة الإسلام يقطع هتك هذه الأشياء الثلاثة إلّا لأحد ثلاثة أشياء، وهي ما روي عنه عليه السلام: ***كفر بعد إيمان، وزنا بعد إحصان، وقتل بغير حقّ***[٢]. وإنّما كان طلب المعارف الواجبة مفروضاً؛ لأنّ التكليف مشتمل على العلم والعمل، والعلم مقدّم على العمل؛ لأنّ العمل يحتاج إلى العلم بكيفيّته وشرائطه وما لا يصح إلّا به وما يبطله؛ ليأتي المكلّف به على ما أُمر به، ويعلم أنّه لا يعمله على خلاف المأمور به، والعلم المكتسب لا يوجد إلّا بالطلب، فطلبه المؤدّي إليه فريضة.

---

وقال النبي عليه السلام: ***من اغبرّت قدماه في طلب العلم وجبت له الجنّة.***

**١٢٧ـ كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ.**

اللفظ وإن كان واحداً فالمراد به الجمع، واللّام للجنس[٣]، فبيّن عليه السلام أنّ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم حرام على كلّ أحد من المسلمين والكفّار، غير أنّه خصّ المسلمين بالذّكر؛ لأنّ الكفّار لا يعرفون الحلال والحرام في الشرعيّات، ولا يؤمنون به فيستحلّون جميع ذلك من المسلمين، ولأنّ الخبر وعظ للمسلمين، فإنّ الكفّار لا يتّعظون بوعظ النبي عليه السلام، ومثله قوله تعالى في القرآن: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[٤] والقرآن هدًى لهم ولغيرهم، إلّا أنّ الكفّار ولمّا لم ينتفعوا به لم يعتدّ

---

(١) مسند أحمد ٢: ٢٧٧، صحيح مسلم ٨: ١١، أمالي المرتضىٰ ٣: ٨٢.

(٢) الخلاف ٥: ١٦٨، الأُمّ ١: ٢٩٤، سنن أبي داود ٢: ٣٣٠.

(٣) في النسخة: السلام الجنس، وهي تصحيف ما أثبتناه، وهي اللام في (المسلم).

(٤) سورة البقرة ٢: ٢.

وقال عليه السلام: ***اطلبوا العلم ولو بالصين***[(١)]. وهذا على سبيل التقدير بأن لا يستبعد الطريق البعيد إلى العلم، ولو كان العلم لا يوجد إلّا بالصين لوجب الخروج إليه في طلبه، وإلّا ليس بالصين علم يجب أن يطلب.

وقال: ***من اغبرّت قدماه في طلب العلم وجبت له الجنّة***[(٢)].

وقال: ***من طلب العلم لله عزّوجلّ لم يُصِب منه باباً إلّا ازداد به في نفسه ذلّاً، وللناس تواضعاً، ولله خوفاً، وفي الدين اجتهاداً، فذلك الذي ينتفع بالعلم فليتعلّمه، ومن طلب العلم للدنيا والمنزلة عند الناس والحظوة عند السلطان لم يُصِب منه باباً إلّا ازداد في نفسه عظمةً، وعلى الناس استطالة، وبالله اغتراراً، وفي الدين جفاء، فذلك الذي لا ينتفع بالعلم فليكفّ، وليمسك عن الحجّة على نفسه، وله الندامة والخزي يوم القيامة***[(٣)].

وقوله: **وكلّ المسلم**، وإن كان اللفظ واحداً فالمراد به الجمع للام الجنس.

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

بهم، وخصّ المتّقين لأنّهم هم المنتفعون به، ومثله قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا**﴾[(٤)] وهو عليه السلام منذر للجميع، فخصّ الخاشعين بالإنذار لهذا المعنى.

**ومعنى الخبر:** أنّ الله تعالى حرّم دم المسلمين عن الإراقة، وماله عن النهب والاستباحة، وعرضه عن الفرية والاغتياب.

ومعنى التحريم: المنع، يقال: حرمه عطاءه يحرمه، والحرمان نقيض الرزق، وفلان محروم خلاف مرزوق، وبيّنا معنى العرض واختلاف العلماء فيه فلا وجه لإعادته.

---

(١) روضة الواعظين: ١١، وفي مصباح الشريعة: ١٣ عن الإمام علي عليه السلام.

(٢) تفسير الرازي ٢ : ١٨٩، وفيه: حرّم الله جسده على النار.

(٣) روضة الواعظين: ١١، مشكاة الأنوار: ٢٣٨، كنز العمال ١٠ : ٢٦١ / ٢٩٣٨٤.

(٤) سورة النازعات ٧٩: ٤٥.

بين ﷺ دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم تحرم على كلّ أحد من المسلمين والكفّار غير أنّه خصّ المسلمين بالذكر؛ لأنّ الكفّار لا يعرفون الحلال والحرام والشرعيّات ولا يؤمنون به، فيستحلّون جهلاً جميع ذلك من المسلمين؛ ولأنّ الخبر وعظ للمسلمين، فإنّ الكفّار لا يتّعظون بوعظ النبي ﷺ، ومثل قوله تعالى في حقّ القرآن: ﴿**هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[1] والقرآن هدىً لهم ولغيرهم [غير] أنّ الكفّار لمّا لم ينتفعوا به ما اعتد بهم وخصّ المتقين؛ لأنّهم هو المنتفعون به، ومثله ﴿**إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا**﴾[2].

**ومعنى الخبر:** أنّ الله تعالى حرّم دم المسلم عن الإراقة، وما له عن النهب والاستباحة، وعِرضه عن الفرية والاغتياب. ومعنى التحريم المنع، يقال: حرمه عطاءه، والحرمان: المنع. وعرض الرجل: نفسه وسلفه من آبائه وأُمّهاته، فإذا قيل: ذكر عرض فلان، أي ذكر ما يمدح به أو يذمّ.

**١٢٨ـ حُرْمَةُ مَالِ المُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ**[3].

---

**١٢٨ـ حُرْمَةُ مَالِ المُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ.**

الحرمة مصدر حرم الشيء يحرم حرمة، فهو حرام، يعني: أنّ مال المسلم في كونه حراماً يتنزل منزلة دمه، فكما أنّ دمه حرام كذلك ماله حتّىٰ أنّ من استحلّ ماله كان كمن استحل دمه، والمستحِلّ لهما أو لأحدهما خارج عن الملة، ولقد أحسن أبو تمام حيث جعل إراقة ماء الوجه بمنزلة إراقة الدم في قوله:

*لئن جحدتك ما أوليت* . . . . . . . . . . . . . . .

---

(١) سورة البقرة ٢: ٢.

(٢) سورة النازعات ٧٩: ٤٥.

(٣) كنز العمال ١: ٩٣ / ٤٠٤، عوالي اللئالي ٣: ٤٧٣ / ٤.

يعني: أنّ مال المسلم في كونه حراماً ينزّل منزلة دمه، فكما أنّ إراقة دمه حرام، كذلك أخذ ماله حتّىٰ مَن استحلّ ماله كان كمن استحلّ دمه؛ لأنّ المال به قوام البدن من حيث يتغذّىٰ ويمتنع به من الحرّ والبرد، فقد صار بمنزلة تخريب بنيته، والمستحلّ لهما ولأحدهما خارج عن الملّة إلّا بحقّ.

وقال عليه‌السلام: ***أمرت أن أُقاتل الناس حتّىٰ يقولوا لا إله إلّا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقّ، وحسابهم على الله***[1].

والحرمة مصدر حرم الشيء، فهو حرام.

**١٢٩ـ المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ**[2].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

*ومـــا أُبـــالي وخـــير القــول أصـدقه ... حقنت لي ماء وجهي أو حقنت دمي*[3]

وإنّما قال ذلك؛ لأنّ الممدوح لو لم يصله بالصلات الستّة[4]، ولم يغنه بالعطايا الجزيلة، أحوجه الفقر إلى مسألة اللئام فسألهم فحرموه فرأوا ماء وجهه، فالحاقن لماء وجهه بمنزلة حاقن دمه.

**١٢٩ـ المُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَاهُ اللهُ عَنْهُ.**

المهاجر مفاعل من الهجرة، والهجرة ـ في اللغة ـ هيئة وكيفية للمفارقة، كما يتنافى الفَعْلة والفِعلة أنّ الأُولى للمرّة والثانية للحالة. وفي عرف الشرع: الخروج من مكّة إلى المدينة موافقة للنبي عليه‌السلام؛ ولهذا قال عليه‌السلام: ***لا هجرة بعد الفتح***. يعني: مكة، وقولنا في الفقه: إذا حضرت جماعة ودخل وقت الصلاة فالأولى بالتقدّم أقرأ القوم، ثمّ أفقههم ثمّ أقدمهم هجرة، ثمّ أسنهم، ثمّ أصبحهم وجهاً. فالمراد بقدم

(١) الأُمّ ٤: ١٨١، مسند أحمد ١: ١١، المستدرك على الصحيحين ٢: ٥٢٢.

(٢) مسند أحمد ٢: ١٩٢، المعجم الكبير ١٩: ١٧٦.

(٣) ديوان أبي تمام: ٢٥٦.

(٤) كذا في النسخة، ولعلّها: السنية.

**١٣٠ـ المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ**[١].

يقول بالخبر الأوّل: إنّ الهاجر الممدوح هو الذي جمع إلى هجران وطنه هجر ما حرّم الله عليه؛ لأنّه إذا يكن كذلك يكون مهاجراً بالاسم غير مهاجر بالإيقان.

والمهاجر: مفاعل من الهجرة. والفِعْلَة الحالة كما قدّمنا، فالهِجْرَةُ هيئة وكيفيّة للمفارقة، وفي عرف الشرع: الخروج من مكّة إلى المدينة موافقة النبي عليه السلام، ولهذا قال صلى الله عليه وآله: ***لا هجرة بعد الفتح***[٢]. وقوله في فقه صلاة الجمعة: ***إذا حضر قوم من المسلمين ودخل وقت الصلاة فالأولىٰ بالتقدّم للإمامة أقرأ القوم، ثمّ أفقههم، ثمّ أقدمهم هجرة، ثمّ أسنّهم، ثمّ أصبحهم وجهاً***[٣]. فالمراد بقدم الهجرة في عهد رسول الله أسبق إليها والتقدّم فيها، وفي عهدنا كثرة أجداده في الإسلام.

---

الهجرة في عهد النبي عليه السلام السبق إليها والتقدّم فيها، وفي عهدنا كثرة أجداده في الإسلام.

**ومعنى الخبر:** أنّ المهاجر الحقيقي من ترك المنهيّات، فإنّ من ترك المحارم كان كمن هاجر، وثوابه ثواب المهاجرين، وإنّما راعى عليه السلام المطابقة بين الهجرتين في اللفظ[٤].

**١٣٠ـ المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ.**

المجاهد مفاعل من الجَهد وهو المشقّة، أو من الجُهد وهو الطاقة، والمجاهدة: الجهاد؛ فإنّ المفاعلة والفِعال مصدران لما كان بين اثنين في الأغلب

---

(١) مسند أحمد ٦: ٢٠، سنن الترمذي ٣: ٨٩ / ١٦٧١، المعجم الكبير ١٨: ٣٠٩.
(٢) أمالي الصدوق: ٦٨٥ / ١٤، الخصال: ١٩٣ / ٢٦٨، مسند أحمد ١: ٢٢٦.
(٣) اُنظر: تهذيب الأحكام ٣: ٣١ / ٢٤، النهاية: ١١٢.
(٤) كذا في النسخة، فالظاهر وجود سقط في العبارة.

**ومعنى الخبر**: أنّ المهاجر الحقيقي هو من ترك المنهيّات، ومن ترك المحارم الآن كمن هاجر بيته يومئذٍ، وثوابه ثواب المهاجرين، وإنّما راعى المطابقة بين الهجرتين في اللّفظ وحثّ به على هجر مناهي الله.

فكذلك الخبر الثاني ترغيب في مجاهدة النفس، يقول: المجاهد كلّ المجاهد من جاهد نفسه ونازعها في مخالفة الهوى من إتّباع أوامر الله واجتناب مناهيه، فإنّ النفس الأمّارة بالسوء تأمره بما فيه من هلاك نفسه ودينه، فالمرء المسلم يجاهد نفسه ويدافعها حتّىٰ يسلم دينه ونفسه.

**الضوء في شرح الشهاب**

كالمقاتلة والقِتال، والمخاصمة والخِصام، والمجادلة والجِدال، إلّا ما جاء في أحرف معدودة من قولهم: قاتله الله، وعاقبت اللصّ، وطارقت النعل، وعافاك الله.

وفي عرف الشرع: مقاتلة من يجب قتاله من الكفّار من أهل الحرب.

فقال عليه السلام: ***المجاهد كلّ المجاهد من جاهد نفسه ونازعها في مخالفة الهوى من اتّباع أوامر الله واجتناب مناهيه***[1]. فإنّ النفس الأمّارة تأمره بما فيه هلاك نفسه ودينه، فالمرء المسلم يجاهدها ويدافعها حتّىٰ يسلم نفسه ودينه.

قيل لبعض الصالحين: كيف أصبحت؟

قال أصبحت ونفسي تدعوني إلى هواها، والشيطان إلى معصية الله، وعيالي يطالبونني بالقوت، والله يطالبني بأداء ما كلّفني فما حال من كان مطالباً بهذه الأشياء، مبتلىٰ بهذه الآفات[2].

---

(١) لم نعثر عليها في المصادر، والمذكور في المصادر: المجاهد من جاهد نفسه لله.
مسند أحمد ٦: ٢٠، صحيح ابن حبّان ١٠: ٤٨٤.

(٢) رُوي نحوه عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام.
اُنظر: الدعوات: ١٢٧ / ٣١٦.

وقيل: معناه: من امتنع من مواقعة المعاصي فهو بمنزلة من بإزائه عدوّ يقابله؛ لما يعاني من المشقّة في مغالبة قلبه والتحفّظ من هوى نفسه.

والمجاهد: مُفَاعِل من الجَهْد وهو المشقّة، أو من الجُهْد وهو الطاقة، والمُجَاهَدة والجِهاد مصدران لما كان بين اثنين في الأغلب كالمقاتلة والقتال، وفي عرف الشرع: مقاتلةُ من يجب قتاله من الكفّار من أهل الحرب، ومخالفة النفس في شهواتها كما أمر الله، ومجاهدتها الجهاد الأكبر.

---

وقيل: إنّما سمّى مكان الصلاة محراباً؛ لأنّ المصلّي يحارب فيه نفسه وهواها والشيطان لتسلم صلاته[١].

ويحكى أنّ مالك بن دينار قال: نازعتني نفسي في ماء بارد في كوز جديد، فقلت: هذا حلال لا بأس به، فاشتريت كوزاً وملأته ماء ووضعته في مهبّ الشمال حتّىٰ يبرد، وحان وقت الإفطار فصلّيت المغرب ونوافله، فجعلت نفسي تنازعني وأُنازعها، فغلبني عيناي، فرأيت في النوم حوراً لم ترَ عيني مثلها حسناً وجمالاً، فتحيّرت فيها، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يبيعني بشربة ماء بارد في كوز جديد، ثمّ ركلت الكوز برجلها وكسرته وصبّت الماء، فانتبهت فإذا الكوز مكسور، والماء مصبوب[٢].

ولبعضهم:

*من كان عند هواه في منازعة ... فكلّ أرض له ثغر وطرسوس*[٣]

---

(١) مجمع البيان ٦: ٤٠٦. وأُنظر: لسان العرب ١: ٣٠٦، مادة (حرب).

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) روي هذا البيت في تفسير السمعاني ٣: ٤٥٨ بهذا اللفظ:

يا ربّ إنّ جهادي غير منقطع ... وكلّ أرضك لي ثغر وطرسوس

**١٣١ـ الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ**[١].

يقول: حاسبوا أنفسكم في الدنيا، وأذلّوا في طاعة الله، فإنّ الكيّس من حاسَب نفسه اليوم قبل أن يُحاسَب في الآخرة، وأذلّها بترك عزّ الدنيا، وساسها، وعمل ما ينفعه بعد الموت.

والعاجز: الذي لا يهتدي إلى مصالح نفسه [و] من أطاعها في متابعة الهوى، وهو يقول: ليت الله غفر لي وأدخلني الجنّة. أو: لعلّ الله يغفر لي.

**ـــــ الضوء في شرح الشهاب**

**١٣١ـ الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ، وَالعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّىٰ عَلَىٰ اللهِ.**

الكيّس: الفطن، وقد بينّا معناه فيما مضىٰ.

وقوله: من دان نفسه. قيل: معناه: من حاسب نفسه، فإنّ الدين جاء بمعنى الحساب في قوله: ﴿**ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ**﴾[٢] أي الحساب المستقيم[٣].

وقيل: معناه: من أذلّ[٤] نفسه في طاعة الله.

وقيل: من ساس نفسه، يقال: دان الملك الرعيّة إذا ساسهم ودانت الرعيّة الملك إذا أطاعته. وقد مرّ بيانه فيما مضى من أبيات الأعشى، وعلى هذا قوله تعالى: ﴿**فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ**﴾[٥] أي غير مسوسين، وقد أخطأ من فسّره

(١) مسند أحمد ٤: ١٢٤، سنن الترمذي ٤: ٥٤ / ٢٥٧٧، المستدرك علىٰ الصحيحين ١: ٥٧، أمالي الطوسي: ٥٣٠.

(٢) سورة التوبة ٩: ٣٦، سورة يوسف ١٢: ٤٠، سورة الروم ٣٠: ٣٠.

(٣) مجمع البيان ٥: ٥١.

(٤) في النسخة: أذلّة.

(٥) سورة الواقعة ٥٦: ٨٦.

والكيّس: الفطن. والدين: الحساب. ومعنى دان نفسه حاسبها، وقيل: من ساسها، يقال: دان الملك الرعية، إذا ساسهم.

وقيل: معناه: من أذلّ نفسه في طاعة الله وأعطى نفسه ديناً.

وبعد: ظرف لمحذوف، أي وعمل لما ينفعه بعد موته ويجازى يوم القيامة. والواو للعطف[1]، ويجوز أن يكون للحال. و(قد) مقدّرة، أي وقد عمل.

والعاجز: ضدّ القادر حقيقة، إلّا أنّ العرب تستعمله في معنى فَقْد الهداية إلى طلب الرزق ومصالح النفس، ولذلك جعله ﷺ في مقابلة الكياسة.

---

بالمجزيّين[2]؛ لأنّ معنى الآية لا يلائمه.

وعمل لما بعد الموت، أي لما ينفعه بعد الموت ويجازىٰ به يوم القيامة.

والعاجز في الحقيقة ضدّ القادر، ولو كان للعجز[3] معنى لكان ضدّاً للقدرة، إلّا أنّ العرب تستعمله في معنى فقد الهداية إلى طلب الرزق ومصالح النفس، ولذلك جعله في مقابلة الكياسة، قال:

| | |
|---|---|
| *متى ما يرى الناس الغني* | وجاره فقير يقولوا عاجز وجليدُ |
| *وليس الغنىٰ والفقر من حيلة الفتى* | ولكن أحاظ قسّمت وجدودُ[4] |

ومثله في المعنى قول الآخر:

| | |
|---|---|
| يشقى *أُناس* ويشقى *آخرون* بهم | ويُسعد *الله* أقواماً *بأقوامِ* |
| *وليس رزق الفتى* من حسن حيلته | بل من جدود *وأرزاق وأقسامِ* |

(١) في النسخة: العطف، وما أثبتناه أنسب.

(٢) التبيان ٩: ٥١٢، ٥١٣.

(٣) في النسخة: العجز، وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٤) لسان العرب ٧: ٤٤٠، مادة (حفظ)، والشاعر هو المعلوط بن بدل القريعي.

وتبعتُ زيداً يتعدّى إلى مفعول، وأتبعتُ زيداً عمراً، يتعدّى إلى مفعولين، وفي الخبر بهذا المعنى، أي جعل نفسه تابعة لهواها.

والتمنّي: قول القائل لما كان: ليته لم يكن، أو لما لم يكن: ليته كان.

**ومعنى الخبر**: الكيّس كلّ الكيّس من كان سائساً نفسه، حافظاً لها عن اتّباع الهوى، عاملاً لمرجعه ومآبه، والعاجز كلّ العاجز من مكّن نفسه اتّباع الشهوات في غير رضا الله وتمنّى على الله المغفرة والجنّة، وأسير الهوى أسير الهوان.

وقال علي عليه السلام: ***لا تتّكل على المُنى، فإنّه بضائع النّوكى***[1].

## الضوء في شرح الشهاب

*كالصّيد يحرمه الرامي المجيد وقد* *يرمي ويرزقه من ليس بالرامي*[2]

من اتبع نفسه هواها، أي جعلها تابعة لهواها، أي أطاعها في متابعة الهوى، يقال: تَبِعَه و[أ]تّبَعَه وأتْبَعَه بمعنى، وأَتْبَعَه غيرَه يتعدّى إلى مفعولين. وفي الخبر بهذا المعنى.

وتمنّى على الله الجنّة والمغفرة، والتمنّي قول القائل لما كان: ليته لم يكن، أو لما لم يكن: ليته كان.

وقد جعله قوم معنى في القلب سوى الإرادة.

وقال بعضهم: كلّ إرادة لم يوجد مرادها فهو تمنّ[3]. وليس بصحيح؛ لأنّ التمني من أقسام الكلام، والعرب تعدّه في أقسام الكلام، فقالوا: أقسام الكلام سبعة: أمر ونهي وخبر واستخبار وعرض وجحد وتمن.

وقال عليه السلام: ***لا تتّكل على المنى فإنّها بضائع النوكى***. وقال الشاعر:

---

(١) تحف العقول: ٨٠، خصائص الأئمّة: ١١٧، كنز العمّال ١٦: ١٧٧ / ٤٤٢١٥.

(٢) وفيات الأعيان ٤: ٣٦٥. والأبيات لأبي الحسن النحوي.

(٣) الرسائل العشر: ٧٧، الفروق اللغوية: ١٤٢.

ويجوز أن يكون ليت بمعنى لعلّ، وقيل: التمني معنى في القلب سوى الإرادة، وقيل: هو كلّ إرادة لم يوجد مرادها، والصحيح أنّ التمني من قبيل الكلام، يقال أقسام الكلام سبعة: الأمر والنهي والخبر والاستخبار والعرض والجحد والتمني[1].

**١٣٢ـ المَرءُ كَثِيْرٌ بِأَخِيه[2].**

---

*إذا تمنيت بتّ الليل مغتبطاً ... إنّ المنى رأس أموال المفاليسِ*[3]

وقال آخر:

*الله أصدق والآمال كاذبة ... وكلّ هذي المنى في النّاس وساوسُ*[4]

وقال آخر:

*أنت أهنى من المنى ... ومن الماء أعذبُ*[5]

**ومعنى الخبرين**: أنّ الكيّس حقّ الكيس من كان سائساً نفسه حافظاً لها عن إتّباع الهوى عاملاً لمرجعه ومآبه، والعاجز كلّ العاجز من أتبع نفسه الشهوات، ويقول: ليت الله غفر لي وأدخلني الجنّة.

**١٣٢ـ المَرَءُ كَثِيْرٌ بِأَخِيْهِ.**

المرء: الرجل، ولا جمع له من لفظه، وجمعه الرجال، وكذلك المرأة لا جمع لها من لفظها، وجمعها النساء والنسوة.

---

(١) الاتقان في علوم القرآن ٢: ٢٥٨.

(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا: ١٠٩ / ٢٤، الكامل لابن عدي ٣: ٢٤٨.

(٣) عيون الأخبار ١: ٣٧١.

(٤) ربيع الأبرار ٣: ٢٨٠.

(٥) لم نعثر عليه في المصادر.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

ـــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**ومعناه:** أنّ المرء يتكثّر بأخيه المؤمن ويتقوّى به، والمراد به الجمع وإن كان اللفظ لفظ الواحدة؛ لأنّ هذا المعنى يستفاد من لام الجنس، ومثل هذا قول علي عليه السلام: ***من يطل[1] أير أبيه ينتطق به***[2]. أي من يكثر إخوانه من جهة النسب يشتدّ بهم، ويتقوّى بنصرتهم، فهم له كالمنطقة تشدّ وتقوي ظهره، فجعل طول العضو كناية عن كثرة النكاح، فيكثر به الأولاد، وأولاد الرجل أخوة تقوّي بعضهم ببعض، وكنّى بالانتطاق عن تناصرهم وتعاونهم وهو من غريب الحديث.

وقال النبي عليه السلام: ***أكثر من الإخوان فإنّ ربّك حييّ كريم يستحيي أن يعذّب عبده يوم القيامة بين إخوانه.***

وقال علي عليه السلام: ***من كان له صديق حميم فإنّه لا يعذّب ألا ترى كيف أخبر الله عن أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾***[3].[4]

وقال النبي عليه السلام: ***من نظر إلى أخيه نظر مودّة لم يكن في قلبه عليه إحنة لم يطرف حتّىٰ يغفر الله له ما تقدم من ذنبه***[5].

وقيل: لقاء الإخوان روح الجنان[6]. وقيل: لا يباع الصديق الألوف بالألوف[7].

---

(١) في النسخة: يظلم، وما أثبتناه من المصادر. وهو المناسب سياق الكلام.

(٢) الفائق في غريب الحديث ١: ٦٢، غريب الحديث ١: ٣٥١، بحار الأنوار ٣٢: ٩١.

(٣) سورة الشعراء ٢٦: ١٠٠ و١٠١.

(٤) ورد الحديث في مشكاة الأنوار: ٣٢٩، وتفسير القرطبي ١٣: ١١٦، بهذا اللفظ: عليكم بالإخوان فإنّهم عدّة الدنيا وعدة الآخرة، ألا تسمع إلىٰ قول أهل النار: ﴿**فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ**﴾.

(٥) مجمع الزوائد ١٠: ٢٧٥، المعجم الأوسط ٨: ١٥٥.

(٦) غرر الخصائص الواضحة وغرر النقائص الفاضحة: ٦٣٨.

(٧) ربيع الأبرار ١: ٣٦١.

## ١٣٣ـ المَرءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ[1].

---

وإذا كاتبت الصديق فليكن المداد من سويداء الفؤاد. وقال الشاعر:

تكثّر من الإخوان ما اسطعت أنّهم عماد إذا استجدتهم وظهورُ[2]

وعارضه ابن الرومي، فقال:

عدوّك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنّ من الصحابِ

فإنّ الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشرابِ[3]

### ١٣٣ـ المَرءُ عَلَىٰ دِيْنِ خَلِيْلِهِ.

أي على عادته وطريقته، ومن وجوه الدين العادة والطريقة، كما قال المثقب العبدي:

.......................... أهذا دينه أبداً وديني[4]

أي طريقته وطريقتي، وقال الشاعر في هذا المعنى:

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه وكلّ قرين بالمقارن يقتدي[5]

ومثله:

وقارن إذا قارنت حرّاً فإنّما يزين ويزري بالفتى قرناؤه[6]

وقال آخر:

إذا كنت في قوم فقارن سراتهم فإنّك منظور إلى من تقارنُ

---

(١) مسند أحمد ٢: ٣٠٣، سنن أبي داود ٢: ٤٤٢ / ٤٨٣٣، سنن الترمذي ٤: ١٧ / ٢٤٨٤.

(٢) أمالي الصدوق: ٧٦٦، ونسب الأبيات إلىٰ أمير المؤمنين.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٠: ٥٠.

(٤) تأويل مختلف الحديث: ٦٦.

(٥) تفسير البحر المحيط ٣: ٣٩٠، جامع البيان ٥: ١٢٣.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٢٣: ٣٥٤، والبيت لصالح بن عبد القدوس.

## ١٣٤ـ المَرءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ[١].



ولا تك ذا وجهين تبدي بشاشة ... وفي الصدر ضبّ صادر الحقد كامنُ[٢]

ولآخر:

وإذا صاحبت فاصحب ماجداً ... ذا عفاف وحياء وكرمْ

قوله للشيء لا إن قلت لا ... وإذا قلت نعم قال نعمْ[٣]

والآخر:

ولا تصحب أخا الجهل ... وإيّاك وإيّاهُ

فكم من جاهل أردىٰ ... حليماً حين آخاهُ

يقال المرء بالمرء ... إذا ما المرء ماشاهُ

وللقلب على القلب ... دليل حين يلقاهُ[٤]

ويقرب معنى هذا الحديث من قوله عليه السلام: ***الأرواح جنود مجندة***. وسيأتي شرحه إن شاء الله.

## ١٣٤ـ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.

معنى «مع» المصاحبة. وللخبر معنيان:

**أحدهما:** ما ذكرنا في الخبر الذي تقدّمه، يعني المرء مصاحب من أحبّه لا يفارقه ما استطاع؛ لأنّ نفسه لا تساعده على مفارقته ومخالفته، ولو فارقه

---

(١) مسند أحمد ١ : ٣٩٢، سنن الدارمي ٢ : ٣٢١، وفي الكافي ٢ : ١٢٦ / ١١ عن الإمام أبي جعفر عليه السلام.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا: ١٢٩، والبيتان لمحمد بن النضر الحارثي.

(٤) كنز العمّال ٩ : ١٧٩ / ٢٥٥٩٢، ونسبها لأمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك في تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٥٢٥. وفي المصادر: (يقاس المرء) بدل (يقال المرء).

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

بشخصه لا يفارقه بقلبه ألا ترىٰ إلى قول الشاعر:

*ولمّـا رأيت البشـر أعـرض دونـه وحـالت بـنات الشـوق يـحفنّ فـزعاً*

*تـلفّت نـحو الحـي حـتّىٰ وجـدتني وجعت من الإصـغاء ليـتاً واخـدعاً*[(١)]

**والمعنى الآخر:** أنّه[(٢)] أراد أنّه معه في الآخرة. وهذا أولى لما جاء في الخبر [الذي] رواه أنس: إنّ رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال: ***ما أعددت لها***؟ قال: ما أعددت لها كثير صلاة وصوم، إلّا أنّي اُحبّ الله ورسوله، فقال عليه السلام: ***المرء مع من أحبّ***.

وسئل رسول الله عن الرجل يحبّ قوماً ولم يلحق بهم، قال: ***المرء مع من أحبّ***[(٣)].

وروي أنّ الحارث بن الأعور الهمداني قال لأمير المؤمنين عليه السلام: إنّي اُحبّكم وأخاف حالتين من حالاتي: وقت النزع وحالة الممرّ على الصراط، فقال له علي عليه السلام: ***لا تخف يا حار، فما من أوليائي أو أعدائي إلّا وهو يراني في هاتين الحالتين، وأراه ويعرفني وأعرفه***. ثمّ أنشأ هذه الأبيات:

**يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلا**

**يعرفني طرفه وأعرفه بنعته واسمه وما فعلا**

**وأنت عند الصراط معترضي ولا تخف عثرة ولا زللا**

**أقول للنار حين توقف للعرض ذريه لا تقربي الرجلا**

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٩: ٤٠٧.

(٢) في النسخة: لأنّه، والمناسب ما أثبتناه.

(٣) الأدب المفرد: ٨٢، تفسير البغوي ١: ٤٥٠، تفسير أبي السعود ٢: ١٩٩.

**١٣٥ـ كَرَمُ المَرءِ دِينُهُ وَمُرُوَّتُهُ عَقْلُهُ، وحَسَبُهُ خُلْقُهُ[١].**

**١٣٦ـ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرءُ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ[٢].**

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**هـــذا لنـــا شـــيعة وشـــيعة أعـــطانا الله فـــهم الأمـــلا**

وقيل: الأبيات للسيّد الحميري.

**ذريـــــه لا تـــقربيه إنّ له حـــبلاً بـــحبل الوصـــي مـــتّصلا**

**١٣٥ـ كَرَمُ المَرَءِ دِيْنُهُ وَمُرُوَّتُهُ عَقْلُهُ وَحَسَبُهُ خُلْقُهُ.**

قد مرّ تفسير مثل هذه الأحاديث، يعني: أنّ المرء إنّما يكون كريماً إذا كان ديّناً؛ فإنّ أصل الكرم هو الدين القويم، ومثله قوله عليه السلام: ***الكرم التـقوى***[٣]. وقـوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[٤].

ويكون عاقلاً إذا كان ذا مروة؛ لأنّه إذا كان ذا مروة أدّى حقّ الله من ماله فلا يكون لله عليه حقّ من جهة المال، ويواسي الناس بفضل ماله فـيكتسب بـذلك الأجر ومودّة الناس وحمدهم، فهو مستعمل عقله فيما يكسبه خير الدّنيا والآخرة.

وحسبه، يعني: ما يحسب ويعدّ في مفاخره أو مـعايبه عـلى حسب خـلقه حسناً كان أو سيئاً، فإن كان حسناً يُحكى عنه ويثني به عليه، وإن كان سيّئاً يفشى عنه ويعاب به عليه ويذم.

ومورد هذه الأخبار ومعانيها مبالغة في جعل هذه الأشياء أعيان ما بعدها، كأنّه قال: لا كرم إلّا الدّين، ولا مروّة إلّا العقل، ولا حسب إلّا الخلق.

**١٣٦ـ مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ المَرَءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيْهِ.**

---

(١) مسند أحمد ٢: ٣٦٥، المستدرك على الصحيحين ١: ١٢٣، السنن الكبرىٰ ٧: ١٣٦.

(٢) مسند أحمد ١: ٢٠١، سنن ابن ماجة ٢: ١٣١٦ / ٣٩٧٦، أمالي المفيد: ٣٤ / ٩.

(٣) التواضع والخمول: ١٥١ / ١١٥، الفائق في غريب الحديث ١: ٢٤٥.

(٤) سورة الحجرات ٤٩: ١٣.

لفظ «المرء» في الأحاديث الخمسة وإن كان لفظة واحدة فالمراد به الجمع، [و]إنّ هذا المعنى يستفاد من لام الجنس، يقول: إنّ كلّ امرئ يتكثّر بأخيه المؤمن ويتقوّى به ويكبر بمكانه. وروي «كثير» بالباء والثاء معاً. والخبر حثّ على كثرة اتخاذ الإخوان في الله وإن كان المرء كيّساً في شأنه، وكثرة الإخوان معونة على الزمان.

وقال عليه السلام: ***أكثر من الإخوان فإنّ ربّك حييّ كريم يستحي أن يعذب عبده يوم القيامة بين إخوانه***[١].

والخبر الثاني حثّ على اختيار الخُلّان؛ فإنّ كلّ رجل يجري على طريق خليله وعادته، وقيل: معناه لا تخال إلّا من رضيت مذهبه وإن كنت على طريقة حسنة، ولا تخاطر بنفسك، فإنّ خليلك يغرّك، ويغرك بطريقته السيئة ولا ينتفع بك.

---

يعني: من أشرف خصال المرء المسلم وأجلّها وأحسنها أن يترك ما لا يعنيه ولا يتعرّض له ممّا لا تعلّق له به، ولا يكون له فيه ناقة، ولا يعود إليه خيره وشرّه، ونفعه وضرّه، بل يكون مشتغلاً بنفسه لا يتفرّغ من نفسه إلى غيره، فالعاقل لو أغرق عمره فيما يعنيه لم يتفرغ لما لا يعنيه.

يروى: أنّ لقمان الحكيم دخل على داود النبي عليه السلام وهو يصنع درعاً ويسردها، فأراد أن يسأله عن ذلك؛ لأنّه لم يرها قبل ذلك فصبر عليه ولم يسأله، حتّىٰ إذا فرغ منه قام ولبسها وقال: نعم لبوس الحرب هذه. فحمد ربّه في ترك سؤاله، وإنّ المقصود حصل من غير مسألة بالصبر.

وقيل: إنّ أحداً رأى نزلاً[٢] معدّاً حمله جماعة إلى بعض الولاة، فقال له إنسان:

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.

(٢) النزل: ما يهيّأ للنزيل. الصحاح ٥: ١٨٢٨، مادة (نزل).

وقال سفيان بن عيينة حين روى هذا الحديث: انظروا إلى فرعون معه هامان، انظروا إلى حجّاج معه يزيد بن أبي مسلمة ينثر منه، انظروا إلى سليمان بن عبد الملك صحبه رجاء بن حيوة فقوّمه وسدّده[1].

وقيل: إنّ الخُلّة مأخوذة من تخلّل المودّة القلب وتمكّنها منه، وهي أعلى درج الإخاء فالناس في الأصل أجانب، فإذا تعارفوا ائتلفوا فهم أودّاء، فإذا تشاكلوا فهم أحبّاء، فإذا تأكّدت المحبّة صارت خُلّة.

وقوله: ***المرء مع من أحبّ***. [له] معنيان:

**أحدهما:** أنّ الرجل مصاحب من آخاه، لا يفارقه ما استطاع؛ لأنّ نفسه لا تساعده على مفارقته ومخالفته، [وتحبّ] مرافقته، ولو فارقه بشخصه لا يفارقه بقلبه.

**والمعنى الثاني:** أنّه أراد أنّ كلّ رجل يحشر في الآخرة مع من يحبّه، ويبعث في مصاحبة من شايعه في الدنيا، إن خيراً فخير، وإن شرّاً فشرّ، وهذا أولى؛ لما جاء في الخبر عن أنس: أنّ رجلاً أتى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال: ***ما أعددتَ لها***؟ قال: ما أعددت لها كثيرَ صلاةٍ وصومٍ، إلّا أنّي اُحبّ الله ورسوله، فقال عليه السلام: ***المرء مع من أحبّ***[2].

وسئل صلى الله عليه وآله عن الرجل يحبّ قوماً هل يلحق بهم؟ فقال: ***المرء مع من أحبّ***[3].

**الضوء في شرح الشهاب**

ما هذا؟ قال: مالي ولهذا، لا أدري، قال: إنّه يحمل إليّ. قال: مالي ولذلك. قال:

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٦٥، ٢٠٠، صحيح مسلم ٨: ٤٢.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٨٦ / ٧٠٦٩، الأدب المفرد: ٨٢، تفسير البغوي ١: ٤٥.

وقال الحارث الهمداني لعلي عليه السلام: إنّي اُحبّكم وأخاف وقت النـزع وحـالة الممرّ على الصراط، فقال: ***ياحارِ، لا تخف، فما من أحد من أوليائي وأعدائي إلّا وهو يراني في هاتين الحالتين***. ثمّ أنشأ:

**أقول للنار حين توقف للعرض ذريه لا تقربي الرجلا**
**ذريه لا تقربيه إنّ له حبلاً بحبل الوصي متّصلاً**[1]

ومورد الخبر الرابع ومعناه: مبالغة في جعل تلك الأشياء الثلاثة التي فيه أعنان[2] ما بعدها، كأنّه قال: لا كرم إلّا الدين، ولا مروة إلّا العقل، ولا حسب إلّا الخلق، والمرء إنّما يكون كريماً[3] إذا كان ديّناً، فإنّ أصل الكرم هو الدّين القويم، ويكون عاقلاً قد استعمل عقله إذا كان ذا مروّة؛ فإنّ المروّة ـ وهي الرجولية ـ تدعوه إلى أداء حقّ الله ومواساة الناس؛ فيكتسب ثواب الله للآخرة، ومودّة الخلق ومحمّدتهم للدنيا، قد حاز خير الدارين باستعماله العقل.

وأمّا حسبه، وهو ما يحسب ويعدّ من مفاخره أو معايبه فهو على حسب خلقه، فإن[4] كان حسن الخلق يثنى عليه، وإن كان سيّء الخلق يعاب به عليه.

ومعنى الخبر الأخير: أنّ من أشرف خصال المرء المسلم وأجلّها وأحسنها أن يترك ما لا يعنيه، ولا يتعرّض لما لا تعلّق له به من خير وشرّ، ويشتغل به بنفسه لا يتفرّغ من نفسه إلى غيره، فالعاقل لو أغرق جميع عمره فيما يعنيه لم يتفرّغ لما

---

يحمل إليك، قال: مالك ولذلك[5].

(١) اُنظر: أمالي المفيد: ٧ / ٣، أمالي الطوسي: ٦٢٦ / ٥، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٤.
(٢) كذا في النسخة، ولعلّه: أعيان.
(٣) في النسخة: كرماً.
(٤) في النسخة: وإن.
(٥) لم نعثر عليه.

لا يعنيه، وسئل لقمان: أي عملك أوثق في نفسك؟ فقال: ***ترك ما لا يعنيني***[١].

**١٣٧ـ النَّاسُ كَأَسْنَانِ المِشْطِ**[٢].

**١٣٨ـ النَّاسُ مَعادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ**[٣].

**١٣٩ـ النَّاسُ كَإبلٍ مِائَةٍ لا تَجِدُ فِيْهَا رَاحِلَةً وَاحِدَةً**[٤].

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

**١٣٧ـ النَّاسُ كَأَسْنَانِ المِشْطِ.**

**١٣٨ـ النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ.**

**١٣٩ـ النَّاسُ كَإبلٍ مِئَةٍ لَا تَجِدُ فِيْهَا رَاحِلَةٌ وَاحِدَةٌ.**

اللّام[٥] في الناس للجنس، يعمّ هذا الجنس المعلوم. وهذه الأحاديث مختلفة كما ترى، اختلاف يوهم[٦] التناقص؛ لأنّ تشبيههم بمعادن الذهب والفضّة يفيد الاختلاف الظاهر والتفاوت البيّن، وتشبيههم بقطيع من الإبل لا تكون فيها واحدة تصلح للركوب وصفهم بغاية الرداءة[٧] وقلّة الخير، فهو مناقض لكونهم معادن الذهب والفضة.

والجمع بين هذه الأخبار من جهة المعنى واختلاف الأحوال، وذلك أنّ

---

(١) التمهيد ٩: ٢٠٠، وفيه أيضاً: وقف رجل علىٰ لقمان الحكيم وهو في حلقة عظيمة، فقال: ألست عبد بني الحسحاس؟ فقال: بلىٰ، قال: فأنّىٰ بلغت ما أرىٰ؟ قال: قدر الله، وصدق الحديث، وتركي ما لا يعنيني.

(٢) مسند أحمد ٢: ٣٩١، تاريخ بغداد ٧: ٦٢، باختلاف، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٩ / ٥٧٩٨.

(٣) جامع بيان العلم وفضله ١: ١٩، كنز العمال ١٠: ١٤٩ / ٢٨٧٦١، الكافي ٨: ١٧٧ / ١٩٧، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠ / ٥٨٢١.

(٤) مسند أحمد ٢: ٧، ١٣٩، صحيح مسلم ٧: ١٩٢، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٢١.

(٥) في النسخة: السلام، وهو تصحيف ما أثبتناه.

(٦) في النسخة: (أي وهم) بدل (يوهم)، وما أثبتناه أنسب لسياق الكلام.

(٧) هكذا قرأنا الكلمتين.

**١٤٠ـ الغِنَى اليَأْسُ مِمَّا فِي أيْدِي النَّاسِ**[١].

**١٤١ـ رَأسُ العَقْلِ بَعْدَ الإِيْمَانِ التَّوَدُّدُ إلىٰ النَّاسِ**[٢].

بيان الخبر الأوّل في تمامه، وهو: ***إنّما يتفاضلون بالعاقبة***، أي إنّهم متساوون في الأحكام لا يفضل شريف على وضيع بالأُبوّة، كأسنان المشط لا فضل لسنّ منها على أُخرىٰ، هذا من حيث الخلقة.

وتمام الخبر الثاني: ***فخيارهم في الإسلام خيارهم في الجاهلية إذا فقهوا***. ومعناه: قيمة كلّ امرئ ما يحسنه، ومن جعل أخلاقه حسنة، فمنها كمعدن الذهب عزيزاً، ومنها دون ذلك كمعدن الفضة، وإن كان كلّها في الحُسن سواء.

وأما الخبر الثالث فهو خاصّ في الذين يغلب عليهم النقص سواسية كأسنان

---

تشبيههم بأسنان المشط إنّما هو من جهة الخلقة، وإنّهم كلّهم مخلوقون من أصل واحد وهو التراب، ومن أب واحد وهو آدم عليه السلام، وأُمّ واحدة وهي حوّاء، فلا فخر لأحد منهم على الآخر من جهة النسب، كما قال بعض الحكماء:

*الناس من جهة التمثال أكفاء ... أبوهم آدم والأم حوّاءُ*

*فإن يكن لهم في أصلهم نسب ... يفاخرون به فالطين والماءُ*

*ما الفخر إلّا لأهل العلم إنّهم ... على الهدى لمن استهدى أدلّاءُ*[٣]

فهم من جهة الخلقة متساوون، لا مزية لأحد منهم على غيره كما أنّه[٤]...

---

(١) المعجم الأوسط ٦: ٥٥، المعجم الكبير ١٠: ١٣٩، كنز العمال ٣: ١٩٣.

(٢) كنز العمال ٩: ٥ / ٢٤٦٥٣، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٨ / ٧٧.

(٣) تاريخ بغداد ٥: ١٥٧، تفسير القرطبي ١٦: ٣٤٢، والثاني نسبها إلىٰ الإمام علي عليه السلام. وفي النسخة: (آدم) بدل (أدلاء) وما أثبتناه من المصادر، وهو المناسب في المقام.

(٤) من هنا يبدأ سقط يشمل شرح خمسة عشر حديثاً تقريباً.

الحمار[١]، يريد أنّ أكثر الناس أهل نقص وجهل، فلا تؤاخ منهم إلّا أهل[٢] الفضل، وعددهم قليل بمنزلة الراحلة في الأبل، وهي البعير الذلول الذي يحمل ويُركب، فاعلة بمعنى المفعولة، من حيث إنّها مصدر كالعاقبة والعافية والحافية.

وروي: ***تجدون الناس كالإبل المائة ليست فيها راحلة***[٣]. وهذا يدلّ على أنّ قوله: كإبل مائة على الصفة أحسن من الإضافة.

**والمعنى:** أنّ المرضيّ المنتجب في غرّة وجودة كالنجيبة التي لا توجد في كثير من الإبل، والتقدير: الناس مثل إبل مائة غير موجودة فيها راحلة، وعن الأزهري: الراحلة: البعير الذي يرتحله الرجل جَمَلاً كان أو ناقة.

فإن قيل: هذه الأحاديث الثلاثة مختلفة توهم التناقض؛ لأنّ تشبيه الناس

**الضوء في شرح الشهاب**

**[١٤٠ـ أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ الصَّلَاةُ ][٤].**

... نقلت من الدعاء إلى القيام والقعود والركوع والسجود وغيرها من الأفعال والأركان.

وحساب الله العبد: سؤاله إياه ما فعل؟ وكيف فعل؟ ولم فعل؟ وما أراد بما فعل؟ وعن علي عليه السلام: ***لا يترك كلّ أحد يوم القيامة يرفع قدمه عن موقفه [حتىٰ] يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن ولايتنا أهل البيت***[٥].

---

(١) في النسخة: كأسناس الحمار.

(٢) في النسخة: أفعل، وما أثبتناه أنسب.

(٣) مسند أحمد ٢: ٨٨، صحيح مسلم ٧: ١٩٢، مسند الحميدي ٢: ٢٩٣.

(٤) أضفنا هذا الحديث بين المعقوفين لأنّ الشرح المتبقي بعد السقط متعلّق به وكذلك ترتيب الأحاديث في متن الشهاب، أما في الضياء فالترتيب فيه تقديم وتأخير.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٢: ٤، تاريخ اليعقوبي ٢: ٩٠، وفيه: (وعن إمامه من هو) بدل (وعن ولايتنا أهل البيت) باختلاف يسير. وفي كلا المصدرين روي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله.

بأسنان المشط يفيد التماثل، ونفي التفاوت، وأنّهم متساوون في النسب، أي كلّهم بنو آدم، وتشبيههم بمعادن الذهب والفضة يفيد وصفهم[١] بالنفاسة مع اختلاف ظاهر وتفاوت بيّن، وتشبيههم بقطيع من الإبل لا يكون فيهم واحدة حميدة يفيد وصفهم بغاية الرداءة.

قلنا: الجمع بينها من جهة المعنى واختلاف الأحوال؛ وذلك أنّ تشبيههم بأسنان المشط إنّما هو من جهة الخلقة وأنّهم كلّهم مخلوقون من أصل واحد وهو التراب، ومن أب واحد وأُمّ واحدة، وهما آدم وحواء عليهما السلام، ولا فخر لأحد منهم على الآخر من جهة النسب كما لا تفاوت في أسنان المشط بعضها على بعض.

---

**١٤١ـ أَوَّلُ مَا يُوْضَعُ فِي المِيْزَانِ الخُلُقُ الحَسَنُ.**

الميزان: آلة الوزن، ومِفعال ومِفعل كثير في آلة الفعل كالمفتاح والمفتح والمغلاق والمغلق.

واختلف العلماء في الميزان، فذهب بعضهم إلى أنّه ميزان له كفتان ولسان كميزان أهل الدنيا؛ والأخبار في هذه المعنى كثيرة، والقرآن به ناطق.

سؤالهم: كيف توزن أعمال العباد وهي أعراض لا تدخل في الوزن؟

فالجواب عنه: إنّ الموزون في ميزان القيامة الصحائف، والقرآن ناطق في قوله: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾[٢] وقوله: ﴿**إقْرَأْ كِتَابَكَ**﴾[٣] ولا يمتنع أن تكون الكتب والصحائف في الوزن والشكل والخفّة والثقل على حدّ، وما يكتب فيه كذلك من تفريج الكتابة وتصنيفها.

---

(١) في النسخة: وصفها، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.

(٢) سورة التكوير ٨١: ١٠.

(٣) سورة الإسراء ١٧: ١٤.

وأما تشبيههم بمعادن الذهب والفضة فهو من جهة خصالهم الحميدة وأوصافهم الجملية، فالناس يختلفون غاية الاختلاف، فلو جرّبتهم لوجدت بينهم من التفاوت ما تجده بين الذهب والفضة. وقال عليه السلام ذلك: ***إذ الناس ناس والزمان زمان***[1].

وأشار إلى أهل زماننا بتشبيههم جميعاً بقطيع إبل عددها مائة، ومع ذلك لايكون فيها واحدة تصلح للركوب والسفر، ومثله ما روي: ***الناس أمثال وشتّىٰ في الشيم***[2].

ومعنى الخبر الرابع: أنّ الغِنى كلّ الغنىٰ لكلّ أحد رفع الطمع عمّا في أيدي

**الضوء في شرح الشهاب**

وذهب بعضهم إلى أنّ ذكر الميزان والوزن عبارة عن العدل والإنصاف، وأنّ الله يعامل المكلّفين معاملة من يأخذ ويعطي بالميزان على وجه لا حيف فيه ولا نقصان.

والمراد بالخلق الحسن العادة الحميدة وحسن المخالطة مع النّاس على وجه

---

(١) روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن ٥: ٢١٨، روي أنّه جاء رجل إلىٰ ابن عباس فقال: ألا ترىٰ ما صنعت عائشة ذمّت دهرها، وذلك أنّها أنشدت بيتي لبيد:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقيت في خلف كجلد الأجرب

يتلذّذون مجانة ومذلّة ويعاب قائلهم وإن لم يشغب

فقالت: رحم الله لبيد، وكيف لو أدرك زماننا هذا.

فقال ابن عباس: لئن ذمّت عائشة دهرها لقد ذمّت عاد دهرها، وذلك أنّه وجد في خزانة عاد بعدما هلكت سهم كأطول ما يكون من رماحها عليه مكتوب:

وليس لي أحناطي بذي اللوىٰ لوىٰ الرمل من قبل النفوس معاد

بلاد بها كنا ونحن من أهلها إذ الناس ناس والبلاد بلاد

تفسير الثعلبي ٣: ٣٣٢، تفسير القرطبي ٥: ٢٥٥.

(٢) هذه العبارة شطر من بيت لم يذكر شاعره، وتمامه:

الناس أسواء (أضياف) وشتّىٰ في الشيم وكلّهم يجمعهم بيت الأدم

العين ٧: ٣٢٦، مادة (سوي)، تفسير القرطبي ١: ٢٨١.

الخلق والقناعة بما عنده، والطمع فقر حاضر وذُلّ صاغر.

وفي الخبر الأخير إبانه المنزلة العظيمة للإيـمان، وحثّ عـلى التـحبّب إلى الخلق؛ فبالإيمان الخلاص من العقاب، والوصول إلى الثواب، والنجاة من أكـثر بلاء الدنيا، والفوز بمنافعها العاجلة، وبـالتودّد هـذه نـجاة مـن الحـقد والحسـد والبغضاء والظلم [و] غير ذلك، فيجب الإيمان بالله تعالى طلباً لنـجاة الداريـن، ويسـتحب التـودّد إلى النـاس تـرفيهاً للـقلب والعـين، وهـذا مـن كـمال العـقل واستعماله.

وقـال عليه السلام: ***لكلّ شيء دعـامة، ودعـامة المـؤمن العـقل***[1]. واللّامـات فـي «الناس» للجنس بعضها أعم من بعض.

---

لا يمنع الشرع منه، لا الطبيعة التي جبل الإنسان عليها فإنّها لا تتعلّق[2] به، وهي من فعل الله لا يوضع في ميزان العبد ولا يحاسب عليه ولا يعاقب لأجله؛ لأنّه ينافي العدل والحكمة.

**١٤٢ــ أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ الحَيَاءُ وَالأَمَانَةُ.**

كأنّه عليه السلام أخبر عن زماننا هذا، فإنّه لم يبق في أحد شيء من هاتين الخصلتين إلّا في الشاذ النادر.

أما الحياء فقد قال عليه السلام: إنّه من الإيمان[3]. يعني: بعض الإيمان، من لا حياء له كان كمن لا يكون له بعض الإيمان.

---

(١) تفسير السمعاني ٦: ١٠، بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: ٢٥٧، وفي الكافي ١: ٢٥ / ٢٣ عن أبي عبد الله عليه السلام، دعامة الإنسان العقل.

(٢) كذا قرأناها في النسخة.

(٣) دلائل الإمامة: ٦٦ / ١، برواية الزهراء فاطمة عليها السلام.

**١٤٢ـ كُلُّ امرِئٍ حَسِيْبُ نَفْسِهِ**[١].

**١٤٣ـ كُلُّ ما هُوَ آتٍ قَرِيْبٌ**[٢].

**١٤٤ـ كُلُّ عَيْنٍ زَانِيَةٌ**[٣].

**١٤٥ـ كُلُّ شَيءٍ بِقَدَرٍ حَتَّىٰ العَجْزُ والكَيْسُ**[٤].

**الضوء في شرح الشهاب**

وقال ﷺ: ***لا إيمان لمن لا أمانة له***[٥]. فالرجل إذا فُقد منه هذان فكأنّه لا إيمان له، وذلك محمول على استحلال الخيانة[٦].

والحديث يكون على ضرب من التغليظ، وضدّ الحياء: القحّة، وضدّ الحيي: الوقح، فهو كما قال الشاعر[٧]: ***إنّ الرجل إذا دخل في مسجد من المساجد لا يدخله إلّا بتحيّة وتحيّة المسجد ركعتان بمنزلة تحيّة أحدنا لصاحبه***[٨].

ومعنى الحديث: إعلانه ﷺ الناس بأعلام آخر الزمان وتخويفه إياهم فتنتها ليجدّوا ويجتهدوا ويكونوا على حذر منها، أعاذنا الله من فتنة آخر الزمان.

**١٤٣ـ الحُبُّ يُتَوَارَثُ، وَالبُغْضُ يَتَوَارَثُ.**

التفاعل في الأغلب يكون بين الجماعة نحو التخاصم والتقاتل، كما أنّ المفاعلة أكثرها بين اثنين، فحقّ المخاصمة والمقاتلة وغيرهما.

والتوارث أن يرث كلّ واحد منهم صاحبه، يرثه أيضاً.

---

(١) مسند أحمد ٢: ٣٠٥، مسند أبي يعلىٰ ١: ٢٩٢، كنز العمال ٥: ٣٧٤ / ١٣٣٠٠.

(٢) الكافي ٨: ٨٢ / ٣٩، أمالي الصدوق: ٥٧٧ / ١، سنن الدارمي ١: ٦٩، سنن ابن ماجه ١: ١٨.

(٣) مسند أحمد ٤: ٣٩٤، سنن الترمذي ٤: ١٩٤ / ٢٩٣٧، السنن الكبرىٰ ٣: ٢٤٦.

(٤) كتاب الموطأ ٢: ٨٩٩ / ٤، مسند أحمد ٢: ١١٠، صحيح مسلم ٨: ٥٢.

(٥) مسند أحمد ٣: ١٣٥، مجمع الزوائد ١: ٩٦.

(٦) في النسخة زيادة: في.

(٧) كذا في النسخة، والظاهر تصحيف الشرع.

(٨) أُنظر: دعائم الإسلام ١: ١٥٠، الخصال: ٥٢٣ / ١٣.

**١٤٦ـ كُلُّ صَاحِبِ عِلْمٍ غَرْثَانٌ إلىٰ عِلْمٍ آخَرَ**[١].

**١٤٧ـ لكُلِّ شَيءٍ عَمَادٌ وعَمَادُ هذَا الدِّينِ الفِقْهُ**[٢].

**١٤٨ـ كُلُّ مُشْكِلٍ حَرَامٌ وَلَيْسَ فِي الدِّينِ إشْكَالٌ**[٣].

**١٤٩ـ كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**[٤].

**١٥٠ـ كُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُول عَنْ رَعِيّتِهِ**[٥].

**١٥١ـ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِقَدْرِ غَدْرَتِهِ**[٦].

أمّا الخبر الأول فله ثلاثة معانٍ:

---

يعني: أنّ الرجلين إذا كان بينهما صداقة أو عداوة وماتا، ولهما أولاد وعرفوا ذلك من أبويهم جروا على عادتهما، كأنّهم ورثوا ذلك من أبويهم.

وبيان[٧] الحديث: الحبّ: إرادة الخير والنفع بالغير. والبغض بالعكس من ذلك: إرادة الشرّ أو كراهة الخير بالغير. وقيل: ***صداقة الآباء قرابة الأبناء***[٨].

**١٤٤ـ حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ.**

المحبّة تشتبه بالشهوة من حيث إنّ الرجل يريد كلّ الخير بمحبوبته، والمحبّة

---

(١) سنن الدارمي ١ : ٨٦، ولم يرد فيه: آخر، مجمع الزوائد ١ : ١٦٢، مسند أبي يعلىٰ ٤ : ١٣٢ / ٢١٨٣، ولم يرد فيهما: إلىٰ علم آخر.

(٢) المعجم الأوسط ٦ : ١٩٤، سنن الدارقطني ٣ : ٦٦ / ٣٠٦٦، كنز العمال ١٠ : ١٤٨ / ٢٨٧٥٢.

(٣) المعجم الكبير ٢ : ٥٢، كنز العمال ٣ : ٤٢٩ / ٧٢٩٨.

(٤) مسند أحمد ١ : ٢٨٩، سنن الدارمي ٢ : ١١٣، الكافي ٦ : ٤٠٨ / ١، من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٥٤ / ٥٧٦٢.

(٥) مسند أحمد ٢ : ٥، صحيح مسلم ٦ : ٨، إرشاد القلوب ١ : ١٨٤.

(٦) مسند أحمد ٢ : ٢٩، سنن الترمذي ٣ : ٣٢٧، المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ : ٥٠٦.

(٧) في النسخة: وبينا أن، وما أثبتناه أنسب للعبارة.

(٨) تاريخ مدينة دمشق ٥١ : ٢٢٢، جزء نافع بن أبي نعيم: ٩، وفيهما: مودّة الآباء.

**أحدها:** أنّ الله بعدله جعل حساب كلّ مكلّف إلى نفسه، فلا يكون له محاسب في حقّه غير نفسه؛ قال الله تعالى: ﴿**كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[1].

**والثاني:** لفظه خبر ومعناه أمر، وهو أنّه يجب على كلّ امرئ أن يحاسب نفسه، إن كانت أفعاله معصية تاب منها، وإن كانت طاعة زادها وسأل الله التوفيق على ثباتها.

**والثالث:** أنّ معناه: لا يحاسَب معه حساب غيره، وإنّما يحاسب بما كسبت يداه؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾[2].

والحسيب: الذي يتولى الحساب، فعيل بمعنى مُفَاعِل، ويجوز أن يكون المراد: كلّ رجل حسيب ونسيب نفسه، ويكون بمنزلة قول علي عليه السلام: ***الناس أبناء ما يُحسنون***[3].

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

في الحديث بمعنى الشهوة، والفرق بينهما أنّ الشهوة من فعل الله تعالى، ولا كسب للعبد فيها، والمحبّة من فعل العباد لا صنع لله فيها، وإنّما قلنا: إنّ المحبّة في الخبر بمعنى الشهوة من حيث إنّ الشهوة هي التي تغلب على الطبع، ولا اختيار للإنسان[4] معها؛ وذلك لأنّها فعل يحصل فيه لا من قبله، على وجه لا يمكنه دفعه من نفسه، وكذلك النفرة التي هي ضدّها لا اختيار لصاحبها معها، فلو أراد أن يشتهي ما لا شهوة له به لم يقدر عليه، أو ينفر عن بعض المشتهيات مع تعلّق شهوته به لم يمكنه.

والعشق من هذا الباب؛ لأنّه شهوة شديدة تتعلّق بمشتهى مخصوص، ويشبه

---

(١) سورة الإسراء ١٧: ١٤.

(٢) سورة الأنعام ٦: ١٦٤.

(٣) الكافي ١: ٥٠ / ١٤، تحف العقول: ٢٠٨.

(٤) في النسخة: الإنسان، وما أثبتناه أنسب للسياق.

والخبر الثاني: بشارة للمؤمنين بقرب ثوابهم، وإنذار الكفّار بقرب عقابهم؛ وذلك لأنّ ما هو قوف[١] على الوعد أو على الوعيد من قبل الله فإتيانه قريب وإن استبطئ، ألا ترى أنّ الساعة موعد ويظنّ أكثر الناس أنّ إتيانها عن بُعد، وقد قال تعالى: ﴿**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ**﴾[٢] أراد بذلك علامة آخر الزمان.

والخبر الثالث: تحذير عن النظر إلى المحرّمات وتغليظ في عقوبته؛ ولهذا شبّه بالزنا، يعني أنّها مقدّمة للزنا؛ فإنّ البصر رائده، واللسان خاطب، والفرج[٣] مصدّق للزنا ومحقّق له بالفعل، وإذا قال رجل لآخر: زنت عينك، لا يكون قذفاً يوجب الحدّ وإنّما فيه التعزير.

وللخبر الرابع معنيان:

**أحدهما:** أنّ لكلّ شيء مقدار يزيد وينقص حتّىٰ يكون بعض الناس أعجز من بعض، وبعضهم أكيس من بعض والرأي[٤].

---

أن يكون المحبّة في الحديث الشهوة على هذا الوجه الذي يمنع سمعه وبصره من أن يرى ويسمع عيبه، فكأنّه أعمى [و]أصمّ عن عيب ما يحبّه ويشتهيه، يقال: عمى الرجل، وأعماه الله، وصمّ وأصمه الله.

**١٤٥ـ الهَدِيَّةُ تَذْهَبُ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ.**

الهديّة فعيلة بمعنى مُفعَلة، وهي اسم للشيء المهدى، والسمع والبصر

---

(١) القاف والواو والفاء كلمة وهي من باب القلب وليست أصلاً، يقولون هو يقوف الأثر ويقتافه بمعنىٰ: يقفو. معجم مقاييس اللغة ٥ : ٤٢، مادة (قوف).

(٢) سورة النحل ١٦ : ٧٧.

(٣) في النسخة: والفرح، وما أثبتناه أنسب.

(٤) كذا في النسخة، ولعلّ المناسب: في الرأي.

قال أبو قاتلة المروزي: العجز والكيس في الجماع المباح خاصة[(١)].

والقَدَر فيه هو القضاء من الله بأنّ هذا الرجل يكون زوج تلك المرأة وإن لم يُدبّرا ولم يُجهدا؛ فإن الله يهيّئ الأسباب في ذلك، وقد يجتهد الإنسان أن يتزوّج امرأة ولا يتيسّر له وإن بالغ، والأحسن أن يقول: لكلّ هاهنا علم في أفعال الله تعالى ولا يدخل أفعال العبد تحته؛ لأنّه تعالى لو أوجب على عباده فعل القبائح لما عاقبهم بفعل نفسه وبما هو على الإلجاء والإكراه فيهم من قبله.

وقال بعض العلماء: القدر ـ هاهنا ـ بمعنى الحدّ[(٢)]، أي لكلّ شيء حدّ لا يجوز مجاوزته وإن كان في العجز والكيس، يعني لا يبالغ أحد في طلب الكسب ولا يجاوز الحدّ فيه ولا يتأخّر عن طلبه بمرّة، بل يُحسن الطلب؛ **فإنّ كلّاً**[(٣)] **ميسّر لما خُلق له**[(٤)]، وقد قدّمنا أنّ العجز ـ عند العرب ـ: فقد الهداية إلى طلب الرزق، ويكون ضد القدرة. والكيس: علم كسبي.



التاء[(٥)] السماع والرؤية، وحاستاهما [الأذن والعين][(٦)] والفعل منه سمع وأبصر.

ومعناه يقرب من معنى الخبر المقدم؛ لأنّ الرجل إذا أهدىٰ إلى غيره هديّته في أمر من الأُمور تمنعه تلك الهديّة من أن يسمع الحقّ في ذلك الأمر، أو يبصر الإنصاف، فهو في ترك إبصار الحقّ وسماعه بمنزلة الأصمّ الأعمى الذي

---

(١) اُنظر: لسان العرب ٥ : ٣٦٩ مادة (عجز).

(٢) اُنظر: الصحاح ٢ : ٧٨٦ مادة (قدر).

(٣) في النسخة: كان.

(٤) روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: أجملوا في طلب الدنيا؛ فإنّ كلّاً ميسر لما خلق له. سنن ابن ماجة ٢ : ٧٢٥ / ٢١٤٢. وفي توحيد الصدوق: ٣٥٦: اعملوا فكلّ ميسّر لما خلق الله.

(٥) كذا في النسخة.

(٦) ما بين المعقوفين أضفناه لضرورة السياق.

ومعنى الخبر الخامس: أنّ حرص العالم على العلم لا ينقطع؛ فإنّه لا يزال حيّاً يشتغل بتحصله وجمعه، ويعلم ما لم يعلم، والعلوم لا نهاية لها وكلّها حسن، وكلّ من علم حسن شيء، وأنّ فيه منفعة عاجلة وآجلة، سارع إليه ويكون في حكم الملجأ عليه.

والغرثان: الجائع، وهاهنا استعارة.

والعماد: الخشب الذي يقوم به البيوت والخيم، يقول: كما أنّ المساكن لا تقوم ولا تستقيم إلّا بالعماد، وكذلك أمر هذا الدين لا يستقيم إلّا بالفقه، وهو معرفة الأحكام والفرق بين الحلال والحرام.

ومعنى الخبر السابع: أنّ الذي يحتاج المكلّفون إليه من أسباب التكليف كلّه سهل ميسّر لهم، ليس فيه غموض يشكل عليهم معرفته أو يصعب عليهم فعله وإن كان فيه مشقّة.

---

لا سمع[1] له ولا بصر، وكأنّ الإشارة في الحديث إلى الرشوة؛ لأنّ إذهاب السمّع والبصر من أعظم الآفات، فهو بالرشوة المحرّمة والسحت المحظور أليق.

**١٤٦ـ الخَيْرُ مَعْقُوْدٌ بِنَوَاصِيْ الخَيْلِ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ.**

اللّام[2] في الخير والخيل للجنس. معقود أي منوط، وفي رواية أُخرى: ***الخيل معقود بنواصيها الأجر والمغنم إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها والمنفق عليها كباسط يده بالصدقة***[3].

والنواصي جميع ناصية، وهي شعر الجبهة، وخصّ الناصية؛ لأنّ الخير

---

(١) في النسخة: يسمع، وما أثبتناه أنسب؛ لقرينة «له» وكذلك قرينة «لا بصر».

(٢) في النسخة: السلام. وهي تصحيف ما أثبتناه.

(٣) نيل الأوطار ٨: ٣٠، دعائم الإسلام ١: ٣٤٥، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٨٣ / ٢٤٥٩، المجازات النبويّة: ٥٢.

قال ابن قتيبة: معناه: أنّه إذا أشكل الحظر والإباحة فغلّبوا الحظر عليها احتياطاً ولا إشكال، والحلال بيّن والحرام بيّن، وبين ذلك أُمور مشتبهات، ومن رتع حول الحمى يوشك أن يقع فيه[1]، وليس في دين الله إشكال يشبّه الحقّ بالباطل، والرشد بالغيّ وإنّ الله ما كلّفهم المشكلات التي لا فائدة فيها، فإن طلب معرفتها حرام نحو أن يشتغل أحدنا بأن يعلم كم مربّع وكم مثلّث ومخمّس وكم من مسبّع ومسدّس يجيء من مدوّر إلى مثل الهندسة؟ وكم على دابة شعر؟ وكم بين السماء والأرض؟

وقوله: ***كلّ مسكر حرام***، معناه: أنّ كلّ ما يسكر كثيره وقليله حرام، يجب الحدّ على شاربه وإن لم يكن عين الخمر، ولا يجوز استعماله بالشرب، ولا التداوي به، ولا التصرف فيه بالبيع والهبة، وينجس ما يحصل فيه المسكر، ويحرم جميع أجناس المسكرات مطبوخة ونيّة على كلّ حال وإن اختلف عليه الأسماء، كالخمر

**الضوء في شرح الشهاب**

والراحة في استقبالها، تقول العرب: فلان معصوب الناصية أي ميمون، كأنّ اليُمن عصب بناصيته. وتقول: أرى في ناصيته خيراً أو شرّاً.

وروى أبو قتادة أنّ رجلاً أتى رسول الله، فقال: يا رسول الله، إنّي أُريد أن أشتري فرساً فأيّها أشتري؟ قال: ***اشتر أدهم أرثم محجّلاً مطلق اليمنى***[2].

---

(١) روي عن رسول الله ﷺ أنّه قال: الحلال بيّن والحرام بيّن، وبين ذلك أُمور مشتبهات لا يدري كثير من الناس أمن الحلال هي أم من الحرام، فمن تركها استبرأ لدينه وعرضه فقد سلم، ومن واقع شيئاً منها يوشك أن يواقع الحرام، كما أنّه من يرعىٰ حول الحمىٰ يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكلّ ملك حمىٰ، ألا وإنّ حمىٰ الله محارمه.
سنن الترمذي ٢: ٣٤٠ / ١٢٢١، الخلاف للطوسي ٣: ١٢٧.

(٢) سنن الدارمي ٢: ٢١٢، تفسير القرطبي ٤: ٣٣. والرثم: بياض علىٰ أنف الفرس. وفي النسخة: (فلانة) بدل (قتادة).

لما يكون من العصير، والنبيذ من الزبيب، والنقيع من التمر، والبَتْع من العسل، والمِزر من الحنطة.

وعموم النصّ يتناول تحريم كلّها وليس بعضها ملحقاً بالقياس بالخمر حكماً لما كان في معناها هذا، كما أنّ الله جعل النبّاش في حكم السارق، والملوط في حكم الزاني، وإن كان كلّ واحد منهما يختص في اللغة باسم غير الزنا وغير السرقة.

وقيل: إنّ الخمر اسم لكلّ ما يوجد فيه السكر من الأشربة كلّها، ومن ذهب إلى هذا قال: إنّ للشريعة أن تُحدث الأسماء بعد أن لم يكن، كما أنّ لها أن تضع الأحكام بعد أن لم يكن، ووصف الله خمر الجنّة بقوله: ﴿**لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ**﴾[1] فهاتان الكلمتان قد جمعتا جميع عيون خمر الدنيا.

---

وقال عليه السلام: ***يمن الخيل في الشقر، وعليكم بكلّ كميت أغرّ محجّل أو أشقر محجّل، ولا تقصّوا أعرافها وأذنابها***[2].

وعن وهب بن منبّه أنّه قال: لمّا أراد الله أن يخلق الخيل قال لريح الجنوب: إنّي خالق منك خلقاً أجعله عزّة لأوليائي وإجلالاً لأهل طاعتي، فقبض قبضة من ريح الجنوب فخلق منها فرساً، فقال: سمّيتك فرساً، وجعلتك عربياً، وجعلت الخير معقوداً بناصيتك، والغنائم تحاز على ظهرك، وجعلتك تطير بلا جناح، فأنت للطلب وأنت للهرب[3].

---

(١) سورة الواقعة ٥٦: ١٩.

(٢) مسند أحمد ٤: ٣٤٥، سنن ابي داود ١: ٥٧٣ / ٢٥٤٣ ـ ٢٥٤٥، المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٥٧٣، بحار الأنوار ٦١: ١٧٨.

(٣) كنز العمّال ٤: ٤٦٤ / ١١٣٨٢، مستدرك الوسائل ٨: ٢٥٢ / ١٢، عن الشيخ أبي الفتوح الرازي في تفسيره.

ومعنى قوله: ***كلّكم راعٍ***. أنّ من لم يتعهد رعيته بواجبه فهو يوم القيامة مأخوذ بحقوقهم، مسؤول عنها معاقب عنها، حتّىٰ يقول الله لعيسى عليه السلام: ﴿**أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ**﴾[1] فيجب على كلّ من كان له أهل وعيال أن يبالغ في حفظ حقوقهم وأن يحسن تأديبهم، ويقرّبهم من الطاعات، ويبعدهم من المعاصي، وكذلك الملك لا يظلم الرعية، ولا يتغافل عن إصلاح أحوالهم وتقويمهم، فالزوج راعٍ وهو مسؤول عن زوجته، وهي راعية على بيته فهي مسؤولة عن ذلك.

ومعنى الخبر الأخير: لا تغدروا ولا تخونوا في القليل ولا في الكثير، ولابالقول ولا بالعمل، فالغادر مفتضح يوم القيامة على رؤوس الخلائق على حدّ ما ركب في الدنيا على مطيّة الغدر والخيانة.

الضوء في شرح الشهاب

وقال بعض العلماء: دخلت على تميم الدارمي وهو أمير بيت المقدس، وهو ينقّي شعيراً لفرسه، ثمّ قام وعلّقه عليه، فقلت: لو فعل هذا غيرك، فقال: سمعت رسول الله يقول: ***من نقّى شعيراً لفرسه ثمّ قام حتّىٰ يعلّقه عليه كتب الله له بكلّ شعيرة حسنة***[2].

وقال أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ***رباط يوم في سبيل الله خير من عبادة***[3] ***الرجل في أهله ثلاثمائة وستين يوماً، كلّ [يوم] ألف سنة***[4].

---

(١) سورة المائدة ٥: ١١٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٨: ٢٤٢، المعجم الأوسط ٢: ٣٠، وفيه: (يعلفه) بدل (يعلّقه)، الاستيعاب ٢: ٥٠٣. وفي جميع المصادر: (الداري) بدل (الدارمي).

(٣) في النسخة: عادة، وما أثبتناه من المصادر.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ٧: ٢٦٧ / ٤٢٨٣، كنز العمّال ٤: ٣٢٤ / ١٠٧١١، وفيهما: من حرس ليلة علىٰ ساحل البحر كان أفضل من عبادة رجل في أهله ألف سنة.

واللواء استعارة هاهنا، أراد به تفضيحه غداً عند الأنبياء والأئمة والصالحين في العرضات، والغدر: ترك الوفاء.

**١٥٢ـ أوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ الصَّلَاةُ**(١).

**١٥٣ـ أوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ في الدِّماءِ**(٢).

**١٥٤ـ أوَّلُ مَا يُوْضَعُ فِي المِيْزَانِ الخُلُقُ الحَسَنُ**(٣).

**١٥٥ـ أوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِن هذِهِ الأُمَّةِ الحَيَاءُ والأَمَانَةُ**(٤).

**١٥٦ـ أوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الأَمَانَةُ وآخِرُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِيْنِكُمْ الصَّلَاةُ**(٥).

حثّ على محافظة أمر الصلاة وما يتعلّق بها من أركانها وفرائضها، فإنّها عماد الدين، ولا يُسأل أحد في خاصّة نفسه إلّا عن الصلاة، فإن كانت تامّة لم يُسأل عن غيرها، وإن كانت غير صحيحة يعاقب عليها وعلى غيرها إلّا من شاء الله، وقد

---

وروى عن ابن عبّاس أنّه قال: إذا استصعبت دابّة أحدكم فليقرأ في اُذنها: ﴿**أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ**﴾(٦) الآية(٧).

وروى علي بن ربيعة، قال: شهدت عليّاً عليه السلام واُتي بدابّة ليركبها، فلمّا وضع رجله في الركاب قال: **بسم الله**، فلمّا استوىٰ على ظهرها. قال: ***الحمد لله الذي***

---

(١) سنن الدارمي ١: ٣١٣، سنن النسائي ٧: ٨٣، مسند أبي يعلى ٩: ٢٨٥ / ٥٤١٤ وروي عن الإمام الباقر عليه السلام في الكافي ٣: ٢٦٨ / ٤، والتهذيب ٢: ٢٣٩ / ١٥.

(٢) مسند أحمد ١: ٣٨٨، صحيح مسلم ٥: ١٠٧، سنن ابن ماجة ٢: ٨٧٣ / ٢٦١٥، روضة الواعظين: ٤٦١.

(٣) المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٩٠ / ٢٤، المعجم الكبير ٢٤: ٢٥٤، صحيح ابن حبّان ٢: ٢٣٠.

(٤) مسند أبي يعلىٰ ١١: ٥١١ / ٦٦٣٤، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا: ٨٨ / ٢٦٥، كنز العمال ٣: ١٢١ / ٥٧٧١.

(٥) السنن الكبرىٰ ٦: ٢٨٩، المستدرك على الصحيحين ٤: ٤٦٩ باختلاف، المعجم الكبير ٧: ٢٩٥.

(٦) سورة آل عمران ٣: ٨٣.

(٧) تفسير القرطبي ٤: ١٢٨، تفسير الثعلبي ٣: ١٠٧.

سمّاها الإيمان؛ لأنّها عَلَمُ الإيمان؛ لقوله: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[(١)] أي صلاتكم إلى بيت المقدس، ولا تناقض بينه وبين الخبر الثاني من أنّ أول حكومة وقضية بين الخلائق يوم القيامة يكون في القتل وإراقة الدماء؛ فإنّ هذا بين العبد وبين غيره، وما تقدّم من خاصّة نفسه. والقتل من الكبائر العظام، والخبر زجر عنه.

ويروى: ***أثقل ما يوضع في الميزان الخُلق الحسن***[(٢)].

نبّه بهذا على أنّ كلّ مؤمن حَسَنُ الخلق، فأوّل ما ينفعه يوم القيامة من جملة طاعاته خلقه الحسن، وذلك أفضل الطاعات.

وقال عليه السلام: ***من سعادة ابن آدم حُسن الخلق***[(٣)].

الضوء في شرح الشهاب

***سخّر لنا هذا وماكنا له مقرنين، وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون، الحمد لله*** ـ ثلاث مرّات ـ ***والله أكبر*** ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ قال: ***سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلّا أنت***. ثمّ ضحك، فقلت: يا أمير المؤمنين، من أي شيء ضحكت؟ قال: ***رأيت رسول الله فعل مثل ما فعلت. فقلت: يا رسول الله، من أي شيء ضحكت؟ قال: إنّ الله يعجب من عبده إذا قال: إغفر لي ذنوبي، [يعلم] أنّه لا يغفر الذنوب غيري***[(٤)].

### ١٤٧ـ يُمْنُ الخَيْلِ فِي شُقْرِهَا.

اليمن ضدّ الشؤم، والميمون نقيض المشؤوم. وقيل: أصله من اليمن والشام.

والشقر جمع أشقر، وهو الأحمر الخالص الحمرة، وفُعْل في جمع أفعل صفة

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٤٣.

(٢) صحيح ابن حبّان ٢: ٢٣٠ / ٤٨٠، علل الدارقطني ٦: ٢٢١.

ويروىٰ أيضاً بلفظ ثالث في أمالي المحاملي: ٣١٤: أفضل شيء في الميزان....

(٣) كنز العمال ٣: ١٩ / ٥٢٤٣، الدر المنثور ٢: ٧٣.

(٤) مسند أحمد ١: ٩٧، سنن أبي داود ١: ٥٨٥ / ٢٦٠٢.

والسعادة من أسباب النجاح عاجلاً وآجلاً. والميزان ووضع الطاعة فيه مجاز واستعارة، وقيل: الميزان حقّ، ويوزن به أعمال العباد مكتوبة في صحائف.

ومعنى الخبر الرابع: أنّ أول [ما] يظهر في آخر الزمان ذهاب الحياء من الخلق ظاهراً وباطناً، وذهاب الأمانة من أهاليها سراً وعلانيةً ديناً أو دنيا.

وقيل: الأظهر أنّه عليه‌السلام يومئ به إلى ما كان بعده من الوقاحة وترك أداء الأمانة إلى أهلها ممّا وصّى به يوم الغدير، ولا يناقضه الخبر الأخير من أنّ أوّل ما يذهب من دين الإسلام الأمانة وحدها؛ لأنّ الواو لا يوجب الترتيب، ولا يُستبعد أن يكون الأمانة تتقدم الحياء، ومن الفتن التي تظهر في آخر الزمان ترك الصلاة، وروي: ***أول ما يرفع الأمانة، وأوسطه الأرحام، وآخره الصلاة***[1].

---

قياس مستمر كأصفر وصفر، وأخضر وخضر، وقيل: إنّ رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله قال هذا ردّاً للعرب فإنّهم كانوا يتشاءمون بشقر الخيل، وقال عليه‌السلام: ***لو جمعت الخيل في صعيد ما سبقها إلّا الأشقر***[2].

وسئل بعض العلماء: لم خصّ النبي عليه‌السلام الأشقر باليمن؟ فقال: بعث النبي عليه‌السلام سرية فأوّل ما جاء بالفتح صاحب فرس أشقر[3].

**١٤٨ـ السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ.**

هذا ممّا علمه ضرورة لمن كابد وعثاء السفر وقاسىٰ مشاقه، وأصل السفر: الكشف؛ لأنّه يظهر أخلاق صاحبه ويكشف عنها، يقال: سفرت الموضع، إذا كنسته، والمسفرة: المكنسة؛ لأنّه آلة السفر، وسفرت المرأة أي ألقت قناعها عن

---

(١) أُنظر: تفسير القمي ٢ : ٤١٣، وفيه أول ما تنقصون من دينكم الإمامة (الأمانة خل) وآخره الصلاة.

(٢) بحار الأنوار ٦١: ١٧٨.

(٣) سنن أبي داود ١ : ٥٧٣ / ٢٥٤٤، السنن الكبرىٰ ٦ : ٣٣٠.

**١٥٧ـ الحُبُّ يُتَوَارَثُ، والبُغْضَ يُتَوَارَثُ[(١)].**

**١٥٨ـ حُبُّكَ الشَّيءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ[(٢)].**

**١٥٩ـ الهَدِيَّةُ تَذْهَبُ بالسَّمْعِ والبَصَرِ[(٣)].**

**١٦٠ـ الخَيْرُ مَعْقُودٌ بِنَواصِي الخَيْلِ[(٤)].**

**١٦١ـ يُمْنُ الخَيْلِ في شُقْرِهَا[(٥)].**

**١٦٢ـ السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِن العَذَابِ[(٦)].**

**١٦٣ـ البَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ[(٧)].**

يقول: أحبّوا من تكون محبّته طاعة، ولا تبغضوا من بغضه معصية؛ فإنّ

**ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

وجهها.

وأسفر الصبح إذا أضاء، والسفير: المصلح بين القوم بصلح، والسِفر: الكتاب؛ لما فيه من البيان.

والقطعة فِعْلَة بمعنى مفعولة.

---

(١) المستدرك علىٰ الصحيحين ٤: ١٧٦، المعجم الكبير ١٧: ١٨٩.

(٢) مسند أحمد ٥: ١٩٤، سنن أبي داود ٢: ٥٠٥ / ٥١٣٠، تاريخ بغداد ٣: ٣٣٣، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠ / ٥٨١٤، عوالي اللئالئ ١: ٢٩٠ / ١٤٩.

(٣) مجمع الزوائد ٤: ١٥١، المعجم الكبير ١٧: ١٨٣، كنز العمال ٦: ١١١ / ١٥٠٦٣، وفي عيون أخبار الرضا عليه السلام: الهدية تذهب الضغائن من الصدور، وفي الخصال: ٢٧ / ٩٦ عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٤) مسند أحمد ٦: ٤٥٥، سنن ابن ماجة ٢: ٩٣٢ / ٢٧٨٦، سنن الترمذي ٣: ١١٩، وفي الكافي ٥: ٩ / ١٥ عن الإمام الباقر عليه السلام.

(٥) مسند أحمد ١: ٢٧٢، سنن أبي داود ١: ٥٧٣، السنن الكبرىٰ ٦: ٣٣٠.

(٦) كتاب الموطأ ٢: ٩٨٠، مسند أحمد ٢: ٢٣٦، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٠٠ / ٢٥١٥.

(٧) الاستذكار ٨: ٥١٥، تاريخ بغداد ١١: ٤٠٦، تاريخ مدينة دمشق ١٧: ٢٩٤، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٩ / ٥٧٩٧.

أولادكم يتّبعونكم في ذلك على الأغلب، فإن كان حبّكم وبغضكم لله تستحقون الثواب بما يرثه الأولاد منكم أيضاً، وعن علي عليه السلام ***الصديق ثلاثة: صديقك، وصديق صديقك، وعدو عدوك***[1].

وقيل: صداقة الآباء قرابة الأبناء[2]، ومن علامة الإخاء أن يكون لصديق أخيه صديقاً ولعدوّه عدواً.

وقيل: معناه: حثّ على محبّة أصدقاء الآباء وبغض أعدائهم على مقتضى الشرع.

وفيه تنبيه أنّ الصداقة غير واجبة على أحد، ولكنّ القيام بأداء حرمتها واجبة.

---

والعذاب: استمرار الألم، ومنه عذبة اللسان؛ لاستمراره على الكلام، والماء العذب[3] لاستمراره في الحلق.

وقال عليه السلام: ***السّفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نهمته فليعجل إلى أهله***[4].

وعنه عليه السلام: ***إذا قدم أحدكم من سفره فليهدِ إلى أهله، وليطرفهم ولو كانت حجارة***[5].

ورأىٰ النبي عليه السلام رجلاً في سفر، فقال: **شيطان**، ثمّ رأى رجلين، فقال: **شيطانان**، ثمّ رأى ثلاثة، فقال: **سفر**[6].

وقال عليه السلام: ***خير الرّفقاء أربعة***[7]، ونهى عليه السلام عن أن يسافر الرجل وحده،

---

(١) نهج البلاغة: ٥٢٧ / ٢٩٥. باختلاف.

(٢) جزء نافع بن أبي نعيم: ٩، تاريخ مدينة دمشق ٥١ : ٢٢٢، وفيهما: مودّة الآباء.

(٣) في النسخة: العذاب، وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٤) مسند أحمد ٢ : ٤٤٥، سنن الدارمي ٢ : ٢٨٦، صحيح ٤ : ١٧.

(٥) المجموع ٤ : ٣٩٨، سنن الدارقطني ٢ : ٢٦٣ / ٢٧٦٥.

(٦) المصنّف لعبد الرزاق ١٠ : ٤٣١ / ١٩٦٠٨، مسند أحمد ٢ : ١٨٦.

(٧) الكافي ٥ : ٤٥ / ١، تهذيب الأحكام ٦ : ١٧٤ / ٢٤.

ومعنى الخبر الثاني: نهي عن حبّ الدنيا وجميع ما يشتغل [به] عن الدين؛ فإنّ حبّها يعمي عن معايبها، ولا يبصر من ينظر إليها، ويصمّ عن مساوئها التي يذكرها الصالحون، أي يخفي عليك مساويه ويصمّك عن سماع العذل فيه.

وقيل: يريد: لا يحبّ شيئاً من الأشياء حتّىٰ يعلمه أنه حقّ وحسن لا ذمّ في حبّه، فأنك إن سارعت إلى محبّة شيء من غير اختيار فإنّه يعمي عن الرشد ويصمّ عن الموعظة، حتّىٰ يرى قبيح صديقه حسناً، وأُنشد:

.......................... حسن في كلّ عين من تودّ[1]

وقيل: حبّك الدنيا يعمي ويُصمّ عن الآخرة، وهذا مجاز، وكذا إذهاب الهديّة السمع والبصر عن أخذها استعارة في الخبر بعده، ومعنى أنّ الهدية... يحمل صاحبها على أن لا ينظر إلى معايب المُهدي وعداوته ومعاملته القبيحة ولايسمعها حتّىٰ لايرى الحقّ، وفي الحديث: ***إذادخلت الهدية من الباب خرجت***

الضوء في شرح الشهاب

فقال: ***إنّ الشيطان مع الواحد ومن الاثنين أبعد***[2]. وقال عليه السلام: ***إنّ الشيطان يهمّ بالواحد والاثنين، فإذاكانوا ثلاثة لا يهمّ بهم***[3]. وكلّ هذا نهي شفقة لا نهي تحريم، والمراد كراهة أن يكون وحده؛ فإنّه إذا كان في رفقة كان آمن من اللصوص وقطّاع الطريق.

وقال عليه السلام: ***إذا خرج أحدكم في سفر فليودّع إخوانه فإنّ دعائهم له بركة***[4].

---

(١) ديوان عمر بن ربيعة: ٥٣، وتمام البيت:

فتضاحكن وقد قلن لها حسن في كلّ عين من تودّ

(٢) المحاسن ٢: ٥٦/٣٥٦، الكافي ٨: ٤٦٥/٣٠٣، من لا يحضره الفقيه ٢: ٢٤٣٣/٢٧٧.

(٣) السنن الكبرىٰ ٥: ٢٥٧، مجمع الزوائد ٣: ٢١٥، الاستذكار ٨: ٥٣٠.

(٤) الأذكار النووية: ٦١٠/٢١٨، الجامع الصغير ١: ٥٧٢/٨٩، كنز العمّال ٦: ١٧٤٧٣/٧٠٢.

***الأمانة من الكوّة***[١]. فكأنّ الهدية هاهنا بمعنى الرشوة.

وأما الخبر الرابع: ففيه ترغيب في اتّخاذ الخيل للغزو عليها في سبيل الله ولغير ذلك من المنافع؛ فإنّ كلّ الخير فيها إلى يوم القيامة، أي أنّ الأجر والمغنم يكونان عليها وفيها، وأهلها معانون، والمنفق عليها كباسط يديه في الصدقة، فالخيرات معقودة بنواصيها، وهذا استعارة.

وتمامه: ***إلى يوم القيامة***.

وقيل: المراد بالخير هاهنا كقوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾[٢] وفقه هذا الخبر ثلاثة أشياء: السهم للفرس يستحقّه الفارس من أجله، وإعلام أنّ المال الذي يكتسب بإيجاب الخيل من خير وجوه المال وأطيبها، وأنّ الجهاد إلى يوم القيامة لا ينقطع إذا حصلت شرائطه، وسمّيت الخيل خيلاً لاختيالها.

---

### ١٤٩ـ طَاعَةُ النِّسَاءِ نَدَامَةٌ.

الطاعة: امتثال الأمر أو الإرادة؛ لأنّه لا فرق بين أن يقول السيد لغلامه: اسقني الماء، فأطاعه وبين أن قال: أُريد منك أن تسقيني الماء. والطوع: الانقياد، وطاع يطوع طوعاً وطاعة وأطاع بمعنى، وألف الطاعة منقلبة عن الواو؛ بدلالة الطوع.

وبيّنا حقيقة الندم والندامة، يعني: أنّ من أطاعهنّ ندم على طاعتهنّ؛ ولهذا قال عليه السلام: ***شاوروهن وخالفوهنّ***[٣]. وكيف يشاور أو يطاع من كان ناقص العقل، ناقص الدين.

وروي: أنّ إبليس وسوس إلى حوّاء فأكلت من الشجرة فتابعها آدم على

---

(١) المبسوط للسرخسي ١٦: ٨٢، تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ١٧، البداية والنهاية ٩: ٣٢٧، وفيه: خرج الحقّ.

(٢) سورة العاديات ١٠٠: ٨.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٨: ١٩٩، عوالي اللئالي ١: ٢٨٩ / ١٤٨.

ثمّ قال: بركة الفرس أن يكون أشقر، وكان ﷺ يحبّ الشقر من الدوابّ.

وقيل: إنّما فُضّل الأشقر؛ لأنّ النبي ﷺ بعث سرية في قتال، فكان أول من جاء بالفتح صاحب الأشقر[١]، هو المشرب حمرة، والفرق بينه وبين الكميت بالعُرف والذَنَب، إن كانا أحمرين فهو أشقر وإن كانا أسودين فهو كميت.

ثمّ رغّب بقوله: ***السفر قطعة من العذاب***. في الإقامة في الحضر وترك الإكثار من السفر؛ لئلّا يفوته ملازمة الجمعة والجماعات والحقوق الواجبة للأهل والقرابات.

وقال بعض العلماء: لو لم يقله رسول الله لقلت: العذاب قطعة من السفر[٢].

وتمام الخبر: ***فإذا قضيتم حوائجكم فأسرعوا الرجوع***.

ومعنى الخبر الأخير: على الأغلب، أي لا تكثروا الكلام الذي لا فائدة فيه،

الضوء في شرح الشهاب

ذلك[٣].

وقيل: ***إيّاك وموافقة النساء؛ فإنّ رأيهنّ إلى أفن وعزمهنّ إلى وهن***[٤].

وقيل: أكثروا لهنّ من قول لا؛ فإنّ نعم تغريهنّ بالمسألة[٥].

وقيل: لا تطمعوهن في المعروف؛ لئلّا يطمعن في المنكر.

وقال الأجدع:

تعيّرني بالغزو عرسي وما درت    بأنّي *لها* في كلّ ما أمرت ضدّ[٦]

(١) مسند أحمد ٤: ٣٤٥، مجمع الزوائد ٥: ٢٦٢.

(٢) المبسوط للسرخسي ١٦: ٤، والقائل هو ابن عباس.

(٣) جامع البيان ١: ٣٣٩، تاريخ الطبري ١: ٧٤.

(٤) نهج البلاغة: ٤٧١ / وصية رقم (٣١)، تحف العقول: ٨٦.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٢: ١١، محاضرات الأُدباء ٣: ٤٢٧.

(٦) شرح نهج البلاغة ٣: ٣٥٦.

وهو المنطق؛ فالبلاء يتولّد من المنطق، وعثراته أشدّ من عثرة القدم، ولهذا قال ﷺ: ***وهل يكبّ الناس على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم***؟![1]

وروي أنّ سبب الخبر أنّ رسول الله لمّا عرض نفسه على القبائل كان جماعة معه، فقال أبو بكر: ممّن القوم؟

قالوا: من ربيعة.

قال: من هامّتها أم من لهازمها؟

قالوا: من هامّتها العظمى.

قال: من أنتم؟

قالوا: ذهل الأكبر.

قال: أمنكم عوف؟

قالوا: لا.

---

وقيل: إذا وصفت المرأة بالعقل فهي غير بعيدة من الجهل[2]. وقيل: لا تدع المرأة تضرب صبياً؛ فإنّه أعقل منها[3]. وقيل: تعوذوا بالله من شرار النّساء وكونوا من خيارهنّ على حذر[4].

**١٥٠ـ البَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالمَنْطِقِ.**

البلاء: المحنة، يقال: بلوت الرجل وابتليته إذا امتحنته بالمنطق، ويروى: بالقول؛ وذلك لأنّ الرجل لا يزال سالماً ما دام يسكت، فإذا تكلّم صار كلامه حجّة عليه[5] ممّا جرى على لسانه ما جرّ عليه بلاء.

(١) الكافي ٢: ١١٥ / ١٤، تحف العقول: ٥٦، المجازات النبويّة: ١٥٤.

(٢) ـ (٤) محاضرات الأدباء ٣: ٤٢٧.

(٥) في النسخة زيادة: من.

قال: أمنكم بسطام؟

قالوا: لا.

قال: أفمنكم جسّاس؟

قالوا: لا.

قال: أنتم ذهل الأصغر.

فقام[١] غلام وقال: ممّن الرجل؟

فقال أبو بكر: من قريش.

قال: بخٍ بخٍ، أهل الشرف، فمن أيّهم أنت؟

قال: من تيم بن مرّة.

قال: أمكنت الرامي من الثغرة، أفمنكم قصيّ؟

قال: لا.

أفمنكم هاشم؟

قال: لا.

الضوء في شرح الشهاب

وروى عنه عليه السلام: ***ما قال عبد لشيء: والله لا أفعله أبداً، إلّا ترك الشيطان كلّ عمل [و] يولع به حتّىٰ يؤثمه***[٢].

***ولو أنّ رجلاً عيّر رجلاً برضاع كلبة لرضعها***[٣].

وقال بعضهم: لو رأيتُ رجلاً يرضع شاة فسخرتُ منه خشيتُ أن لا أموت حتّىٰ أرضعها[٤].

---

(١) في النسخة: فقال، وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٢) الجامع الصغير ١: ٤٩٥ / ٣٢١٨، تاريخ بغداد ٧: ٤٠١.

(٣) الجامع الصغير ١: ٤٩٦ / ٣٢٢٠.

(٤) المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ١١٥، الطبقات الكبرىٰ ٦: ١٠٦.

فقال: أمنكم شيبة الحمد؟

قال: لا.

قال: أفمنكم أهل الندوة والوفادة؟

قال: لا.

قال: أو أنتم من أهل السقاية والحجابة؟

قال: لا.

قال: أنت من زمعات قريش.

فتبسّم رسول الله، فقال: ***إنّ البلاء موكّلٌ بالقول***[1].

والزمعة هَنَة زائدة من وراء الظلف.

---

وقال *الزم سكوتك في المواطن كلّها* — *إنّ البلاء موكّل بالمنطقِ*[2]

وقال آخر:

لا تمزحنّ بما كرهت فربّما — ضرب *المزاج* عليك بالتحقيقِ[3]

**١٥١ـ الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ.**

**١٥٢ـ وَعَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الجَسَدِ الصِّيَامُ.**

الصيام مصدر صام يصوم، كالقيام في مصدر قام يقوم، والصوم الاسم، وهو في اللغة: الإمساك، وفي الشرع كذلك، إلّا أنّه إمساك مخصوص على ما بيّنا القول فيه، وهو من الأسماء المخصوصة.

والصبر: حبس النفس على ما تكره، وقد سمّى الله الصوم صبراً في آية من القرآن، فقال: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾[4] قال المفسّرون: بالصوم

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٧:٢٩٧، الأنساب ١:٣٧، البداية والنهاية ٣:١٧٣، شرح نهج البلاغة ٤:١٢٦.

(٢) و(٣) لم نعثر عليهما في المصادر.

(٤) سورة البقرة: ٢ / ٤٥.

**١٦٤ـ الصِّيَامُ نِصْفُ الصَّبْرِ**[١].

**١٦٥ـ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وزَكَاةُ الجَسَدِ الصِّيَامُ**[٢].

**١٦٦ـ الصَّائِمُ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ**[٣].

**١٦٧ـ الصَّوْمُ في الشِّتَاءِ الغَنِيْمَةُ البَارِدَةُ**[٤].

**١٦٨ـ السِّوَاكُ يَزِيْدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً**[٥].

**١٦٩ـ وجَمَالُ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ**[٦].

**١٧٠ـ طَاعَةُ النِّسَاءِ نَدَامَةٌ**[٧].

يريد أنّ الصوم أمران: إمساك مخصوص على وجوه، والتقرب إلى الله بذلك نصف الصبر الذي هو حبس النفس عن شهواتها، وكما أنّ الصبر في

**الضوء في شرح الشهاب**

والصلاة[٨].

وكذلك في قوله: ﴿**سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ**﴾[٩] أي بما صمتم.

وكذلك في قوله: ﴿**وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا**﴾[١٠] أي بما صاموا.

---

(١) مسند أحمد ٤: ٢٦٠، سنن الدارمي ١: ١٦٧، عوالي اللئالئ ١: ١١٥ / ٣٢.

(٢) سنن ابن ماجة ١: ٥٥٥، تاريخ بغداد ٨: ١٤٨، من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٦ / ٥٩٠٤.

(٣) مسند أحمد ٢: ٤٧٧، سنن ابن ماجة ١: ٥٥٧، مسند ابن راهويه ١: ٣٢٠ / ٣٠٣.

(٤) مسند أحمد ٤: ٤٤٥، السنن الكبرىٰ ٤: ٢٩٧، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٥٦ / ٥٧٦٢، معاني الأخبار: ٢٧٢، الخصال: ٣١٤ / ٩٢.

(٥) كنز العمال ٩: ٣١١، مكارم الأخلاق: ٤٨.

(٦) المستدرك علىٰ الصحيحين ٣: ٣٣٠، ميزان الاعتدال ١: ١١٦.

(٧) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ١٨ / ٤٠، كنز العمال ٣: ٤٤٠ / ٤٤٤٩٣، تاريخ مدينة دمشق ٥٣: ١٤٠ / ١١٢٠٧.

(٨) تفسير جوامع الجامع ١: ١٠٠، جامع البيان ١: ٣٧٠.

(٩) سورة الرعد ١٣: ٢٤.

(١٠) سورة الإنسان ٧٦: ١٢.

المصائب والمحن وفي جميع بلاء الله عبادة كذلك الصبر على الإمساك عن الطعام والشراب ونحوهما مع النية عبادة.

ويسمّىٰ شهر رمضان شهر الصبر؛ لأنّ فيه يمسك عن تناول الأغذية وغيرها ما بين طرفي النهار.

والصوم مخصوص نصفه لا يوجد في غيرها من العبادات، وهو أن يكون خالصاً لله تعالىٰ لا يطلع عليه غيره وإن كانت كلّها تقرباً إليه؛ فلهذا صار الصوم أنفس حظاً من سائرها، ولذلك صار زكاة الجسد؛ لبعده عن الرياء، يقول الله تعالى: ***الصوم لي وأنا أُجزي به***[١].

ثمّ حثّ على هذه الطاعة في الخبر الآخر بأن قال: ***دعاء الصائم مستجاب***[٢].

وحاجة من عاش لا تنقضي، فإذا علم أنّ الصوم سبب إجابة الدعاء يكون صائماً أبداً.

---

وجعل عليه السلام الصيام نصف الصبر؛ لأنّ الصائم[٣] يجب عليه الصبر والإمساك عن المفطرات إذا كان الصوم فرضاً، وكذلك إذا كان نفلاً، بمعنى: أنّ الصوم لا يصح معها.

والصبر على ثلاثة أوجه: صبر على الطاعة، وصبر عن المعصية، وصبر على المصيبة، فكأنّه عليه السلام جعل الصبر نصفين جعل النصف الواحد في الصوم؛ لما ذكرنا، والنصف الآخر في باقي الأشياء.

وعلى كلّ شيء زكاة. الشيء: ما يصح أن يعلم ويخبر عنه. بهذا فسّره الخليل وسيبويه[٤]، ولو أردت أن يجعله حدّاً له أسقطت منه الأخبار، فقلت: الشيء ما يصح

---

(١) الكافي ٤: ٦٣ / ٦، الخصال: ٤٤ / ٤٢، فضائل الأشهر: ١٣٣ / ١٤٢، مسند أحمد ١: ٤٤٦.

(٢) أُنظر: من لا يحضره الفقيه ٢: ١٠٧، صحيح ابن حبّان ٨: ٢١٤.

(٣) في النسخة: الصيام، وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٤) لسان العرب ١: ١٠٤، مادة (شيء).

وروي أنّ ***أرجى وقت الصائم لإجابة دعوته وقت إفطاره***[١].

ثمّ قال: الصوم وقت الشتاء لا يكون إلّا غنيمة لا قتال فيها ولا حرارة على الكبد منها، شبّهه بالغنيمة السهلة لبرد الجوف وسكونه من العطش على صاحبه؛ لأنّ في الصيف تتوقّد الجوف من الجوع والعطش.

وتقدير الخبر الآخر: استعمال السواك يزيد الرجل بياناً في منطقه وكشفاً في كلامه. فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه، وثوابه في أوقات مأثورة أعظم.

وقال عليه السلام: ***السواك مطهرة للفم ومرضاة للربّ***[٢].

وقال: ***طهّروا مجاري كلام الله بالسواك***[٣].

**الضوء في شرح الشهاب**

أن يعلم ليتميّز من المحال؛ لأنّ المحال ليس بشيء من حيث إنّه لا يصح أن يعلم. أمّا الإخبار عنه فيصحّ، فهو زيادة في الحدّ، والشيء والمعلوم في قرن واحد.

والزكاة: النماء والطهارة، يقال: زكت الماشية إذا ازدادت، وزكا المال إذا زاد، قال الله تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾[٤]، وزكّيت فلاناً إذا حكمت بزكاته وطهارته، ومنه تزكية الشهود: الثناء عليهم بالطهارة من الذنوب، وهو زكاة الجسد، فلمّا أنّ المال يزكّى ويطهر بالزكاة، فكذلك الجسد يطهّر بالصيام، وقال بعض العلماء: على المال زكاة، وهي ما افترضه الله فيه شرعاً، وعلى الجاه زكاة، وزكاته بذله لمن يحتاج إليه، وعلى الحلي زكاة وزكاته إعارته ممّن يثق

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٠٧، الدعوات: ٢٦ / ٤٣، ٤٦، مكارم الأخلاق: ٢٧، وفي جميع المصادر باختلاف.

(٢) الكافي ٦: ٤٩٥ / ٤، تحف العقول: ١٤، مسند أحمد ١: ٣، سنن الدارمي ١: ١٧٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه ١: ٥٣ / ١١٢، كنز العمّال ٢: ٣١٧ / ٤١١٥، وفيهما: إنّ أفواهكم طرق القرآن فطهّروها [فطيّبوها] بالسواك.

(٤) سورة التوبة ٩: ١٠٣.

والفصاحة: اقتضاب الكلام بأعذب اللفظ وأحسن المعنى وأوجز البيان. فينتظم في القليل علم الكثير ليسهل على السامع حفظه، كما ترى هذا الكلام القصير ذا المعنى الطويل؛ ولذلك حث عليه السلام على الفصاحة بأنّها جمال للرجال.

والطاعة بمعنى الإطاعة كالطاقة والإطاقة[1]، وقوله: ***طاعة النساء***، المصدر مضاف إلى المفعول أي طاعتك النساء، والطاعة لا تكون نفس الندامة، ولكن تثبتها، كأنّه قال: طاعتك النساء مورثة للندامة؛ أي لا تُطعهنّ.

---

به، وعلى العلم زكاة وزكاته بذله لأهله، وعلى كلّ عضو من أعضاء الإنسان زكاة، وزكاته أعماله فيما يصلح له من طاعه الله، قال:

*وأدِّ زكاة الجاه واعلم بأنّها* ... *كمثل زكاة المال تمّ نصابها*[2]

**١٥٣ـ الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ.**

أراد بالدعوة دعاء العبد الله ومسألته إيّاه حوائجه. والرد خلاف الإجابة.

يعني: أنّ الصائم إذا سأل الله حاجة أجاب[3] إلى ذلك ولا يجبه بالردّ بشرط المصلحة.

**ومعنى الحديث:** حثّ الصائم على الدعاء، وحثّ ذوي الحاجات على الصيام طمعاً في إجابة الدعاء.

وسأل رجل بعض الأئمة عن الرجل يحضره وقت الإفطار أيّهما يقدّم؟ قال: ***الصلاة؛ لأنّ صلاة الرجل صائماً على أضعاف صلاته مفطراً***[4].

(١) في النسخة: والجانة، وما أثبتناه هو المناسب للسياق.
(٢) العهود المحمدية: ٣٦٠.
(٣) في النسخة: حجاب، وما أثبتناه هو المناسب لسياق الكلام.
(٤) أُنظر: المقنعة: ٣١٨.

**١٧١ـ الإمَامُ ضَامِنٌ، والمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ[١].**

**١٧٢ـ المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقَاً يَوْمَ القِيَامَةِ[٢].**

**١٧٣ـ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمّتي[٣].**

**١٧٤ـ الأَنْصَارُ كَرْشِي وَعَيْبَتِي[٤].**

**١٧٥ـ يَدُ اللهِ عَلى الجَمَاعَةَ[٥].**

**١٧٦ـ الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيْلٌ فَاعِلُهُ[٦].**

معنى الخبر الأول أمر وإن كان على لفظ الخبر، يقول: ينبغي ويجب أن يكون إمام الصلاة أقرأ الجماعة؛ فإنّه يضمن عنهم قراءتهم، وكذلك يجب أن يكون المؤذّن مؤتمناً أميناً في مواقيت الصلاة، لا يوذّن قبل دخولها، والمؤذّنون أرفع الناس درجة وأعلاهم شأناً، يستشرفون أعناقهم لثواب الله ويطلعونها، فطول

**الضوء في شرح الشهاب**

**١٥٤ـ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ الغَنِيْمَةُ البَارِدَةُ.**

قال القاضي مصنّف الكتاب: الغنيمة الباردة التي لا قتال معها[٧]. وقال شيخنا الزمخشري: التي لا يصطلى دونها بنار الحرب[٨]. وإنّما أتىٰ بلفظ البرد؛ لأنّ البرد

(١) كتاب المسند للشافعي: ٥٦، مسند أحمد ٢ : ٣٨٢، من لا يحضره الفقيه ١ : ٣٧٨ / ١١٠٣، التهذيب ٢ : ٣٨٢ / ٣.

(٢) مسند أحمد ٣: ١٦٩، صحيح مسلم ٢ : ٥، سنن ابن ماجة ١ : ٢٤٠ / ٧٢٥، وفي ثواب الأعمال: ٣١ روي عن الإمام الصادقعليه‌السلام باختلاف.

(٣) أمالي الصدوق: ٥٦ / ٤، من لا يحضره الفقيه ٣: ٥٧٤ / ٤٩٦٣، مسند أحمد ٣ : ٢١٣، سنن أبي داود ٢ : ٤٢١ / ٤٧٣٩، سنن الترمذي ٤ : ٤٥.

(٤) الإرشاد ١ : ١٤٦، الاحتجاج ١ : ٩٠، مسند أحمد ٣: ٨٩، صحيح مسلم ٧: ١٧٤.

(٥) سنن الترمذي ٣: ٣١٥ / ٢٢٥٥، سنن النسائي ٧: ٩٢، أمالي الطوسي: ٢٣٧ / ١٠.

(٦) أدب المجالسة: ٧٦ / ١٣٦، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر: ٢٠ / ٤٧، كنز العمال ٣: ٥٠ / ٦٨٨٠.

(٧) لم نعثر عليه في المصادر.

(٨) الفائق في غريب الحديث ١ : ٨٢.

العنق استعارة ومجاز، ويجوز أن يكون حقيقة.

وروي: ***إعناقاً*** ـ بكسر الهمزة ـ وهو سرعة السير؛ لأنّهم أسرع إلى الجنّة.

وتقدير الخبر الثالث: شفاعتي مخصوصة ومدّخرة لأهل الكبائر، أي الذين ارتكبوا الذنوب الكبار من اُمّتي، وهم المؤمنون الذين أقروا على الحقيقة بتوحيد الله وعدله وصحّة ما جاء به رسول الله، أي أنّهم يخرجون من النار بشفاعتي لهم إلى الله في حقّهم بعد ما دخلوها وصاروا حمماً، وهذا أمان لقطع رجاء[1] المذنبين من أهل الإيمان.

ثمّ شرّف الأنصار، وهم أهل المدينة الذين آووا رسول الله ونصروه، فقال: إنّهم بطانتي وخاصّتي وجماعتي وموضع أسراري. والكَرِش: الجماعة من الناس،

---

عندهم راحة من حيث إنّ هواهم وبلادهم الغالب عليها الحرارة، فهم يتأذّون بها ويكنّون بالبرودة كلّ محبوب، ولهذا يقولون للميت: برّد الله مضجعه. ومنه قوله ﷺ حين لقى أبا بردة الأسلمي: ***من أنت***؟ قال: أنا أبو بردة. فقال: ***برّد بك أمرنا***[2]. أي طاب وصلح. والبارد: الثابت الحاصل، يقال: ما برد في يدي شيء أي ثبت وحصل، ومنه قول الشاعر:

*اليوم يوم بارد سمومه*      *من جزع اليوم فلا نلومه*[3]

أي ثابت سمومه، ويقال: ضربته ضربة فبرد، أي مات؛ لأنّ الميّت لا يتحرّك ولا يزول.

---

(١) كذا في النسخة، والمناسب: يأس.

(٢) التمهيد ٢٤ : ٧٣، الفائق في غريب الحديث ١ : ٨٢، باختلاف، وفيهما: (بريدة) بدل (بردة).

(٣) الصحاح ٢ : ٤٤٦، مادة (برد).

وقد يكون عيال الرجل وأهله.

والعيبة التي يخزن المرء فيها حرّ متاعه ومصون ثيابه، فضرب بها المثل إعلاماً بأنّهم موضع أمانته التي يأتمنه على أمره.

ومعنى: ***يد الله على الجماعة***، حثّ أن تكون مع أهل الحقّ وجماعتهم[١]، فإنّ رحمه الله على الجماعة الذين هم أئمة المؤمنين، فقربهم رحمة، وبعدهم عقوبة. واليد: النعمة والقوّة والتفضّل والرحمة.

ومعنى الخبر الأخير: أنّ استعمال الصمت من الحكمة، وقلّما يستعملونه. والحُكم: الحكمة، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**﴾[٢].

وروي أنّ لقمان الحكيم رأى داود النبي عليه السلام يسرد حلق الدرع بعضها في بعض بيده ـ فإنّه تعالى ألان له الحديد ـ ولم يسأله: ما هذا؟ ولم يكن قبل ذلك درع، وإنّما يتّخذون في الحرب شبه تنّور من الحديد، فلمّا أتمّ سردها تلبّس، وقال: **نِعْم**

**الضوء في شرح الشهاب**

وإنّما جعل عليه السلام الصوم في الشتاء غنيمة باردة؛ لأنّه لا يتأذّى بالصوم ويتلهّب أحشاؤه عطشاً، وتحصل له غنيمة، كالمجاهد إذا وجد غنيمة من مقاساة الحرب واصطلائه بنارها.

### ١٥٥ـ السِّوَاكُ يَزِيْدُ الرَّجُلَ فَصَاحَةً.

السواك: الخشبة التي يستاك بها. أراد استعمال السواك على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه.

وقيل: هو مصدر ساك الرجل يسوك سوكاً وسواكاً ويجوز أن يكون اسماً

(١) في النسخة: وجماعة.

(٢) سورة مريم ١٩: ١٢.

***اللباس ليوم النزال***. فتكلّم لقمان بقريب من هذا الحديث[١].

**١٧٧ـ الرِّزقُ أَشَدُّ طَلَباً لِلعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ**[٢].

**١٧٨ـ الرِّفْقُ فِي المَعِيشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التِّجَارَةِ**[٣].

**١٧٩ـ التَّاجِرُ الجَبَانُ مَحْرُومٌ، والتَّاجِرُ الجَسُورُ مَرْزُوقٌ**[٤].

**١٨٠ـ حُسْنُ المَلَكَةِ نَمَاءٌ، وسُوءُ المَلَكَةِ شُؤْمٌ**[٥].

**١٨١ـ فُضُوحُ الدُّنيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ**[٦].

حث عليه السلام بالخبر الأول على تخلية القلب من همّ الرزق؛ لئلّا يشتغل الخلق بالمقدور، يقول: كلّ ما جعله الله رزقاً للعبد يصل إليه قبل موته، ولا يأتيه أجله

---

للاستياك، الخبر عليه السلام بأجر الله[٧] العادة، بأن يزيد فصاحة الرجل باستعمال السواك وإن كان فصيحاً.

ونصب «فصاحة» يحتمل وجهين:

**أحدهما:** التمييز[٨].

---

(١) تفسير السمعاني ٤: ٢٣٥، المستدرك على الصحيحين ٢: ٤٢٢.
(٢) كنز العمال ١: ١٠٩، مجمع الزوائد ٤: ٧٢، وفيه: الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله، ومثله في صحيح ابن حبّان ٨: ٣٢.
(٣) المعجم الأوسط ٨: ٣١٨، الكامل لابن عدي ٢: ٢٣٤، تاريخ مدينة دمشق ٣٢: ١٨٥، كنز العمال ٣: ٥١ / ٥٤٤٥.
(٤) كنز العمال ٤: ٢٠ / ٩٢٩٣، الجامع الصغير ١: ٥٢١ / ٣٣٩٥.
(٥) مسند أبي يعلى ٣: ١١٤ / ١٤٣٣، سنن أبي داود ٢: ٥١٠ / ٥١٦٢، ٥١٦٣، وفيه: سوء الخلق. ومثله في مجمع الزوائد ٣: ١١٠.
(٦) تاريخ مدينة دمشق ٤٨: ٣٢٣، كنز العمال ٣: ١٩٤ / ٦١٢٥.
(٧) كذا في النسخة، والعبارة ليست واضحة المعنى. ولعلّها: أخبر عليه السلام بأجر الله لهذه العادة.
(٨) في النسخة: الثمين، وهو تصحيف ما أثبتناه.

حتّىٰ يأتيه جمع أرزاقه، ونسبُ الطلب إلى الرزق مجاز. ثمّ دعا إلى الاقتصاد والقناعة، يقول: الدوام على طريق الاقتصاد في المعيشة لا سرفاً ولا تقصيراً خير من بعض التصرف في المال من بيع وشراء طلباً للربح، وإنّما لم يقل خير من التجارة؛ لما روي عنه ﷺ ***أبواب الرزق عشرة، تسعة منها في التجارة، وواحد في سائر الحرف***[1]. وفي هذا الحديث بيان أنّه ﷺ كان أشفق على أُمته من الوالد إلى الولد؛ لأنّ هذا تدبير الآباء للأبناء.

ومعنى الخبر الثالث على وجهين:

**أحدهما:** محمول على الآخرة إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**﴾[2] أي التاجر الجسور يختار ثواب الآخرة وإن كان نسيئة، ويبذل نقد أمواله في سبيل الله، وكذلك نفسه من قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ**﴾[3] الآية.

**الضوء في شرح الشهاب**

**والثاني:** المفعول الثاني للزيادة عند من قال: إنّه يتعدى إلى مفعولين. وكذلك قوله: ﴿**زِدْنَاهُمْ هُدًى**﴾[4].

## ١٥٦ـ جَمَالُ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ.

لأنّ الرجل إنّما يتبين من غيره بفصاحة لسانه وبيانه في كلامه خصوصاً في العرب، فإنّهم يتفاخرون بإنشاء الخطب والشعر والكلام البليغ، يقولون: فلان شاعر مفلق، وخطيب مسقع، وقالوا: هو أفصح من قسّ بن ساعدة[5]، وفي خلافه:

---

(١) الكافي ٥: ٣١٩ / ٥٩، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٩٣ / ٣٧٢٢.
(٢) سورة التوبة ٩: ١١١.
(٣) سورة البقرة ٢: ٢٦١.
(٤) سورة الكهف ١٨: ١٣.
(٥) مثل يضرب به للفصاحة. اُنظر: شرح نهج البلاغة ١٨: ١٠٥.

**والوجه الثاني**: أنّ التاجر الجبان الذي يحتكر ويظن الفضل في إمساكه فهو محروم من سعة الرزق والبركة، والتاجر الجسور الذي يبيع ويشتري ويرى الفضل من الله في ذلك يصير بذلك مرزوقاً، فالوجدان والحرمان كلاهما من الله.

والمراد بالخبر الرابع: أنّ من كان له عبيد وإماء وخدم وحشم فيحسن الصنيع والسيرة والسياسة إليهم موسّعاً في طعامهم وشرابهم، وإن كان له دوابّ وأنعام يكون محسناً في سقيها وعلفها، يكون ذلك في أبدانهم وأبدانها كالسقي للزرع، فيزداد جميع ذلك في ماله وحاله، وإذا كان سيء السيرة فيهم يؤثّر ذلك أيضاً في أنفسهم، وينقص من ماله ويقبّح هذا الفعل أيضاً صورته عند الله وعند الناس.

وإن رجلاً قال للنبي عليه السلام عبدي يُسيء فكم أعفو عنه؟ فقال: ***تعفو عن كلّ يوم سبعين مرّة***[١].

---

أعيىٰ من باقل[٢]. والفصاحة: البيان.

**١٥٧ـ الإِمَامُ ضَامِنٌ، وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ.**

الإمام: الذي يؤم الناس ويقدمهم في الصلاة، فِعَال بمعنى مفعول؛ لأنّه يؤتم به كالكتاب في الحساب.

يعني: أنّ الرجل إذا كان إماماً لقوم فهو ضامن لصلاتهم؛ لأنّ صلاتهم به تتم، وقراءته[٣] لهم، لقوله عليه السلام: ***من صلّى خلف إمام موافق له فقراءة الإمام له قراءة***[٤]. فإن أخل بشيء من أركان الصلاة وأفعالها ومقدّماتها كان ضامناً له، ووزره ووباله

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ١٠: ١٣٤ / ٥٧٦٠، مجمع الزوائد ٤: ٢٣٨.

(٢) إكمال الكمال ٧: ٣٢٧.

(٣) في النسخة: وقراءة.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ٢٧٧ / ٨٥٠، السنن الكبرىٰ ٢: ١٥٩، مستدرك الوسائل ٦: ٤٨٠ / ١٠، عن تفسير الشيخ أبي الفتوح الرازي.

وكان عامّة وصيّته ﷺ عند الموت: ***الصلاة وما ملكت أيمانكم***[١]. وقال ﷺ: ***لا يدخل الجنّة سيء الملكة***[٢].

وقال ابن الأعرابي: يقال: فلان حسن الملكة. إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه[٣].

وسبب الخبر الأخير معروف، وهو أنه ﷺ لمّا كان في المرض الذي توفّي فيه صعد المنبر، وقال: ***إن كان لأحد قبلي مظلمة فاطلبوه منّي؛ فإن فُضُوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة***. فقام عكّاشة بن محصن، فقال: يا رسول الله، ضربت بقضيبك يوماً ما بين كتفيّ، فكشف ﷺ رداءه عن ذلك الموضع ليقتصّ عكّاشة، فانكبّ على خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه وقبّله ومسح وجهه فيه.

**الضوء في شرح الشهاب**

عليه.

والمؤذّن الذي يؤذّن بالصّلاة أي يعلم، وكذلك المؤذن ـ بالتخفيف ـ هذا من جهة اللغة.

فأمّا في عرف الشرع فهو: الذي يؤذّن وينادي بهذه الأقوال[٤] المعلومة من التكبيرات والشهادتين والدعاء إلى الصلاة والفلاح، فهو مؤتمن على ما يقول لا عهدة عليه ولا ضمان.

**١٥٨ـ المُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقاً يَوْمَ القِيَامَةِ.**

قال ﷺ هذا على سبيل الإشارة لهم، وإنّهم مميّزون يوم القيامة من سائر

---

(١) المجازات النبوية: ٣١٦، شرح الأخبار ٢ : ٢٨٣، مسند أحمد ١ : ٧٨، المستدرك على الصحيحين ٣ : ٥٧.

(٢) مسند أحمد ١ : ٧، سنن ابن ماجة ٢ : ١٢١٧ / ٣٦٩١، كنز العمال ٩ : ٨٢ / ٢٥٠٦٦.

(٣) الصحاح ٤ : ١٦١١، مادة (ملك)، لسان العرب ١٠ : ٤٩٤، مادة (ملك).

(٤) في النسخة: القول، وما أثبتناه أنسب لسياق الكلام.

وقام آخر وقال: كذا وكذا يا رسول الله، وأراد أن يكون له أيضاً مثل ذلك، فقال عليه السلام: **سبقك بها عكّاشة**[١].

**والمعنى:** أنّ شدائد الدنيا أهون وأسهل من شدائد الآخرة؛ فإنّ هذه تفنى وتلك تبقى، وفضوح العاجلة مع الخَلق، وفضوح العاجلة مع الحقّ، فشتان بين الحالتين.

**١٨٢ـ القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ**[٢].

**١٨٣ـ الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولىٰ**[٣].

**١٨٤ـ دَفْنُ البَنَاتِ مِنْ المُكْرَمَاتِ**[٤].

**١٨٥ـ مُعْتَرَكُ المَنَايَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلىٰ السَّبْعِيْنَ**[٥].

**١٨٦ـ أَعمَارُ أُمّتي مَا بَيْنَ السِّتِّيْنَ إلى السَّبْعِيْنَ**[٦].

**١٨٧ـ المَكْرُ والخَدِيْعَةُ فِيْ النَّارِ**[٧].

---

الناس، وطول الأعناق يمكن أن يكون على حقيقة، وأن يكون كناية عن الاشتهار. وانتصاب «أعناقاً» على التمييز.

(١) أُنظر: مجمع الزوائد ٩: ٢٦، الأحاديث الطوال للطبراني: ١٠٧.

(٢) سنن الترمذي ٣: ٣٧٩ / ٢٤١٠، مصباح الشريعة: ١٧٢.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٨٤، صحيح مسلم ٣: ٤٠، سنن ابن ماجة ١: ٥٠٩ / ١٥٩٦.

(٤) المعجم الأوسط ٢: ٣٧٢، المعجم الكبير ١١: ٢٩٠، تاريخ مدينة دمشق ٨: ٣ / ١.

(٥) تاريخ بغداد ٣: ٩٦ / ١١٠١، كنز العمال ١٥: ٦٧٧ / ٤٢٦٩٦، معاني الأخبار: ٤٠٢ / ٦٦ باختلاف.

(٦) سنن ابن ماجة ٢: ١٤١٥ / ٤٢٣٦، سنن الترمذي ٥: ٢١٣ / ٣٦٢٠، المستدرك علىٰ الصحيحين ٢: ٤٢٧، إرشاد القلوب ١: ٤٠.

(٧) مسند ابن راهويه ١: ٣٧٠ / ٣٨١، المصنّف لعبد الرزاق ٩: ٢٣٤ / ١٧٠٥٤، أمالي الصدوق: ٣٤٤ / ٥، وورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في الكافي ٢: ٣٣٦ / ١.

بيان الخبر الأول في تمامه، وهو: ***فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدّ منه***. وفيه دليل على أن عذاب القبر حقّ.

وقال عليه السلام: ***القبر روضة من رياض الجنّة أو حفرة من حفر النار***[١]. فأهل القبور بعضهم في غبطة وبعضهم في شدّة.

وقال أبو عبيد في معنى الخبر الثاني: إنّ كلّ ذي مرزئة ومصيبة فإنّ قصاراه وعاقبته الصبر، ولكنّه إنّما يحمده على أن يكون عند حدّة المصيبة وحرارتها.

بيّن عليه السلام أنّ الصبرالمحمود المأجور عليه صاحبه هو ما كان عنده مفاجأة المصيبة وهي عند الصدمة الأولى دون ما بعدها؛ فإنّه إذا طالت الأيام عليها تقع السلو

**الضوء في شرح الشهاب**

قال بعض أهل المعاني: هذه كناية عن التقرب إلى الله[٢].

وقال بعضهم: المعنى أنّهم أكثر الناس أعمالاً، يقال: لفلان عنق من الخير أي قطعة[٣] منه.

وقال بعضهم: طول الأعناق كناية عن أثر أنيابهم[٤]، ومدّهم أعناقهم إلى دخول الجنّة[٥].

وقيل: هم رؤوساً يوم القيامة. والعرب تصف الرئيس بطول العنق وطول القيامة، ألا ترى إلى قول الشاعر:

*فجاءت به سبط العظام كأنّما ... عمامته بين الرجال لواءُ*[٦]

وروى بعضهم: إعناقاً ـ بكسر الهمزة ـ أي إشراعاً، من العنق، وهو السير السريع[٧]. وليس بشيء؛ لأنّ السير لا يوصف بالطول وإذا وصف بالطول كان

---

(١) الكافي ٣: ٢٤٢ / ٢، الخصال: ١٢٠ / ١٠٨، سنن الترمذي ٤: ٥٥ / ٢٥٧٨.
(٢) و (٣) لسان العرب ١٠: ٢٧٣، مادة (عنق)، النهاية في غريب الحديث ٣: ٣١٠.
(٤) كذا في النسخة، وهي غير واضحة المعنىٰ.
(٥) ـ (٧) لسان العرب ١٠: ٢٧٣، مادة (عنق)، النهاية في غريب الحديث ٣: ٣١٠.

ويصير الصبر حينئذٍ طبعاً، فلم يكن للآخرة موضع.

وقيل في سببه: أنّه عليه السلام مرّ بقبر تبكي عليه امرأة بكاء شديداً، فعزّاها عليه السلام فلم تلتفت إليه، فقيل لها: أو تدرين من هذا؟ فقالت: لا. فقيل: هو رسول الله، فجاءت خلفه، فقالت: كيف يكون أجري، وكيف يكون حالي؟ فقال عليه السلام: ***الصبر عند الصدمة الأُولى***(١).

وقيل: معناه: أمر بالصبر في أول حملة العدو في الحرب؛ فإنّه هو النافع.

ووصّى بعض ملوك العرب قومه في محاربة العجم، فقال: احتملوا رِشقاً واحداً، وخالطوهم بالسيف(٢).

والعموم يتناول الوجهين.

والصدم: ضرب الشيء بمثله. والصدمة: الحملة، وصدمه صدماً: ضربه

---

عذاباً.

وقال عليه السلام: ***من أذّن لخمس صلوات إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر***(٣).

وقال عليه السلام: ***من أذّن سنة من نيّة صادقة حبس يوم القيامة على باب الجنّة وقيل له: إشفع لمن شئت***(٤).

وقال عليه السلام: ***من أذّن سبع سنين كتب له براءة من النار***(٥).

وقال عليه السلام: ***المؤذّن المحتسب كالشهيد المتشحّط بالدم ما دام في أذانه،***

---

(١) مسند أحمد ٣: ٢١٧، صحيح مسلم ٣: ٤٠، المجازات النبوية: ٣٥٨.
(٢) لم نعثر عليه في المصادر.
(٣) أُنظر: من لا يحضره الفقيه ١: ٢٩٤ / ٩٠٥، روضة الواعظين: ٣١٤.
(٤) الجامع الصغير ٢: ٥٦٢ / ٨٣٧٩، كنز العمّال ٧: ٦٨٩ / ٢٠٩٣٦.
(٥) سنن الترمذي ١: ١٣٣ / ٢٠٦، المعجم الكبير ١١: ٦٥.

بجسده.

وأما قوله: ***دفن البنات من المكرمات***. فإنّما قاله كذلك؛ لأنّ النساء عورات، وأمر العورة أشدّ، وحالها أخوف وأهول من الذكور، فلذلك جعل دفنهنّ مكرمة لهنّ؛ لما فيه من الفراغ المتعلق بهنّ.

وروي أنّه خرج هذا الكلام عنه عليه السلام في ابنته رقية، وقد كان كفي أمرها وسترها وترويحها.

وقريب منه قوله عليه السلام: ***نِعْمَ خَتن الرجل القبر***. وفي رواية: ***نِعْمَ الختن القبر***[١].

وكان ابن عبّاس في سفر فنعيت إليه بنت فاسترجع، ثمّ قال: عورة سُترت، ومؤونة كُفيت وأجر سبق إلينا، ثمّ نزل فصلّى ركعتين، وقال: فعلنا أمر الله في قوله: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾[٢].[٣]

وقال الحسن: ***البنون نِعَم، والبنات حسنات، فالنعم مسؤول عنها،***

**الضوء في شرح الشهاب**

***يشهد له كلّ رطب ويابس، فإذا مات لم يدوّد في قبره***[٤].

وعن[٥] رسول الله صلى الله عليه وآله: ***إذا كان عند الأذان فتحت أبواب السماوات واستجيب الدعاء***[٦].

---

(١) كشف الخفاء ٢: ٣٢٢، وفيه: الأختان، وتضمن هذا المعنىٰ بيت من الشعر أنشده ابن الأعرابي، وهو:

يخاف عليها جفوة الناس بعده ... ولا ختن يرجىٰ أودّ من القبرِ

لسان العرب ٣: ٤٥٥ مادة (وأد).

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٥.

(٣) أُنظر: فيض القدير: ٧١٢، كشف الخفاء ٢: ٧٤.

(٤) مجمع الزوائد ٢: ٣، المعجم الكبير ١٢: ٣٢٢.

(٥) في النسخة زيادة: قال قال.

(٦) المصنّف لابن أبي شيبة ٧: ٣٥ / ٧، كنز العمّال ٢: ١٠٨ / ٣٣٧٢.

***والحسنات مثاب عليها***[١]. قال تعالى: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ**﴾[٢] هنّ البنات[٣]. فعلىٰ هذا معنى الخبر: أي دفن البنات زيادة في الحسنات والمكرمات للمحتسبين بهنّ.

وقيل: أراد بذلك ما وعد الله أصحاب المصائب من الكرامة والرحمة.

والخبران بعده فإنّما ذكر فيهما مقدار الأعمار على الأغلب والعموم، وإلّا فالإنسان يموت طفلاً صغيراً ويافعاً وكهلاً وشيخاً كبيراً، فأغلب حاله لا يجاوز هذه الغاية، ونبه عليه السلام على ذلك لئلّا يغفل المرء عن حاله إذا بلغ هذا القدر.

ومعنى الخبر الأخير: أنّ المكّار الذي يحتال ليسلب من غيره المال. والخُدَعَةُ الذي يختل الناس ويريد بهم المكروه من حيث لا يعلمون كلاهما في النار، وإنّما قال: إنّ عملهما في النار تفخيماً لذلك.

---

وقال عليه السلام: ***اللّهمّ اغفر للمؤذّنين*** ـ يكرّرها ثلاث مرّات ـ[٤].

## ١٥٩ـ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.

الشفاعة مصدر شفع الرجل فلاناً، إذا كان شفعاً له أي ثانياً، والشفع خلاف الوتر، ومنه قوله عليه السلام: ***الشفيع***[٥] ***جناح الطالب***[٦]. ويقال: شفيع فلان إلى فلان في فلان، فالشفيع والشافع الذي يشفع، والمشفوع فيه: الجاني، والمشفوع إليه: صاحب الحقّ على الجاني، والرتبة ثابتة بين الشافع والمشفوع إليه دون المشفوع

---

(١) معارج الوصول إلىٰ معرفة فضل آل الرسول: ١٣٦.
(٢) سورة الكهف ١٨: ٤٦.
(٣) مجمع البيان ٦: ٣٥٢، تفسير القرطبي ١٠: ٤١٥، وفيهما: البنات الصالحات.
(٤) مجمع الزوائد ٢: ٢، صحيح ابن خزيمة ٣: ١٦ / ١٥٣١.
(٥) في النسخة: الشفيق.
(٦) نهج البلاغة: ٤٧٩ / ٦٣.

وقيل: أراد بالمصدر من اسمي فاعليهما أو ذو المكر وذو الخديعة في النار، فحذف المضاف، أي من عمل مثل عملهما يستوجب دخولها إلّا أن يتوب.

والمكر: الاحتيال. والخديعة: الخَتْل وإدخال المكروه على الغير.

وذكر عليه السلام هذه الكلمة تخويفاً وزجراً لمن فعل ذلك أن يتوب، ولمن همّ به أن لا يشتغل بهذا الفعل السوء.

**١٨٨ـ اليَمِيْنُ الفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلَاقِعَ**(١).

**١٨٩ـ اليَمِيْنُ الكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلْسِّلْعَةِ مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ**(٢).

**١٩٠ـ اليَمِيْنُ عَلَىٰ نِيَّةِ المُسْتَحْلِفِ**(٣).

**١٩١ـ الحَلْفُ حِنْثٌ أو نَدَمٌ**(٤).

يقول: لا تلهجوا بالحلف بالله تعالى كاذبين؛ فإنّها تخرّب الديار، واليمين الفاجرة هي المائلة عن الحقّ الكاذبة. وفجر فجوراً، أي فسق، وسمّت قريش حرباً

**الضوء في شرح الشهاب**

فيه، لئلّا يلزم أنّ أحدنا إذا سأل الله للنبي الرفعة والوسيلة أن يكون شافعاً له، كما أنّ الرّتبة معتبرة في الآمر بين الأمر والمأمور دون المأمور فيه، والدّاعي والمدعو دون المدعو في حقّه؛ ولهذا لا يصحّ أن يكون الرجل شفيعاً إلى نفسه، كما لا يصحّ أن يكون آمراً نفسه، فأمّا قول بعض الشعراء:

*ونـبّئت ليـلى أرسـلت بشـفاعة ... إليَّ فـهلّا نـفس ليـلى شـفيعها*(٥)

---

(١) السنن الكبرىٰ ١٠ : ٣٥، مسند الشاميين ٣ : ٣٩٨، الكافي ٧ : ٢/٤٣٥، أمالي الصدوق: ١/٥١١، الخصال: ١٢٤ / ١١٩.

(٢) مسند أحمد ٢ : ٢٣٥، صحيح مسلم ٥ : ٥٦، سنن أبي داود ٢ : ١١٠.

(٣) صحيح مسلم ٥ : ٨٧، سنن ابن ماجة ١ : ٦٨٥، السنن الكبرىٰ ١٠ : ٦٥.

(٤) سنن ابن ماجة ١ : ٦٨٠ / ٢١٠٣، المستدرك علىٰ الصحيحين ٤ : ٣٠٣، مسند أبي يعلىٰ ٩ : ٤٣٧ / ٥٥٨٧.

(٥) الأغاني ١١ : ٢٢٦.

لهم في الأشهر الحرم «فِجاراً»؛ إيذاناً أنّهم فسقوا بسببها، فكذا اليمين الغَمُوس يفسق صاحبها.

والبلقع: الأرض القفر التي لا شيء بها، يقال: منزل بلقع، ودار بلقع بغيرها، إذا كان نعتاً، فإذا كان اسماً قلت: انتهينا إلى بلقعة ملساء، يعني: الحالف فجوراً يفتقر لامحالة ويذهب ما في بيته من المال.

وقيل: هو أن يفرّق[1] الله بسبب ذلك شمله، ويغيّر عليه ما أولاه من نعمة. والبلاقع: الخالية من كلّ شيء ومن كلّ خير، وروي: ***اليمين الغموس تدع الديار بلاقع***[2]. والغموس: يمين لا يوصل بالاستثناء.

ونبّه عليه السلام بالخبر الآخر أنّ البائع إذا حلف كاذباً على قيمة متاع أو على جودة سلعة[3] وكانت على خلاف ذلك، فإنّه وإن سُرَّ عاجلاً بسبب نفاق ماله وربحه في

---

فهو على ضرب من التوسّع والمجاز.

والخبر صريح بأنّ الشفاعة إنّما تكون في أسقاط العقاب والمضار، بخلاف ما ذهب إليه أصحاب الوعيد، وإذا استعملت في زيادة المنافع كان مجازاً.

ولو قيل: إنّها حقيقة فيهما لم يضرّنا إلّا أنّ العرف حقّقها بإسقاط المضار.

والكبائر جمع كبيرة، وقد كثّر العلماء في ذكر الكبيرة وعددها، وروى: أنّ رجلاً من أصحاب رسول الله سأل النبي عليه السلام عن الكبائر، فقال: **هنّ [تسع]**[4] ***أعظمهنّ الشرك بالله، وقتل نفس مؤمنة بغير نفس، والفرار من الزحف، والسحر، وأكل مال اليتيم، وأكل الرّبا، وقذف المحصنات، وعقوق الوالدين، واستحلال***

---

(١) في النسخة: يفتقر، وما أثبتناه أنسب للسياق.

(٢) الفائق في غريب الحديث ٢: ٤٤٥، كنز العمال ١٦: ٦٩٧ / ٤٦٣٨٣، تفسير الرازي ١٦: ٧٢.

(٣) في النسخة: سلفة، والظاهر أنّها تصحيف ما أثبتناه.

(٤) في النسخة: سبع، وما أثبتناه من المصادر، ولأنّها في الرواية يعدّها تسعاً.

التجارة؛ فإنّه يندم على ذلك، وربّما يلحقُه الغرم فيكون تمحيقاً للكسب. ووصف اليمين هنا بالكذب وفي الخبر الأول بالفاجرة إعلام بأنّ هذا دون ذاك، وإن كان بيمينه ظالماً لغيره يريد اقتطاع ماله أو منعه فاحتال عليه، وألغز في يمينه وحرّفها عند نفسه، وتأوّل، فإن ذلك غير نافع له ولا مخرج له من الحنث، واليمين على نيّة المستحلِف، ولا ينفعه الكفّارة حتّىٰ يتوب إلى الله من جُرأته وإقدامه على الحلف كاذباً، والخروج إلى ذي الحقّ من حقّه.

فأمّا اذا كان مظلوماً أو قصد الحالف بيمينه حقناً لدم مسلم ويورّي فلا بأس[١].

ومعنى الخبر الأخير نهي أن يجعل الإنسان عادته أن يحلف في كلّ صغير وكبير ولا يبالي بكونه صادقاً أو كاذباً، فإنّ الحالف كذباً على الماضي يتأثّم ويتحرّج ويذلّ في أعين الناس، وآخر هذا الندم، وإن حلف على المستقبل بأن

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***البيت الحرام، فهو قبلتكم أحياء وأمواتاً***. ثمّ قال: **لا يموت رجل لم يعمل من هذه الكبائر شيئاً إلّا رافق محمداً في بحبوحة دار مصاريع أبوابها من ذهب**[٢].

والصحيح أنّ المعاصي كلّها كبائر من حيث إنّها كلّها قبائح ومعاصي الله، وإنّها تكون كبيرة بالإضافة إلى ما دونها، وتكون صغيرة بالإضافة على ما فوقها، فالمعصية الواحدة تكون صغيرة وكبيرة بالإضافة على ما بيّنا.

وعند المعتزلة: الكبيرة: ما لا يسقط عقابها إلّا بالتوبة، والصغيرة ما يكفّر ويحبط عقابها لاجتناب الكبائر[٣]. وإذا بطل الإحباط بطلت هذه الطريقة.

(١) في النسخة: ولا باس، وما أثبتناه هو الأنسب.
(٢) مجمع الزوائد ١ : ٤٨، المعجم الكبير ١٧ : ٤٨، تهذيب الكمال ١٦ : ٤٣٨.
(٣) الكشاف ٤ : ٣٢، تفسير البحر المحيط ٨: ١٦٢.

يفعل طاعة أو مباحاً ثمّ لا يفعله اختياراً فيحنث ويلزمه الكفّارة فضلاً عن إثمه، ومن حلف صادقاً فهو معظِّم لله ولا شيء عليه.

على أنّ الأولى أن لا يحلف الإنسان وإن كان صادقاً بين الناس، فربّما اُتّهم بكونه كاذباً.

يعني: إن كانت صادقة ندم، وإن كانت كاذبة حنث، فهي من الوجهين مكروهة.

**١٩٢ـ السَّلَامُ تَحِيَّةٌ لِمِلَّتِنَا، وأَمَانٌ لِذِمَّتِنَا**[١].

**١٩٣ـ عِلْمٌ لَا يَنْفَعُ كَكَنْزٍ لَا يُنْفَقُ مِنْهُ**[٢].

**١٩٤ـ الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ**[٣].

**١٩٥ـ الصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ**[٤].

**١٩٦ـ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ**[٥].

---

وهذا الحديث دليل على أنّ النبي عليه السلام يشفع لأهل الكبائر، ويشفّع فيهم، ويغفر لهم بشفاعته، وإلّا لم تكن للخبر فائدة من حيث إنّ زائدة زيادة المنافع ورفعة الدّرجات لا تتصوّر لأصحاب الكبائر، لأنّهم يستحقون عقاب الأبد على مذهبهم.

فإن قالوا: نحمل الخبر على التائبين.

---

(١) كنز العمال ٩: ١١٤ / ٢٥٢٤٢، معارج اليقين في أصول الدين: ٢٣١ / ١٦، وفي مستدرك الوسائل ٨: ٣٦٠ / ١٠ عن تفسير الشيخ أبي الفتوح.

(٢) سنن الدارمي ١: ١٣٨، تاريخ مدينة دمشق ٢٧: ٦٨، إرشاد القلوب ١: ١٥.

(٣) الكافي ٢: ٩٤ / ١، المحاسن ٢: ٤٣٥، مسند أحمد ٢: ٢٨٣، سنن الدارمي ٢: ٩٥.

(٤) كنز العمال ٧: ٢٨٨، الخصال: ٦٢٠، وفي الكافي ٣: ٢٦٥ / ٦ عن الإمام الرضا عليه السلام.

(٥) مسند أحمد ٣: ٣٨٩، سنن ابن ماجة ١: ٣٤٢ / ١٠٧٨، سنن أبي داود ٢: ٤٠٨ / ٤٦٧٨.

**١٩٧ـ مَوْضِعُ الصَّلَاةِ مِنَ الدِّينِ كَمَوضِعِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ**[١].

**١٩٨ـ صَلَاةُ القَاعِدِ عَلَىٰ النِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ القَائِمِ**[٢].

حثّ أولاً بأن يسلّم المؤمنون عند الملاقاة بعضهم على بعض؛ فإنّ السلام تحية الإسلام، وأمان وعهد لأهل الذمام، واسم السلام تحيّة، وهي كلمة مخصوصة يحيّى بها، ومعنى التحية البقاء والملك، والسلام: السلامة. والملة: أهل الدين. والأمان: الأمانة من العذاب. والذمة: ما يتذمّم به. أي لفظ «السلام عليكم» في هذه الأُمة تحية لأهل شريعتنا، وأمن لمن كانت عليه حرمة الإسلام.

ومعنى الخبر الثاني: أنّ العلم الذي لا يُعمَل به ولا يعلّم الناس وبال وحجّة على عالمه، كالكنز الذي لا يؤدّى زكاته؛ فإنّ ذلك وبال على صاحبه.

يريد: إذا علمتم فاعملوا وعلّموا الناس.

ثمّ سلىٰ من لا يتيسّر له الصوم ويريد أن يكون [له] ثواب ذلك فليتقرّبوا إلى الله بكثرة الصلاة؛ فإنّهم ينالون بالخشوع والخضوع بين يدي الله في صلاتهم مثل

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

قلنا: هذا حمل الخبر على الذهب والمذهب، يحمل على الآيات والأخبار، ثمّ إنّ التائب لا يسمّى صاحب كبيرة؛ لأنّ هذا الاسم قد زال عنه بالتوبة.

**١٦٠ـ الأَنْصَارُ كَرْشِي وَعَيْبَتِي.**

الأنصار: أهل المدينة الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه. والكرش في أحشاء البطن معروف. والعيبة: الحقيبة يضع الرجل فيها ثيابه، قال:

.......................... *ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ*[٣]

---

(١) مجمع الزوائد ١: ٢٩٢، المعجم الأوسط ٢: ٣٨٣، كنز العمال ٧: ٣٠٠ / ١٨٩٧٢.

(٢) مسند أحمد ٢: ١٩٣، سنن الدارمي ١: ٣٢١، سنن ابن ماجة ١: ٣٨٨ / ١٢٢٩.

(٣) عيون الأخبار ١: ٤١٦، والبيت لنصيب بن رباح، وتمامه:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله      ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

ما ينال الأغنياء من الثواب بقرباتهم، والمتّقون يتقرّبون إلى الله بالصلاة.

ثمّ نهى عن ترك الصلاة؛ فإنّها عَلَمٌ للإيمان، وتركها علامة للكفر، وكما لا بقاء للجسد دون الرأس فكذلك لا ثبات للباس الدين دون الصلاة.

وجاء الخبر الأخير في نوافل الصلاة دون الفرض؛ لأنّ الفرض منها لا يجوز ولا يجزئ مع القدرة على القيام، ولو صلّى صلاة فريضة هكذا لم يحز ثواباً، فأما التطوع منها فإنّ الإنسان إذا صلّى قاعداً مع الاختيار فيكون ثواب كلّ ركعتين ركعة واحدة، أي ثواب صلاة القاعد.

**١٩٩ـ الزَّكَاةُ قَنْطَرَةُ الإِسْلَامِ[١].**

**٢٠٠ـ وطِيْبُ الرِّجَالِ ما ظَهَرَ رِيْحُهُ وَخَفِيَ لَوْنُهُ، وَطِيْبُ النِّسَاءِ مَا ظَهَرَ لَوْنُهُ وَخَفِيَ رِيْحُهُ[٢].**

**٢٠١ـ التُّرَابُ رَبِيعُ الصِّبْيَانِ[٣].**

---

قال أبو عبيد: يقال جاءني كرش من الناس، أي جماعة[٤].

أراد عليه السلام أنّهم جماعتي وأصحابي الذين أثق بهم واعتمد عليهم.

وقال أبن الأنباري: معناه: أنّهم دخلتي[٥] وبطانتي وأصحاب سري[٦].

وقال ابن دريد: الكرش وعاء الطيب[٧]. وقال بعضهم: إنّهم مددي الذي أستمد بهم؛ لأنّ الخفّ والظلف تستمد الجرّة من كرشها[٨].

---

(١) أمالي الطوسي: ٥٢٢ / ٦٤، مجمع الزوائد ٣: ٦٢، المعجم الأوسط ٨: ٣٨٠.

(٢) دعائم الإسلام ٢: ١٦٦، سنن أبي داود ١: ٤٨٣، سنن الترمذي ٤: ١٩٥ / ١٩٣٨.

(٣) مجمع الزوائد ٨: ١٥٩، المعجم الكبير ٦: ١٤٠، كنز العمال ١٦: ٤٥٩ / ٤٥٤٢٤.

(٤) غريب الحديث لابن سلام ١: ١٣٨. النهاية في غريب الحديث ٤: ١٦٤.

(٥) كذا في النسخة. ولعلّها تصحيف: صحابتي.

(٦) لسان العرب ٦: ٣٤٠، مادة (كرش)، النهاية في غريب الحديث ٤: ١٦٣.

(٧) و (٨) لسان العرب ٦: ٣٤٠، مادة (كرش).

**٢٠٢ـ الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**(١).

**٢٠٣ـ الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالكَذِبُ رِيْبَةٌ**(٢).

إنّما جعل عليه‌السلام الزكاة قنطرة الإسلام لأمرين:

**أحدهما:** أنّه أراد كما لا يمكن عبور الأنهار إلّا بالقنطرة، فكذلك لا يمكن العبد أن يجوز على الصراط إلّا بأداء الزكاة إن كان واجباً عليه.

وقيل: ***إنّما سمّاها قنطرة لأنّه قال في حديث آخر: ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سور فيه أبواب مفتّحة، وعلى تلك الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول: ادخلوا الصراط ولا تعرّجوا***(٣).

فالصراط: الإسلام. والستور: حدود الله. والأبواب المفتحة: محارم الله. [و]الداعي: القرآن، فعلى هذا يكون الإسلام طريقاً فيه ما يكون في سائر الطرق، فتكون الزكاة بعض أسباب الإسلام.

**الضوء في شرح الشهاب**

وروى: أنّ النبي عليه‌السلام لمّا انصرف من غزوة حنين وقسّم الغنائم أجزل قسمة المؤلفة قلوبهم لاستمالتهم إلى الإسلام، وجعل للأنصار شيئاً يسيراً، فشقّ ذلك عليهم، وجرى في ذلك مقال منهم، فأمر بأن ينادى فيهم ليحضر جماعة الأنصار ولا يحضر معهم غيرهم، فلمّا حضروا جاء حتّىٰ جلس وسطهم، ثمّ قال لهم: ***ألستم كنتم ضالّين فهداكم الله بي***؟ قالوا: بلى، ولله المنّة ولرسوله، ثمّ قال: ***ألستم كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي***؟ قالوا: بلى؛ ولله المنّة ولرسوله، ثمّ قال: ***ألستم كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم بي***؟ قالوا: ولله المنّة ولرسوله، ثمّ سكت

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٨٠ / ٥٨١٨، مسند أحمد ٢: ٢٩٥، صحيح مسلم ٨: ٤١. وفي أمالي الصدوق: ٢٠٩ عن الإمام أبي جعفر عليه‌السلام.
(٢) مسند أبي داود الطيالسي: ١٦٣، نصب الراية ٣: ٤١.
(٣) مسند أحمد ٤: ١٨٢، المستدرك على الصحيحين ١: ٧٣، كنز العمال ١: ١٨٢ / ٩٢١.

ثمّ ذكر بيان كيفية استعمال الطيب للرجال والنساء وإن كان الطيب مباحاً لجميعهم، لكنّ للرجال ما ظهر ريحه كالمسك والغالية وماء الورد ونحوها، وللنساء ما بطن ريحه وظهر لونه كالحنّاء والخضاب؛ مخافة الافتتان إذا خرجن، فأمّا إذا كن داخلات في البيوت عند الأزواج فلا بأس لهن ظاهراً كان أو خفياً.

وأصل الخبر الثالث ما روي أنّ النبي ﷺ مرّ علىٰ جماعة من الصبيان يلعبون بالتراب فنهاهم واحد من أصحابه فقال ﷺ: ***أمسك؛ فإنّ التراب ربيع الصبيان***[1]. أي كما يفرح الرجال في الفصل الذي قد أدركت الثمار فيه وهو الربيع، وكذلك الصبيان إذا وجدوا التراب يفرحون للّعب به، فالربيع عند العرب اثنان:

**الأول**: هو الفصل الذي يأتي فيه النور.

**والثاني**: الذي تدرك فيه الثمرات، ولكليهما يقال ربيع الأزمنة، والخبر إشارة إليه.

وقيل: شبّه التراب لهم بالربيع لسلامتهم من الخطأ والعصيان.

---

هنيهة، ثمّ قال: ***أجيبوني***، فقالوا: أجبناك بما عندنا يا رسول الله، فقال: ***وأنتم لو أردتم لقلتم: ألست قد جئتنا طريداً فآويناك، وقليلاً فكثّرناك وخائفاً فآمنّاك، ومكذّباً فصدّقناك***؟ قال: فارتفعت أصواتهم بالبكاء، وقام ساداتهم وشيوخهم، وقالوا: رضينا بالله وعنه، وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك فأقسمها على قومك، وإنّما قال من قال منّا على غير وغر صدر وغلّ في قلب، ولكنّهم ظنّوا ذلك سخطاً عليهم وتقصيراً بهم، وقد استغفروا، فاستغفر لهم يا رسول الله، فقال ﷺ: ***اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار، يا معشر الأنصار، أما ترضون أن يرجع***

(١) مجمع الزوائد ٨: ١٥٩، المعجم الكبير ٦: ١٤٠، الكامل لابن عدي ٦: ٢٥٦، والصحابي الذي نهىٰ الصبيان هو عمر بن الخطاب.

وقد تُعسّف في تفسيره بأن قيل: هو إشارة إلى أنّ العاقل لا يغترّ بالدنيا ولا يفرح بالعقار ـ القصور والديار ـ فإن الفرح بالتراب من شأن الصبيان[١].

وتقدير الخبر الرابع: أصحاب الأرواح. فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وإنّما قلنا ذلك لأنّ التعارف والتناكر لا يصحّان على الأرواح؛ لأنّ الروح هو الريح. وروي: ***إنّ القلوب لأجناد مجنّدة***[٢].

والعرب تضيف الفعل إلى الجارحة فتقول: قلبي يحبّك، وعيني تبصرك، ورجلي تمشي إليك، والمراد بجميع ذلك خلاف ظاهرة؛ لأنّ المكلّف الفعّال هو هذه الجملة المشاهدة التي تتردد في مجاريها الروح، وجعل أجزاءها الحياة في حكم الشيء الواحد.

**والمعنى:** أنّ الشكل الحقيقي طالب للاتصال، فإذا وحّده امتزج به كالماءين إذا اختلطا صار واحداً، والإنسان إذا عاين ما يشاكله اتّصل روحه بروحه، يتصادقان ويسرّ كلّ واحد منهما بصاحبه، فيتفقان على شهوة واحدة ومراد واحد

الضوء في شرح الشهاب

***الناس بالشاء والنعم، وترجعون أنتم وفي سهمكم رسول الله***؟ قالوا: بلى، رضينا، فقال عليه السلام: ***الأنصار كرشي وعيبتي، لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لسلكت شعب الأنصار***[٣].

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.

(٢) الذي وجدناه أن هذا شطر من شعر الشهاب بن أسعد التنوخي كما في كشف الخفاء ١: ١١٢، حيث يقول:

إنّ القلوب لأجناد مجندة    قول الرسول فمن ذا فيه يختلف

وفي تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٤٣٤ جعله لأبي نواس حيث قال:

إنّ القلوب لأجناد مجندة    لله في الأرض بالأهواء تعترف

(٣) الإرشاد ١: ١٤٥، كشف الغمّة ١: ٢٢٤. وفي النسخة: (بالله وعينه) بدل (بالله وعنه). وما أثبتناه من المصادر، وهو المناسب لسياق الكلام.

وحال واحدة.

وقيل: هذا إشارة إلى معنى التشاكل في الخير والشرّ والصلاح والفساد؛ فإنّ الخيِّر من الناس يحنّ إلى شكله، والشرّير يميل إلى نظيره ومثله، فإذا تعارف الناس وكانت طباعهم متقاربة تآلفوا، وإذا لم يتعارفوا أو تعارفوا واختلف أخلاقهم تنافروا وتناكروا؛ ولهذا صار الإنسان يعرف بقرينه.

ومعنى الخبر الأخير: أنّ الصدق في الأُمور كلّها يورث الطمأنينة، وهي سكون القلب وهدوء البدن، والكذب يوقع في الريبة وهي التّهمة.

يعني: اصدقوا على كلّ حال لتطمئن قلوبكم فلا تخافوا الفضيحة، ولا تكذّبوا؛ فالكاذب يكون خائفاً من ظهور كذبه.

وقيل: معناه: أنّ القلب يطمئنّ بقول الصادق إذا عرف صدقه، ويرتاب في الكاذب الذي عرف كذبه في عموم أحواله.

---

وقد كان رسول‌الله أعطى العباس بن مرداس أربعة من الإبل فسخطها، وأنشأ يقول:

*أتجعل نهبي ونهب العبيد* ... بين عيينة والأقرع

فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان جدّي في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فبلغ ذلك النبي عليه السلام فاستحضره، وقال: ***أنت القائل:***

*أتجعل نهبي ونهب* ... *العبيد بين الأقرع* وعيينة(١)

ثمّ قال رسول الله لعلي: ***اذهب به واقطع لسانه***. قال: فأخذ علي بيدي، ولو علمت أنّ أحداً يغيثني لاستغثت به، فقلت: يا علي، إنّك لقاطع لساني، فقال: ***إنّي***

---

(١) هنا قال أبو بكر للنبي صلى الله عليه وآله: بأبي أنت وأُمي، لست بشاعر، قال: وكيف؟ قال: قال: بين عيينة والأقرع.

**٢٠٤ـ القُرآنُ غِنىً لَا فَقْرَ بَعْدَهُ، وَلَا غِنىً دُوْنَهُ[١].**

**٢٠٥ـ الإِيْمَانُ بِالقَدَرِ يُذْهِبُ الهَمَّ والحُزَنَ[٢].**

**٢٠٦ـ والرَّغْبَةُ فِي الدُّنيَا تُكْثِرُ الهَمَّ والحُزَنَ[٣].**

**٢٠٧ـ البِطَالَةُ تُقْسِي القَلْبَ[٤].**

**٢٠٨ـ العَالِمُ والمُتَعَلِّمُ شَرِيْكَانِ فِي الخَيْرِ[٥].**

**٢٠٩ـ عَلىٰ اليَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّىٰ تُؤَدِّيَه[٦].**

**٢١٠ـ الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلعَاهِرِ الحَجَرُ[٧].**

**٢١١ـ الضِّيَافَةُ عَلىٰ أَهْلِ الوَبَرِ وَلَيْسَتْ عَلَى أَهْلِ المَدَرِ[٨].**

يقول: اكتفوا بالقرآن واستغنوا به؛ فإنّ القرآن كفاية لا حاجة بعده، ولا غنى دون القرآن، وقيل: من رأى فقره وغناه بالقرآن فقد علم يقيناً أن لا فقر دون جهله، ولا غنى دون علمه.

الضوء في شرح الشهاب

***ممضٍ ما أُمرت فيك***، فقلت له: والله إنّك لقاطع لساني، فقال: ***إنّي فاعل ما أمرت فيك***، فذهب بي حتّىٰ أدخلني الحظائر التي فيها الإبل، فقال: ***اعتد ما بين أربعة إلى مئة***، قلت: بأبي أنتم وأمي ما أكرمكم وأعلمكم وأحلمكم، ثمّ قلت: أشر عليّ بما فيه صلاحي، قال: ***الصلاح أن تأخذ ما أمرك به رسول الله، وتكون مع أهلها***

---

(١) مسند أبي يعلىٰ ٥ : ١٦٠ / ٢٧٧٣، المعجم الكبير ١ : ٢٥٥، كنز العمّال ١ : ٥١٦ / ٢٣٠٧، تاريخ بغداد ١٣ : ١٦ / ٦٩٧١.

(٢) كنز العمّال ١ : ١٠٦ / ٤٨١، تفسير الثعلبي ٩ : ١٧٣، تفسير القرطبي ١٧ : ١٤٩.

(٣) الخصال: ٧٣ / ١١٤، روضة الواعظين: ٤٤١، كنز العمّال ٣ : ١٨٢ / ٦٠٦٢.

(٤) كنز العمّال ٣ : ١٨٢ / ١٠٦٢، الجامع الصغير ٢ : ٣٥.

(٥) مجمع الزوائد ١ : ١٢٢، مسند الشاميين ٣ : ٢٦٣ / ٢٢١٨، الكامل لابن عدي ٥ : ١٦٦.

(٦) الانتصار: ٤٦٨، الخلاف ٣ : ٢٢٨، مسند أحمد ٥ : ٨، سنن الدارمي ٢ : ٢٦٤.

(٧) الكافي ٥ : ٤٩٢ / ٣، الخصال: ٢١٣، الأُمّ ٧ : ١٦٥، كتاب الموطأ ٢ : ٧٣٩ / ٢٠.

(٨) نيل الأوطار٩:٣٨، شرح مسلم للنووي٢:١٩، الاستذكار٨:٣٦٨، الكامل لابن عدي١:٢٧٣.

وقيل: إنّ من عَلِمَ القرآن وأحكامه فهو غنيّ في الدين والشريعة[١]، وهذا الغنيّ لا يفتقر قطّ، ولا غنى بغير القرآن.

وذكر الغنى ونسبته إلى القرآن لأنّ غنى الإنسان إنّما يكون بما يملكه من شيء شريف، ولا شيء أشرف مرتبة من القرآن، ولا غنيّ أفضل قدر من حامله. وروي: ***أهل القرآن أهل الله وخاصّته***[٢].

ومعنى الخبر الثاني: أنّ من يعلم أنّ المرض والصحّة والغنى والفقر وسعة الرزق وضيقه كلّها بقضاء من الله وقدرٍ؛ لمصلحة يراها للخلق اطمأنّ قلبه، وسكنت نفسه إلى أحكام الحقّ، ويرضى في حالتي الشدّة والرخاء، وإن سأل الله العافية، فإنّ عند الدعاء تتغيّر المصلحة، ولا يهتمّ من أيقن بأنّ مثل ذلك قضاء الله.

والإيمان هاهنا بمعنى الإيقان، وإن حمل على التصديق الذي هو أصله فهو أحسن.

والمراد بالقدر قدر الله وقضاؤه، وهذا لا يكون على العموم في أفعال العباد أيضاً؛ إذ لو كان الكفر والإيمان والطاعة والمعصية بقضاء الله لبطل الثواب

---

***ولا تكون من أهل المائة***. فأخذ ورضي به[٣].

**١٦١ـ يَدُ اللهِ عَلَىٰ الجَمَاعَةِ.**

اليد: الجارحة. واليد: القدرة. واليد: النعمة. والمراد باليد في الخبر النعمة، أي نعمة الله ومنته على الجماعة، بتوفيقه لهم في اجتماعهم على كلمة الإسلام، ومثله في المعنى: ***الجماعة رحمة والفرقة عذاب***[٤].

---

(١) اُنظر: فيض القدير: ٧٠٠ / ٦١٨٣.
(٢) مسند أحمد ٣: ٢٤٢، كنز العمّال ١: ٥١٣ / ٢٢٧٨، ٢٢٧٩.
(٣) الإرشاد ١: ١٤٧، صحيح مسلم ٣: ١٠٨.
(٤) تقدّم برقم: ٨.

والعقاب.

يعني: التصديق بأنّ الموت مقضيّ علينا من جهة الله يقلّل الهموم، ومن لم يرغب في زينة الدنيا أراح قلبه وبدنه، فلا يتعب نفسه بكثرة السعي ولا قلبه؛ فإنّ قلّة الرغبة في الدنيا تورث الراحة في القلب والبدن عاجلاً وآجلاً، والرغبة فيها تكثر الهموم والأحزان. ومهمومه أي ثمرة الرغبة فيها كثرة احتمال الهمّ والحزن.

وأما قوله: ***البطالة تقسي القلب***. فمعناه: لا تسندوا إلى التعطّل من إصلاح أُمور الدنيا والآخرة؛ فإنّه يورث القسوة، وهي ذهاب اللين والشفقة والخضوع والخشوع، والله يبغض القلب القاسي الذي فيه الشدّة والغلظة.

وقال عليه السلام: ***إنّ الله يبغض الصحيح الفارغ، لا في شغل الدنيا ولا في شغل الآخرة***[١].

والخبر الرابع حثّ على طلب العلم قبل قبض أهله، وإعلام أنّ الخير إنّما هو في تعلم العلم وتعليمه، ولا مَنَّ لأحدها على الآخر؛ فإنّهما شريكان في الخير،

**الضوء في شرح الشهاب**

ويروى: ***يد الله على الفسطاط***[٢]. أي على أهل الفسطاط وهو المصر الجامع أهله، وفي حديث معاذ: أهل الكفور هم أهل القبور[٣]. يعني: القرى النائية عن الأمصار ومجتمع أهل العلم؛ لأنّه يكون الجهل عليهم أغلب، وهم إلى البدع أسرع، وفي الحديث: ***ليخرجنكم الروم منها كفراً كفراً***[٤]. أي قرية.

وقال بعضهم في اليد بمعنى النعمة:

*يد المعروف غنم حيث كانت تحمّلها كفور أو شكورُ*

(١) شرح نهج البلاغة ١٧: ١٤٦.
(٢) الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٩، النهاية في غريب الحديث ٣: ٤٤٥.
(٣) الفائق في غريب الحديث ٣: ١٦٣، تفسير السمعاني ٢: ٣٤٠.
(٤) تاريخ مدينة دمشق ٢: ٢١٥، الفائق في غريب الحديث ٣: ١٦٣.

وروي في الآخر: ***فمن لم يكن عالماً ولا متعلّماً فلا خير فيه***[١]. أي يجب على العالم أن يُعلِّم فإنّه يسعى لخيره واحده[٢]، ويجب على الجهّال أن يطلبوا العلم حتّىٰ ينفى جهلهم ويعبدوا الله به.

وروي: ***على اليد ما أخذت حتّى تؤدّي***[٣]، أي ثابت على كلّ يد ما أخذته حتّى تؤدّيه إلى ما يجب أداؤه إليه، فإن رجّع إنسان إليك شيئاً ليعطيه غيرك فما دام في يدك فهو عليك حتّى يوصله إليه، وإن استعرت شيئاً فعليك أن تردّه إلى المعير، وهذا أعم من الرواية الأُخرى. واستدلّ الشافعي وابن حنبل بهذا الخبر على أنّ العارية مضمونة على الإطلاق[٤]، وعندنا كذلك على بعض الوجوه[٥].

ومعنى قوله: ***إنّ الولد للفراش***، أنّ الولد لصاحب الفراش، وللزانية الرجم، وهذا إذا كان للرجل زوجة يروح ويغدو إليها ويطؤها كلّ وقت، فوطأها غيره سفاحاً في خلال ذلك، فظاهر الشرع يأمر بأن ينسب الولد إلى صاحب الفراش إلّا

---

*ففي شكر الشكور لها جزاء وعند الله ما كفر الكفورُ*[٦]

**١٦٢ـ الصَّمْتُ حُكْمٌ وَقَلِيْلٌ فَاعِلُهُ.**

الصّمت والصموت والسكوت واحداً. والحكم: الحكمة، قال الله تعالى: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً**﴾[٧] ثمّ قال: إنّ هذه الحكمة قلّ من يعمل بها من الناس، ومن علم أنّ كلامه من عمله لا يتكلم إلّا بما يعنيه قال الله

---

(١) مجمع الزوائد ١: ١٢٢، مسند الشاميين ٣: ٢٦٣، وفيهما: وسائر الناس لا خير فيه.

(٢) كذا في النسخة.

(٣) مسند أحمد ٥: ١٢، سنن أبي داود ٢: ١٥٥ / ٣٥٦١، سنن الترمذي ٢: ٣٦٩ / ١٢٨٤.

(٤) المغني لابن قدامة ٥: ٣٥٥، الشرح الكبير ٥: ٣٦٥.

(٥) الخلاف ٤: ١٧٢، مسألة ٣ و ٤ و ٥.

(٦) روضة الواعظين: ٣٧٢، تفسير القرطبي ٥: ٣٨٣.

(٧) سورة مريم ١٩: ١٢.

أن يكون هناك أمارة ظاهرة.

فأمّا من قال: لو كان رجل بمصرَ وزوجته بالعراق منذ عشرين سنة، فإن زنى بها رجل وأتت بولد فإن هذا الولد لصاحب الفراش. فلا يصح؛ لأنّ الفراش هو العقد مع التمكّن من الوطئ ومع الوطئ[1].

لا يصحّ: يستحلّ كلّ زانٍ الرجم. بلا خلاف، وإنّما ذلك حدّ المحصن والمحصنة إذا زنيا.

فالمراد بقوله: ***وللعاهر الحجر***. المرأة المحصنة دون الرجل الذي زنا بها؛ لأنّه لا يجوز أن يقال: كان محصناً أو غير محصن وقد أطلقه عليه السلام، فهي تستحقّ الرجم على ما هو ظاهر الخبر على الإطلاق؛ لأنّها بشرائط الإحصان، فقد ثبت أنّ الفراش هو العقد مع التمكّن من الوطئ.

ومعنى أنّ لها الحجر: أن ترجم بالحجارة، وهذا بلاغة يعرفها الفصحاء، ولا يطعن على ذلك بأنّ لفظ العاهر للمذكّر؛ لأنّ الكناية عنها.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

تعالى: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[2] وقيل: ربّ كلمة أورثت ندماً طويلاً.

وقد أكثر العلماء والشعراء في مدح الصمت، وربّما فضّلوه على الكلام، فمن ذلك ما قال الحسن بن هاني:

*خـــــلِّ جـــنبيك لرام وامـــض عـــنه بســـلامْ*

---

(١) قال السيد المرتضىٰ في رسائله ٣: ١٢٤ في شرحه حديث «الولد للفراش وللعاهر الحجر»: معنىٰ ذلك أنّ الولد تابع للفراش الذي اختلف الفقهاء في معناه:
فقال أبو حنيفة وأصحابه: هو الوطئ.
وقال الشافعي: الفراش هو العقد مع التمكّن من الوطئ. وهو مذهبنا.

(٢) سورة ق ٥٠: ١٨.

وقد تقدّم في الخبر بلفظ التذكير، وهو الفراش، والازدواج في الكلام من أهم الأُمور، ومسألة اللّعان تسجل ما ذكرنا.

ويحثّ أصحاب الأنعام على الضيافة ويمهّد العذر لصاحب الأرضين في الخبر الأخير. وأراد بالوبر بيوت العرب ومن يسكن البوادي؛ لأنّ الغالب أن بيوتهم من الصوف والشعر ونحوهما، وأراد بالمدر دور العجم والحضريين ومن يجانسهم؛ لأنّها من اللّبن والآجر والطين والحجر وغير ذلك. أي الضيافة واجبة وثابتة على أهل الوبر؛ لأنّهم لا تخلو بيوتهم من لبن أو أقط أو سمن أو لحم، وأهل المدر وإن كانوا ذوي دار وعقار فربّما لا يحضرهم شيء يُطعم.

وقيل: معناه: أكثر الناس استبشاراً وأوفرهم اهتزازاً بوصول الأضياف ونزولهم والقيام بحقوقهم وحرمتهم من سائر الناس العرب. وقيل: السخاء في العرب.

---

*إنّما السالم من ألجـ ـم فاه بلجامْ*

*مت بداء الصمت خير لك من ردّ الكلامْ*

*ربّ قول جرّ آجا ل نيام وقيامْ*[1]

ولأبي العتاهية:

*إذا كنت عن أن تحسن الصمت عاجزا فأنت عن الإبلاغ في القول أعجزُ*

*يخوض أُناس في الكلام ليواجزوا وللصمت في بعض الأحايين أوجزُ*[2]

ولآخر:

*وللصمت خير في أُمور كثيرة إذا لم يكن للناطقين سبيلُ*

---

(١) ديوان أبي نواس: ٥٠١، باختلاف في بعض الكلمات.

(٢) ديوان أبي العتاهية: ٢٢٢.

**٢١٢ـ للسَّائِلِ حَقٌّ وإنْ جَاءَ عَلىٰ فَرَسٍ[(١)].**

**٢١٣ـ أَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ مِنَ البُخْلِ[(٢)].**

**٢١٤ـ العَائِدُ فِي هِبَتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ[(٣)].**

**٢١٥ـ النَّظَرُ فِي الخُضْرَةِ يَزِيدُ فِي الْبَصَرِ والنَّظَرُ إلى المَرْأَةِ الحَسْنَاءِ يَزِيدُ فِي البَصَرِ[(٤)].**

**٢١٦ـ أُمَّتِي الغُرُّ المُحَجَّلُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ آثارِ الوُضُوءِ[(٥)].**

**٢١٧ـ التَّصْفِيحُ لِلنِّسَاءِ، والتَّسْبِيْحُ لِلرِّجَالِ[(٦)].**

يقول أوّلاً: لا تخيّب السائل إذا سألك فإنّ له حقّاً واجباً، ولا تردّه وإن جاء راكباً على فرس، فربما يكون وراء ذلك عَيلة ودين يجوز له معها أخذ الصدقة ولا تبخل.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب**

*وإنّ لسان المرء ما لم تكن له ... حصاة على عوراته لدليلُ*[(٧)]

ولآخر:

*سكتّ عن السفيه فظنّ أنّي ... عييت عن الجواب وما عييتُ*

---

(١) مسند أحمد ١ : ٢٠١، سنن أبي داود ١ : ٣٧٦، السنن الكبرىٰ للبيهقي ٧ : ٢٣.

(٢) فقه الرضا عليه السلام: ٢٧٧، الكافي ٤: ٤٤ / ٣، من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٧٩، الأدب المفرد: ٧١ / ٢٩٩.

(٣) مسند أحمد ١ : ٢١٧، صحيح مسلم ٥ : ٦٤، سنن ابن ماجة ٢ : ٧٩٧ / ٢٣٨٦، الانتصار: ٤٦٣.

(٤) ميزان الاعتدال ٣ : ٦٢٧، كنز العمّال ١٦ : ٢٧٣ باختلاف.

(٥) مسند أحمد ١ : ٤٠٣، صحيح البخاري ١ : ٤٣، ١٥٠، السنن الكبرىٰ ١ : ٥٧، دعائم الإسلام ١ : ١٠٠ باختلاف.

(٦) مسند أحمد ٢ : ٤٧٩، سنن النسائي ٢ : ٧٩، صحيح ابن حبّان ٦ : ٣٦، باختلاف في المصدرين الأخيرين.

(٧) كتاب الصمت وآداب اللسان: ٥٥، أدب المجالسة: ٨٠.

ولا داء أوجع من أن يبخل الإنسان بما يجب عليه، والبخل: عادة يعوّدها الرجل نفسه فيصير طبعاً أو خُلقاً، قال تعالى: ﴿**وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ**﴾[(١)] وقد سمّاه عليه السلام: داء؛ لأنّ العرب يستعمل لفظ الداء في الآفات والعيوب ومساوئ الأخلاق، فإذا تبايعوا قالوا: برئت من كلّ داء. يريدون العيب.

قال أبو عبيد: ضرب المثل بما سمّى البخل داء؛ لما يلحق صاحبه من العار والإثم وإن لم يكن داء في البدن.

ومعنى الخبر الثالث النهي عن استرداد الهبة واسترجاعه، يقول: إذا وهبت إنساناً هبة فليس لك أن ترجع في هبتك، فإنّ من يرجع في هبته كلبٌ يأكل ما قاءه.

والرجوع في الهبة ربّما يكون محظوراً وربّما يكون مكروهاً، وتفصيل ذلك يطول، وروي: ***مثل العائد في هبته...***[(٢)].

---

*إذا نطق اللئيم فلا تجبه*     *فخير من إجابته السكوتُ*[(٣)]

ولآخر:

*إن كان يعجبك السكوت فإنّه*     *قد كان يعجب قبلك الأخيارا*

*ما إن ندمت على سكوت مرّة*     *ولقد ندمت على الكلام مرارا*[(٤)]

### ١٦٣ـ الرِّزْقُ أَشَدُّ طَلَباً لِلْعَبْدِ مِنْ أَجَلِهِ.

حقيقة الرزق ما للحيّ أن ينتفع به، وليس لأحد منعه منه، وقال عليه السلام: ***الرزق***

---

(١) سورة النساء ٤: ١٢٨.

(٢) المعجم الأوسط ٣: ١٥٩، مسند أحمد ١: ٢١٧.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٨٠، كتاب الصمت وآداب اللسان: ٣٠٤.

(٤) بغية الطلب في تاريخ حلب ٤: ١٧٨٨، شعب الإيمان ٤: ٢٧١.

وأمّا الخبران في النظر، فمعنى أولها: انظروا ـ إذا أردتم ازدياد قوّة بصركم وبصيرتكم ـ في الخضرة؛ فإنّ الخضرة تزيد في شعاع العين، ويقول الأطباء: مرهم الأرمد بالنظر إلى الخضرة[1].

وقيل: أراد نظر الاعتبار في قدرة الملوِّن، فإذا ما نظر العاقل في الملوَّن يزيد ذلك في بصر الحقيقة وهو البصيرة، وإنّما خصّ الخضرة؛ لأنّ الناس ينظرون إليها أكثر من النظر إلى غيرها من الألوان تفكّراً وتدبراً وتنزّهاً وتعجّباً على حسب درجاتهم.

وإذا نظر الرجل إلى زوجته الحسناء وجاريته الجميلة بشهوة أو غير شهوة أو لعبرة؛ فإنّ نظره يزيد في بصره وبصيرته، ويقال: نظر إليه بالجارحة، ونظر فيه بالتفكّر، هذا هو الأصل ثمّ يتداخلان.

وفائدة الخبر السادس تفضيل لأُمّته على سائر الأُمم.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***رزقان: رزق تطلبه ورزق يطلبك***[2]. وهذا من القسم الأخير.

والرازق هو الله تعالى وقبضته وبسطه بيده، قال الله تعالى: ﴿**يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ**﴾[3] يقسم على عباده بحسب المصلحة، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ**﴾[4] والأجل: الوقت، ودَين مؤجّل أي مؤقّت.

يعني: أجل وفاته ووقت موته، وقد قسّم الله الأرزاق بين عباده وقدّر آجالهم،

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٦٩ / ١، من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٨٦ / ٥٨٣٤.

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٢٦، سورة الإسراء ١٧ : ٣٠.

(٤) سورة الشورى ٤٢ : ٢٧.

الأغرّ من الخيل: الأبيض موضع[١].

والمحجّل: الأبيض هو موضع الخلخال. والغرّة والتحجيل كلاهما استعارة ومجاز في الخبر، أراد أنّ النور يضيء من أعضاء[٢] وضوئهم، فيخرجون من بين الظلمات بسببه.

وبين عليه السلام في الخبر الأخير حكم من يكون في الصلاة ودعاه غيره، فإذا أراد تنبيهه على أنّه مصلٍّ وبينهما حجاب، فإن كانت امرأة فلتضرب كفّها اليمنىٰ على ظهر كفّها اليُسرىٰ، وإن كان رجلاً فليقل: سبحان الله بأعلى صوته، إذا كانت الصلاة ممّا يخافت فيها، وإن كانت ممّا يجهر فيها فليجعل صوته أرفع ليسمعه، وهذان الإعلامان لا يفسدان الصلاة؛ لهذا النصّ، والتصفيق على ما ذكروا إذا سها غير الإمام فكمّل[٣].

وروي: ***التصفيح للنساء***[٤]. هو التصفيق من صفحتي اليدين، يعني في

---

فالعبد يطلب الرزق، والأجل يطلبه.

**ومعنى الحديث:** أنّ الرزق المقسوم المقدّر لا بدّ أن يصل إلىٰ المرتزق كما أنّ الأجل لا بدّ أن يدركه.

**١٦٤ـ الرِّفْقُ فِي المَعِيْشَةِ خَيْرٌ مِنْ بَعْضِ التِّجَارَةِ.**

الرفق ضدّ العنف، يقال: رفق به فهو رفيق، والرفيق: المرافق لصاحبه من

---

(١) كذا في النسخة، والظاهر فيها سقط. والأغر من الغرة ـ بالضمّ ـ بياض في الجبهة.
وقيل: الأغرّ من الخيل الذي غرّته أكبر من الدرهم، وقد وسطت جبهته ولم تصب واحدة من العينين ولم تمل علىٰ واحدة من الخدّين. لسان العرب ٥ : ١٤، مادة (غرر).

(٢) في النسخة: أعطا، وهو تصحيف ما أثبتناه.

(٣) كذا قرأناها في النسخة، ولعلّها: فكذلك.

(٤) مسند أحمد ٥ : ٣٣٠، كتاب الموطأ ١ : ١٦٤.

الصلاة، ومثله قوله عليه السلام: ***إذا فات المصلّي في صلاته شيء فأراد تنبيهه من بحذائه فيسبّح الرجل وتصفّق المرأة بيديها***(١).

**٢١٨ـ النَّظَرُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ**(٢).

**٢١٩ـ الشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ وَالفَرَسِ وَالدَّارِ**(٣).

**٢٢٠ـ نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيْهِمَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**(٤).

**٢٢١ـ وَيْلٌ لِلعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ**(٥).

**٢٢٢ـ الجُبْنُ وَالجُرْأَةُ غَرَائِزُ يَضَعُهُمَا اللهُ حَيْثُ يَشَاءُ**(٦).

أمر عليه السلام بالخبر الأول بغضّ البصر عن المحارم كلّها، يقول: لا تنظروا إلى امرأة يحرم لكم النظر إليها؛ فإنّ نظركم إلى وجهها وإلى محاسنها سهم من جملة سهام إبليس اللعين، وقد جعله مسموماً يقتل من يصيبه.

وبيان الخبر في تمامه، وهو ما روى عليه السلام عن الله تعالى أنّه قال: ***النظرة سهم***



حيث إنّه يرفق به، وأراد بالمعيشة النفقة وما يتعيّش بـه الرجـل، وبـقوت أهـله. والتجارة: المبايعة والمشارات.

**ومعنى الحديث:** أنّ ترك الإسـراف فـي النـفقة، وإعـمال القـصد الذي هـو الواسطة بين الإسراف والتقصير خير من بعض التجارة؛ لأنّ ما في يدك تكون واثقاً

(١) الفائق في غريب الحديث ٢: ٢٥١، وأُنظر: المجموع ٤: ٨٢.

(٢) مجمع الزوائد ٨: ٦٣، المستدرك على الصـحيحين ٤: ٣١٤، وفـي الكـافي ٥: ٥٥٩ / ١٢، والمحاسن ١: ١٠٩ عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) أمالي المرتضىٰ ٤: ١١١، مكارم الأخلاق: ١٩٨، مسند أحمد ٢: ٨٥، صحيح مسلم ٧: ٣٤.

(٤) صحيح البخاري ٧: ١٧٠، مسند أحمد ١: ٢٥٨، أمالي الطوسي: ٥٢٦، الدعوات: ١١٣.

(٥) صحيح البخاري ٤: ١٠٩، صحيح مسلم ٨: ١٦٥، مسند أحمد ٢: ٣٩٠، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام في غيبة النعماني: ٢٧١ / ٢٤.

(٦) النهاية في غريب الحديث ٣: ٣٥٩، كتاب الموطأ ٢: ٤٦٣ / ٣٥، الاستذكار ٥: ١١٤ / ٩٥٩.

***من سهام الشيطان، فمن تركها من مخافتي أثبته بما يجد حلاوته في قلبه.***

وأمّا نظرة الفجأة فغير مؤاخَذ بها ناظرها، وبالأُخرىٰ مأخوذ.

وبيان الخبر الثاني فيما قال ﷺ وهو: ***إن كان في شيء*** ـ يعني الشوم ـ ***ففي المرأة أن لا تلد، وشؤم الفرس أن لا يُحمل عليها في سبيل الله، وشؤم الدار سوء الجوار***[1].

وروي أنّ أنساً روى هذا الحديث فسمعت به عائشة وقالت: ليس الأمر على ما زعمت، وإنّما كان رسول الله يوماً يحدّث عن اعتقادات الجاهلية، فدخلت في وسط الكلام، ولم تكن سمعت أوّله، فظننت أنّه يخبر به من قبل نفسه، وكنت أسمع جميع ذلك من وراء الحجاب[2].

ثمّ حثّ في الخبر الثالث عن[3] اغتنام الفرصة قبل مجيء فوتها، وبيّن عظم هاتين النعمتين وتغافل أكثر الناس عنهما وكفرانهما وتضييعهما، فمن حقّ الصحّة

---

به، والتجارة ربما تكون واثقاً به والتجارة ربما تكون رابحة وربما تكون خاسرة، فذلك معلوم وهذه مظنونة، والمعلوم خير من المظنون.

**١٦٥ـ التَّاجِرُ الجَبَانُ مَحْرُوْمٌ، وَالتَّاجِرُ الجَسُوْرُ مَرْزُوْقٌ.**

التاجر: من يعامل الناس بالبيع والشراء. قال بعض الصحابة: كنا نسمّي التاجر بالمدينة سمساراً، فلمّا أتانا النبي ﷺ سمّانا باسم هو خير من ذلك وهو التاجر.

وقال ﷺ: ***التاجر فاجر، والفاجر في النار إلّا من أعطى وأخذ الحقّ***[4].

---

(١) مكارم الأخلاق: ٢٣٤ باختلاف، السنن الكبرىٰ ٨: ١٤٠، مصنّف عبد الرزاق ١٠: ٤١١ / ١٩٥٢٧.

(٢) لم نعثر عليه في المصادر.

(٣) كذا في النسخة، والصحيح: علىٰ.

(٤) الكافي ٥: ١٥٠ / ١، من لا يحضره الفقيه ٣: ١٩٤ / ٣٧٢٩، تهذيب الأحكام ٧: ٦ / ١٦، كنز العمّال ٤: ١٣٦ / ٩٨٩٧.

قبل السقم، والفراغ قبل الشغل أن يُكثر طاعة الله فيهما، فمن لم يغتنم الطاعة في تلك الحالة صار مغبوناً يوم القيامة. والصحة والفراغ كلاهما مبتدأ، والخبر نعمتان، ومغبون فيهما صفة نعمتان، وارتفع كثير بمغبون، أي سيغبن فيهما كثير من الناس.

والخبر الرابع إلى ما كان بعد رسول الله من بلاء العرب خاصة والفتن الواقعة بينهم، نعى نفسه إليهم، وبيّن كلمة الويل أنّ أكثرهم يبتلىٰ ببلية ويصاب بشرٍّ ومعصية بسبب ما تجني يداه. والويل: شدّة عذاب يكون على سبيل الاستحقاق، قال تعالى: ﴿**فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ**﴾[1].

وقيل: إنّما ذكر العرب لفرط حبّه لهم ولشدّة شفقته عليهم، والمراد: ويل لجميع الناس من فتن آخر الزمان ممّن باكٍ يبكي لا حقّقه[2]. ومن شرّ قد اقترب، أي قرب الساعة.

ومعنى الخبر الأخير لا تعيبوا أحداً بسبب جبن فيه ولا تمدحوا آخر بجرأة تكون فيه؛ فإنّهما غريزتان وخُلقان يخلقهما الله فيمن يشاء من عباده.

**الضوء في شرح الشهاب**

والجبان: الخائف الضعيف القلب. والجسور خلافه، وهو الجريء في الأُمور، يقال: جبن الرجل يجبن جبناً فهو جبان. وجسر يجسر جسارة فهو جسور.

والمحروم: الممنوع الرزق، وهو خلاف المرزوق، يقال حرم الرجل فهو محروم، ورزق فهو مرزوق، ومصدره الحرمان، والحرفة بمعنى الحرمان، يقال: حورف الرجل فهو محارف. وشكا إليّ بعض الأدباء حرمانه، فقلت: كان هذا من حرفة.

**ومعنى الحديث:** أنّ التاجر الجبان الذي لا يجسر على معاملة الناس لا يربح،

---

(١) سورة البقرة ٢: ٧٩.

(٢) كذا وردت العبارة في النسخة.

والجبن: خوف التقدّم على المحاربة. والجرأة: قلّة المبالاة بها. إنّ الشهوة في التأخّر من المحاربة والنفرة في الإقدام إليها من قبل الله، فينبغي أن لا يتّبع الرجل شهوته ويكسر شهوته، والعيب عليه، والذمّ بسبب فعله لا من جهة الله.

**٢٢٣ـ مِنْ كُنُوزِ البِرِّ كِتْمَانُ المَصَائِبِ وَالأَمْرَاضِ وَالصَّدَقَةِ[١].**

**٢٢٤ـ مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ أَنْ يُشْبِهَ أَبَاهُ[٢].**

**٢٢٥ـ مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ حُسْنُ الخُلُقِ[٣].**

**٢٢٦ـ أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُم أَهْلُ المَعْرُوفِ فِي الآخِرَةِ[٤].**

**٢٢٧ـ الخَازِنُ الأَمِيْنُ الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ أَحَدُ المُتَصَدِّقِيْنَ[٥].**

يقول: لا تظهروا الشكوى من بلاء الله؛ فإنّه مصلحة لكم، واكتموا

---

والتاجر الجسور الذي يشتغل بالبيع والشراء يربح، فهذا مرزوق وذلك محروم.

**١٦٦ـ حسْنُ المَلَكَةِ نَمَاءٌ، وَسُوءُ المَلَكَةِ شُؤْمٌ.**

الملكة: الملك، وقيل: التملك، يقال: هو مالك بين الملك والملكة، والنماء: الزيادة، يقال: نما المال ينمى نماء، ونما ينمو نموّاً إذا أراد. والشؤم خلاف اليمن.

---

(١) الكامل لابن عدي ٣: ٢٣٤، كنز العمّال ٣: ٢٩٩ / ٦٦٤٣، وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في أمالي المفيد: ٨ / ٤، وعن الإمام الباقر عليه السلام في تحف العقول: ٢٩٥.

(٢) كنز العمّال ١١: ٩١ / ٣٠٧٤٦، الجامع الصغير ٢: ٥٤٤ / ٨٢٥٠.

(٣) كنز العمّال ٣: ١٢ / ٥١٩٣، الجامع الصغير ٢: ٥٤٤ / ٨٢٤٩، الدعوات ٣: ١٢ / ٥١٩٣ باختلاف.

(٤) الكافي ٤: ٣٠ / ٣، ثواب الأعمال: ١٨٢، من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٤ / ١٦٨١، المستدرك على الصحيحين ١: ١٢٤، السنن الكبرىٰ للبيهقي ١٠: ١٠٩.

(٥) مسند أحمد ٤: ٣٩٤، صحيح البخاري ٣: ٤٨، سنن أبي داود ١: ٣٧٩ / ١٦٨٤، سنن النسائي ٥: ٨٠.

ما تتصدّقون به؛ لئلّا يتأذّى به المُعطَى ولا يكون رياء؛ فإنّ كتمان هذه الأُمور من جملة الكنوز التي فيها البرّ والطاعة، والبرّ والمبرّة خلاف العقوق، وهو يبرّ خالقه، أي يطيعه.

وقيل: من كنوز الجنّة: ترك إعلام الناس لمصائبه، والصبر عليها، وترك الشكيّة في أمراضه، وترك الجهر بالصدقة المتطوّع بها[١].

وللخبر الثاني معنيان:

**أحدهما**: أنّ الرجل إذا شبه أباه خلقاً وخُلقاً كان أحبّ إلى قلب أبيه، فيكون أشفق به، فيخصّه أبوه بكلّ خير في يده، وهذا من جملة سعادته.

**والمعنى الآخر**: أنّ السعادة في الإنسان علامتها أن يشبه أباه آدم عليه السلام ولا يتشبّه بالشيطان، يختار الطريقة المحمودة المرضيّة عقلاً وشرعاً، فاتّباع آثاره هذه حينئذٍ تعدّ من سعادة المرء وإقباله.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

**ومعنى الحديث**: أنّ من أعطاه الله وملّكه مالاً ناطقاً من عبيد وإماء ودواب ومواشي فأحسن إليها، وحافظ على حسن رعايتها، أنـمىٰ هـذه المـواش[٢] الله وزادها وبارك له فيها، وإذا ساء إليها وأجحف بها كان ذلك شؤماً عليه وحرمه الله ذلك المال وحربه.

**ومعنى الخبر**: الحثّ على الإحسان إلى الرعيّة والنهي عن الإساءة إليها بـما يميل طبع الإنسان إليه من النفع العاجل والاحتراز من الضرّر الحاصل، وهذا أبلغ بوجه من قوله عليه السلام: ***كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته***[٣].

---

(١) الإرشاد ١: ٣٠٢.

(٢) في النسخة: أنماها مواش. وما أثبتناه أنسب لصحّة العبارة.

(٣) مسند أحمد ٢: ٥٤، صحيح البخاري ١: ٢١٥.

وقيل: هذا مخصوص في رجل كان أبوه على سيرة حسنة.

ومن سعادته[١] حسن خُلقه؛ لأنّه إذا كان حسن الخلق إليه أميل في الصحبة والمحبّة والعشرة، ولا يكون ذلك في كثرة [علاقاته ] قولاً وسعة إنفاقه عليهم.

أراد بالخبر الرابع الحثّ على الإحسان إلى الخلق والإنعام عليهم قولاً وفعلاً؛ فإنّ الخيّر في الدنيا له في الآخرة أيضاً حسن الشفاعة في المذنبين وذوي الزلّات من المؤمنين؛ يقول: [من ] يشفع للناس في الدنيا شفّعه الله غداً أيضاً في حقّ المجرمين، فيكون وجيهاً عند الله يوم القيامة كما كان وجيهاً عند خلقه.

وقيل: معناه: من جعل نفسه من أهل الإحسان اليوم فالله يحسن إليه غداً.

ومعنى الخبر الأخير حثّ لوكيل الغير إذا أمر بالخير أن يسارع فيه طيّب النفس بذلك؛ ليكون له مثل ثواب الآمر، وهذا دليل على جواز التوكيل في إيتاء الزكوات والصدقات.

---

## ١٦٧ـ فُضُوحُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ مِنْ فُضُوحِ الآخِرَةِ.

الفضوح مصدر فضح الرجل فهو فاضح، والفضوح مصدر فضحه فهو مفضوح، والفعل لازم ومتعدٍّ، وإنّما يتبين الفرق بينهما بالمصدر كالرجع والرجوع، يقال: رجعته رجعاً، ورجع هو رجوعاً.

والافتضاح مطاوع فضح، يقال: فضحته فافتضح. وأهون: أسهل.

**ومعنى الحديث:** أنّ الرجل إذا وجب عليه حدّ من حدود الله، فتقدّم إلى الإمام والحاكم وأقرّ[٢] بذلك ليقيم عليه الحدّ، وإن افتضح بذلك فإنّ فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة.

---

(١) في النسخة: سعادة. وما أثبتناه هو الأنسب لسياق العبارة.

(٢) في النسخة زيادة: بين، وما أثبتناه أنسب لسياق الكلام.

فنهى عليه السلام كلّ خادم إنسان وقهرمان يكون في يده حفظ الأموال والأطعمة وغيرها إذا أراد سيّده بإعطاء شيء فقيراً أن يباعد عنه وأن يدافعه من اليوم إلى الغد، وإذا أعطىٰ شيئاً لا ينتفع به، بل يجب عليه [أن ] يبالغ في المسارعة إلىٰ حيازة الأجر والثواب لنفسه ولآمره.

**٢٢٨ـ السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ**[١].

**٢٢٩ـ كَلَامُ ابْنِ آدَمَ كُلُّه عَلَيْهِ لَا لَهُ إِلَّا أَمْرَاً بِمَعْرُوفٍ أَو نَهْيَاً عَنْ مُنْكَرٍ أَو ذِكْرَ اللهِ تَعَالىٰ**[٢].

**٢٣٠ـ التَّؤُدَةُ وَالاقْتِصَادُ وَالصَّمْتُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَعِشْرِيْنَ جُزْءَاً مِنَ النُّبُوَّةِ**[٣].

بيان الخبر الأول في تمامه، وهو: ***فإذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر، وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر.***

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

وروي: أنّ ماغر بن مالك أتى النبي عليه السلام فقال: يا رسول الله، إنّي زنيت وأنا محصن فطهّرني، فكرة ذلك رسول الله وحوّل وجهه، فرجع إلى الجانب الآخر، وقال: يا رسول الله، إنّي زنيتُ وأنا محصن فطهّرني، حتّىٰ قال ذلك أربع مرّات، فقال له النبي عليه السلام: ***إنّك اعترفت أربعاً، هل باشرتها***؟ قال: نعم. ***هل ضاجعتها***؟ قال: نعم. قال: ***هل فعلت بها كما يدخل المرود في المكحلة***؟ قال: نعم. ثمّ أرسل

---

(١) أمالي الطوسي: ٦٣٤، مشكاة الأنوار: ٥٤٦، مجمع الزوائد ٥: ١٩٦، الجامع الصغير ٢: ٦٩.

(٢) مسند أبي يعلىٰ ١٣: ٥٥ / ٧١٣٢، المعجم الكبير ٢٣ / ٢٤٣، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ١: ٣٥٩.

(٣) منتخب مسند عبد بن حميد: ١٨٣ / ٥١٢، المعجم الأوسط ١: ٣٠٣، كنز العمّال ٣: ٩٨ / ٥٦٧٢، تاريخ بغداد ٣: ٢٧٩.

وفي جميع المصادر: (السمت الحسن) بدل (الصمت)، وكذلك فيها: (أربعة وعشرين) بدل (ستّة وعشرين).

والسلطان هو المتسلّط على الناس، وظلّ السلطان سريع الزوال.

وقيل: معناه: أنّ الإمام العدل من قبل الله المنصوب بين الخلائق لمصالحهم هو سلطان الله وظلّه على الضعفاء، ينزلون بفنائه، ويلتجئ إلى قوّته كلّ مظلوم، فهو ينصره ولا يخذله، فعليكم أن تعينوه وتوازروه وتفرحوا بمكانه ولا تحاسدوه.

وأراد بالظلّ ما يستريح به التَّعِب. وقيل: ظلّ الله، أي خاصة الله، ومن يكون عدله مثل عدل الله، كأنّ فعله حكاية عن فعله تعالى، كظلّ كلّ شيء، فإنّه يطول بطوله ويقصر بقصره.

وأوى إليه يأوي، أي يرجع، والإيواء ترجيع فيه فائدة.

ثمّ أمر بقلّة الكلام إلّا بذكر الله ونحو ذلك.

والمعنى: من جاوز كلامه هذه الأشياء الثلاثة المذكورة لابدّ أن يُكتب عليه وزره، وأكثر بلاء الإنسان من مقاله.

---

رسول الله إلى قومه، **هل بصاحبكم من جِنّة**؟ قالوا: لا، يا رسول الله، فأمر به رسول الله إلى الحرّة، وبعث معه جماعة من أصحابه يرجمونه، قال: فمسته الحجارة ففرّ يعدو قِبل العقيق فأدركه عبدالله بن أنيس بالمسلمين فلم يزل يضربه بوظيف حمار حتّىٰ قتله، فجاء إلى رسول الله فأخبره، فقال: **هلّا تركتموه لعله يتوب فيتوب الله عليه**. ثمّ قال لهزال ـ وكان ماعز في حجره أوصى أبوه به إليه ـ: **يا هزال بئس ما صنعت بيتيمك هلّا سترته بفضل ردائك**، فقال: يا رسول الله، لم أدرِ أنّ الأمر فيه سعة إلّا أن يرفع إليك.

ثمّ قام رسول الله خطيباً، فقال: **أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن هذه القاذورة التي نهى الله عنها، فمن ألم بشيء منها فليستر بستر الله، فإنّه من أبدىٰ**

ويروىٰ مرفوعاً إلى رسول الله أنّ معناه في قوله تعالى: ﴿**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ**﴾[1] الآية.

وقيل: يعني: أنّ كلام ابن آدم كلّه يعود عليه إثمه ولا يكون له به فائدة يصيبها، ثمّ استثنى فقال: ***إلّا أمراً بمعروف***، وهو ما يعرفه الناس في النفوس من محاسن الشيم وتستحسنه العقول من مكارم الأخلاق، أو نهياً عن منكر وهو إذا حضره فعل منكر أو قول قبيح يتقدّم ليمتنع، فإذا لم يقدر إنكاره فليُظهِر عجزه ويكون كارهاً لذلك بالقلب؛ ليسقط عنه الحقّ الواجب، أو ذكر الله تعالى؛ فإنّه دواء، وذكر الناس دواء[2].

وحثّ أخيراً على تلك الخصال المحمودة التي هي: الرفق في الأُمور كلّها والدوام على أمر لا يكون فيه تقصير ولا سرف، والسكوت عن المنهيّات، وترك العجلة.

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب

***لنا صفحته أقمنا عليه كتاب الله تعالى***. ودعا رسول الله المرأة التي سمّاها ماعز قال لها: ***اذهبي***. ولم يسألها عن شيء، فأكثر الناس في ماعز أنّه فضح نفسه ولم يتب، فقال رسول الله: ***لقد تاب ماعز توبة لو تابها طائفة من اُمّتي لأجزأت عنهم***[3].

**١٦٨ـ الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُوْلَىٰ.**

قد بيّنا أنّ الصبر حبس النفس على المكاره. والصدمة الفَعْلَة من صدمه بالشيء إذا دقّه به.

---

(١) سورة النساء ٤: ١١٤.

(٢) كذا في النسخة، والصحيح: داء.

(٣) الكافي ٧: ١٨٥ /٦، الطبقات الكبرىٰ ٤: ٣٢٤، نصب الراية ٥: ٧١، المحلّىٰ ١١: ١٢٦، نيل الأوطار ٧: ٨٤، مسند أحمد ٥: ٢١٧.

يقول: من اجتمعت فيه هذه الخلال الرضيّة لقيه الناس بالتعظيم، وألبسه الله لباس أنبيائه؛ فإنّ مجموع هذه الأُمور الحسنة جزء من النبوّة.

فإن قيل: لِمَ أجزاء النبوة ستة وعشرون جزءاً؟

قلنا: روى ابن بابويه في كتاب النبوة أنّ محمّداً لمّا أتاه جبرئيل عليه السلام وأمره أن يقول للناس أنّه رسول الله إليهم ويعلّمهم معالم الدين، كان له أربعون سنة، فعاش بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة بمكة والمدينة، وكان عليه السلام يوحىٰ إليه في خاصّة نفسه قبل ذلك بثلاث سنين، ومن قبل هذا منذ حال تكليفه كان محدَّثاً بأحكام شرعية يحتاج إليها بنكت في القلب ونقر في السمع وإلهام، فيكون جملة مدّة نبوته ستاً وعشرين سنة. فأشار بهذا الحديث إلى عظم شأن هذه الخصال الثلاث التي فاتحتها التؤدّة وخاتمتها الصمت، وواسطتها الاقتصاد.

وقيل: إنّ مجموع هذه الثلاثة أو الأربعة التي رويناها أوّلاً جزء من ستة وعشرين جزءاً من النبوة، فمراده ـ والله أعلم ـ أنّ الله سبحانه علّمني هذه الثلاثة

---

**والمعنى:** أنّ الرجل إذا أُصيب بمصيبة فجلده وقوّته أن يصبر في أول تلك الحالة؛ فإنّه إذا جزع في أوّل الحال ثمّ تسلّى بمرور الزمان فلا يحمد عليه ألا ترى إلى قول أبي الطيب:

*إذا استقبلت نفس الكريم مصابها* ... بخبث ثنت فاستدبرته بطيبِ

*وللواجد المكروب من زفراته* ... سكون عزاء أو سكون *لغوبِ*[1]

وقال آخر:

تعزّ فإنّ *الصبر بالحرّ أجمل* ... وليس على ريب *الزمان* معولُ

فلو كان يغني *أن يُرى المرء جازعاً* ... *لنازلة أو كان يغني التدللُ*

---

(١) ديوان المتنبّي: ٢٦٥.

الخصال[١] في سنة تامّة، ولم يُنزل عليّ ولم يوحِ إليّ في تلك السنة إلّا الوصية بهذه الأشياء، فكأنّها جزء من أجزاء نبوّتي.

والتؤدّة: الرفق، يقال: اتَّئِدْ يا فلان، أي ارفق، والمقتصد في القرآن هو من كان بين السابق والظالم.

**٢٣١ـ الأَنْبِيَاءُ قَادَةٌ وَالفُقَهَاءُ سَادَةٌ وَمُجَالَسَتهُم زِيَادَةٌ[٢].**

**٢٣٢ـ المُتَشَبِّعُ بِمَا لَا يَمْلِكُ كَلَابِسِ ثَوْبَي زُوْرٍ[٣].**

**٢٣٣ـ الوُضُوْءُ قَبَلَ الطَّعَامِ يَنْفِي الفَقْرَ وَبَعْدَهُ يَنْفِي اللَّمَمَ وَيصحّ البَصَر[٤].**

ومعنى الخبر الأول أمر، أي اقتدوا بالنبيين؛ فإنّ الله قد جعلهم قادة للخلائق، واهتدوا بهداهم، وتخلّقوا بأخلاقهم، وجالسوا الفقهاء؛ فإنّهم سادة الخلق يجب تعظيمهم والانتهاء إلى أقوالهم، فعليكم بمجالستهم لكي تزيدوا في الشريعة

**الضوء في شرح الشهاب**

*فكان التعزي عند كلّ مصيبة ونازلة بالحرّ أولى وأجملُ*[٥]

وروى أنس أنّ رسول الله ﷺ مرّ بامرأة تبكي عند قبر فقال لها: ***اتّقي الله واصبري***. قالت: إليك عنّي فإنّك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها: إنّه النبي، فتبعته وقالت: يا رسول الله، لم أعرفك وتبت ممّا قلت، وأمتثل أمرك وأصبر، فقال عليه السلام: ***الصبر عند الصدمة الأولى***[٦].

---

(١) في النسخة: الخلال.

(٢) أمالي الطوسي: ٤٧٣ / ١، عوالي اللئالي ٤: ٧٣ / ٥١، سنن الدارقطني ٣: ٦٦ / ٣٠٦٧، الجامع الصغير ١: ٤٧٧ / ٣٠٩٠.

(٣) مسند أحمد ٦: ١٦٧، صحيح البخاري ٦: ١٥٦، صحيح مسلم ٦: ١٦٩، سنن أبي داود ٢: ٤٧٦.

(٤) أمالي المرتضى ٢: ٥٨، مكارم الأخلاق: ١٣٩، ميزان الاعتدال ٤: ٢٠٢، غريب الحديث ١: ٩.

(٥) الوافي بالوفيات ٦: ٦٢، والشاعر هو إبراهيم بن كنف النبهاني الصنعاني.

(٦) دعائم الإسلام ١: ٢٢٢، صحيح البخاري ٢: ٧٩.

والحقيقة والعلم في الحلال والحرام والفرائض والسنن والإخلاص الذي يبصر من العمى ويدعوا إلى الرشد والهدى.

ومعنى الخبر الثاني: أنّ المتزيّن بأكثر ما عنده يتكثّر بذلك ويتزيّن بالباطل كلابس ثوبي زور؛ فإنّه يلبس ثياب أهل الزهد في الدنيا ويرائي بذلك للناس، ويظهر لهم من التمشّع[١] والتقشّف[٢] أكثر ممّا في قلبه، فهذا إثبات الزور والرياء.

والشبع: نقيض الجوع، يقال: شبعت من خبز ولحم. والتشبّع: إظهار ذلك مع إرادته وإن لم يكن هذا حقيقته في وضع اللغة. ومن جعل نفسه شبعىٰ من خبز غيره، بأن يعتمد على ذلك ولا يحصّله لديه، فهو كمن استعار الرداء والإزار من الغير، فإذا احتاج إلى الطعام لا يكون له، كالمستعير إذا ما استردت العارية منه يبقى عرياناً.

---

قال الأزهري: الصدم ضرب الشيء الصلب بمثله، والرجلان يعدوان فيتصادمان، والأولى تأنيث الأُولى.

**١٦٩ـ القَبْرُ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الآخِرَةِ.**

وذلك أنّ الآخرة منازل ومراحل ومواقف، فأولها القبر، ثمّ موقف العرض في قوله: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفّاً**﴾[٣] ثمّ موقف الحساب، ثمّ موقف تطاير الكتب

(١) التمشّع: التمسّح في الاستنجاء. وتمشع وامتشع إذا أزال عنه الأذىٰ. النهاية في غريب الحديث ٤ : ٣٣٤ مادة (مشع).

(٢) قال ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٥ : ٨٩: القاف والشين والفاء كلمة واحدة وهي قولهم: قشف يقشف، إذا لوحته الشمس فتغير ثمّ قيل من لا يتصنّع للتجمل قشف، وهو يتقشّف.

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٤٨.

وأدّب عليه السلام بالخبر الأخير الأعراب الذين لم يكونوا يغسلون أيديهم بعد الفراغ من الطعام، ويقولون: فقره أشد علينا من ريحه[١]. وأمرهم بغسل اليدين والفم من الأكل من كلّ ما مسّته النار وغيره ممّا له زهومة ورائحة كريهة يضرّه ويتأذّى به جليسه. وهذا وإن كان خاصاً في حقّ هؤلاء فعموم لفظه يتناول جميع المكلّفين.

وسمّى غسل اليد وضوءاً وهو النظافة في موضوع العربية.

وقال عليٌّ عليه السلام: ***الأكل على الجنابة تورث الفقر، ومواساة الأخ في الله يزيد في الرزق، والاستغفار يزيد في الرزق، وإجابة المؤذّن يزيد في الرزق، وترك الكلام في الخلاء يزيد في الرزق***[٢].

ومراده عليه السلام غسل اليدين قبل تناول الطعام تعظيماً له يزيل الفقر المعروف. وقيل: هو عدم القناعة، وقلّة الرضا به. وغسلهما بعد الفراغ منه يزيل اللَّمم، وهو ما يلمّ بالإنسان من الجنون وغيره، ويورث صحّة البصر.

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب**

وأُتي كلّ إنسان كتابه بيمينه أو شماله، ومنها موقف الصراط و [هو] جسر يوضع على جهنّم يمرّ كلّ أحد عليه حتّى يصل إلى منزله أمّا في الجنّة أو في النّار، وذلك قوله: ﴿**وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا**﴾[٣] على أحد القولين[٤].

قيل: كان بعض الصالحين إذا ذكر عنده العرض والحساب والصراط والجنّة والنار لا يبكي، فإذا ذكر القبر بكى بكاء شديداً، فقيل له في ذلك، فقال: في كلّ موقف وموطن ففي جماعة إلّا بالقبر فإنّه منزل وحدة ووحشة لا يكون مع العبد

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ١ : ٩، وفيه: فقده أشدّ علينا من ريحه.

(٢) الخصال: ٥٠٥، روضة الواعظين: ٤٥٥، وهذه الفقرات جزء من حديث طويل له عليه السلام في موجبات الفقر والرزق.

(٣) سورة مريم ١٩ : ٧١.

(٤) مجمع البيان ٦ : ٤٤١.

وكان ضيف عند الصادق عليه السلام فأمره قبل الطعام بغسل اليدين فأبى، فقال عليه السلام: ***هذا الغسل لابدّ منه؛ فإنّه بركة لبيتنا، وإذا أكلت ولم*** ترد غسلهما بعد ذلك فهو إليك، إن شئت مصلحة نفسك فافعل، وإلّا فلا[١].

**٢٣٤ـ القَاصُّ يَنْتَظِرُ المَقَتَ، وَالمُسْتَمِعُ إِلَيْهِ يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَالتَّاجِرُ يَنْتَظِرُ الرِّزْقَ، وَالمُحْتَكِرُ يَنْتَظِرُ اللَّعْنَةَ[٢].**

**٢٣٥ـ السَّعَادَةُ كُلُّ السَّعَادَةِ طُوْلُ العُمْرِ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ[٣].**

**٢٣٦ـ وَالشَّقِيُّ كُلُّ الشَّقِيِّ مَنْ أَدْرَكَتْهُ السَّاعَةُ حَيّاً لَمْ يَمُتْ[٤].**

**٢٣٧ـ الوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ تَرَكَ عِيَالَهُ بِخَيْرٍ، وَقَدِمَ عَلَىٰ رَبِّهِ بِشَرٍّ[٥].**

يقول: إنّ القاصّ الذي يقصّ أخبار الماضين، ويروي حكاياتهم ويتّبع أبداً القصّ بغير علم وتحرّج لا يأمن عليه الزيادة والنقصان وما لا أصل له، فإذا كان شاكّاً في ذلك وعلى وجلٍ من كلامه ومع ذلك فيحدّث به، فمن شأنه انتظار المقت، وهو في اللغة أشد البغض، ويحمل هنا على بغض الله.

---

فيه أحد إلّا عملة خيراً كان أو شرّاً.

**١٧٠ـ دَفْنُ البَنَاتِ مِنَ المُكْرَمَاتِ.**

وذلك لأنّ العرب كانت تأنف من إنكاح بناتها، ولذلك كانت تئد البنات أي تدفنها أحياء؛ ولهذا قال بعضهم:

*تبغّىٰ ابن كوز والسفاهة كاسمها ليستاد منّا أن شتونا لياليا*

---

(١) لم نعثر عليه في المصادر.
(٢) مجمع الزوائد ١: ١٩١، المعجم الكبير ١٢: ٣٢٦، تاريخ بغداد ٩: ٤٣١.
(٣) أمالي الصدوق: ٢٤٨.
(٤) الجامع الصغير ٢: ٨٦ / ٤٩٤٧، كنز العمّال ١٥: ٥٤٦ / ٤٢١١٣.
(٥) الجامع الصغير ٢: ٧٢٤ / ٩٦٩٣، كنز العمّال ٣: ٤٤٩ / ٧٣٩٠، ميزان الاعتدال ٣: ٣٨٥.

وقيل: هو القاصّ الذي يقصّ الناس على الطمع ينتظر المقت، وهو اليأس عن الذي طمع فيه، ويكون متردّداً بين أن يكون وبين أن لا يكون، والذي يستمع إلى كلامه يكون على رجاء من رحمة الله بإسماعه ذكر الله تعالى وحسن صنعه بخلقه من المؤمنين وشدّة عذابه واستيصاله للكافرين.

ثمّ قال: التاجر الذي يوجب في التجارة البيع والشرى لانتظار الرزق من سعة فضل الله إذا كانت التجارة خالية عن الشبهة والتهمة التي تورث الفساد، والذي يقتضي وهو المتمنّي غلاء السعر على أُمّة محمّد ﷺ انتظار اللعنة بسوء نيّته وقبح معاملته مع المسلمين.

واللعنة هو الإبعاد، ولعنة الله على العبد إبعاده العبد من رحمته.

يريد التجارة سنّة، والاحتكار مكروه، وكلّ من تربّص الطعام لعنه الخلق والخالق إذا[١] لم يوجد إلّا من عنده.

**الضوء في شرح الشهاب**

*فما أكبر الأشياء عندي حزازة بأن أبت مزرياً عليك وزاريا*

*فلا تطلبنها يابن كوز فإنّه غذا الناسُ مذ قام النبي الجواريا*[٢]

وكانوا أيضاً يئدون البنات خشية الفقر، قال الله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ**﴾[٣] الآية، فإذا ماتت البنت ودفنها أبوها سلم من هذه الآفات، قال بعض الشعراء:

*سروران ما لهما ثالث حياة البنين وموت البنات*[٤]

لقول النبي ﷺ: ***دفن البنات من المكرمات***. وقال آخر وقد ملّح فيه:

(١) في النسخة: وإذا، وما أثبتناه هو الصحيح.
(٢) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١: ٢٤١.
(٣) سورة الإسراء ١٧: ٣١.
(٤) ربيع الأبرار ٥: ١٤٨.

ثمّ قال: إنّ السعيد من طال عمره ولم يكن مشتغلاً إلّا بطاعة الله.

وقيل: مفهوم هذا الخبر أنّ من أعظم الشقاء من كان طول عمره في معصية الله؛ لأنّ الموتى كلّهم في تمنّي إدراك ركعتين وحيازة أجر وعمل برّ، وليسوا بقادرين عليها.

تحقيقه الحثّ على المواظبة على الطاعة طول العمر؛ فإنّه السعادة التي لا شقاء معها، والبشارة لمن هذه حالته.

ومن علامات الشقاء إيثار الفناء على البقاء، وعلامة ذلك أن يبقىٰ الإنسان فاجراً إلىٰ وقت لا تقبل التوبة فيه، ومن أدركه القيامة وهو حيّ أيضاً من الأشقياء؛ فإنّ ذلك أيضاً علامة الشقاء.

والمشاقاة في اللغة: المعاناة والمقاساة.

وأراد بالخبر الأخير أنّ شدّة العذاب لمن جمع مالاً من حلّ وحرام ولم ينتفع به لنفسه، يكون عليه خسرانه وأورثته رجحانه.

---

*القبر أخفى سترة للبنات* ... ودفنها يروى من *المكرمات*

*أما ترى الرحمن* سبحانه قد ... وضع *النعش* بجنب *البنات*[1]

وقال آخر:

*لكلّ أبي بنت إذا هي أدركت* ... *ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهرُ*

فزوج يراعيها وبيت يكنّها ... وقبر يواريها وخيرهم *القبرُ*[2]

وعن ابن عبّاس قال: لمّا دفن النبي عليه السلام بنته رقية قال: ***الحمد لله، دفن البنات***

---

(١) ذيل تاريخ بغداد ٣: ١٩٤، الوافي بالوفيات ٢٠: ١٩٥.

(٢) تفسير القرطبي ١٠: ١١٨، أضواء البيان ٢: ٣٨٩، باختلاف يسير.

والويل في اللغة كلمة يستعملها القائل[١] لكلّ واقع في هلكة. وقيل: الويل: وادٍ في جهنّم[٢].

**٢٣٨ـ دَعْوَةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ كَانَ فَاجِراً، فَفُجُوره عَلَىٰ نَفْسِهِ**[٣].

**٢٣٩ـ ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيْهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةِ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَىٰ وَلَدِهِ**[٤].

**٢٤٠ـ القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ**[٥].

روي أنّ دعاء صنفين من الناس مستجاب لا محالة مؤمناً كان أو كافراً: دعاء المظلوم، ودعاء المضطر؛ لأنّ الله قال: ﴿**أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**﴾[٦] وقال النبي: ***دعوة المظلوم مستجابة***.

والفاجر في الخبر هو الكافر، كقوله: ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ**﴾[٧].

فإن قيل: أليس يقول الله: ﴿**وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾[٨] فكيف يقال دعاء المظلوم مستجاب وإن كان كافراً؟

ــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***من المكرمات***[٩].

---

(١) في النسخة: القاتل، وما أثبتناه هو المناسب.
(٢) التبيان ١: ٣٢١، تفسير الثعلبي ١: ٢٢٤.
(٣) مسند أحمد ٢: ٣٦٧، مجمع الزوائد ١٠: ١٥١، مسند أبي داود الطيالسي: ٣٠٦.
(٤) مكارم الأخلاق: ٢٧٥، مشكاة الأنوار: ٢٨٢، مسند أحمد ٢: ٢٥٨، سنن ابن ماجة ٢: ١٢٧٠.
(٥) المستدرك على الصحيحين ٤: ٩٠، السنن الكبرىٰ ١٠: ١١٧، مسند أبي الجعد: ١٥٥، المعجم الأوسط ٧: ٣٩.
(٦) سورة النمل ٢٧: ٦٢.
(٧) سورة عبس ٨٠: ٤٢.
(٨) سورة الرعد ١٣: ١٤.
(٩) المعجم الأوسط ٢: ٣٧٢، مسند الشاميين ٣: ٣٢٥.

قلنا: الآية التي تلوتنا هي دعاء الكفّار في نارجهنّم في دارالجزاء، وهناك لا تقبل التوبة ولا ترحم العبرة ولا تجاب الدعوة، والخبر الذي نتكلم عليه في دار الدنيا.

ثمّ قال: إنّ الله يستجيب ثلاثة أدعية البتة لا مجال للشكّ فيها.

**أحدها:** دعاء من ظُلِم ولا ناصر له إلّا الله، فهو الذي يخاف على ندائه ويرجى استجابة دعائه.

**والثاني:** دعاء الغريب الذي سافر من وطنه في طاعةٍ أو مباح يقاسي الأهوال والأقطار[١]، فدعاؤه أيضاً مستجاب في خاصّ نفسه ولإخوانه المؤمنين؛ لأنّ الله بالمسافر رحيم.

وأما الوالد فهو أحقّ بالحرمة من الوالدة، ومن كانت حرمته عليك أعظم كان دعاؤه لك أرجى إجابة.

وبيان الخبر الأخير في تمامه، وهو: ***الذي في الجنّة فرجل عرف الحقّ***

---

وقال بعضهم:

فلم أر نعمة شملت كريماً ... كعورة مسلم سترت بقبرِ[٢]

وقال الحسين عليه السلام: ***البنون نِعَم، والبنات حسنات، والنعم مسؤول عنها والحسنات مثاب عليها***.

ونعى إلى ابن عبّاس ابنته فاسترجع، وقال: عورة سترها الله، ومؤنة كفاها الله، وأجر ساقه الله، ثمّ قام وصلّى ركعتين، وقال: فعلنا ما أمره الله، حيث قال: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**﴾[٣].

---

(١) كذا في النسخة، ولعلّها تصحيف: الأخطار.
(٢) عيون الأخبار ٣: ٦٢.
(٣) سورة البقرة ٢: ٤٥.

*وقضى به، وأمّا اللذان في النار فرجل عرف الحقّ فخان به في الحكم، ورجل قضى للناس على جهل*.

وقال العلماء: إنّ هذا الخبر يدلّ على أنّ كلّ مجتهد ليس بمصيب؛ إذ لو كان كلّ مجتهد مصيباً لم يكن لهذا التفسير معنى[١].

وروي: ***القضاة أربعة ثلاثة في النار وواحدٌ في الجنّة***[٢].

**٢٤١ـ خَصْلَتَانِ لَا تَكُوْنَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ، وَفِقْهٌ فِي الدِّيْنِ**[٣].

**٢٤٢ـ خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُؤْمِنٍ: البُخْلُ وَسُوْءُ الخُلُقِ**[٤].

**٢٤٣ـ عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارِ: عينٌ بَكَتْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيْلِ اللهِ**[٥].

**٢٤٤ـ مَنْهُوْمَانِ لَا يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا**[٦].

يعني: أنّ هاتين الخصلتين لا تكاد توجدان في المنافق:

**أحدهما:** حسن السمت، وهو الطريق المرضي والمذهب المحمود والحالة

**ـــــــــــــــــــــــــــــــــــ الضوء في شرح الشهاب**

وماتت ابنة لجعفر البرمكي، فقال: تقديم الجرم من النعم[٧].

وقال رجل لبعض العلماء: مات بعض أقاربي، فأنشأ يقول:

*لا تغضبنّ على الزمان وصرفه ... ما كان يرضى منك بالأطراف*[٨]

---

(١) اُنظر: المحصول ٦: ٣٣ ـ ٣٦.

(٢) الكافي ٧: ٤٠٧ / ١، من لا يحضره الفقيه ٣: ٤ / ٣٢٢١، تحف العقول: ٣٦٥.

(٣) تحف العقول: ١٧٩، الغارات ١: ٢٤٨، سنن الترمذي ٤: ١٥٤، المعجم الأوسط ٨: ٧٦.

(٤) سنن الترمذي ٣: ٢٣١ / ٢٠٢٨، مسند أبي داود الطيالسي: ٢٩٣، الأدب المفرد: ٦٨.

(٥) سنن الترمذي ٣: ٩٦، مجمع الزوائد: ٢٨٨، مسند أبي يعلى ٧: ٣٠٨ / ٤٣٤٦.

(٦) الكافي ١: ٤٦ / ١، تهذيب الأحكام ٦: ٣٢٨، سنن الدارمي ١: ٩٦، مجمع الزوائد ١: ١٣٥.

(٧) لم نعثر عليه في المصادر.

(٨) يتيمة الدهر ٤: ٩٩، والشاعر أبو الفضل أحمد بن محمد.

الحسنة المقبولة عند الله وعند الناس.

**والثانية:** الفقه في الدين، وهو حسن الفطنة في أحكام الشريعة.

ثمّ قال: المؤمن لا يكون بخيلاً سيّئ الخلق، ربّما يكون فيه إحدى هاتين الخصلتين، فأما البخل وسوء الخلق فلا يجتمعان فيه، وفي الأغلب لا يكون إحداهما في المؤمن أيضاً، قال النبي عليه السلام: ***إنّ الخلق السيّئ ليفسد الإيمان كما يفسد الخلّ العسل***[١].

وتقدير الخبر الثالث: صاحب العينين لا يمسّ بشرتهما ألم[٢] النار إذا صدرت منهما هاتان الخصلتان المذكورتان، فحذف المضافات، ولم يرد عليه السلام العين نفسها؛ لأنّ النار لا تصيب وجه المؤمن على ما روي في الأخبار وإن دخل جهنّم بشؤم معصيته، والعينان لا محالة في الوجه، على أنّ العرب تقول: رأته عيني وسمعته أُذني، والمراد به صاحب العين والأُذن.

---

وقال عليه السلام: ***إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة: قبضتم ولد عبدي؟ قالوا: نعم، قال: فما قال؟ قالوا: حمدك واسترجع، قال ابنوا له بيتاً وسمّوه بيت الحمد***[٣].

وعن أبي ذرّ أن النبي عليه السلام قال: ***ما من مسلمين يموت لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحلم إلّا أدخلهم الله الجنّة***[٤].

وعن علي عليه السلام أنّه قال: ***ما من مسلم يموت له ولد في الإسلام فيشكر الله***

(١) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا: ٢٣٣ / ١٨٤، مجمع الزوائد ٨: ٢٤ وفي الكافي ٢: ٣٠٢ / ١: الغضب يفسد...

(٢) في النسخة: المر.

(٣) الكافي ٣: ٢١٨ / ٤، السنن الكبرىٰ ٤: ٦٨.

(٤) مسند أحمد ٢: ٥١٠، ٥: ١٥٣، السنن الكبرىٰ ٩: ١٧١.

والمراد بالبكاء في جوف الليل وتخصيصه بوسط الليل إشارة إلى التضرّع والخشوع في صلاة الليل، حيث لا رياء ولا سمعة، وهو سنّة الأنبياء والأولياء؛ وذلك لشرف صلاة الليل على نوافل النهار.

وقيل: أراد به بكاء السرّ سواء كان في الليل أو في النهار.

والمنهوم: الحريص، والنهمة شدّة الحرص؛ وإنّما لا يشبعان لأنّ ابن آدم لا يشبع عمّا يستلذّه، ولا يزال طالب الدنيا حريصاً عليها لاستلذاذه إيّاها وحلاوتها في عينه. وطالب العلم إنّما يصعب عليه ذلك أوّل مرّة لكنّ آخره أحلى من العسل.

**٢٤٥ـ الشَّيْخُ شَابَ فِي حُبِّ اثْنَيْنِ: طُوْلِ الحَيَاةِ وَكَثْرَةِ المَالِ[١].**

**٢٤٦ـ أَرْبَعَةٌ يَبْغَضُهُمْ اللهُ تَعَالَىٰ: البَيَّاعُ الحَلَّافُ، وَالفَقِيْرُ المُخْتَالُ[٢] وَالشَّيْخُ الزَّانِي، وَالإِمَامُ الجَائِرُ[٣].**

**٢٤٧ـ ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ، فَالثَلَاثُ المُهْلِكَاتُ: شُحٌّ مُطَاعٌ،**

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــالضوء في شرح الشهاب

***على ذلك إلّا كان الله قائده إلى الجنّة***[٤].

**١٧١ـ مُعْتَرَكُ المَنَايَا مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ.**

المعترك: موضع الاعتراك، وهو افتعال من العرك وهو اللّي والعنف[٥]، وصار

---

(١) مسند أحمد ٢ : ٣٧٩، سنن ابن ماجة ٢ : ١٤١٤، مسند الحميدي ٢ : ٤٦٠، وفي جميع المصادر: قلب الشيخ...

(٢) في النسخة: المحتال، وما أثبتناه من المصادر وهو الموافق للمعنىٰ، وكذلك شرح الكلمة كما يأتي.

(٣) سنن النسائي ٥ : ٨٦، صحيح ابن حبّان ١٢ : ٣٦٩ / ٥٥٥٦، تاريخ بغداد ٩ : ٣٦٣ / ٤٩٢٤.

(٤) اُنظر: مجمع الزوائد ٣ : ١٠، المعجم الأوسط ٦ : ٤٦، كنز العمّال ٣ : ٢٩٢ / ٦٦١٥.

(٥) في النسخة: بالعنف، وما أثبتناه أنسب للسياق.

**وهوىً مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ المَرْءِ بِنَفْسِهِ، وَالثَّلَاثُ المُنْجِيَاتُ: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالعَلَانِيَةِ، وَالقَصْدُ فِي الفَقْرِ وَالغِنَىٰ، وَالعَدْلُ فِي الغَضْبِ وَالرِّضَا**[١].

يقول: لا يشبع أحد من عيشه ولا من المال، فحبّهما للشيخ الكبير شابّ، فالجديدان يبليان كلّ شيء غيرهما، وهذا دليل على أنّ الشيخ والشابّ متساويان في كراهة الموت وإرادة المال إلّا من خصّه بفضله.

ثمّ قال: أربعة رجال وأربعة فرق يستوجبون الغضب من الله بسوء صنيعهم، منهم: البياع الذي اعتاد الحلف عند بيعه وشرائه، والفقير المختال الذي يعتاد التكبّر إلّا إذا كان تنبيه الأغنياء، والمتكبّر معاقب معاتب سواء كان فقيراً أو غنياً، والفقير [الذي] لا مال له ألوم[٢].

والشيخ إنّما يستحقّ غضب الله لبعده عن الشهوة، فالزاني على كلّ حال أيضاً شديد العقوبة إلّا أنّ في الشيخ أشدّ.

والإمام الظالم الجائر: الذي يميل عن طريق الحقّ ونهج الشرع ومأمور

---

بالعرف معروفاً بموضع الحرب، وكذلك المعركة مَفْعَلة منه والمأزق والمأقط مضيق الموضع من المعركة. والمنايا جمع منيّة بمعنى مفعوله من مني إذا قدر، قال:

........................ *حتّى تبين ما يمنى لك الماني*[٣]

يعني: أنّ مظنّة موت الرجل ما بين هذين العقدين.

---

(١) المعجم الأوسط ٥: ٣٢٨، الجامع الصغير ١: ٥٣٥ / ٣٤٧٢، تفسير القرطبي ١٦: ١٦٧، الخصال: ٨٤ / ١١.

(٢) كذا في النسخة.

(٣) النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٦٨، وتمام البيت:

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم ‏ ‏ ‏ حتّىٰ تلاقي ما يمنىٰ لك الماني

الحكم. وروي: ***ثلاثة يشنأهم الله: الفقير المختال***[١]***، والبخيل المنّان، والبيِّع المحتال***[٢].

ثمّ ذكر في الخبر الأخير سبب هلاك بني آدم وسبب نجاتهم، فقال: ثلاثة هي أسباب الهلكة في القيامة، وهلاكها دخول النار ومقاساة العذاب، وثلاثة هي أسباب النجاة، وهي دخول الجنّة والفوز إلى رحمة الله.

أما الأُولى واحداها: شحّ مطاع، وهو البخل الذي يطيعه صاحبه، وقد يكون البخل مركوزاً في كلّ مكلّف، ولكنّ المؤمن يعصي ما فيه من البخل.

والثانية: هوًى متّبع، وهو إعطاء تمنّي النفس ومرادها، والهوى قد يكون لكلّ عاقل ولكن المؤمن لا يتّبعه.

والثالثة: إعجاب المرء بنفسه في أقواله وأفعاله الصادرة، ومن يندر[٣] عظمة الله وعظم نعمائه استصغر نفسه وشُكره وعبادته فلا يعجب بأحواله.

وأما الثلاثة الأُخرى فاحداها: خوف الله وخوف عقابه؛ لما يرى من تعدّيه

**الضوء في شرح الشهاب**

**١٧٢ـ أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَىٰ السَّبْعِينَ.**

هذا الخبر يجري مجرى الخبر الأول في المعنى، يعني: أعمار هذه الأُمَّة في الأغلب ما بين العقدين.

**١٧٣ـ المَكْرُ وَالخَدِيْعَةُ فِي النَّارِ.**

المكر في اللغة: الشدّ والإحكام، وقوله: جارية ممكورة، إذا كانت محكمة

---

(١) في النسخة: المحتال، وما أثبتناه هو المناسب كما تقدّم.

(٢) الفائق في غريب الحديث ٣: ٢٦٣، عمدة القارئ ١١: ٢٠٦، وأُنظر: المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٢٥٣.

(٣) كذا في النسخة، ولعلّها تصحيف: ينظر.

وتقصيره، ومن سكنت خشية عقاب الله في قلبه فقد أحرقت مواد[1] الشهوات والشبهات، وطردت عنه الرغبات في الغائبات.

والثانية: لزوم الاقتصاد سواء كان غنياً أو فقيراً.

والثالثة: الثبات على أحكام الحقّ في طرفي رضاه وغضبه.

**٢٤٨ـ المُسْتَبَّانِ مَا قَالاَ فَهُوَ عَلَىٰ البَادِي مَا لَمْ يَعْتَدِ المَظْلُومِ**[2].

**٢٤٩ـ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ**[3].

**٢٥٠ـ أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الجَنَّةِ** ـ وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالوُسْطَىٰ ـ[4].

**٢٥١ـ أَنَا النَّذِيْرُ، وَالمَوْتُ المُغِيْرُ، وَالسَّاعَةُ المَوْعِدُ**[5].

وروي: المستبان ما قالا فهو على البادي حتّىٰ يعتدي المظلوم[6].

يعني: إثم السبّ ولومه على من ابتدأ به ما لم يجاوز المسبوب في جوابه عن حدّ الشرع وطريقته، فحينئذٍ دخل في درجة الظالمين، فمآل ذلك إذا قال رجل

---

الحلقة، وهو في العرف كيد الرجل بصاحبه على خفية[7]. منه قال الله تعالى: ﴿**وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾[8] والخدع والخديعة أصلهما التغيّر والفساد من قول الشاعر:

---

(١) في النسخة: موادّها.

(٢) مسند أحمد ٢: ٢٣٥، صحيح مسلم ٨: ٢١، سنن أبي داود ٢: ٤٥٤ / ٤٨٩٤.

(٣) أمالي الطوسي: ٢٦٩ / ٣٨، مسند أحمد ١: ٢٥٧، غريب الحديث لابن سلام ١: ٤٥.

(٤) مسند أحمد ٥: ٣٣٣، صحيح البخاري ٦: ١٧٨، سنن الترمذي ٣: ٢١٥ / ١٩٨٣.

(٥) مجمع الزوائد ١٠: ٢٢٧، مسند أبي يعلىٰ ١١: ٩ / ٦١٤٩، المعجم الأوسط ١: ٣٤.

(٦) الأدب المفرد: ٩٦ / ٤٢٩، مسند أبي يعلىٰ ٧: ٢٥١.

(٧) لسان العرب ٥: ١٨٣، مادة (مكر).

(٨) سورة آل عمران ٣: ٥٤.

لغيره: ياكافر، فيجيبه ويقول: أنت ذلك، فالذمّ والتعزير هاهنا عن الأوّل. وإذا قال له: يا زاني، فيجيبه ويقول: أنت الزاني، فكلاهما يعزّر ويؤدّب ويعاتب ويعاقب.

وفي هذا الخبر نهي عن شتم المسلم والوقوع في عرضه حاضراً كان أو غائباً حيّاً أو ميتاً.

وروي: ***البادي أظلم***[1].

والفَرْط والفارط: هو الذي يسبق إلى الماء فيستقي لهم ويجمع في الحياض حتىٰ يردوا فيشربوا. وفَرَطَ يفرُط: تقدّم. كأنّه قال: أنا أوّلكم قدوماً على الحوض.

والفَرَط: مصدر وصف للمبالغة كالعدْل العادِل، وهو الخبر بشارة منه عليه السلام لأُمّته، يقول: أنا أتقدّمكم إلى الحوض المسمّى الكوثر. وأُهيّئ هناك الأسباب لأجلكم، يقال: فرطت القوم، إذا تقدّمتهم.

والحوض في اللغة: مجتمع الماء.



*أبيض اللون لذيذ طعمه     طيب الريق [إذا الريق] خدع*[2]

أي فسد.

والمعنى: صاحب المكر والخديعة على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه على سبيل المبالغة؛ لأنهما إذا كانا في النار فصاحبهما لا يفارقهما؛ لأنّ معنى المصاحبة الملازمة كما بيّنا.

**١٧٤ـ اليَمِيْنُ الفَاجِرَةُ تَدَعُ [الدِّيَارَ] بَلَاقِعَ.**

اليمين: اليد اليمنى، وإنّما سمي الحلف يميناً لأنّها تؤخذ وقت الاستحلاف.

والفاجرة: الكاذبة، تقول العرب: كذب وفجر، ووصف اليمين بالفاجرة من

(١) تحف العقول: ٤١٢، عوالي اللئالي ٤: ٥٧ / ٢٠٣.

(٢) الصحاح ٣: ١٢٠١، مادة (خدع)، والبيت لسويد بن أبي كاهل.

وفي هذا الخبر إثبات الحوض له عليه السلام في القيامة، وماؤه من الكوثر، والكوثر نهر في الجنّة وهو للصائمين.

ثمّ حثّ على تعهّد الأيتام، وقال: من أصلح حال يتيم تقرّباً لله فهو في الجنّة جاري، وداره متصلة بداري.

يريد: أنّ الذي تكفّل لتربية يتيم، وأحسن مراعاته لأجل رضا الله، وطلب رحمته يكون غداً معي في الجنّة، ويكون قربة منّي بمنزلة قرب المسبِّحة من الوسطى.

وسمعت بعض المشيخة يقدح في لفظة «السبّابة» التي أوردها القضاعي أو قبله أحد من الرواة، وقال: إنّه غفل عن أنّ هذه اللفظة تستعمل في موضع الذمّ، فكأنّه من حقّه أن يقال: فأشار بالمسبِّحة والوسطى؛ لأنّه موضع المدح، وهذه كلمة المدح.

---

باب قولهم: عيشة راضية، أي ذات رضى، والمراد ذات فجور.

تدع أي تترك، وهذا الفعل يخالف سائر الأفعال من حيث إنّه لم يستعمل منه إلّا المضارع والأمر والنهي وكذلك يذر ويدع وذر ودع ولا تذر ولا تدع، ولا يجيء منهما الماضي والمصدر والفاعل والمفعول استغناء عنها بالترك والتارك والمتروك.

والبلاقع جمع جمع بلقع، وهي الأرض الخالية الخبة.

**١٧٥ـ اليَمِيْنُ الكَاذِبَةُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ لِلْكَسْبِ.**

اليمين الكاذبة أيضاً من باب قولهم: ماء دافق، وعيشة راضية عن طريق النسبة كما ذكرنا في الفاجرة، وكذلك قولهم: امراة حامل وحائض وطاهر، أي ذات حمل وحيض وطهر، هذا هو الصحيح وهو قول البصريين، وقال الكوفيون: ماء

ومعنى الخبر الأخير تهديد وزجر وتخويف، يريد: أنا المخوّف كلّ مكلّف يعصي الله بالخزي العظيم والعذاب الأليم، والموت يُغِير على الأحياء حتّىٰ لا يُبقي لا ذكراً ولا أنثى ولا صغيراً ولا كبيراً.

وموضع وَعْدِ الله للمؤمنين بالثواب ووعيده للكفّار بالعقاب القيامةُ. والنذير: فعيل بمعنى مُفْعِل. والساعة ـ معرفة ـ: يوم القيامة. والموعد: موضع التواعد.

**الضوء في شرح الشهاب**

دافق وعيشة راضية الفاعل فيهما بمعنى المفعول، يعني ماء مدفوق وعيشة مرضية، وقولهم: حائض وحامل لم يدخلوا تاء التأنيث فيها لأمنهم الالتباس بالمذكر؛ لاختصاص هذه الأوصاف بالإناث.

منفقة من النفاق وهو ضدّ الكساد، وأصله الخروج، وهو خروج المتاع من يد البائع على السرعة، ونفقت الدابة إذا ماتت وخرج روحها، و [النفق] سرب له منفذ يخرج منه(١).

والمحقّ: إذهاب الاتراد(٢) إذهاب البركة.

يعني: أنّ اليمين الكاذبة نفعها أن تنفق المتاع، وحدّها إذهاب البركة عن الكسب.

## ١٧٦ـ اليَمِيْنُ عَلَىٰ نِيَّةِ المُسْتَحْلِفِ.

اليمين نوعان: يمين حقّ ويمين باطل، فيمين الحقّ على نيّة المستحلِف، ويمين الباطل على نية الحالف. والمستحلف: طالب الحلف، وإنّما قال ﷺ ذلك لئلّا يتأوّل الحالف فينوي في وقت الحلف أنّه ليس لزيد عليه حقّ، وينوي زيداً آخر غير المدعي فتعيّنه هذا لا يعينه ولا تخرجه عن الحنث؛ لأنّ الاعتبار بنيّة المدّعي المستحلف دون الحالف.

---

(١) هكذا قرأنا الكلمة، وإلّا ليست واضحة في النسخة المخطوطة.

(٢) كذا في النسخة غير واضحة.